

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد عظيمة النفع

قال بعض العلماء على سبيل النصيح والإرشاد يا هذا إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ولتعبرها لا لتعمرها فاقتل هواك المائل إليها ولا تعول عليها واعلم أن الدنيا مزرعة النوائب ومشرعة المصائب ومفرقة المجامع ومجرية المدامع .

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فائدة: حفظ الأوقات تُفيد الأعمار وتكثر الآثار والله الموفق .

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنَيْتَ بِحِفْظِهِ وَرَأَهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ آخِرُ: وَالْعُمُرُ أَنْفُسُ مَا لِإِنْسَانٍ مُنْفِقُهُ فَاجْعَلْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَصْرُوفًا

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسْرُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَاوَاهُ .

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مِدَارٌ عَظِيمٌ وَحِصْنٌ قِصَرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَحِصْنٌ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، وَهُوَ فِي غُرْبٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ ، فَاحْفَظْ هَذِهِ الْفَوَائِدَ وَأَعْمَلْ بِهَا تُفْلِحَ وَتَرْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى
أَيِّ حَالٍ كَانَ وَأَنْ يَنْتَهَزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَأَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى
اللَّهِ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَوْنَ فِي تَيْسِيرِهَا إِلَيْهِ وَصَرَفِ الْمَوَانِعِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

آخر: مُبَايَ مِنْ الدُّنْيَا عُلُومٌ أَبْثَهَا
دُعَاءٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا الْجَرَائِدَ تَارَةً
وَمَذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرَّهُ

آخر: كُلُّ أَمْرٍ فِي مَآ يَدِينُ يُدَانُ
يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسَ كُنْهَافَا وَمَا
تَفَنَّى وَتَبَقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا
أَسْرُ بِالدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ

آخر: كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فِتْلِكَ دِيَارَهُمْ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلِ
وَأَهْلِ الثَّرَى نَحْوَ الْمَقَابِرِ شَرَعٌ
عَلَى ذَاكَ مَرُّوا أَجْمَعُونَ وَهَكَذَا
فَلَا تَحْسِبَنَّ الْوَفَرَ مَالًا جَمَعْتَهُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَبْقَى الَّذِي أَنْتَ جَامِعٌ
قَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالَ لَمْ يَنْزَوْدُوا
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْعَطَا
وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ
لِأَنَّ الَّذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الَّذِي مَضَى
فَصَبْرًا عَلَى الْأَوْقَاتِ حَتَّى تَحُوزَهَا
تَقْضِي الْمَارَبَ وَالسَّاعَاتُ سَاعِيَةً
آخر: طَالَ التَّبَسُّطُ مَنَافِي حَوَائِجِنَا

وَلَمْ تَرَّ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ
عَلَيْهَا مَجَالُ الرِّيْحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لَهُ قَبْرٌ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرٌ
يَمُرُّونَ حَتَّى يَسْتَرِدُّهُمْ الْحَشْرُ
وَلَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفَرٌ
وَلَكِنَّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْهُ هُوَ الدُّخْرُ
سِوَى الْفَقْرِ يَا بُوْسَاءَ لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ
وَتَذَكَّرْ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذُّكْرُ
إِذَا نَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ عُمُرٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ
كَأَنَّهُنَّ صَعَابٌ تَحْتَنَا ذُلٌّ
وَإِنَّمَا نَحْنُ فَوْقَ الْأَرْضِ أَضْيَافُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِحَصَلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُظَلٌّ مُبِينٌ ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكَ أَصْلًا ، فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعُقْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَلَمْ أُعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْحَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَاتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عَدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَارَةِ بِالسَّوْءِ ، وَالْهَوَى ، وَالذُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَا بُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ ، وَمُحَارَبَتُهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا: إِذَا شَعْتَ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا فَتُحْرِقَهُ حُزْنًا وَتَقْتُلَهُ غَمًّا
فَعَلَيْكَ بِالْإِخْلَاصِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَى فَمَنْ فَازَ فِيهَا مَاتَ حُسَادُهُ هَمًّا
آخِر: وَلَمْ أَرَى كَالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَلَا مِثْلَ تَقْوَاهُ وَإِكْتِسَارِ ذِكْرِهِ

فَصْلٌ

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَرَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَالَيْنِ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرْضَى قُلُوبٍ ، وَيُحْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعْدِي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ

البدع، ومن أهل البدع الذين يجب البُعد عنهم وهجرانهم، الجهمية،
والرافضة، والمعتزلة، والماتريدية، والخوارج، والصوفية، والأشاعرة، ومن
على طريقتهم من الطوائف المنحرفة عن طريقة السلف، فينبغي للمسلم أن
يحذرهم ويحذر عنهم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

فائدة: وقت الإنسان هو عمره ومادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ومادة
المعيشة الضنك في العذاب الأليم وهو يمر مر السحاب.

شِعْرًا: إني أبثك من حديثي
غيرت مرقد توامي
قل لي فأول ليلية
إن الحديث له شجون
ليلاً ففارقني السكون
في القبر كيف ترى يكون

آخر: يامن سينا عن بينه
مثل لنفسك قولهم
وتحللوا من ظلمه
جاء اليقين فوجهوه
جاء اليقين فوجهوه
قبل الممات وحلوه

آخر: أعوام لهو كان يحزن ذكرها
لو أنها ملئت بذكر الهنا
قلب اللبيب لفقدتها للطاعة
وتلاوة القرآن زالت ندامتي

آخر: بطاعتك الإله تنال عزا
آخر: عليك بذكر الله في كل لحظة
وتسعد يافتى يوم الجزاء
فما خاب عبد للمهمن يذكر

آخر: لو يعلم العبد ما في الذكر من شرف
أمضى الحياة بتسبيح وتهليل

فائدة: العلم بما جاء عن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وما جاء عن
رسوله ﷺ خير ميراث، والتوفيق من الله خير قائد، والاجتهاد في طاعة الله
خير بضاعة، ولا مال أحسن من عمل الرجل في يده، ولا مصيبة أعظم من
الكفر بالله، ولا عوين أوثق من الإعتماد على الله جل جلاله، ثم مشاورة

أَصْحَابِ الرَّأْيِ السَّيِّدِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَوْحَشَ مِنَ الْكَبِيرِ، وَالْكَفْرِ
وَالْعُجْبِ، وَالنَّفَاقِ، وَالْإِلْحَادِ.

وقال يحيى بن معاذ: عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ يَرَأِي بَعْمَلِهِ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ
وَيَتْرُكُ أَنْ يَعْمَلَهُ لِلَّهِ، وَرَجُلٌ يَبْخُلُ بِمَالِهِ وَرَبُّهُ يَسْتَقْرِضُهُ مِنْهُ فَلَا يُقْرِضُهُ مِنْهُ
شَيْئًا، وَرَجُلٌ يَرْعَبُ فِي صُحْبَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَمَوَدَّتِهِمْ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى صُحْبَتِهِ
وَمَوَدَّتِهِ.

ملاحظة: لا يسمح لأي إنسان أن يَحْتَصِرَهُ أو يَتَعَرَّضَ لِمَا يُسْمُونَهُ
تَحْقِيقًا لِأَنَّ الْاِحْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقَ أَرَى أَنَّهُ إِتِهَامٌ لِلْمَوْلَفِ،
وَلَا يُطْبَعُ إِلَّا وَقَفَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفَهَّمَهُ
مَعْنَاهَا، وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالذَّعْوَةَ إِلَيْهَا.

شِعْرًا: عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي
وَمَا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً
إِلَى سُنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِ
وَفُوزًا يَوْمَ يُؤَخَذُ بِالنَّوَاصِي
آخِر: عَجِبْتُ لِمَنْ يَغْمُرُ قُصُورًا فَسِيحَةً
وَيَتْرُكُ قَبْرًا فِيهِ يَسْكُنُ وَحَدَهُ
إِلَى مَوْقِفٍ فِيهِ يَشِيبُ وَلَيْدُهُ
وَمِنْ بَعْدِهِ الْأَهْوَالُ لَوْ قَدْ رَأَيْتَهَا
فَلَلَهُ دَرُّ الزَّاهِدِينَ بِجِيفَةِ
آخِر: آخِرُ يُسْرُ بِصَفْوِ عَيْشَتِهِ الْجِهْلُولُ
وَدُونَ مَقَامِهِ حَادٍ حَيْثُ

لَيْسَ كُنْهًا وَقْتًا قَلِيلًا وَيَرْحَلُ
زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ يَأْتِي يُهْرَوُلُ
وَتُسْقَطُ ذَاتُ الْحَمْلِ فِيهِ وَتَذْهَلُ
لَطَلَّقَتْ دُبًّا بِالثَّلَاثِ مُعْجَلُ
عَلَيْهَا أَنْاسٌ جَاهِلُونَ وَغَفْلُ
وَتُعْجِبُهُ الْأَقَامَةُ وَالْحُلُولُ
عَنِيفُ السُّوقِ وَالْمَوْتُ السَّيْلُ

فَكَانَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا قُفُولٌ
 مَسَالِكُهُمْ وَيَخْتَلِفُ الْمُقِيلُ
 وَمَزْجُ كُؤُوسِهَا الدَّاءُ الدَّخِيلُ
 وَتَحْتَ صِقَالِهَا السِّيفُ الصَّقِيلُ
 لَتَنَهَاهُمْ التَّقْوَى عَنْهَا لَوْ انْتَهَوْا
 مُسْتَفِيداً مِنْهُ مَرْغُوبِ الطَّلَابِ
 بِاجْتِهَادِي بِمَشِيئِي وَالشَّبَابِ
 وَتَحَرَّى فِيهِ أَوْقَاتِ الإِجَابِ

سَبِيلٌ مَا تَوَجَّهَ فِيهِ سَفَرٌ
 طَرِيقٌ يَسْتَوِي لِلخَلْقِ فِيهِ
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُؤُوسِ لَهْوِ
 وَتَصْنُقُ وَجْهَهَا لَهُمْ خِدَاعَا
 آخر: أَكْبَ بَنُوا الدُّنْيَا عَلَيْهَا وَإِنَّهُمْ
 أَيُّهَا النَّاطِرِ بَعْدِي فِي كِتَابِي
 قَاطِطَا مِنْهُ ثَمَاراً نُسَقَّتْ
 إِهْدِ لِي مِنْكَ دُعَاءَ صَالِحَا

آخر: (تَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا)

فَاجْعَلْ بِفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَةً
 وَارْحَمْ عِظَامِي حِينَ تَبْقَى نَاحِرَةً
 وَلَتَّ بِأَوْزَارِ غَدَتٍ مُتَوَاتِرَةٍ
 وَبِحَارِ جُودِكَ يَا إِلَهِي زَاحِرَةً
 يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الكَبِيرِ وَنَاصِرَةً
 فَاجْعَلْ بِفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَةً

قَرَبَ الرَّحِيلُ إِلَى دِيَارِ الآخِرَةِ
 وَارْحَمَ مَقِيلِي فِي القُبُورِ وَوَحْدَتِي
 فَأَنَا المُسَيِّكِينَ الَّذِي أَيَّامُهُ
 فَلَيْنَ طَرِدْتُ فَمَنْ يَكُنْ لِي رَاحِمَا
 يَا مَالِكِي يَا خَالِقِي يَا رَازِقِي
 مَالِي سِوَى قَصْدِي لِبَابِكَ سَيِّدِي

وَإِثْرَكَ لِمَا يُلْهِي عَنِ الرَّحْمَنِ
 وَجَمِيعَ مَا فَوْقَ البَسِيطَةِ فَإِنَّ
 عَنِ ذِكْرِ يَوْمِ الحِشْرِ والمِيزَانَ
 فِي النَّصْرِ فِي الآيَاتِ بِالقُرْآنِ
 ذَا غَفْلَةٍ عَنِ طَاعَةِ الدِّيَانِ

آخر: دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَعْتَةً
 فَإِلَى مَتَى تَلْهُو وَقَلْبُكَ غَافِلٌ
 أَتْرَاكَ لَمْ تَكْ سَامِعَا مَا قَدْ أَتَى
 فَانظُرْ بَعِينَ الأَعْتَابِ وَلَا تُكُنْ

(فصل)

(١) « فوائد عظيمة النفع جداً مما قاله العلماء إعلم أن قصر الأمل عليه مدار

عظيم، وَحِصْنُ قِصْرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءِ الْمَوْتِ
 وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ». .
 (٢) «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ، فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمِدَ
 الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجِبْتُ لِثَلَاثَةٍ: لِغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَعْفُورٍ
 عَنْهُ، وَمُؤْمِلٍ دُنْيَاهُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَبَانٍ قِصْرًا وَالْقَبْرُ مَسْكَنُهُ.
 (٣) «الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسْرُكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَمَا وَالَاهَا» .

شعرا: وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ قَالَهُ رَجُلٌ بَيْتٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَنَا
 آخِر: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِصِ الْإِلَهَ بِفِعْلِهِ وَلَا قَوْلِهِ فَهُوَ الْأَدِيبُ الْمُهْتَدِبُ
 آخِر: تَمْضِي حَيَاتِكَ ثُمَّ تَبْقَى صَفْحَةٌ كَتَبْتَ يَدَاكَ سَطُورَهَا قَبْلَ الرَّدَى
 مَهْمَا مَكُنْتَ فَأَنْتَ ضَيْفٌ رَاحِلٌ عَنْ ذِي الدِّيَارِ الْيَوْمَ حَتْمًا أَوْ غَدَا
 فَاتْرِكْ إِذَا أَثْرًا لِدُكْرِكَ صَالِحًا إِنْ كُنْتَ تَبْغِي أَنْ يَدُومَ مُحَلِّدَا
 «وَاسْأَلْ بِمَا سَأَلَ الْخَلِيلُ إِلَاهَهُ فِي سُورَةِ الشُّعْرَا سُؤَالَ مُسَدَّدَا»

(فصل)

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِعَاءً وَجَهَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِنَ النِّيَا، فَقَدْ
 أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ طَبَعَهُ وَقَفَا لِلَّهِ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ، أَوْ
 تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ
 اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السُّهُمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ
 وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلُهُ» الْحَدِيثُ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ:
 صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» رواه ابن ماجه وابن حزيمة .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَعْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَوَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

فائدة عظيمة النفع

وَقَفَّ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِبِينَا أَنْتَ قَالَ سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمَرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَثِيثٌ فِي طَلَبِهِ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ : « تَزَوَّدًا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُعْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الْأَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ فَخَلِّدْهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرٌّ السَّحَابُ وَالتَّوَانِي مِنَ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى ، وَمَنْ اسْتَوَظَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْخُسْرَانُ » إهـ .

شِعْرًا: مَا مَضَى فَاتَ وَالْمَوْمِلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
فائدة عظيمة النفع

أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ ، فَمَاذَا بَقِيَ مَعَكَ ، كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .
شِعْرًا: وَذَكَرَ بِالتَّقَى قَلْبًا غَفُولًا فَلَوْلَا السَّقِيُّ مَانَمَتِ الزُّرُوعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَالْعِزَّةِ وَالْعِزِّ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْجَمَالِ
وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ عَبْدٍ مُعْتَرِفٍ بِالتَّكْصِيرِ عَنْ شُكْرِ بَعْضِ مَا أَوْلِيَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ
وَالْأَفْضَالِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ﷺ .

وَبَعْدُ فَبِمَا أَنِي رَأَيْتُ كِتَابَ الْمَنَاهِلِ الْحَسَانَ مَطْلُوبًا وَمَرْغُوبًا فِيهِ وَرَأَيْتُ أَنِي
أَوْسَعُهُ وَأَزِيدُ فِيهِ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً مَا بَيْنَ حِكْمٍ وَأَحْكَامٍ وَقَوَاعِدَ وَمَوَاعِظَ وَأَدَابٍ
وَأَخْلَاقٍ وَقِصَائِدَ زُهْدِيَّاتٍ لِيَكُونَ جَامِعًا نَافِعًا صَالِحًا وَمُنَاسِبًا لِرَمَضَانَ وَغَيْرِهِ
وَاللَّعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَاللَّائِمَةَ وَغَيْرِهِمْ وَبَدَلْتُ وَسَعَيْتُ وَاعْتَنَيْتُ جُهْدِي فِي تَهْدِيئِهِ
وَتَنْقِيحِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْ أَكْمَلْتُ تَشْكِيلَهُ لِيَعُذِبَ لِلسَّامِعِ وَالْقَارِئِ وَيَسْهُلَ
عَلَيْهِ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ الْحَلِيمَ الْكَرِيمَ الْقَرِيبَ الْمُجِيبَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ
مُقَرَّبًا لَنَا وَلِمَنْ قَرَأَهُ وَسَمِعَهُ لَدَيْهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَنْ يَأْجِرَ مَنْ طَبَعَهُ وَمَنْ
أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ وَمَنْ تَسَبَّبَ لَطَبَعِهِ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلَهُ
وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدَيْهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد العزيز بن محمد السَّلْمَان

آخِرُ: لَا تَبِكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا وَإِنَّكَ لَيَسُومُ تَسْكُنِ الْخَافِرَةَ
 وَإِنَّكَ إِذَا صَيَّحَ بِأَهْلِ الثَّرَى فَاجْتَمَعُوا فِي سَاعَةِ السَّاهِرَةَ
 وَيَلِكُ يَأْدُتِيَا لَقَدْ قَصَّرْتُ آمَالُ مَنْ يَسْكُنُ الْآخِرَةَ
 آخِرُ: قِفْ دُونَ دِينِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
 آخِرُ: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمُرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ

وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ الْجَامِعَ الْمُسَلِّيَ لِقَارِيهِ وَسَامِعِهِ :

(مَوَارِدُ الظَّهَّانِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ)

حِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ

أَسِيرٌ خَلْفَ رِكَابِ النُّجُبِ ذَا عَرَجٍ
 مُؤَمَّلًا جَبْرًا مَا لَاقَيْتُ مِنْ عِوَجٍ
 فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا
 فَكَمْ لِرَبِّ السَّمَاءِ فِي النَّاسِ مِنْ فَرَجٍ
 وَإِنْ ظَلَلْتُ بِقَفْرِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا
 فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَلِكَ مِنْ حَرَجٍ

(هَذَا الْكِتَابُ وَقَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَلِبَةِ الْعِلْمِ) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ
الانْتِفَاعَ بِهِ وَاحْتَرِزْ أَيُّهَا الْأَخُ مِنْ بَيْعِهِ أَوْ تَعْطِيلِهِ .

يَا اللَّهُ يَا قَارِيًّا كُتِبِي وَسَامِعَهَا أَسْبَلُ عَلَيْهَا رِادَةَ الْحُكْمِ وَالْكَرَمِ
 وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ خَطَايَا أَوْ أَصْلَحْنَهُ تُتَبُّ إِنْ كُنْتُ ذَا فَهْمِ
 فَكَمْ جَوَادِ كَتَبِي وَالسَّبْقُ عَادَتُهُ وَكَمْ حُسَامِ تَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثَلَمِ
 وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَاءٌ ذُو زَلِيلٍ وَالْعُذْرُ يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالشِّيمِ

آخر: مَنْ الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
 آخر: أَخَا الْعِلْمِ لَا تَعْجَلْ لِغَيْبِ مُصَنِّفٍ وَلَمْ تَتَيَقَّنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْرِفُ
 فَكَمْ أَفْسَدَ الرَّاويُّ كَلَامًا بِتَقْلِهِ وَكَمْ حَرَّفَ الْمَنْقُولَ قَوْمٌ وَصَحَّفُوا
 وَكَمْ نَاسِخٌ أَضْحَى لِمَعْنَى مُعَيَّرًا وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْهُ الْمُصَنِّفُ
 آخر: سَلِ الْإِلَهَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ فَهُوَ الَّذِي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ
 فَإِنْ مُنِحَتْ فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرٌ وَإِنْ رُدِدَتْ فَلَا ذِلٌّ وَلَا خَجَلٌ

(فصل)

الأركان الستة وكيفية الإيمان بها :

الأول : الإيمان بالله جلَّ جلاله :

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور .

وأنه المستحق لأن يُفردَ بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة ، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيبٍ ونقص ، وهذا هو الأساس الأول الذي يقوم ببناء شخصية المسلم عليه .

شِعْرًا :

عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ هُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى بِهَا يُتَمَسَّكُ
 آخر :

تَأْمَلْ صِحِيفَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا مِنَ الْجَانِبِ السَّامِيِّ إِلَيْكَ رَسَائِلُ
 وَقَدْ حُطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ حَطُّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

٢ - الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأنَّ الله ملائكةٌ موجدون مَخْلُوقِينَ مِنْ نُورٍ ، وأنهم كما وصفهم الله عبادًا مكرمون يُسبحون الليل والنهار لا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ عَلَى التَّفْصِيلِ بِمَنْ وَرَدَ تَعْيِينُهُ بِاسْمِهِ الْخَصُوصِ كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَرِضْوَانَ وَمَالِكَ ، فَجِبْرِيلُ هُوَ الْمُوَكَّلُ بِأَدَاءِ الْوَحْيِ وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، وَمِيكَائِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْقَطْرِ ، وَإِسْرَافِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالصُّورِ ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ ، وَهُمْ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِحِفْظِ الْعَبِيدِ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَهُمْ الْمَعْقَبَاتُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَهُمْ رِضْوَانُ وَمَنْ مَعَهُ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالنَّارِ وَعَذَابِهَا وَهُمْ مَالِكُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَهُمْ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، وَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ .

وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِالنُّطْفِ فِي الْأَرْحَامِ وَكِتَابَةُ مَا يَرَادُ بِهَا ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ثُمَّ لَا يَعُودُونَ ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةُ سَيَّاحُونَ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَنْ لَمْ يَرَدْ تَعْيِينُهُ بِاسْمِهِ الْخَصُوصِ أَوْ تَعْيِينُ نَوْعِهِ الْخَصُوصِ لِإِجْمَالِ اللَّهِ أَعْلَمَ بَعْدَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَلَّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ الْآيَةَ .

فَجَعَلَ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ وَسَمَّى مَنْ آمَنَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مُؤْمِنِينَ ، كَمَا جَعَلَ الْكَافِرِينَ مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ الْآيَةَ .

وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ » الْحَدِيثُ فَهَذِهِ الْأَصُولُ اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَمْ يُؤْمِنَ بِهَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ إِلَّا الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ .

إِيْمَانُنَا بِاللّٰهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِجُنْدِيهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأُولَى هَذِي أَسْوَءُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصْـ
 وَبِكُتُبِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ
 سُوْلِ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِ
 أَنْ لَا إِلَهَ مُسْتَحَقًّا يُعْبَدُ
 إِلَّا لِهُ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ
 وَأَنَّ طَهَّ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أُرْسِلَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْأَهْلِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ
 مَادَامَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
 السَّادَةِ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ
 مَنْ جَلَّ عَنْ زَوْجٍ وَكُفَّ وَوَلَدَ
 يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ سَائِرَ الْمَلَا

(فصل) : ٣ - الركن الثالث : الإيمان بكتب الله :

الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن الله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق ولا يعلم عددها إلا الله .

وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمي منها وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى فيجب الإيمان بها على التفصيل .
 قال الله : ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ وقال : ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ وقال : ﴿ أم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ﴾ وقال : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ فيجب الإيمان بها على التفصيل والبقية إجمالاً .

ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة ، كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله ، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف .

قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه ﴾ . وقال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ . وقال : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

قال المفسرون : مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ، ومصدقاً لها يعني يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو المردود . وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه . وقال الله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ .

ويجب على كل أحد إتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه ، قال الله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ وقال : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال : « خذوا بكتاب الله وتمسكوا به » وفي حديث علي مرفوعاً : « إنها ستكون فتن . قلت ما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله » وذكر الحديث .

ومعنى التمسك به والقيام بحقه حفظه وتلاوته ، والقيام به آناء الليل والنهار ، وتدبر آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه ، والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه ، والعمل بمحكمه ،

والإيمان بمتشابهه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه لتحريف الغالين
المبطلين والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إليه على بصيرة .

وفي جواب أهل العلم والإيمان : السلف متفقون على أن القرآن هو
المهيمن المؤمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ، وهو أعلى منها درجة ،
فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً .
وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين ،
وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل
بأنواع الحجج والبراهين .

وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها وبين ما حرف منها
وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة ، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر
الله ببيانه .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
علينا بِفَضْلِكَ رَامِتِنَانِكَ واجعلنا من عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعل رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا
بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، واغفر لنا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مُنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ .

مِنْ أَهْمَلِ الدِّينِ لَا تَأْمَنُ عَقَارِبُهُ وَلَوْ تَسَمَّى بِإِحْلَاصِ بِنِيَّاتِ
لِأَدَمَ جَاءَ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُ إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ فَاسْمَعْ مَقَالَاتِي
فَاقْسَمَ الْخُبْتُ فِي رَبِّي وَتَزَلُّهُمْ مِنَ الْجِنَانِ إِلَى دَارِ الْأَذْيَاتِي

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) : ٤ - الركن الرابع : الأيمان بالرسل :

الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن لله رسلا أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم . اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه ، بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين .

فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل ، والإيمان جملة بأن لله رسلا غيرهم ، وأنبياء لا يحصى عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا .

قال الله تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ وعَدُّ المذكورين في القرآن خمسة وعشرون وهم : آدم ، نوح ، إدريس ، صالح ، إبراهيم ، هود ، لوط ، يونس ، إسماعيل ، إسحق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، اليسع ، ذو الكفل ، داود ، زكريا ، سليمان ، إلياس ، يحيى ، عيسى ، محمد صلى الله عليه وسلم ،

اللَّهُمَّ أَثِمُّ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدَّ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصْلٌ) : وَمَوْضُوعُ الرِّسَالَةِ التَّبَشِيرُ وَالتَّنْذِيرُ ، قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ ﴾ .

والحكمة في ذلك دعوة أممهم إلى عبادة الله وَحْدَهُ . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وأفضل المرسلين أولو العزم ، وهم المذكورون في سورة الشورى .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴿ الآية ، وقال : ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴿ .

وأفضل أولياء الله أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه المرسلون ، وأفضل المرسلين أولوا العزم ، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا .

صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد والحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرق فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقاً وأولهم بعثاً ، ومن حين بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه .

فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء وابتعه ظاهراً وباطناً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أوليائه ، بل من خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان . أه وَاللَّهِ أَغْلَمَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

مَا يَجُوزُ عَلَى الرُّسُلِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْوَهُمْ

الواجب علينا نحو الرسل والأشياء التي تجوز عليهم والأدلة على صدقهم وما أيدهم الله به : يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمروا به وبينوه بياناً واضحاً شافياً كافياً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه .

قال الله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ الآية ، ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر .

وأما الصغائر فقد تقع منهم ، والكتاب والسنة يدلان على ذلك ولكن لا يقرون عليها ، بل يوفقون للتوبة منها ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم .
ومن كَفَرَ بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض .

فمن رد نبوته للحسد أو للعصية أو للتشهّي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً وإنما هو عن غرض وهوى وعصية اه .

ويجب الاهتداء بهديهم والائتمار بأمرهم ، والكف عن ما نهوا عنه ، ويجب الاعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً ، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً ، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وبرأهم من كل خلق رذيل .

ويجب محبتهم وتعظيمهم ، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم ، ويجوز في حقهم شرعاً وعقلاً النوم ، والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشّي والضحك وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية .

فهم بشر يُعْتَرِيهم ما يعتري سائر أفرادهم فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد ، وقد يقتل الأنبياء ، كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ .

ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

الأسواق ﴿ وقال عز من قائل : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء » ، وكان صلى الله عليه وسلم يمرض ويتألم ويشتكى ، وكان يصيبه الحر والبرد ، والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مُلَازِمِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ كَمَا قَدْ عَلَا الْقُطْبُ النُّجُومَ الْعَلِيَّةَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَّتْ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُ الرَّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَالِكَ الْمَلِكِ يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ، يَا مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبَدِّلَهَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادَكَ الْمَخْلِصِينَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ عَلَى صِدْقِ الرُّسُلِ فَكَثِيرَةٌ ، وَأَعْظَمُهَا شَهَادَةُ اللَّهِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وَقَالَ عَزَّ شَأْنَهُ : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

وقال عز من قائل عن إسماعيل عليه السلام : ﴿إنه كان صادق الوعد﴾
وقال عن إبراهيم : ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ . وقال : ﴿ سبحان ربك رب العز
وما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ .

فسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب إلى غير ذلك من
الأدلة ، فهم أصدق الخلق على الإطلاق ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ،
وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة .

فمن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الذي أعجز الورى
كلهم ، ومثل انشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء ،
إلى سدرة المنتهى ، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وكفاية الله أعداءه
وعصمته من الناس ، وإجابة دعائه ، وإعلامه بالمغيبات الماضية ، والمستقبلية .

فالقرآن جاء به ذكر عن آدم ونشأته وما وسوس به إليه إبليس وما وقع له
من الهبوط إلى الأرض بعد أن كان في الجنة وحدثنا عن نوح عليه السلام وما
لقيه من قومه من أذى وسخرية .

وما دعا الله به وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه وإنجائه
وأصحاب السفينة ودعوته لابنه وعصيانه له ، وانهمار السماء ، وتفجر الأرض
عيوناً ، وغرق الكافرين ، ونجاة المؤمنين .

وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام ، وما تم عند ولادته ، وما وقع له في
مصر ، وما حدث له في مدين ، وما رآه في جبل الطور ، وما كلف به من
أعباء الرسالة ، وما دار بينه وبين فرعون من حوار ، وما جرى من السحرة ،
وما انتهى إليه أمر فرعو وملئه وموسى وقومه .

وأخبر القرآن الكريم عن عيسى وأمه عليهما السلام ، وما وقع لهما من

الخوارق ، وما صنعه لهما بنو إسرائيل من مكائد ، وأخبره عن غيرهم من الأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ الآيات .

وقال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾ الآية . وقال : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه أياها الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

وأخبر صلى الله عليه وسلم بأمور غيبية عن القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وعد اللذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ الآية ، وتحقق الوعد وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين ﴾ الآية . وقال : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ وقوله : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ الآية ، فكان ما أخبر به على أتم الوجوه .

ومن هذا الباب إخباره عن مكنون الضمائر فيما أتى به من القرآن فقال : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

قال الشيخ : ومثل إخبار أهل الكتاب قبله ، وبشارة الأنبياء به . ومثل إخبار الكهان والهواتف به ، ومثل قصة الفيل ، التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته .

ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين ، بخلاف

ما كانت العادة عليه قبل مبعثه ، وبعد مبعثه ، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشر ا ه .

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ وكما أيد الله سائر رسله ، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة ، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة ، من سلامة الفطرة والعفاف ، والكرم والشجاعة ، والعدل والنصح .

وقال : ولا ريب من أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملاً مقراً بما بلغه من تفصيل الجملة غير جاحد لشيء من تفاصيلها أن يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به غير مقدور للعباد ، إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول ا ه .

وقال : ضمن الله السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله وتوعد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك ، فطاعة الرسول هي مناط السعادة وجوداً وعدمياً ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس فدل الخلق بما بينه لهم .

وقال تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فمن اجتهد بطاعة الله ورسوله بحسب الاستطاعة كان من أهل الجنة والله يرفع درجات المتقين المؤمنين بعضهم على بعض بحسب إيمانهم وتقواهم ، ا ه .

أَلَا إِنَّ السَّبَّاقَ سِبَّاقُ زُهْدٍ وَمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِبَّاقٍ
وَيَفْنَى مَا حَوَاهُ الْمُلْكُ أَصْلًا وَفِعْلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ بَقَا
سَتَأْلُفُكَ النَّدَامَةُ عَنْ قَرِيبٍ وَتَشْهَقُ حَسْرَةً يَوْمَ الْمَسَاقِ
أُنْذِرِي أَيَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَكَّرِ وَأَيُّقِنُ أَنَّهُ يَوْمُ الْفِرَاقِ

فَرَاقَ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ فِرَاقٌ قَدْ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ عَنِ التَّلَاقِ
 آخِرُ : إِنِّي أَبُتُّكَ مِنْ حَدِيثِي إِنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شُجُونٌ
 غَيَّرْتُ مَوْضِعَ نَوْمِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
 قُلْ لِي فَأَوْلُ لَيْلِي فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى تَكُونُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى
 قَوْلِكَ الثَّابِتِ وَأَيَّدْنَا بِنَصْرِكَ وَارزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ .

اللهم وَفَقْنَا لِمَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَائْتَقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا
 الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ ، اللَّهُمَّ وَعَامِلِنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا
 بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بَعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : ٥ - الركن الخامس : الإيمان بالبعث :

البعث لغة التحريك والإثارة وشرعاً إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها ،
 فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي ، كما ذكر الله تعالى :
 ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ .

وقال : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ يَوْفُضُونَ ﴾
 الآيتين .

وقال : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَوْنَا لَمُبْعَثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ، قُلْ كُونُوا

حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم أول مرة ﴿﴾ .

وقال : ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ .

وقال : ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ .

وقال : ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ .

وقال : ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ الآيتين .

وقال : ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ ، وقال : ﴿ثم إنكم يوم القيامة

تبعثون﴾ .

وقال : ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ .

وقال : ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ .

وقال : ﴿فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم ينظرون﴾ .

وقال : ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ .

وقال : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾ .

٦ - الركن السادس : الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ،
وأنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته .

وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تديره ، ولا محيد
لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأن الله خالق
أفعال العباد من الطاعات والمعاصي .

ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين

عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وبهذا الركن تتم الأركان
 أَفْعَالُنَا مَخْلُوقَةٌ لِّلَّهِ لَكِنَّهَا كَسْبٌ لَّنَا يَا لَاهِي
 وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْعَبَادُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ ضِدِّهَا مُرَادُ
 رَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا اضْطَرَّرَ مِنْهُ لَنَا فَافْهَمْ وَلَا تُمَارِي

(فائدة عظيمة النفع)

ما أُنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً أفضلَ من أن عرّفهُ لا إلهَ إلا اللهُ ، وفهمهُ
 معناها ، ووفّقهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ :
 شِعْرًا : فَقُمْ وَحَقِّقْ دِينَكَ الْقَوِيمَا بِفَهْمِ مَعْنَاهَا لِتَسْتَقِيمَا
 وَهُوَ بَانَ تُثِبْتَ مَا قَدْ أُثْبِتَتْ رَبَّنَا كَذَلِكَ تَنْفِي مَا تَفْتُ
 اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بِدُعَائِنَا تَوَجَّهْنَا وَبِفَنَائِكَ أَنْحَنَّا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ
 الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغُفْرَانِكَ تَعَرَّضْنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

الفصل الأول في التوبة من المعاصي

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ ، أن الذنوبَ حجابٌ عن
 الله ، والانصرافُ عن كلِّ ما يُبْعَدُ عن الله واجبٌ ، وانما يتمُّ ذلك بالعلم
 والندم والعزم ، فانه متى لم يعلم أن الذنوبَ أسبابُ البُعدِ عن الله لم
 يندم على الذنوب ولم يتوجع بسبب سُلوكه طريقَ البُعدِ ، وإذا لم يتوجع لم
 يرجع ، والتَّوْبَةُ : الرجوعُ عن المَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَهِيَ واجبةٌ مِنْ كلِّ

ذَنْبٍ ، فَان كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ
آدَمِيِّ ، فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ :

الأولُ : الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا ، وَعَلَامَتُهُ مُفَارَقَةُ
الذَّنْبِ فَوْرًا .

الثاني : النَّدْمُ عَلَى فِعْلِهَا ، وَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ وَوَرَدَ
عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « النَّدْمُ تَوْبَةٌ » .

شِعْرًا: يُتُوبُ عَلَى يَدَي قَوْمِ عَصَاةٍ أَحَافَتَهُمْ مِنَ الْبَارِي ذُنُوبُ
وَقَلْبِي مُظْلِمٌ فِي طُولِ مَا قَدْ جَنَى فَنَا عَلَى يَدٍ مَنْ أَتُوبُ
كَأَنِّي شَمْعَةٌ مَا بَيْنَ قَوْمٍ تَضِيئُهُ لَهُمْ وَيُحْرِقُهَا اللَّهَيْبُ

آخر : أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ فِي الْهَوَى غَيْرَ مُنْتَهٍ وَفِي الْعَيِّ مِطْوَاغٌ وَفِي الرَّشْدِ مُكْرَهٍ
أَشَاوِرُهُ فِي تَوْبَةٍ فَيَقُولُ لَا وَإِنْ قُلْتُ تَأْتِي فِتْنَةٌ قَالَ أَيْنَ هِيَ

آخر : عَلَامَةٌ مَنْ يَحْشَى الْإِلَهَ فَوَادُهُ إِذَا صَدَّرَتْ مِنْهُ الْمَعَاصِي تَأْلَمَا
وَأَتْبَعَهَا حَالًا بِتَوْبَةٍ صَادِقٍ عَنِ الذَّنْبِ فِي عَزْمٍ لَهُ مُتَنَدِّمَا

العَفْلَةُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وِلَاهَهُ أَشَدُّ الْأَعْدَاءِ ضَرَرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ
عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا لِحِظَةٍ .

الثالثُ : الْعَزْمُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةِ أَبَدًا ، وَعَلَامَتُهُ التَّدَارُكُ لِمَا
فَاتَ وَأَصْلَاحُ مَا يَأْتِي ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي تَقْرِيظًا فِي عِبَادَةِ قَضَائِهَا ، أَوْ مُظْلَمَةً
أَدَاهَا ، أَوْ خَطِيئَةً لَا تُوجِبُ غَرَامَةً حَزَنَ إِذْ تَعَاطَاهَا .

فَإِنْ فَقَدَ أَحَدُ الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ
تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيِّ ، فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ ، الثَّلَاثَةُ الشُّرُوطِ الْمَذْكُورَةُ وَالرَّابِعُ : أَنْ
يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، إِنْ كَانَ مُوجُودًا

أَوْ رَدَّ بَدَلَهُ عِنْدَ تَلْفِهِ مِنْ قِيَمَةٍ أَوْ مِثْلِ ، وَإِنْ كَانَتْ حَدًّا قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكْنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ غِيْبَةً اسْتَحْلَهُ مِنْهَا إِنْ كَانَ عَاقِلًا حَلِيْمًا ، يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ نَادِمًا تَائِبًا عَفَا عَنْهُ وَسَامَحَهُ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْغْفِرَ لَهُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَبْتَهُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دَرَاهِمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ ، وَبَيَّنَّ مَا لِلتَّائِبِينَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْأَجْرِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

« فَائِدَةُ عَظِيمَةِ النَّفْعِ »

مِنْ أَصُولِ النَّعْمِ نِعْمَةُ الْعِلْمِ فَهِيَ نِعْمَةٌ كُبْرَى يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا رُقْيُ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتُهُ فَتَحْصِيْلُهُ نِعْمَةٌ وَالِانْتِفَاعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وَالنَّفْعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وَتَحْلِيْلُهُ وَتَقْلُهُ لِلْأَجْيَالِ نِعْمَةٌ ، وَنَشْرُهُ لِلنَّاسِ نِعْمَةٌ ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، وَهَكَذَا ... إلخ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ، الْأَوَّلُ : تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَاسْتِعْرَاقُهَا بِهَا بِحَيْثُ لَا تَدْعُ ذَنْبًا إِلَّا تَنَاوَلْتَهُ ، وَالثَّانِي : إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصِّدْقِ بِكَلِمَتِهِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى تَرَدُّدٌ وَلَا تَلَوُّمٌ وَلَا انْتِظَارٌ بَلْ يُجْمَعُ كُلُّ إِرَادَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ مُبَادِرًا بِهَا .

الثالث : تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَابِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي اخْلَاصِهَا
وَوُقُوعِهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ ، وَالرَّهْبَةِ مِمَّا
عِنْدَهُ ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وَحَرَمَتِهِ وَمَنْصِبِهِ وَرِيَاسَتِهِ ، أَوْ لِحِفْظِ حَالِهِ
أَوْ لِحِفْظِ قُوَّتِهِ وَمَالِهِ أَوْ اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ النَّاسِ أَوْ هَرَبِ مِنْ ذَمِّهِمْ أَوْ لِئَلَّا
يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ أَوْ لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لِإِفْلَاسِهِ وَعَجْزِهِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَه .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِدُنُوبِ التَّائِبِينَ ، فَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ
مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَابِينَ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أُتُوبُ
فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وقال ﷺ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ
سَبْعِينَ مَرَّةً » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

شعرا: لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَفِيفًا
فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهَنَّاكَ يُدْعِي فِي الْأَنْفَامِ ظَرْفِيًا

وقال ﷺ : « اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ
كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاحَةَ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ
مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ

إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ « الحديث رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم .

والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ ، والاجماعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَا ، وَلِأَنَّ الذُّنُوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعَدَاتٌ عَنِ اللَّهِ فَيَجِبُ الْهَرَبُ مِنْهَا عَلَى الْفُورِ وَلِيَحْذَرَ الْإِنْسَانُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ . وَوُجُوبُ التَّوْبَةِ مِنَ الْكِبَائِرِ أَهَمُّ وَأَكْثَرُ ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَيْضًا كَبِيرَةٌ ، فَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَتَوَاتُرِ الصَّغَائِرِ عَظِيمِ التَّأثيرِ فِي تَسْوِيدِ الْقَلْبِ وَهُوَ كَتَوَاتُرِ قَطْرَاتِ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ ، فَإِنَّهُ يُحْدِثُ فِيهِ حُفْرَةً لَا مَحَالَةَ مَعَ لِينِ الْمَاءِ وَصَلَابَةِ الْحَجَرِ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرِصِدَ قَلْبَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَبِرَاقِبِ حَرَكَاتِهِ وَيُسَجِّلَ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَا يَتَسَاهَلَ وَلَا يَقُولُ إِنَّهَا مِنَ التَّوَابِغِ الصَّغِيرِ وَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ يُهْلِكُنَّهُ » .

فوائد : إِنْ بَسَطَ آدَمُ فِي أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ فِيهَا فَكَانَتْ سَبَبَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَنُوحَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى غَيْرِ وَجْهٍهَا نُودِيَ فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ - الْآيَةُ ، وَخَلِيلَ الرَّحْمَنِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا هَفْوَةٌ وَاحِدَةٌ فَكَمْ تَضَرُّعٌ وَاسْتِغْفَارٌ ، ثُمَّ يُؤْتَسَ غَضَبَةٌ وَاحِدَةٌ فَسُجِّنَ فِي بَطْنِ الْحَوْثِ . اهـ .

شِعْرًا : وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرَبَّمَا تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُومِ الْعَقَّارِبِ
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ الْقَيْسِ هُدُهُدٌ
وَأَخْرَجَ : لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا لَأَنَّ جَانِبَهُ
وَأَخْرَبَ حَفْرَ الْفَأْرِ سَدًّا مَارِبِ
وَلَوْ يَكُونُ قَلِيلَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلِذُبَابَةٍ فِي الْجُرْجِ الْمَدِيدِ يَدٌ
تَنَالُ مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ

آخر: ولا تحقرن عدواً رما
فإن السيف تحز الرقا
آخر: لا تهاون بصغير من عدا
آخر: لا تحقرن صغيراً في محاصمة
ك وإن كان في ساعديه قصر
ب وتعجز عما تنال الإبر
فقدتما كسر الرمح القلم
إن البعوضة تدمي مقلّة الأسد

وكما أن خير الأعمال الصالحة أدومها وإن قل ، وأيضاً الكبائر قلما
تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر ، فمثلاً الزنا - والعياذ بالله -
قلما يقع فجأة بل تتقدم عليه مراودة أو قبلة أو لمس .
شعرا :

أحور عن قصدي وقد برح الخفا
وأرى شؤون العين تمسك ماءها
وأخال ذاك لعبرة عرضت لها
ولقل لي طول البكاء لهفوتي
إن المعاصي لا تقيم بمنزل
ولو أنني داويت معطب دائها
ولعفت مؤزدها المشوب برنقها
وهزمت جحفل غيها بإنابة
وهجرت دنياً لم تزل غرارة
سحقتهم وديارهم سحق الرحا
ولقد يخاف عليهم من ربهم
إن الجواد إذا تطلب غاية
شتان بين مشمر لمعاده
إني دعوتك ملحفاً لتجيرني

ووقفت من عمري القصير على شفا
ولقبل ما حكّت السحاب الوكفا
من قسوة في القلب أشبهت الصفا
فلربما شفّع البكاء لمن هفا
إلا لتجعل منه قاعاً صفصفا
بمراهم التقوى لوافق الشفا
وغسلت رين القلب في عين الصفا
وسللت من ندم عليها مرهفا
بمؤمليها الممحضين لها الوفا
فعليتهم وعلى ديارهم العفا
يوم الجزاء النار إلا إن عفا
بلغ المدى منها وبذ المقرفا
أبدأ وأخر لا يزال مسوفا
مما أخاف فلا ترد الملحفا

قال بعض العلماء من عجيب ما نقتد من أحوال الناس كثرة ما

نأحوا على خراب الديار وموت الأقراب والأسلاف والتحسر على الأرزاق
بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه .

وقد رأوا من انهدام الإسلام وشعث الأديان وموت السنن وظهور
البدع وارتكاب المعاصي وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يجدي والقبیح
الذي يؤبق ويؤذي .

فلا أجد منهم من ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا آسى
على فائت دهره .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم في الأديان وعظم الدنيا في
عيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على
الدين أه .

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
آخر :

تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان دينك والعمر
ويشيك خوف الفقر عن كل طاعة وخيفة حال الفقر شر من الفقر

اللهم وفقنا توفيقاً يقينا عن معاصيك وأرشدنا إلى السعي فيما يرضيك
وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك وهب لنا ما وهبته لأوليائك، اللهم إنا
نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، اللهم أفض علينا من
بحر كرمك وعونك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها وأزاف بنا
رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وارحمنا من هوم الدنيا وغمومها
بالرؤج والريحان إلى الجنة ونعيمها، وامتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات
النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين،
واعفّر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم
الرحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الثاني : قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : وللمعاصي من الآثار المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله ، فمنها أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه ومن عقوباتها أنها تحون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه . ومنها أنها تجرىء العبد على من لم يكن يجترىء عليه . ومنها الطبع على القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين ، كما قال بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ هو الذنب بعد الذنب ، وقال : هو الذنب على الذنب حتى يعنى القلب . وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدا حتى يصير راناً ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً فيصير القلب في غشاوة وغلاف .

ومنها إفساد العقل فإن العقل نور والمعصية تطفىء نور العقل .

ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه .

ومنها أن ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة .

ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها وتولد بعضها بعضاً .

ومنها ظلمة يجدها في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل .

ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن أما وهن القلب فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكليّة وأما وهن البدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه .

ومنها أن المعاصي تمحق بركة العمر إذ أن المعاصي كلها شرور .

ومنها شتاتة الأعداء فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يفرح العدو ويسبيء الصديق .

وَمِنْهَا تَعْسِيرُ أُمُورِهِ فَلَا يَتَوَجَّهْ لِأَمْرِ إِلَّا يَجِدُهُ مَغْلَقًا دُونَهُ أَوْ مُتَعَسِّرًا عَلَيْهِ .
 وَمِنْهَا الْوَحْشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَلَا سِيَّيَا أَهْلَ الْخَيْرِ .
 وَمِنْهَا حِرْمَانُ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ لِلَّذِينَ تَابُوا وَمِنْهَا أَنَّ
 الذُّنُوبَ تَدْخُلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

شِعْرًا: أَلَا طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى وَأَضْحَى خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ ثِقَلِ الذُّنُوبِ
 يَغِيبُ عَنِ الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي لِخَلْوَتِهِ بِعَلَامِ الْغُيُوبِ
 آخِر: لَا تَقْنَطَنَّ مِنْ عِظَمِ الذُّنُوبِ فَرَبِ الْعِبَادِ رَجِيمٌ رُؤُوفٌ
 وَلَا تَمْضِينَ عَلَى غَيْرِ زَادٍ فَإِنَّ الطَّرِيقُ مَخُوفٌ مَخُوفٌ
 وَمِنْهَا أَنَّهَا تُحَدِّثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ
 وَالزَّرُوعِ وَالثَّمَارِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنْ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ .
 وَمِنْهَا ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ .
 وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ
 الْعَبْدِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ
 مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ
 إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةِ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ . وَمِنْهَا
 أَنَّهَا تُصَغِّرُ النَّفْسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا عَنِ الْخَيْرِ .
 وَمِنْهَا أَنَّ الْعَاصِيَ فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسِجْنِ شَهْوَاتِهِ .
 وَمِنْهَا سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا

تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ . وَمِنْهَا أَنْهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ
وَالشَّرَفِ . وَمِنْهَا أَنْهَا تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ انْتَهَى .

شِعْرًا: تَبَيَّنَتْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي فَأَنْتَ بِغَفْلَةٍ وَاللَّهُ بِتَبَا
يُدِيمُ عَلَيْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا وَأَنْتَ تُدِيمُ لَوْمًا أَيْنَ كُنْتَا
وَبِالْعَصِيَّانِ تَخْطُرُ بِاخْتِيَالٍ سَكِرْتَ مِنَ الْعُرُورِ وَمَا صَحَوْتَا
أَفَقَ مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنْبَ لِرَبِّ تَنَلْ مِنْهُ السَّمَاخَ إِذَا أَنْبَتَا
وَتَظْفَرُ بِالْقَبُولِ وَبِالْأَمَانِي فِي الدَّارَيْنِ بِالْإِسْعَادِ فُزْتَا
أَخْر: أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطْرَفُ الذَّنْبَ جَاهِدًا هُوَ اللَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ فَإِنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَافِرٌ
وَإِنْ كُنْتَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ عَصَيْتَ فَأَنْتَ الْمُسْتَهْتِنُ الْمُجَاهِرُ
فَأَيَّةُ حَالِيكَ اعْتَقَدْتَ فَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُطْوِي عَلَيْهِ الظَّمَائِرُ
أَخْر: أَحْذِرْكَ أَحْذِرْكَ لَا أَحْذِرْكَ وَاحِدَةً عَنِ الْمَعَاصِي وَحُصَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ
فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الْآثَامِ أَجْمَعَهَا وَصَاحِبُ الشِّرْكَ أَعْدَى النَّاسِ لِلَّهِ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ : أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِهِ
وَأَجْرَافِهِ ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولًا لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ .
فَإِنْ تَأَثَّرَ الذُّنُوبُ فِي الْقَلْبِ كَتَأَثَّرَ الْأَمْرَاضُ فِي الْأَبْدَانِ ، بَلِ الذُّنُوبُ
أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَدَاوُهَا ، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَاجْعَلْنَا
بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مِنْهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى

مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَاحِبَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونَ
صَاحِبَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاوَاهَا فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِهَا.
وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا، وَشِفَاهَا مَخَالَفَتُهُ،
فَإِنْ إِسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتْلَ أَوْ كَادَ.

وَكَأَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتْ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، كَذَلِكَ يَكُونُ قَلْبُهُ فِي
هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ لَا يَشْبَهُ نَعِيمَ أَهْلِهَا نَعِيمًا أَبْتَةً.

بَلِ التَّفَاوُثُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمِينَ كَالْتَفَاوُثِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ
الْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصْدُقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبَهُ هَذَا وَهَذَا.

وَلَا تَحْسَبْ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي
جَحِيمٍ﴾ مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ، بَلِ فِي دَوْرِهِمُ الثَّلَاثَةَ
كَذَلِكَ.

أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْبِرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ، فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي
جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟.

وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَضَيْقِ الصَّدْرِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ
اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللَّهِ؟ بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شَعْبَةٌ،
وَكَلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُدِبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهُوَ
يَعُذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصَلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُدِبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ
بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ وَالتَّنْغِيسِ وَالتَّكْيِيدِ عَلَيْهِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَارِضَاتِ، فَإِذَا
سَلِبُهُ اشْتَدَّ عَذَابُهُ عَلَيْهِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ. وَأَمَّا فِي الْبِرْزَخِ فَعَذَابُ
يُقَارَنُ أَلْمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجَى عَوْدَهُ، وَأَلْمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ
بِاشْتِغَالِهِ بِضَدِّهِ. وَأَلْمُ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ. وَأَلْمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ.

فَالهَمُّ وَالغَمُّ وَالْحَسْرَةُ وَالْحَزَنُ تَعْمَلُ فِي نَفْسِهِمْ نَظِيرَ مَا تَعْمَلُ الْهَوَامُ
وَالدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النِّفْسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى
أَجْسَادِهَا ، فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ هُوَ أَدهَى وَأَمْرٌ .

فَأَيْنَ هَذَا مِنْ نَعِيمٍ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبَهُ طَرَباً وَفَرِحاً وَأَنْسَأَ بَرَبَهُ ، وَاشْتِيَاقاً
وَارْتِيحاً بِحَبِّهِ وَطَمَآنِينَةً بِذِكْرِهِ ؟ حَتَّى يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ نَزْعِهِ : وَاطْرِبَاهُ .
وَيَقُولُ الْآخَرُ : إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ إِنْهُمْ لَيَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ .

وَقَالَ الْآخَرُ مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِيهَا
وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا . وَيَقُولُ الْآخَرُ : لَوْ عَلِمَ الْمَلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمَلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ
لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ .

وَيَقُولُ الْآخَرُ : إِنْ فِي الدُّنْيَا جَنَّةٌ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ . فَيَا
مَنْ بَاعَ حَظَّهُ الْغَالِي بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ ، وَغَبَّنَ كُلَّ الْغَبِّ فِي هَذَا الْعَقْدِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ
قَدْ غَبَّنَ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لَكَ خَبْرَةٌ بِقِيَمَةِ السَّلْعَةِ فَاسْأَلِ الْمُقَوِّمِينَ .

فَيَا عَجَباً مِنْ بِيضَاعَةٍ مَعَكَ اللهُ مُشْتَرِيهَا ، وَتَمَنُّهَا جَنَّةَ الْمَأْوَى ، وَالسَّفِيرُ
الَّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ عَقْدُ التَّبَايَعِ وَضَمِنَ الثَّمَنَ عَنِ الْمَشْتَرِي هُوَ الرَّسُولُ ﷺ
وَقَدْ بَعَثَهَا بِغَايَةِ الْهَوَانِ !! .

هَلْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا جَمِيعاً سِوَى ظِلِّ يَزُولُ مَعَ النَّهَارِ
تَفَكَّرْ أَيْنَ أَصْحَابُ السَّرَايَا وَأَرْبَابُ الصَّوَافِينِ وَالْعِشَارِ
وَأَيْنَ الْأَعْظُمُونَ يَدَاؤُا وَبِأَسَا وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لِذِي الْفِخَارِ
وَأَيْنَ الْقَرْنُ بَعْدَ الْقَرْنِ مِنْهُمْ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالشُّمِّ الْكِبَارِ
كَأَنَّ لَمْ يُخْلَقُوا أَوْ لَمْ يَكُونُوا وَهَلْ أَحَدٌ يُصَانُ مِنَ الْبَوَارِ
وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ): ومن عقوباتها أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تَجِدُ عَاقِلِينَ أَحَدَهُمَا مُطِيعٌ وَالْآخَرُ عَاصِيٌ إِلَّا وَعَقْلُ الْمَطِيعِ مِنْهَا أَوْفَرُ وَأَكْمَلُ وَفِكْرُهُ وَرَأْيُهُ أَسَدُّ وَالصَّوَابُ قَرِينُهُ .

ولِهَذَا تَجِدُ خِطَابَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ أَوْلَى الْأَبَابِ وَالْعُقُولِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَبَابِ﴾ وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَبَابِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَبَابِ﴾ ونظائر ذلك كثيرة .

وكيف يكون عاقلاً وافرَ العقل مَنْ يَعِصِي مَنْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَفِي دَارِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ وَيَشَاهِدُهُ فَيَعِصِيهِ ، وَهُوَ بَعِينُهُ غَيْرَ مَتَوَارِعٍ عَنْهُ وَيَسْتَعِينُ بِنِعْمِهِ عَلَى مَسَاحِطِهِ وَيَسْتَدْعِي كُلَّ وَقْتٍ غَضَبَهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتَهُ لَهُ وَإِبْعَادَهُ مِنْ قُرْبِهِ ، وَطَرْدَهُ مِنْ بَابِهِ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ وَخِذْلَانَهُ لَهُ وَالتَّخْلِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَعَدُوهِ وَحِرْمَانَهُ مِنْ رِضَاهُ وَحُبِّهِ ، وَقِرَّةَ الْعَيْنِ بِقُرْبِهِ وَالْفُوزَ بِجَوَارِهِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فِي زَمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ إِلَى أضعاف ذلك مِنْ كِرَامَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَأضعاف أضعاف ذلك مِنْ عَقُوبَةِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ .

شِعْرًا: يَا ذَا الَّذِي حَمَلَهُ جَهْلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي فَوْقَ مَا يَقْوَى مُعْلَمَةً بِالنُّسْكِ وَالتَّقْوَى
وَاعْلَمَ بِأَنْ لَسْتَ تُرَى تَاجِيًا
آخِر: فَمَا تَبْكِي مِنْ عُظْمِ الذُّنُوبِ وَفَتْكِهَا وَتَسْتَدْرِكُ الْمَاضِي بِتَوْبَةٍ صَادِقٍ وَتَعْمَلُ أَعْمَالًا حَسَنًا لَعَلَّهَا
آخِر: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ لِبَاسًا مِنَ التَّقَى وَخَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ
مِنْ الْمَعَاصِي فَوْقَ مَا يَقْوَى مُعْلَمَةً بِالنُّسْكِ وَالتَّقْوَى
إِنْ لَمْ تُطِيعْ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالتَّجْوَى وَتَضْيِعِنَا الْأَوْقَاتِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ وَتَسْتَقْبِلُ الْآتِي بِجِدِّ الْمَوَاضِبِ تُكْفَرُ عَنَّا مُفْضِعَاتِ الْمَعَائِبِ
تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا

فَأَيُّ عَقْلٍ لِمَنْ آثَرَ لَذَّةَ سَاعَةٍ أَوْ يَوْمٍ أَوْ دَهْرٍ ثُمَّ تَنْقُضِي كَأَنَّهَا حَلْمٌ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذَا النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَالْفُوزِ الْعَظِيمِ؟ بَلْ هُوَ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
وَلَوْلَا الْعَقْلُ الَّذِي تُقُومُ عَلَيْهِ بِهِ الْحُجَّةُ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمَجَانِينِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ

المجانين أحسن حالاً منه وأسلم عاقبة ، فهذا من هذا الوجه .
 وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان
 لظَهَرَ لِمُطِيعِنَا نُقْصَانُ عَقْلٍ عَاصِينَا ، ولكن الجائحة عامة ، والجنون فنون .
 وياعجباً لو صَحَّتِ الْعُقُولُ لَعَلِمَتْ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي يَحْصِلُ بِهِ اللَّذَةُ
 والفرحة والسرور وطيب العيش إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاء
 والألم والعذاب كله في سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ .

ففي رضاء قرّة العيون ، وسرور النفوس ، وحياة القلوب ، ولذة
 الأرواح ، وطيب الحياة ولذة العيش وأطيب النعيم ممّا لو وُزِنَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
 بنعيم الدنيا لم تَفِ بِهِ ، بل إذا حَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ نَصِيبٍ لَمْ يَرْضَ
 بالدنيا وما فيها عوضاً منه .

ومع هذا فهو يَنَعِمُ بِنَصِيبِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَنَعُّمِ الْمُتَرَفِّينَ فِيهَا ، وَلَا يَشُوبُ تَنَعُّمَهُ
 بذلك الحظ اليسير ما يشوبُ تَنَعُّمَ الْمُتَرَفِّينَ مِنَ الْهَمُومِ الْغَمُومِ وَالْأَحْزَانِ
 والمعارضات ، بل قد حَصَلَ عَلَى النَعِيمِينَ وَهُوَ يَنْتَظِرُ نَعِيمِينَ آخَرِينَ أَعْظَمَ
 منهما . انتهى .

لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالِقَهُمْ	فَأَمَّنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
وَالْوَجْدُ وَالشُّوقُ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتُهُمُوا	وَلَا زَمُوا الْجِدَّ وَالْإِدْلَاجَ فِي الْبُكْرِ
آخر: إذا ما كَسَاكَ اللَّهُ سِرْبَاكَ صِحَّةٍ	وَلَمْ تَحُلْ مِنْ قُوَّتٍ يَحِلُّ وَيَعْدُبُ
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمُتَرَفِّينَ فَإِنَّهُمْ	بِمِقْدَارِ مَا يُكْسُونَ فِي الْوَقْتِ يُسَلِّبُ
آخر: أفادئني القنَاعَةُ كُلُّ عِزٍّ	وَأَيُّ غِنَىٍّ أَعَزَّ مِنَ الْقِنَاعَةِ
فَصِيرْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ	وَصِيرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بَضَاعَةَ
تَحُزُّ رِبْحِينَ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ	وَتَنَعُّمُ فِي الْجَنَانِ بِصَبْرِ سَاعَةٍ
آخر: أخصُّ الناس بالإيمان عبْدٌ	خَفِيفُ الْحَاذِ مَسْكَنُهُ الْقِفَارُ
لَهُ فِي اللَّيْلِ حَظٌّ مِنْ صَلَاةٍ	وَمِنْ صَوْمٍ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ

وَقُوْتُ النَّفْسِ يَأْتِي فِي كَفَافٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اصْطِبَارُ
 وَفِيهِ عِفَّةٌ وَبِهِ حُمُولٌ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ لَا يُشَارُ
 وَقَلُّ الْبَاكِياتِ عَلَيْهِ لَمَّا قَضَى نَحْباً وَلَيْسَ لَهُ يَسَارُ
 فَذَلِكَ قَدْ نَجَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَلَمْ تَمْسَسْهُ يَوْمَ الْبَعْثِ نَارُ

اللهم قو إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر
 وبالقدر خيره وشره اللهم نور قلوبنا بطاعتك وحل بيننا وبين معصيتك
 وأهملنا ذكرك وشكرك واجعلنا هداة مهتدين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ
 أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَلَا بُدَّ ، أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرِّ السُّمُومِ
 فِي الْأَبْدَانِ عَلَى إِخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرْرِ . وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ
 وَدَاءٌ ، إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ؟

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبْوِينَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ
 وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمِصَائِبِ وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ
 إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ
 أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ وَبَدَّلَ بِالْقُرْبِ بُعْداً
 وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً وَبِالْجَمَالِ قُبْحاً وَبِالْجَنَّةِ نَاراً تَلْظِي وَبِالْأَيْمَانِ كُفْراً ، وَبِمَوَالَاةِ
 الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ عَدَاوَةً وَمُشَاقَّةً وَبِزَجْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجَلَ
 الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، فَهَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى غَايَةُ الْهَوَانِ وَسَقَطَ مِنْ
 عَيْنِهِ غَايَةُ السُّقُوطِ وَحُلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَهْوَاهُ ، وَمَقَّتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ
 فَأَرْدَاهُ ، فَصَارَ قَوَاداً لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ
 الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ .

فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَأَرْتِكَابِ نَهْيِكَ .

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّى عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رُؤُوسِ الْجِبَالِ . وَمَا الَّذِي سَلَطَ الرِّيحَ عَلَى قَوْمٍ عَادٍ حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابَّهُمْ حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَّمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمٍ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ حَتَّى سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةُ نَبَاحَ كِلَابِهِمْ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمَرَهَا عَلَيْهِمْ فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعَهُ عَلَى أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ ، وَإِخْوَانِهِمْ أَمْثَلُهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمٍ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلْطِئُ . وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ، فَالْأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ ، وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يَسَ بِالصَّيْحَةِ حَتَّى خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولَى بِأَسَى شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَسَبُّوا الذَّرِيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ، وَمَا الَّذِي سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبِّ وَخَرَابِ الْبِلَادِ وَمَرَّةً بِجُورِ الْمُلُوكِ وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . اللَّهُمَّ أَتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ

الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصَّدَقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوُحُ وَأُنْدُبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوُحُ فَإِنِّي
وَأِنِّي حَقِيقٌ بِالتَّضَرُّعِ وَالبُكَاءِ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الحُزَنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَفَى أَنْ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ بِخَيْلَةٍ
فَمَنْ لِي إِذَا نَادَى المُنَادِي بِمَنْ عَصَى
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الفَضَائِحُ كُلِّهَا
فَيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِي
فَقَدْ فَازَ بِالمُلْكِ العَظِيمِ عَصَابَةٌ
إِذَا أُشْرِفَ الجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ
فَنَادَاهُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
بِدَمْعِ غَزِيرٍ وَأكِيفٍ يَتَصَبَّبُ
أُخَافُ عَلَى نَفْسِي الضَّعِيفَةِ تَعَطَّبُ
إِذَا مَا هَذَا التَّوَامُ وَاللَّيْلُ غِيهَبُ
وَعَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَانْقَضَ كَوَكَبُ
وَأُنِّي بِأَفَاتِ الذُّنُوبِ مُعَذَّبُ
إِلَى أَيْنَ الجَائِي إِلَيَّ أَيْنَ أَهْرُبُ
وَقَدْ قَرَّبَ المِيزَانَ وَالنَّارُ تَلْهَبُ
لَئِنْ كُنْتُ فِي قَعْرِ الجَحِيمِ أُعَذَّبُ
تَبِيتُ قِيَامًا فِي دُجَى اللَّيْلِ تَرْهَبُ
وَقَدْ زِينَتْ حُورُ الجِنَانِ الكَوَاعِبُ
أَبْحَثُ لَكُمْ دَارِي وَمَا شِئْتُمْ أَطْلُبُوا

قال العلماءُ وتعظُّمُ الصَّغِيرَةَ بِأسبابِ منها : أَنْ يَسْتَصْغِرَهَا الإنسانُ وَيَسْتَهِينُ بِهَا فَلَا يَغْتَمُّ بِسَبَبِهَا وَلَا يُبَالِي ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ المِجْلَ لِلَّهِ المَعْظَمَ لَهُ هُوَ المِستَعظَمُ لِذَنْبِهِ وَإِنْ صَغُرَ فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا اسْتَعظَمَهُ العَبْدُ صَغُرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلَّمَا اسْتَصغَرَهُ كَبُرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اسْتَعظَامَهُ يَكُونُ عَنِ نُفُورِ القَلْبِ مِنْهُ وَكِرَاهِيَّتِهِ لَهُ .

قال ابنُ مسعودٍ : إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ . وَفِي البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِنكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ .

وقال بلال بن سعد رضي الله عنه : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت . ومنها : السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى إن المذنب المجاهر بالمعاصي ليفتحر بها فيقول : ما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة .
ومنها : أن يتهاون بستر الله عليه .

ومنها : أن يجاهر بالذنب ويظهره ويذكره بعد فعله ، وقد قال ﷺ :
« كل أمتي معافي إلا المجاهرون » . ومنها : أن تصدّر الصغيرة عن عالم يقتدى به فذلك عظيم ، لأنه يتبعه عليها خلق كثير ، ويبقى أثرها بعده . والله أعلم .
اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا لإغتنام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذئوبنا ولا ثوابنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرايرنا واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) : من نصيحة والد لوالده

إعلم أن من تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأي مدة طويلة ، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رأي مدة طويلة وعلم أن اللبث في القبور طويل ، فإذا تفكر في يوم القيامة علم أنه خمسون ألف سنة .

فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له . فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلاً فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحو من خمس عشر في الصبي .

فاذا حسبَ الباقي كان أكثره في الشهواتِ والمطاعمِ والمكاسبِ فاذا
خَلَصَ ما لِلْآخِرَةِ وَجَدَ فيه مِنَ الرِّياءِ والغفلةِ كَثِيراً ، فبماذا تَشْتري الحِياةَ
الأبديةَ وإنما الثمنُ هذه الساعاتُ ؟

فانتبه يا بُنيَ لِنَفْسِكَ ، واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في
لحاقِ الكاملين مادام في الوقتِ سعة . واسقِ غُصنَكَ ، مادامت فيه
رطوبةٌ ، واذكرِ سَاعَتَكَ التي ضاعتْ فكفَى بها عِظَةً .

ذَهَبَتْ لَذَّةُ الكَسَلِ فيها وفاتَتْ مَرَاتِبُ الفضائلِ .

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يُجِبُونَ جَمَعَ كُلِّ فَضيلةٍ ويَبكون
على فواتِ واحدةٍ منها .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دَخَلْنَا على عابِدِ مَرِيضٍ ، وهو
يَنْظُرُ إلى رجليه ويبكي ، فقلنا : مَا لَكَ تَبكي ؟ فقال : ما أَغْبَرْتَا في سبيلِ
اللهِ . وبكى آخراً ، فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : عليّ يوم مضى ما صمتهُ
وعلي ليلة ذهب ما قمتها .

واعلم يا بُني أن الأيام تُبْسَطُ ساعاتٌ ، والساعاتُ تبسطُ أنفاساً ،
وكلُّ نَفْسٍ خِزَانَةٌ ، فأحذِرْ أن يذهبَ نَفْسٌ بغيرِ شيءٍ ، فَتَرَى في القيامةِ
خِزَانَةً فارغةً فَتندَمَ ولا ينفعك الندمُ .

آخر: وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ
آخر: يَا جَامِعَ المَالِ الكَثِيرِ لِغَيْرِهِ
هل في يَدَيْكَ على الحَوَادِثِ قُوَّةٌ
أم ما تَقُولُ إذا ضَعَنْتَ إلى اليلَى
آخر: مَشِيْبُ النَّوَاصِي لِلْمُنُونِ رَسُوْلُ
فَصِيْحٌ إذا نادى وَأَنْ كَانَ صَامِتاً
فَواعِجِياً مِنْ مَوْقِنِ بِفَنائِهِ
وَأَرَاهُ أُسْهَلَ ما عَلَيكَ يَضِيْعُ
إِنَّ الصَّغِيْرَ مِنَ الذُّنُوبِ كَبِيْرُ
أَمْ هَلِ عَلَيكَ مِنَ المُنُونِ حَفِيْرُ
وإذا خلا بك مُنْكَرٌ وَنَكِيْرُ
يُحَبِّرُنَا أَنَّ النَّوَاءَ قَلِيْلُ
مُثِيْرُ المَعانِي لِلنَّفُوسِ عَدُوْلُ
وَأَمالُهُ تَنْمُو وَلَيْسَ يَحْوُلُ

أَمِنْ بَعْدِ مَا جَاوَزْتَ سَبْعِينَ حَجَّةً
 أَتَمِلُ آمالاً وَأَرْغَبُ فِي الْعَيْشِ
 وَإِنَّ امْرَأً دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ
 فَكَمْ عَالِمٍ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بَعْلِمِهِ
 وَكَمْ مِنْ قَصِيرٍ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
 فَمَا الْعِلْمُ إِلَّا خَشْيَةُ اللَّهِ وَالتَّقَى
 فَيَارِبْ قَدْ عَلَّمْتَنِي سُبُلَ الْهُدَى
 وَيَارِبَّ هَبْ لِي مِنْكَ عِزْماً عَلَى التَّقَى
 آخِرُ: المرءُ يَجْمَعُ الدُّنْيَا مُفْرَقَةً
 وَنَحْنُ نَحْبُطُ فِي ظُلْمَاءَ لَيْسَ بِهَا
 فَكَمْ نُرْتِقُ حَرْقاً لَيْسَ مُرْتَقِياً
 وَكَمْ نَذُلُ وَفِينَا كُلُّ ذِي أَنْفٍ
 وَكَيْفَ يَرْضَى لَيْبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ

اللَّهُمَّ الْهِمَّنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ، وَلَا تَفْضَحْنَا
 بَيْنَ خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ
 وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ وَأَمَلْنَاهُ يَا مَنْ
 يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ، أَذُنًا بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلَاوَةً
 مَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجاً وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجاً وَاجْعَلْهُ
 لَنَا سُلْماً إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْراً مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الْغَفُورُ
 الشُّكُورُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الرابع

واعلم أن التوبة إذا صححت بأن اجتمعت شروطها وانتفت موانعها قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت ، لو كانت عن أي ذنب كان وقبل طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر أي ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغره المريض ، والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلغ ، فهذه الحالة حالة حضور الموت وبعد حضور الموت لا يقبل من العاصين توبة ولا من الكافرين رجوع كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ .

ومن المعوقات الضارة التسوية بالتوبة فمن أين يعلم الإنسان . أنه يبقى إلى أن يتوب فتارك المبادرة بالتوبة بين خطرتين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير ريناً وطبعاً وثانيهما أن يعاجله المرض فلا يجد مهلة للاشتغال بمحو ما وقع من الظلمة في القلب فيأتي ربه بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويجب على الإنسان أن لا يمتنع من التوبة خشية الوقوع في ذنب مرة أخرى فإن هذا ظن يدخله الشيطان في قلبه ليؤخر التوبة ولربما يقول في نفسه سأستمر في المعاصي أيام شبابي وصحتي ثم أتوب بعد ذلك ، وهكذا يسوف ويؤخر ، وإذا بالموت أو المرض يفاجئه فلا يجد متسعاً للتوبة

والرجوع إلى الله . نعوذُ بالله من سوء الخاتمة . ولذلك كان السلفُ الصالحُ تكادُ تنخلعُ قلوبهم في كلِ مَرَضَةٍ يَمْرُضُونَهَا ، لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَرَضَةُ إِخْرَاجاً لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ تَدَارُكِ مَا فَاتَ مِنَ الْهَفَوَاتِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَبِالاسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ . وَمَرَضَ مَرَّةً بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : مُوقِراً بِالدُّنُوبِ فَقَالُوا : هَلْ تَشْتَهِي شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ رَبِّي بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ قَبْلَ مَوْتِي .

وقد قال العلماءُ ما مِثَالُ الْمُسَوِّفِ بِالتَّوْبَةِ إِلَّا مِثَالُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى قَلْعِ شَجَرَةٍ فَرَأَاهَا قَوِيَّةً لَا تَنْقَلِعُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ فَقَالَ : أَوْ أَخْرَاهَا سَنَةً ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ كُلَّمَا بَقِيَتْ أَزْدَادَتْ قُوَّةَ لِرُسُوخِهَا وَكُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ أَزْدَادَ ضَعْفُهُ فَلَا حِمَاقَةَ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمَ مِنْ حِمَاقَتِهِ إِذْ عَجَزَ مَعَ قُوَّتِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ ضَعْفِهِ فَأَخَذَ يَنْتَظِرُ الْغَلْبَةَ عَلَيْهِ إِذَا ضَعُفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَقَوَى الضَّعِيفُ .

قال ابنُ القيمِ رحمه الله : إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعْدَهُ خَيْراً فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالانْكِسَارِ وَالذُّلِّ وَالِافْتِقَارِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَصِدْقَ اللُّجَأِ إِلَيْهِ وَدَوَامَ التَّضَرُّعِ وَالِدَعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكْنَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا تَكُونُ تِلْكَ السَّيِّئَةُ بِهِ سَبَبَ رَحْمَتِهِ حَتَّى يَقُولَ عَدُوُّ اللهِ يَا لَيْتَنِي تَرَكْتُهُ وَلَمْ أُوقِعْهُ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ قَالُوا : كَيْفَ ؟ قَالَ : يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصِبَ عَيْنِيهِ خَائِفاً مِنْهُ مُشْفِيقاً وَجَلاً بِاِكْيَافٍ نَادِماً مُسْتَحِيّاً مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ لَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ بِهَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ وَفَلَاحُهُ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنْبُ سَبَبَ دُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَيَفْعَلُ الْحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهَا وَيَرَى نَفْسَهُ شَيْئاً

وَيُعْجَبُ بِهَا وَيَسْتَطِيلُ بِهَا وَيَقُولُ بِهَا وَيَقُولُ فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ ، فَيُورِثُهُ مِنْ
الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَجْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْمَسْكِينِ خَيْرًا ابْتِلَاءً بِأَمْرٍ يَكْسِرُهُ بِهِ وَيُذِلُّ بِهِ
عُنُقَهُ وَيُصَغِّرُ بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَاءً وَعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ وَهَذَا
هُوَ الْخِذْلَانُ الْمَوْجِبُ لِهَلَاكِهِ فَإِنَّ الْعَارِفِينَ كُلَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنْ التَّوْفِيقَ هُوَ
أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ ، وَالذَّلُّ أَنْ يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ .
انتهى .

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ
سِوَى جَمِيلٍ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
وَعَدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوْفِ بِهَا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ
بِجَمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسَطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
وَهُمْ يُجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِيَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدِّ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ

يا واسعاً ضاقَ خَطُّو الخَلْقِ عن نِعَمٍ
 مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
 وَنَاشِراً بِيَدِ الإِجْمَالِ رَحْمَتَهُ
 فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفاً قَنَطُ
 إِرْحَمْ عِبَاداً بَضْنِكَ العَيْشِ مَا لَهُمُوا
 غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفُ وَالثَّرَى بُسْطُ
 لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّي عَلِيَاكَ فِي نَمَطُ
 سَامِ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
 وَمَنْ يَكُنْ بِالذِّي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعاً
 فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
 نَحْنُ العَبِيدُ وَأَنْتَ المَلِكُ لَيْسَ سِوَى
 وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ ، وَنَجَّنا مِنْ جَمِيعِ الأَهْوَالِ ، وَأَمْنَا مِنَ الفَوَاحِشِ
 الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَلِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ
 الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل): كان سألنا الصالح حريصين على الوقت وعلى حفظ الكلام
 فلا يصرفون أوقاتهم إلا للآخرة ولا يتكلمون إلا لها مبتعدين عن النفاق والرياء
 والكلام الفارغ .

فقد كان الفضيل رحمه الله جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ
 له فقال له : ما جاء بك . قال الموائسة يا أبا علي . فقال هي والله بالمواحشة
 أشبه . هل تريد إلا أن تزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك فإما أن
 تقوم عني أو أقوم عنك .

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئاً سِوَى الْهَدَايَانِ مِنْ قِيَلٍ وَقَالَ
فَاقْلِبْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ
وهكذا كان السلف لا يتلاقون إلا لله ويحترزون في جميع أعمالهم وأقوالهم
حتى كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف حالك وفي الجواب عن ذلك .
فقد قال حاتم الأصم لحامد اللفاف كيف أنت في نفسك فقال بسلامة
وعافية فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في
الجنة .

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت يقول أصبحت لا أملك
تقديم ما أرجو ولا استطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهناً بعملي والخير كله
في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى) .
وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت قال ضعيفاً مذنباً أستوفي
رزقي وأنتظر أجلي وقيل لأويس القرني كيف أصبحت قال كيف يصبح رجل
إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي .

وهكذا كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم ومع هذا فقد كانوا دائماً
يسألون الله العون والنصر والرشد والتوفيق لما يحبه ويرضاه .

شِعْرًا: إِذَا لَمْ يُعْنِكَ اللَّهُ فِيمَا تُرِيدُهُ فَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ إِلَيْهِ سَبِيلٌ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْصُرْكَ لَمْ تَلْقَ نَاصِرًا وَإِنْ عَزَّ أَنْصَارٌ وَجَلَّ قَبِيلٌ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يُرْشِدْكَ فِي كُلِّ مَسْئَلٍ ضَلَلْتَ وَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَلِيلٌ

قال بعض العلماء أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من
ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكين من
الذنوب، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة. وقال آخر: الغموم ثلاثة: (١) غم
الطاعة أن لا تقبل، (٢) غم المعصية أن لا تغفر، (٣) غم المعرفة أن تسلب .
وقال آخر: إذا عصيت الله في موضع فلا تفارق الموضع حتى تعمل فيه

طَاعَةٌ وَتَقِيمٌ فِيهِ عِبَادَةٌ فَكَمَا يَشْهَدُ عَلَيْكَ إِذَا اسْتَشْهَدَ يَشْهَدُ لَكَ وَكَذَلِكَ
ثُوبَكَ إِنْ عَصَيْتَ اللَّهَ فِيهِ فَكُنْ كَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ .

شِعْرًا: يَا نَاطِرًا يَرْنُو بَعِينِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدٍ لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي فَوْزَ الْجَنَانِ وَنَيْلَ أَجْرِ الْعَابِدِ
وَنَسِيَّتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ أَدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
وَقَالَ وَائِي تَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَزَهِّدِينَ فَرَأَيْتُهُمْ فِي عُقُوبَاتٍ
لَا يَحْسُونَ بِهَا، وَمُعْظَمُهَا مِنْ قَبْلِ طَلْبِهِمْ لِلرِّيَاسَةِ . فَالْعَالِمُ مِنْهُمْ يَعْضَبُ أَنْ رُدَّ
عَلَيْهِ حَطُّوهُ، وَالْوَاعِظُ مُتَصَنِّعٌ بَوَغْظِهِ، وَالْمُتَزَهِّدُ مُنَافِقٌ أَوْ مُرَائٍ .
فَأُولُ عُقُوبَاتِهِمْ، إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ شُغْلًا بِالْحَلْقِ، وَمَنْ خَفِيَ عُقُوبَاتِهِمْ
سَلَبُ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ، وَلَذَةُ التَّعَبُدِ .

إِلَّا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ، وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، بَوَاطِنُهُمْ
كَظُورِهِمْ بِلِأَحْلَى، وَسَرَائِرُهُمْ كَعَلَانِيَّتِهِمْ بِلِأَحْلَى، وَهَمَمُهُمْ عِنْدَ الثَّرِيَا أَعْلَى .
إِنْ عُرِفُوا تَنَكَّرُوا، وَإِنْ رُعِيَتْ لَهُمْ كِرَامَةٌ انكُرُوا . فَالنَّاسُ فِي عَفَلَاتِهِمْ،
وَهُمْ فِي قَطْعِ فَلَائِهِمْ تُحِبُّهُمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ، وَتَفْرَحُ بِهِمْ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ . نَسَأَلُ
اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ التَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ .

شِعْرًا: خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَبَادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبُ اللَّهِ وَاحْذَرْ رَلَّةَ الْقَدَمِ
فَلَيْسَ بَعْدَ حُلُولِ الْمَوْتِ مَعْتَبَةٌ إِلَّا الرُّجَاءُ وَعَفْوُ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ
آخِرُ: يَقُولُونَ: أَسْبَابُ الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ فَقُلْتُ: وَأَسْبَابُ الْمَنُونِ كَثِيرَةٌ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَصَائِدٌ وَأَشْرَاكُ مَكْرُوهٍ لَنَا وَغُرُورُ:
يُسَارُ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَكَمْ ذَا إِلَى مَا لَا تُرِيدُ نَسِيرُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا فَرَحَةٌ ثُمَّ تَرْحَةٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا مُطْلَقٌ وَأَسِيرُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ وَأَمَّا زَمَانُنَا فَقَدْ قَيَّدَ الطَّمَعُ أَلْسِنَ الْعُلَمَاءِ فَسَكَتُوا إِذْ لَمْ تُسَاعِدْ أَقْوَالُهُمْ أَفْعَالُهُمْ وَلَوْ صَدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ .
فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الرَّعِيَّةِ وَجَدْنَا سَبَبَهُ فَسَادَ الْمُلُوكِ .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الْمُلُوكِ وَجَدْنَا سَبَبَهُ فَسَادَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ .
وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَسَادِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَجَدْنَا سَبَبَهُ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالجَاهِ وَانْتِشَارِ الصَّيِّتِ وَتَفَادِ الْكَلِمَةِ وَمُدَاهَنَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَفَسَادِ النِّيَّاتِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ .

فَإِذَا أَرَادَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .
وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ ، لَوْ أَنَّ عُلَمَاءَنَا عَفَا اللَّهُ عَنَّا وَعَنَهُمْ نَصَحُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ ، فَقَالُوا : يَا عِبَادَ اللَّهِ اسْمَعُوا مَا نُخْبِرُكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَصَالِحِ سَلَفِكُمْ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَاعْمَلُوا بِهِ . وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى أَعْمَالِنَا هَذِهِ الْفَسَلَةِ ، كَانُوا قَدْ نَصَحُوا لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَجْرُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَى فِتْنِهِمْ وَمَا هُمْ فِيهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِعْلَمْ أَنَّ لِلْعَالِمِ الْعَامِلِ بِعِلْمِهِ حَقِيقَةً عَلامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ تُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ اللِّسَانِ الْمُخَلِّطِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِلْهَوَى الْمَوْثِرِينَ لِلدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ .

فَمِنْ عَلامَاتِ الْعَالِمِ الْحَقِيقِيِّ الْمُمْتَازِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا خَائِفًا وَجَلًّا مُشْتَفِقًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا قَانِعًا بِالْيَسِيرِ مِنْهَا هَمُّهُ وَشُغْلُهُ فِيمَا يُصْلِحُ آخِرَتَهُ .

مُلْتَمِسًا لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمْ الْخَالِيَةَ بِيُوثِهِمْ مِنَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدٌ وَلَا مَسَاكِينَ لِيُسْعِفَهُمْ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي ذَلِكَ لَا يُرِيدُ مِنْهُ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .

ناصِحاً لِعِبَادِ اللَّهِ شَفِيقاً عَلَيْهِمْ رَحِيماً بِهِمْ ، آمراً بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلاً لَهُ وَنَاهِياً
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِباً لَهُ وَمُسَارِعاً فِي الْخَيْرَاتِ مَلِئِماً لِلْعِبَادَاتِ لَيْلاً وَنَهَاراً سِرّاً
وَجَهَاراً وَمَلِئِماً لِذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ .

دالاً عَلَى الْخَيْرِ دَاعِياً إِلَى الْهُدَى ، ذَا صَمْتٍ وَتَوَاضَعٍ وَوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ مَحْبِياً
لِأَهْلِ الطَّاعَةِ سَالِكاً طَرِيقَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، حَسَنُ الْأَخْلَاقِ ، وَاسِعُ
الصُّدْرِ ، لِينُ الْجَانِبِ ، مَخْفُوضُ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، لَا مُتَكَبِّراً ، وَلَا مُتَجَبِّراً ،
وَلَا طَامِعاً فِي النَّاسِ ، وَلَا حَرِيصاً عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَا مُؤْتِراً لَهَا عَلَى الْآخِرَةِ .
وَلَا مِنْهَمْكَأً بِجَمْعِ الْمَالِ ، وَلَا مَانِعاً عَنْ حَقِّهِ ، وَلَا فَظاً وَلَا غَلِيظاً ، وَلَا
مُمَارِياً ، وَلَا مُخَاصِماً بِالْبَاطِلِ ، وَلَا سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا ضَيِّقَ الصُّدْرِ مَحْبِياً
لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَمَبْغُضِ الْأَعْدَاءِ .

وَلَا مُدَاهِناً ، وَلَا مُخَادِعاً ، وَلَا غَشَّاشاً ، وَلَا مُقَدِّماً لِلْأَغْنِيَاءِ عَلَى
الْفُقَرَاءِ ، وَلَا مُرَائِياً ، وَلَا مُحْبِياً لِلْوَلَايَاتِ وَالرِّيَاسَاتِ .
وَبِالْجُمْلَةِ فَيَكُونُ مُتَّصِفاً بِجَمِيعِ مَا يُحْتَمَى عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مُؤْتِمِراً بِمَا
يَأْمُرُهُ بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

مُجَانِباً لِمَا يَنْتَهَى عَنْهُ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَخْلَاقِ
وَالْأَعْمَالِ الْمَذْمُومَةِ ، وَهَذِهِ صِفَاتٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ وَيَتَحَلَّى بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ،
إِلَّا أَنْ الْعَالِمَ وَطَالِبَ الْعِلْمِ أَوْلَى أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا وَيَحَافِظَ عَلَيْهَا وَيَدْعُوَ إِلَيْهَا لِأَنَّهُ
قُدْوَةٌ يُفْتَدَى بِهَا .

وَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَعَ الْعَامَّةِ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِ لَهُمْ فِي بَيَانِ
الْوَاجِبَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ وَنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ وَذِكْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْإِحْسَانِ
وَالْإِسَاءَةِ لِيَصُونَ وَقْتَهُ وَوَقْتَهُمْ عَمَّا لَا يَنْفَعُ فِيهِ ، وَيَكُونُ كَلَامُهُ بِعِبَارَةٍ يَعْرِفُونَهَا
وَيَفْهَمُونَهَا ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الْأُمُورَ الَّتِي هُمْ مُلَابِسُونَ لَهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْكُتَ
حَتَّى يُسْأَلَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَوْ مُضْطَرُّونَ .

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي ، فَإِنِّي مُقِرُّ بِالذِّي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي حِيَلَةٌ ، إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوِكَ ، إِنَّ عَفْوَتَ ، وَحُسْنَ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبَرَائِيَا ، وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ ، وَمَنْ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا ، وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ ، إِنَّ لَمْ تَعْفُ عَنِّي
أَجُنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا ، وَأَفْنِي الْعُمْرَ فِيهَا بِالتَّمَنِّي
وَيَنْ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ ، كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ ، كَأَنِّي
وَلَوْ أَنَّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا ، قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجَسِّنِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْتَبِينَ ، الْعُرَى الْمُحَجَّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَنَعِيشَةً نَقِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً ،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنْ الْمُؤَيَّدِينَ
بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ لَطَائِفِ الْبَلَايَا وَفَوَائِدِهَا تَكْفِيرُ
الْخَطَايَا بِهَا وَالشُّوَابُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا ، وَهَلْ يَثَابُ عَلَى الْبَلَاءِ نَفْسِهِ فِيهِ
اِخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ .

ومنها تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .
ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها . قال بعض السلف ان العبد

لِيَمْرُضُ فَيَذَكُرُ ذُنُوبَهُ فَيَخْرُجَ مِنْهُ مِثْلُ رَأْسِ الذَّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَيَغْفِرُ لَهُ .
ومنها انكساره لله عز وجل وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين .

ومنها أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة وذلك من أعظم فوائد البلاء وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد .

قال تعالى : ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ المؤمنون ٧٧ وقال : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ الانعام ٤٢ .
وفي بعض الكتب السابقة إن الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه .

وقال سعيد بن عبدالعزيز قال داود عليه السلام : سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء وسبحان مستخرج الشكر بالرّخاء .
ومرّ أبو جعفر محمد بن علي بمحمد بن المنكدر وهو معموم فسأل عن سبب غمه فقيل له الدين قد فدحه . فقال أبو جعفر أفتح له في الدعاء قيل نعم قال لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها من دعاء ربه كائنه ما كانت . وكان بعضهم في الدعاء عند الشدائد يحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فتح له .

وقال ثابت إذا دعا الله المؤمن بدعوة وكل الله جبريل بحاجته فيقول الله : لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن .
وروى مرفوعاً من وجوه ضعيفة : رأى بعض السلف رب العزة في نومه فقال يارب كم أدعوك ولا تجيبني . قال : إني أحب أن أسمع صوتك . ومنها أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به وذلك مقام عظيم جداً . وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه . ومنها أن البلاء يقطع قلب

المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .
وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف
بالمؤمنين .

شِعْرًا :

لَحَى اللهُ مَنْ لَا يَعْبُدُ اللهُ وَخَدَهُ وَمَنْ حَبَلَهُ فِي الدِّينِ غَيْرَ مَتِينٍ
وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْنَيْنِ شَرٌّ مُتَافِقٍ وَمَنْ هُوَ لِلْأَسْرَارِ غَيْرَ مَكِينٍ
والبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك على أعلى المقامات
وأشرف الدرجات .

وفي الإسرائيليات يقول الله عز وجل : البلاء يجمع بيني وبينك
والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريباً في الغالب .
قال تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا ﴾ يوسف ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه متى نصر الله الا
إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤ .

وأخبر عن يعقوب عليه السلام أنه لم ييأس من لقاء يوسف وقال
لإخوته : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) .
وقال : ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ﴾ يوسف ٨٣ .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب ، ان الكرب إذا
اشتد وعظم وتناهى وجد الإيأس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق
بالخالق استجاب له وكشف عنه .

فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام
أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض عليه جبريل في الهواء
وقال له ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا .

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفى من
توكل عليه كما قال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ الطلاق ٣ .
قال الفضيل والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك
مولاك كما تريد ، قال بعضهم :

قَالُوا حُطُوضٌ وَأَقْسَامٌ فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ وَلَكِنْ عَلَيْنَا السَّعْيُ وَالطَّلَبُ
وَلِلْمَطَالِبِ أَسْبَابٌ مُقَدَّرَةٌ وَبَدَلُ سَعْيِكَ فِي مَطْلُوبِكَ السَّبَبُ
آخر : عَلَامَ سُؤَالِ النَّاسِ وَالرُّزْقِ وَاسِعٌ وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَحْتُنْكَ الْأَصَابِعُ
فَكُنْ طَالِباً لِلرُّزْقِ مِنْ رَازِقِ الْغِنَى وَخَلَّ سُؤَالِ النَّاسِ فَاللَّهُ صَانِعٌ

ومنها أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة
الشیطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون
في مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلاء عنه .

ولهذا في الحديث الصحيح : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول
دعوت فلم يستجب لي فیدع الدعاء » .

ومنها أن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه
وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها إنها أتيت
من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت .

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار
العبد لمولاه وتفريج الكرب ، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . على
قدر الكسر يكون الخير .

قال وهب تعبد رجل زماناً ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبتاً
يأكل في كل سبت أحد عشرة تمرة ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى
نفسه فقال منك أتيت ، لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك .

فنزل إليه عند ذلك ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك .

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم أن نعم الله على عبده المؤمن في البلاء أعظم من نعمه عليه في الرخاء .

وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن إصابته سرّاء شكر فكان خيراً وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن » .

ومن ها هنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى بل أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة .

وفي المسند والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « عرض على ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك وإن شبعت شكرتك وحمدتك » .

قال عمر ما أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لإني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره . وقال عمر بن عبدالعزيز أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر ،

وَكَنْ بِالذِّي قَدْ حُطُّ بِاللُّوحِ رَاضِيَا فَلَ مَهْرَبٍ مِمَّا قَضَاهُ وَحُطُّهُ
وَإِنَّ مَعَ الرِّزْقِ إِشْتِرَاطُ التَّمَاسِيهِ وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِ الطُّيْرِ قُوَّتَهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطُّيْرِ لَقَطُّهُ
فائدة عظيمة النفع :

التَّوْحِيدُ مَقْرَعُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَايِهِ فَمَا أَعْدَاؤُهُ فَيُنَجِّيهِمْ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا .
قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلَكَ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وَأَمَّا أَوْلِيَائُوهُ فَيُنَجِّيهِمْ بِهِ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا .

وَلِذَلِكَ فَرَعَ إِلَيْهِ يُؤْتِسُ فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَاتِ وَفَرَغَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ
الرُّسُلِ فَنَجَّوْا بِهِ مِمَّا عَذَّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ .
وَلَمَّا فَرَغَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِذْرَاكِ الْعَرِقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعُهُ .
لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمُعَايِنَةِ لَا يُقْبَلُ هَذِهِ سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ .
فَمَا دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ .

وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءَ الْكَرْبِ التَّوْحِيدَ وَدَعْوَةَ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا
مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ .

فَلَا يُلْقِي فِي الْكَرْبِ الْعِظَامَ إِلَّا الشِّرْكَ .

وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدَ .

فَهُوَ مَفْزَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجَأُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ نَجَاةٌ فَلَا تُهْمَلُ كَلَامِي وَخُذْ بِهِ

شعرا :

وَقَدْ يَعْفُو الْكَرِيمُ ، إِذَا اسْتَرَابَا	أَذَلَّ الْحَرْصُ وَالطَّمَعُ الرِّقَابَا ،
فَإِنَّكَ قَلَّمَا ذُقْتَ الصَّوَابَا	إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابُ ، فَلَا تَدَعُهُ ،
كَبُرِدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا	وَجَدْتَ لَهُ عَلَى اللَّهْوَاتِ بَرْدَا ،
أَأَخْطَأُ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا	وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي ،
وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ حِسَابَا	وَإِنَّ لِكُلِّ تَلْخِيصٍ لَوَجْهًا ،
وَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ كِتَابَا	وَإِنَّ لِكُلِّ مُطَّلِعٍ لِحَدَا ،
وَكُلُّ عِمَارَةٍ تَعِدُ الْخِرَابَا	وَكُلُّ سَلَامَةٍ تَعِدُ الْمَنَابَا ،
وَمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعَ تُرَابَا	وَكُلُّ مَمْلُوكٍ سَيَصِيرُ يَوْمًا ،
بِهَا ، إِلَّا اضْطِرَابَا وَأَنْقِلَابَا	أَبَتْ طَرْفَاتُ كُلِّ قَرِيرٍ عَيْنِ
وَأَيُّ يَدٍ تَنَاوَلَتْ السَّرَابَا	كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا سَرَابًا ،
تُسْرُ بِهِ ، فَإِنَّهَا السَّرَابَا	وَإِنَّ يَكُ مُنِيَّةً عَجَلَتْ بِشَيْءٍ
وَتَتَّخِذُ الْمَصَانِعَ وَالْقَبَابَا	فِيَا عَجَبًا تَمُوتُ ، وَأَنْتَ تَبْنِي ،

أَرَاكَ ، وَكُلَّمَا فَتَحْتَ بَاباً
أَلَمْ تَرَ أَنَّ غُدُوَّةَ كُلِّ يَوْمٍ ،
وَحُقُّ لِمُوقِنٍ بِالْمَوْتِ أَنْ لَا
يُدَبَّرُ مَا تَرَى مَلِكٌ عَزِيزٌ ،
أَلَيْسَ اللَّهُ فِي كُلِّ قَرِيْبًا ؟
وَلَمْ تَرَ سَائِلًا لِلَّهِ أَكْدَى ،
رَأَيْتَ الرُّوحَ جَذَبَ العَيْشَ لَمَّا
وَلَسْتَ بِغَالِبِ الشَّهَوَاتِ ، حَتَّى
فَكُلُّ مُصِيبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
كَبَرْنَا أَيُّهَا الأَتْرَابُ ، حَتَّى
وَكُنَّا كَالْغُصُونِ ، إِذَا تَشَّتْ
إِلَى كَمِّ طُولِ صَبُوتِنَا بِدَارٍ ،
أَلَا مَا لِلْكُهُولِ وَلِلتَّصَابِي ،
فَزَعْتُ إِلَى خِضَابِ الشَّيْبِ مِنِّي
مِنَ الدُّنْيَا ، فَتَحَتَ عَلَيْكَ نَابَا
تَزِيدُكَ ، مِن مِّنِيكَ ، اقْتِرَابَا
يُسَوِّغُهُ الطَّعَامَ ، وَلَا الشَّرَابَا
بِهِ شَهِدَتْ حَوَادِثُهُ وَغَابَا
بَلَى ! مِن حَيْثُ مَا نُودِي أَجَابَا
وَلَمْ تَرَ رَاجِيًا لِلَّهِ خَابَا
عَرَفْتَ العَيْشَ مَخْضًا ، وَاحْتِلَابَا
تُعَدُّ هُنَّ صَبْرًا وَاحْتِسَابَا
تَخَفُّ ، إِذَا رَجَوْتَ لَهَا ثَوَابَا
كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ حِينًا شَبَابَا
مِنَ الرِّيحَانِ مُوْنِعَةً رَطَابَا
رَأَيْتَ لَهَا اغْتِصَابَا وَاسْتِلَابَا
إِذَا مَا اغْتَرَّ مُكْتَهِلٌ تَصَابِي
وَإِنَّ نُصُولَهُ فَصَحَّ الخِضَابَا

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا
الجلال والاکرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيُّومُ فرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا
به ، واجعلنا مِن يَوْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَبِرِضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ،
وَيُخَشِّئَكَ حَقَّ خَشِيَّتِكَ . وَأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

حكم وفوائد

قال أحد العلماء: لا يَكُنْ هُمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ العَمَلِ ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هُمُّهُ فِي
إِحْكَامِهِ وَإِتْقَانِهِ ، وَتَحْسِينِهِ .

فإن العبد قد يُصلي وهو يعصي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه .

وقيل لآخر : كيف أصبحت فبكي ، وقال أصبحت في غفلة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت بي ، وأجل يسرع كل يوم في عمري ، وموتل لست أدري علاماً أهجم ثم بكى .

وقال آخر : لا تغم إلا من شيء يضرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرخ بشيء لا يسرك غداً ، وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال الحزن منك على ما فاتك من الطاعة ، والزمك الفكر في بقية عمرك .

وقال آخر : عليك بصحبة من تذكرك الله عز وجل رؤيته ، وتقع هيبته على باطنك ، ويزيد في عمك منطقه .

ويزهدك في الدنيا عمله ، ولا تعصي الله ما دمت في قربه يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله .

قال إسرائيل : حضرت ذى النون المصري وهو في الحبس وقد دخل الشرطي بطعام له ، فقام ذو النون فنفض يده (أي قبضها عن الطعام) .

فقيل له : إن أحاك جاء به ، فقال : إنه على يدي ظالم ، وقال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها : يا نفس بادري بالأوقات قبل إنصرامها ، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها .

فكأنك بالقبور قد تشققت ، وبالأمر وقد تحققت ، ويؤجوه المتقين وقد أشرفت ، وبرؤوس العصاة وقد أطرفت ، قال تعالى وتقدس : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ ﴿ يانفس أما الورعون فقد جدوا ، وأما الواعظون فقد نصحوا . إنتهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصَّلْ) إَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ البصيرة إِذَا صَدَرَتْ مِنْه الخَطِيئَةُ فَلَهُ نَظَرٌ إِلَى أُمُورٍ : أَحَدَهَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ الاعْتِرَافَ بِكُونِهَا خَطِيئَةً ، وَالْإِقْرَارَ عَلَى نَفْسِهِ بِالذَّنْبِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الوَعْدِ وَالوَعِيدِ فَيُحَدِّثَ لَهُ ذَلِكَ خَوْفًا وَخَشْيَةً تَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَمَكِينِ اللَّهِ لَهُ مِنْهَا وَتَخْلِيَّتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَتَقْدِيرِهَا عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَعَصَمَهُ مِنْهَا فَيُحَدِّثُ لَهُ ذَلِكَ أَنْوَاعًا مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَجِلْمِهِ وَكَرَمِهِ ، وَتَوْجِبُ لَهُ هَذِهِ المَعْرِفَةُ عُبودِيَّةً بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ لَا تَحْصُلُ بِدُونِ لَوَازِمِهَا البَتَّةَ وَيَعْلَمُ ارْتِبَاطَ الخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالْجَزَاءِ وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَوْجِبِ الأَسْمَاءِ وَالصِفَاتِ وَأَثَرِهَا فِي الوجودِ وَأَنَّ كُلَّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مُقْتَضٍ لِأَثَرِهِ وَمُوجِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ .

وَهَذَا المَشْهَدُ يُطْلَعُهُ عَلَى رِيَاضِ مُؤَنِقَةٍ مِنَ المَعَارِفِ وَالإِيمَانِ وَأَسْرَارِ القَدْرِ وَالحِكْمَةِ يَضِيْقُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا نِطَاقُ الكَلِمِ فَمِنْ بَعْضِهَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ « يُرِيدُ صَاحِبَ المَنَازِلِ » : أَنْ يَعْرِفَ العَبْدُ عِزَّتَهُ فِي قَضَائِهِ وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ العَزِيزُ الَّذِي يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ وَأَنَّهُ لِكَمَالِ عِزَّتِهِ حَكَمَ عَلَى العَبْدِ وَقَضَى عَلَيْهِ بِأَنْ قَلْبَ قَلْبُهُ وَصَرَفَ إِرَادَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ وَحَالَ بَيْنَ العَبْدِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَهُ مُرِيدًا شَائِيًا لِمَا شَاءَ مِنْهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ العِزَّةِ ، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَغَايَةُ المَخْلُوقِ أَنْ يَتَّصِرَفَ فِي بَدَنِكَ وَظَاهِرِكَ ، وَأَمَّا جَعْلُكَ مُرِيدًا شَائِيًا لِمَا يَشَاءُ مِنْكَ وَيُرِيدُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ذُو العِزَّةِ البَاهِرَةِ

فَإِذَا عَرَفَ العَبْدُ عِرَّ سَيِّدِهِ وَلا حَظَّ بِقَلْبِهِ وَتَمَكَّنَ شَهْوَدُهُ مِنْهُ كَانَ الاِسْتِغْثَالُ بِهِ عَنِ ذَلِّ المَعْصِيَةِ أَوْلَى بِهِ وَأَنْفَعُ لَهُ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ

نَفْسِهِ ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ عِزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَقْهُورٌ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ
غَيْرِهِ لَا عِصْمَةَ لَهُ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ وَلَا تَوْفِيقَ لَهُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ فِي
قَبْضَةِ عَزِيزٍ حَمِيدٍ .

وَمِنْ شُهُودِ عِزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْكَمَالَ وَالْحَمْدَ وَالْبُغْنَى
التَّامَّ وَالْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ نَفْسَهُ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالدَّمِ وَالْعَيْبِ وَالظُّلْمِ
وَالْحَاجَةِ وَكُلَّمَا ازدَادَ شُهُودُهُ لِذَلِكَ وَنَقَصَ وَعَيْبِهِ وَفَقْرِهِ ازدَادَ شُهُودُهُ لِعِزَّةِ
اللَّهِ وَكَمَالِهِ وَحَمْدِهِ وَغِنَاهُ وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ فَنَقْصُ الذَّنْبِ وَذِلَّتُهُ يُطْلَعُهُ
عَلَى مَشْهَدِ الْعِزَّةِ .

ومنها أن العبد لا يريد معصية مولاة من حيث هي معصية فاذا شهد
جريان الحكم وجعله فاعلا لما هو مختار ، له مريدا بإرادته ومشيته
واختياره فكأنه مختار غير مختار مريد شئ غير شئ فهذا يشهد عزة الله
وعظمتته وكمال قدرته .

شعرا :

أَحْسِنِ بَرِّبِكَ ظَنًّا إِنَّهُ أَبَدًا يَكْفِي الْمُهَمَّ إِذَا مَا عَزَّ أَوْ تَابَا
لَا تَيَاسَنَّ لِبَابِ سُدِّ فِي طَلَبٍ فَاللَّهُ يَفْتَحُ بَعْدَ الْبَابِ أَبْوَابَا

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ بِرُّهُ سُبْحَانَهُ فِي سِتْرِهِ عَلَيْهِ حَالِ
ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لَفَضَحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَحَذَرُوهُ
وهذا من كمال برِّه ومن أسمايه البرُّ ، وهذا البرُّ من سيده كان عن كمال
غِنَاهِ وَكَمَالِ فَقْرِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْلُ بِمِطَالَعَةِ هَذِهِ الْمِنَّةِ وَمُشَاهَدَةِ هَذَا
الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ فَيَذْهَلُ عَنْ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ فَيَبْقَى مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِجَنَائِيهِ وَشُهُودِ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ فَإِنَّ الْإِسْتِغَالَ
بِاللَّهِ وَالْغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصَدُ الْأَسْنَى .

ومنها شهود جلم الله سبحانه وتعالى في إمهال رَاكِبِ الخَطِيئَةِ مُطلقاً ولو شاءَ لَعَاجَلَهُ بالعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ الحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ فَيُحَدِّثُ لَهُ ذَلِكَ مَعْرِفَةً رَبِّهِ سَبْحَانَهُ بِأَسْمِهِ الحَلِيمِ وَمُشَاهَدَةً صِفَةِ الجِلْمِ والتَّعَبُّدِ بهذا الاسم . والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب الى الله وأصلح للعبد وأنفع من قوتها ، ووجود الملزوم بدون لازمه مُمتنع ومنها معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه إذا اعتذر إليه بنحو ما تقدم من الاعتذار لا بالقدر فإنه مَخَاصِمَةٌ وَمُحَاجَةٌ .

ومنها أن يشهد فضله في مغفرتيه فإن المَغْفِرَةَ فضل من الله وإلا فلو أخذ بمحض حقه كان عادلاً محمُوداً .

وَإِنَّمَا عَفْوُهُ بِفَضْلِهِ لَا بِاسْتِحْقَاقِكَ فَيُوجِبُ ذَلِكَ شُكْرًا وَمَحَبَّةً وَإِنَابَةً إِلَيْهِ وَفَرَحًا وَابْتِهَاجًا بِهِ وَمَعْرِفَةً لَهُ بِأَسْمِهِ العَفَّارِ وَمُشَاهَدَةً لِهَذِهِ الصِّفَةِ وَتَعَبُّدًا بِمُقَضَّاهَا وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي العُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ .
وَمِنْهَا أَنْ يُكْمِلَ لِعَبْدِهِ مَرْتَبَةَ الذُّلِّ وَالخُضُوعِ وَالإِنكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالافتقار إليه .

إِنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا حِكْمًا وَأُورَثْنَا أَفَانِينَ المُوَدَّاتِ
وَهَلْ رَأَيْتَ كَمِثْلِ الدِّينِ مَنَفَعَةً لِلْعَبْدِ تُوصِلُهُ أَعْلَى الكَرَامَاتِ
اللَّهُمَّ أَيَقِظْ قُلُوبَنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا
وَارزُقْنَا المَعْرِفَةَ بِكَ عَن بَصِيرَةٍ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِطَاعَتِكَ
وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(فصل): ومنها أن أسماء الرب تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمُسَبِّبَاتِهَا فاسم السميع البصير يقتضي مُسْمُوعًا وَمُبْصِرًا، واسم الرزاق

يَقْتَضِي مَرْزُوقًا وَاسْمُ الرَّحِيمِ يَقْتَضِي مَرْحُومًا وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ « الْعَفْوِ وَالْعَفْوُ
وَالْتَوَابِ وَالْحَلِيمِ » يَقْتَضِي مَنْ يَغْفِرُ لَهُ وَيَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَعْفُو وَيَحْلُمُ وَيَسْتَجِيبُ
تَعْطِيلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِذْ هِيَ أَسْمَاءُ حُسْنَى وَصِفَاتُ كَمَالٍ وَتُعَوْتُ
جَلَالٍ وَأَفْعَالُ حِكْمَةٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ فَلَا بَدَّ مِنْ ظُهُورِ آثَارِهَا فِي الْعَالَمِ .

وإلى هذا أشار أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث
يقول لو « لم تُذنبوا لذهب الله بكم وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذنبُونَ ثم يَسْتَغْفِرُونَ
فَيَغْفِرُ لَهُمْ » وَأَنْتَ إِذَا فَرَضْتَ الْحَيَوَانَ بِجُمْلَتِهِ مَعْدُومًا فَمَنْ يَرْزُقُ الرِّزَاقُ
سُبْحَانَهُ وَإِذَا فَرَضْتَ الْمَعْصِيَةَ وَالْخَطِيئَةَ مُتَنَفِيَةً عَنِ الْعَالَمِ فَلِمَنْ يَغْفِرُ؟
وَعَمَّنْ يَعْفُو؟ وَعَلَى مَنْ يَتُوبُ وَيَحْلُمُ؟ وَإِذَا فَرَضْتَ الْفَاقَاتِ كُلَّهَا قَدْ
سُدَّتْ وَالْعَبِيدَ أَغْنِيَاءَ مُعَافِينَ فَأَيْنَ السُّؤَالَ وَالتَّضَرُّعَ وَالابْتِهَالَ وَالْإِجَابَةَ
وَشُهُودَ الْمَنَةِ وَالتَّخْصِيصَ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ فَسُبْحَانَ مَنْ تَعَرَّفَ إِلَى خَلْقِهِ
بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّعَرُّفَاتِ وَذَلَّهِمْ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ انْتَهَى .

شعرا :

دَعِ الْمَعَاصِيَ عَنكَ فِي مَعَزَلٍ وَتُبْ إِلَى مَنْ هُوَ نِعْمَ الْغِيَاثُ
فَلَيْسَ يُحِظُّ بِجَدِيدِ الرِّضَا عِبْدٌ عَلَيْهِ حَسَنَاتُ رِثَاثُ
آخِرُ : وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاطِرِأَ فَمَا طَعَمَ أَمْرٌ مِنَ الْمَعَاصِي

آخِرُ : حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَاسِهَا

رَبِّ الْمَنُونِ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

عَجَباً لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً

وَيَفْقِدُ الْإِنْفِ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ

أَفَقَدْ رَضِيَتْ بِأَنْ تُعَلَّلَ بِالْمُنَى

وَإِلَى الْمُنَى كُلِّ يَوْمٍ تُدْفَعُ

لا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبٍ
 دُنِيًّا تُغْرُ بِوَصْلِهَا وَسَتُقَطِّعُ
 أَحْلَامَ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَايِلٍ
 إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 وَتَزَوَّدَنَّ يَوْمَ فَقْرِكَ دَائِمًا
 الْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ تَجْمَعُ
 آخِر :

يَا عَبْدُ كَمْ لَكَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَعْصِيَةٍ
 يَا عَبْدُ لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَقُومُ لَهُ
 إِذَا عَرَضْتُ عَلَى نَفْسِي تَذَكَّرَهَا
 آخِر :

مَا زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَزُبُرُجُ أَهْلِهَا
 وَلَرَبِّ أَقْوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
 وَلَرَبِّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
 وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعِيُونَ قَرِيرَةٌ
 كُلُّ يَدُورٍ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤْمَلًا
 وَالذَّائِمُ الْمَلَكُوتِ رَبٌّ لَمْ يَزَلْ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
 إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامٌ
 وَلْتَمَضِينَ كَمَا مَضَى الْأَقْوَامُ
 أُمْسَى عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَابِ رُكَامٌ
 تَلَهُوا وَتَلَعَبُ بِالْمَنَى وَتَنَامُ
 وَعَلَى الْفَنَاءِ تُدِيرُهُ الْأَيَّامُ
 مَلِكًا تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ

اللهم اعتقنا من رقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ أَسْرِ النَّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا
 وَخَشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
 مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

آخِر : أَقُولُ وَطَرْفِي غَارِقٌ بِدُمُوعِهِ
 فَهَلْ مِنْ ثَلَاثِي سَاعَةٍ أَشْتَفِي بِهَا
 وَأَسْأَلُ مَوْلَايَ الْقَبُولَ لِذَعْوَتِي
 لِمَا قَدْ جَرَى لِي فِي الذُّنُوبِ تَمَادِي
 أَجِدُّ فِيهَا تَوْبَةً بِسَدَادِ
 فَعَايَةَ سُؤْلِي هَذِهِ وَمُرَادِي

آخر : يا أيها الزاهد بالزهد عرّج من الهزل إلى الجسد
فبعد نور الشيب لا يرتجى للمرء إلا ظلمة اللحد
فاحتل من التوبة في أجره إن شئت سكنى جنة الخلد
اللهم يا فالق الحب والنوى ، يا منشىء الأجساد بعد البلى يا مؤي
المنقطين إليه ، يا كافي المتوكلين عليه ، انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت
الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عليك نسألك أن تُمطر محل قلوبنا من
سحاب برك وإحسانك وأن تُوفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك
جواد كريم رؤوف غفور رحيم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

(فصل) وقال رحمه الله للتوبة المقبولة علامات :

منها أن يكون بعد التوبة خيراً مما قبلها ، ومنها أنه لا يزال الخوف
مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول
الرسول إقبض روجه (٤١) : ٣٠ ﴿ أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا
بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ فهذا يزول الخوف .

ومنها انخلاع القلب وتقطع ندماً وخوفاً وهذا على قدر عظم الجنابة
وصغرهما . وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى (٩ : ١١٠) ﴿ لا يزال
بنيائهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ . قال : تقطعها
بالتوبة . ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يُوجب انصداع
القلب وانخلاعه .

وهذا هو تقطعه وهذا حقيقة التوبة لأنه ينقطع قلبه حسرة على ما فرط منه
وخوفاً من سوء عاقبته فمن لم ينقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفاً تقطع
في الآخرة إذا حقت الحقائق وعاین ثواب المطيعين وعقاب العاصين فلا بُد
من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنتك لم تُرصد كما كان أُرصدنا

آخر: وما أقبح التفریط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس شامل
 ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرَكَ أيام تعد قلائل
 آخر : وإذا رزقت من الحلال تجاة فابدل لها في مراضي الله مجتهداً
 ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضاً كسرة خاصة تحصل للقلب لا
 يشبهها شيء ، ولا تكون لغير المذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة ولا
 حب مجرد وإنما هي أمر ، وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدي الرب
 كسرة تامة قد أحاطت به من جميع جهاته وألقت بين يدي ربه طريحاً
 ذليلاً خاشعاً كحال عبد جان أبق من سيده فأخذ فأحضر بين يديه ولم
 يجد من ينجيه من سطوته ولم يجد منه بدأ ولا عنه غناء ولا منه مهرباً
 وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه ، وقد علم إحاطة
 سيده بتفاصيل جنائياته ، هذا مع حبه لسيده وشدة حاجته إليه وعلمه
 بضعفه وعجزه وذله وقوة سيده وعزته . فيجتمع في هذه الأحوال كسرة
 وذل وخضوع ما أنفعها للعبد وما أجدى عائدتها عليه وما أعظم جبره بها
 وما أقربه بها من سيده فليس شيء أحب إلى سيده من هذه الكسرة
 والخضوع والتذل والإخبات والانطراح بين يديه والاستسلام له .

فله ما أحلى قوله في هذه الحال أسألك بعزك وذلي إلا
 رحمتني . أسألك بقوتك وضعفي ، وبغناك عني وفقرني إليك هذه
 ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد
 سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، أسألك مسألة المسكين ،
 وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الحائف الضربير ،
 سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه ، وذل
 لك قلبه .

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة فمن لم يجد ذلك في قلبه

فَلَيْتَهُمْ تَوْبَتَهُ وَلَيَرْجِعَ إِلَى تَصْحِيحِهَا فَمَا أَضْعَبَ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِالْحَقِيقَةِ
وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالذُّعْوَى ، وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنَ
التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَحَقَائِقُ التَّوْبَةِ ثَلَاثَةٌ : وَعَدُّ مِنْهَا اتِّهَامُ التَّوْبَةِ قَالَ : لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِ لَا
يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ أَدَّى هَذَا الْحَقَّ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يُؤَدِّيَهُ عَلَيْهِ ، فَيَخَافُ أَنَّهُ مَا وَفَّاهَا حَقَّهَا وَأَنَّهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَبْذُلْ
جُهِدَهُ فِي صِحَّتِهَا ، وَأَنَّهَا تَوْبَةٌ عِلَّةٌ وَهِيَ لَا يَشْعُرُ بِهَا كَتَّوْبَةِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ
وَالْإِفْلَاسِ وَالْمُحَافِظِينَ عَلَى حَاجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ .

أَوْ أَنَّهُ تَابَ مُحَافِظَةً عَلَى حَالِهِ فَتَابَ لِلْحَالِ لَا خَوْفًا مِنْ ذِي
الْجَلَالِ ، أَوْ أَنَّهُ تَابَ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ مِنَ الْكَيْدِ فِي تَحْصِيلِ الذَّنْبِ أَوْ اتِّقَاءَ مَا
يَخَافُهُ عَلَى عِرْضِهِ وَمَالِهِ وَمَنْصِبِهِ أَوْ لِيُضْعِفَ دَاعِيَ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِهِ وَخُمُودِ
نَارِ شَهْوَتِهِ أَوْ لِمُنَافَاةِ الْمَعْصِيَةِ لِمَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ
الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي كَوْنِ التَّوْبَةِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلِحُرْمَاتِهِ
وَإِجْلَالًا لَهُ وَخَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَهُ وَعَنِ الْبُعْدِ وَالطَّرْدِ عَنْهُ
وَالْحِجَابِ عَنِ رُؤْيِيهِ وَجِهِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لَوْنٌ وَتَوْبَةُ
أَصْحَابِ الْعِلَلِ لَوْنٌ قَالَ :

وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ ضَعْفُ الْعَزِيمَةِ وَالنِّفَاتُ الْقَلْبُ إِلَى الذَّنْبِ الْفَيْئَةِ
بَعْدَ الْفَيْئَةِ وَتَذَكُّرُ حَلَاوَةِ مُوَاقِعَتِهِ . وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ طُمَأْنِينَتُهُ وَوُثُوقُهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ تَابَ حَتَّى كَانَهُ قَدْ أُعْطِيَ مَنْشُورًا بِالْأَمَانِ فَهَذِهِ مِنْ عِلَامَاتِ
التَّهْمَةِ .

وَمِنْ عِلَامَاتِهَا جُمُودُ الْعَيْنِ وَاسْتِمْرَارُ الْغَفْلَةِ وَأَنْ لَا يَسْتَحْدِثَ بَعْدَ
التَّوْبَةِ أَعْمَالًا صَالِحَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ .

شِعْرًا : خُذْ مِنْ شِبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَبَادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرْ زَلَّةَ الْقَدَمِ

فليس بعد حُلُولِ الموتِ مَعْتَبَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ وَعَفْوُ اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ
 آخِرُ: إِحْفَظْ مَشِيْبِكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ إِنَّ الْبِيَّاضَ سَرِيْعَ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) فِي وَصَايَا وَفَوَائِدِ وَمَوَاعِظٍ وَأَذَابِ

أَوْصَى بَعْضُهُمْ، فَقَالَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ بِمَوْضِعٍ بَانَ حَصَلَ مِنْكَ ذَنْبٌ
 فَاعْمَلْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ طَاعَةً كَاسْتِغْفَارٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكَمَا يَشْهَدُ
 عَلَيْكَ يَشْهَدُ لَكَ .

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَانَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ . وَكُلَّمَا
 تَذَكَّرْتَ ذَنْبًا صَدَرَ مِنْكَ فُتْبٌ عَقَبَ ذِكْرَكَ أَيَّاهُ تَوْبَةٌ نَصُوحًا وَأَكْثَرُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .
 قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
 فَاسْتَغْفَرُوا لَذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

إِحْرَاصٌ عَلَى أَنْ تَنْوِيَ فِعْلَ الْخَيْرِ، وَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِشَرٍّ فاعْزِمِ عَلَى
 تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل
 ﴿إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بَانَ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا
 عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا﴾ .

وَإِذَا تَحَدَّثَ بَانَ يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا
 أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَمَا أَوْصَى بِهِ بَعْضُهُمْ قَالَ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا
 وَعَلَى جَنْبِكَ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَفِي الْمَلَا .

قال الله جل وعلا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى

جُنُوبِهِمْ ﴿ . وقال ﴿ والذاكرين الله والذاكرات أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ . وقال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴿ .
 وقال تعالى ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴿ .
شعرا :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا حَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيِّمِينَ يَذْكُرُ
 آخِر : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ دَوْمًا فَإِنَّهُ بِهِ يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ فَالزَّمَهُ تَسْعِدِ
 آخِر : فلا تُبْقِ فِي يَوْمِ السَّلَامَةِ لِحِظَةً تَفَوُّتَكَ لَمْ تَذْكُرْ بِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز
 وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه
 ذكرتة في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرتة في ملأ خير منهم ، وإن تقرب
 إلي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن
 أتاني يمشي أتيتته هرولة » .

أَحْرَصُ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ وَثَابِرٌ عَلَى إِيْتَانِ جَمِيعِ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ مِنَ
 الْأَعْمَالِ وَبِالْأَخْصِ الْأَكْثَارِ مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وأعلم أنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمة
 الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى
 كلمة وما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفهمه
 معناها ووفقه للعمل بمقتضاها وعليك بالقيام بما افترض الله عليك
 وملازمته على الوجه الأكمل الذي أمرك الله جل وعلا أن تقوم فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ ﴿ . وفي حديث سفيان بن
 عبدالله قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً
 غيرك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَأَعْمَلُوا

أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ . وفي رواية للإمام أحمد سَدُّوْا وَقَارِبُوا وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ . وَعَلَيْكَ بِمِرَاعَاةِ أَقْوَالِكَ كَمَا تُرَاعِي أَعْمَالَكَ فَإِنَّ أَقْوَالَكَ مِنْ جَمَلَةِ أَعْمَالِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ واحذَرُ الْإِقَامَةَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَشْجِيْعًا لِلْكَفَّارِ وَإِهَانَةً لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ الْكُفْرِ . نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْفَظَ أَوْلَادَهُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ وَيَنْصَحَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مِنْ قَرَاتِيهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

قال النبي ﷺ « أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَأَى نَارَهُمَا » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ » رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بتفهم وتدبر وتفكر ونظر فيما تتلوهُ إلى ما حَمِدَ فِيهِ مِنَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ عِبَادِهِ فَاتَّصَفَ بِهَا .

وما ذَمَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الصِّفَاتِ فَاجْتَنِبْهَا فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَا أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهَا لَكَ وَعَرَّفَكَ بِهَا إِلَّا لِتَعْمَلَ بِهَا .

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ وَحَضْرَهُ وَفَكْرَ فِيهَا تَتْلُوْهُ وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ فَطَالِعْ مَعْنَاهُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاسْأَلْ أَهْلَ الذِّكْرِ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ تِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ فَأَفْضَلُ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَكُلُّ ذِكْرٍ وَرَدَّ فَضْلُهُ فِي خَبْرٍ أَوْ أَثَرٍ فَهُوَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ فَالْتَّسِيْحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ بَعْدَ التَّلَاوَةِ وَبَعْدَهُنَّ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ ﷺ .

وعليك بمجالسة من تنتفع بمجالسته في دينك من علم تستفيده أو عمل

يكون فيه أو خلق حسن يكون عليه تكسبه من صحبته .
وعليك بالبداذهه فإنها من الإيمان وهي ترك الزينه وعدم الترفه وراثته
الهيئه والرضا بالدون من الثياب لما ورد في الحديث « إن البداذه من الإيمان »
وفي الحديث الآخر « إن الله عز وجل يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس »
وفي الحديث الآخر « ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه أحسبه قال
تواضعاً كساه الله حلة الكرامة » رواه أبو داود .
شعرا :

ومن يرتضي أذنى اللباس تواضعاً سيكسى الثياب العبقريات في غد
آخر : اطلب كفافاً فما في الأرض من أحد نال الكفاف على تقوى وإرشاد
من ملبس وشراب بعد مطعمه في حيث خيم في غور وإنجاد
إلا حوى الفوز في الدنيا وآجلها إذا أعين بنفس شحها زاد
لا تتبع فإن الرزق عن قدر يأتيك طالبه من غير ميعاد
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فائدة عظيمة النفع]

اعلم أن من كان داؤه المعصية ، فشفاؤه الطاعة ، ومن كان داؤه
العقله ، فشفاؤه اليقظة ، ومن كان داؤه كثرة الأشغال ، فشفاؤه في تفرغ
البال .

فمن تفرغ من هموم الدنيا قلبه ، قل تعبته ، وتوفر من العبادة
نصيبه ، واتصل إلى الله مسيره ، وارتفع في الجنة مصيره ، وتمكن من الذكر
والفكر والورع والزهد والاحتباس من وساوس الشيطان ، وغوائل النفس .
ومن كثر في الدنيا هممه ، أظلم طريقه ، ونصب بدنه ، وضاع وقته ،
وتشتت شمله ، وطاش عقله ، وانعقد لسانه عن الذكر ، لكثرة همومه

وغمومه ، وصار مُقَيِّدَ الجوارح عن الطاعة ، من قلبه في كل وادٍ شُعبَة ،
ومن عُمره لكلِ شغلِ حصّة .

فاستعد بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن
الرب فهو مشثوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر
والطاعة ، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفاء في الإنابة
والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً هناك عن شرب الماء البارد لأجل مَرَضٍ
في جَسَدِكَ لأطعته في ترك ما هناك عنه ، وأنت تعلم أن الطبيب قد يَصْدُقُ
وقد يكذب وقد يُصِيبُ وقد يُخْطِئُ وقد يَنْصَحُ وقد يَغْشُ ، فما بالك لا تترك
ما هناك عنه أنصحُ الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لِأَجْلِ
مَرَضِ القلب الذي إذا لم تشف منه فانت من أهلكِ الهالكين .

تَبْغِي الوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيمَا رُمْتَ مَعْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أُبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا هَذَا فِي سَيْرِهِمْ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ
يَا مُدْعِي الحُبِّ فِي شَرِّعِ العَرَامِ وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ لَكِنَّهَا زُورٌ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورٌ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبَّتْ مِنْ كَمَدٍ مَا لِلجِرَاحِ بِجِسْمِ المَيِّتِ تَأْثِيرٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
اللهم إنا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطاهرِ الطيبِ المَبَارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الذي إذا
دُعِيتَ به أُجِبْتَ ، وإذا سُئِلْتَ به أُعْطِيتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ ،
وإذا اسْتَفْرَجْتَ به فَرَّجْتَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَبَّحَهُ أَجْمَعِينَ .

(١) موعظة

كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى وَلَدِهِ الحُسَيْنِ مِنْ عَبْدِ اللهِ

عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَالِدِ الْفَانِي الذَّمَّ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى ، إِلَى
الْوَالِدِ الْمُؤْمِلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةَ الْأَسْقَامِ
وَرَهِينَةَ الْأَيَّامِ وَأَسِيرُ الْمَنِيَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيحُ الشَّهَوَاتِ وَنُصْبُ الْآفَاتِ
وَخَلِيفَةُ الْأُمُوتِ .

يَا بُنَيَّ إِنْ بَقِيتُ أَوْ فَنِيتُ فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ
قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَلَا عَتِصَامَ بِحَبْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ وَأَيُّ سَبَبٍ يَا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أَحْبَبِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ وَقَوِّهِ بِالزُّهْدِ وَذَلِّلْهُ بِالْمَوْتِ وَقَرِّهِ
بِالْفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَتَقَلِّبْ اللَّيَالِي .

وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَسِرِّي فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فَانظُرْ مَا فَعَلُوا
وَأَيْنَ حَلُّوا فَأَنْكَرْ مَجْدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُّوا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ وَنَزَلُوا دَارَ الْغُرْبَةِ .

شِعْرًا: سَلِ الْأَيَّامَ مَا فَعَلْتَ بِكِسْرِيٍّ وَقَيْصَرَ وَالْقُصُورَ وَسَاكِنَيْهَا
أَمَا اسْتَدْعَتْهُمْ لِلْمُوتِ طُرًّا فَلَمْ تَدْعِ الْحَلِيمَ وَلَا السَّفِيهَ
دَتَّتْ نَحْوَ الدَّنِيِّ بِسَهْمِ خَطْبٍ فَأَصْمَتُهُ وَلَمْ تَدْعِ الْوَجِيهَ
أَمَا لَوْ بِيَعَتِ الدُّنْيَا بِفِلْسٍ أَنْفَتُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَشْتَرِيَهَا

وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ يَا بُنَيَّ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَبِعْ دُنْيَاكَ بِأَخْرَتِكَ وَلَا
تَبِعْ أَخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْأَمْرَ فِيمَا لَا تُكَلِّفُ وَمُرَّ
بِالْمَعْرُوفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَتَبَايُنَ
مَنْ فَعَلَهُ .

وَخَضْ الْغَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَاحْفَظْ

وَصِيَّتِي فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ حُسْنِ الْارْتِيَادِ
مَعَ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ .

فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عَنْكَ زَادَكَ فَيُؤَافِيكَ بِهِ فِي
مَعَادِكَ فَاعْتَنِمُهُ فَإِنَّ أَمَامَكَ عَقِبَةٌ كَثُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخْفُ النَّاسِ حِمْلًا .

وَأَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ وَأَحْسِنُ فِي الْمَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ
وَإِنَّمَا الْمَحْرُوبُ مِنْ حَرْبٍ دِينُهُ وَالْمَسْلُوبُ مِنْ سُلْبٍ يَقِينُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى
يَعْدِلُ الْجَنَّةَ وَلَا فِقْرٌ يَعْدِلُ النَّارَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا غِنَى يَعْدِلُ رِضَى اللَّهِ وَلَا فِقْرٌ يَعْدِلُ سَخَطُهُ . قَالَ النَّاطِمُ :
وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ وَالرَّجَا عَامِلًا لِمَا تَذَكَّرُ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَثُبُّ لَهَا
وَبَادِرٌ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلِقُ بَابَهُ فَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ تَوْبَةٌ
وَلَا تَجْعَلِ الْآمَالَ حِصْنًا فَإِنَّهَا فَبَيْنَا هُوَ مُعْتَرَا يُفَاجِئُهُ الرَّدَى
وَتَوْبَةٌ حَقُّ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُ الْفَتَى وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُوجِبُ الْحَدَّ ظَاهِرًا
وَإِنْ تَابَ مِنْ غَضَبٍ فَيُشْرَطُ رَدُّهُ وَمِنْ حَدِّ قَذْفٍ أَوْ قِصَاصٍ مَتَابُهُ
وَتَحْلِيلُ مَظْلُومٍ مَتَابٌ لِتَادِمٍ تَدَارِكُ عُذْوَانَ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ
لِلَّهِ دَرَّ قَوْمٌ بَادِرُوا الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَدْرَكُوا الْهَفَوَاتِ ، فَالْعَيْنُ مَشْغُولَةٌ بِالذَّمْعِ
عَنِ الْحَرَمَاتِ ، وَاللِّسَانُ مَحْبُوسٌ فِي سِجْنِ الصَّمْتِ عَنِ الْهَلَكَاتِ ، وَالْكَلْبُ قَدْ
كَفَّتْ بِالْخَوْفِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْقَدَمُ قَدْ قِيدَتْ بِقَيْدِ الْحَاسَبَاتِ .

والليلَ لَدَيْهِمْ يَجَارُونَ فِيهِ بِالْأَصْوَاتِ، فَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ فَقَطَعُوهُ بِمُقَاطَعَةِ
اللذاتِ، فَكَمِ مِنْ شَهْوَةٍ مَا بَلَّغُوهَا حَتَّى الْمَمَاتِ .

فَتَقِظْ لِلْحَاقِقِهِمْ مِنْ هَذِهِ الرَّقَدَاتِ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي الْخَلَاصِ مَعَ عَدَمِ
الإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَاتِ، وَلَا تُؤْمَلَنَّ النِّجَاةَ وَأَنْتِ مَقِيمَةٌ عَلَى الْمَوْبَقَاتِ . قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ آخَرْتَهُمْ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَقَالَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِيِّينَ﴾ .

شُعْرًا: أَقْنَيْتِ عُمْرَكَ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ وَالكَاتِبُ الْمُحْصِي عَلَيْكَ شَهِيدٌ
كَمْ قُلْتَ لَسْتُ بِعَائِدٍ فِي سَوْءَةٍ
حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنِ لَذَّةِ
وَكَاثِبِي بِكَ قَدْ أَتَتْكَ مَنِيَّةٌ

شُعْرًا: أَحْيَى قَدْ طَالَ لُبُّكَ فِي الْفَسَادِ
صَبَا مِنْكَ الْفُؤَادُ فَلَمْ تَزْعُهُ
وَقَادَتْكَ الْمَعَاصِي حَيْثُ شَاءَتْ
لَقَدْ نُودِيتِ لِلتَّرْحَالِ فَاسْمَعِ
كَفَاكَ مَشِيْبُ رَأْسِكَ مِنْ نَذِيرِ
وَبِئْسَ الزَّادُ زَادُكَ لِلْمَعَادِ
وَجَدْتَ إِلَى مُتَابَعَةِ الْفُؤَادِ
وَالْفَتْكَ أَمْرًا سَلِسَ الْقِيَادِ
وَلَا تَتَّصِمَنَّ عَنِ الْمُنَادِي
وَعَالِبَ لَوْهُ لَوْنُ السَّوَادِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
وَفِي الْآخِرَةِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ إِيْمَانَنَا بِكَ عَمِيقًا وَسَهْلًا لَنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ طَرِيقًا وَالطَّفَّ بِنَا
يَا مَوْلَانَا وَوَفَّقْنَا لِلْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تَوْفِيقًا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فَصَلِّ) فِيمَا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ ارْتِكَابِهِ

قال ابن الجوزي رحمه الله : المسلمون المغترون طبقات :

الطبقة الأولى (طبقة العلماء) : وهم قوم أحكموا العلم وتركوا العمل به ظناً منهم أنهم قد حفظوا الشريعة فلهم عند الله قدر ، ولو حققوا النظر ، لعلموا أن العلم لا يراد إلا للعمل وكأنهم يزيدون من الحجة عليهم .

ومنهم قوم أحكموا العلم والعمل إلا أنهم لم يصلحوا الصفات الباطنة المذمومة من الكبر والحسد والرياء ولم يدروا أن هذه شغل تعمل في بيت القلب فتحرق بواطن المعرفة .

قلت وهؤلاء كمريض ظهر به جروح أصلها في الباطن فأمر الطبيب من به ذلك أن يغسل الظاهر بدواء وأمره بشرب دواء آخر لما نشأ عنه الظاهر فاستعمل ما للظاهر وترك ما للباطن فأزال مؤقتاً ما بظاهره وأما ما في باطنه فعلى حاله .

فلو شرب ما للباطن من الدواء برىء الظاهر إذا أراد الله واستراح ظاهره وباطنه فكذلك الذنوب والمعاصي إذا اختفت في القلب ظهر أثرها على جوارح الإنسان .

ومن العلماء قوم سلّموا من هذه الآفات ، لكنهم في خدمة الهوى من حيث لا يعلمون فهم يصنّفون ويتكلمون ومراذهم ذكرهم بذلك ومدحهم وكثرة اتباعهم وهذه الآفة من خبايا النفوس لا يفتن لها إلا الأكياس من الناس .

الطبقة الثانية (طبقة العبّاد) : فمنهم من حققوا التّعبّد إلا أنه يرى نفسه فهو مغرور بذلك ومنهم من ترك كثيراً من الفرائض شغلاً بالنوافل فمنهم من يدرّكه الوسواس في نيّة الصلاة ثم يترك قلبه في باقيها يسرح في الغفلات .

ومنهم من يكثر التلاوة ولا يعمل بما يتلو ، ومنهم من يصوم ولا يتحفظ

مِنْ غَيْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْحَيْجِّ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَظَالِمِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي نَفَقَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجَاوِرُ بِمَكَّةَ وَيَنْسَى الْحُرْمَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ . قَلْتُ وَأَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ .

ومِنْهُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الْمَالِ وَهُوَ رَاغِبٌ فِي الرِّيَاسَةِ بِالزُّهْدِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الْفُقَرَاءِ فِي صُورِ ثِيَابِهِمْ وَمُرَقَعَاتِهِمْ وَيَتْرِكُ أَخْلَاقَهُمُ الْبَاطِنَةَ ، فَيَشْبَعُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَنَامُ اللَّيْلَ وَلَا يَعْرِفُ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ .

قَلْتُ وَهَؤُلَاءِ غُرُورُهُمْ عَظِيمٌ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَهُمْ مُخْلِصُونَ ، وَلَا وَقَفُوا عَلَى خَبَايَا النَّفْسِ إِلَّا وَهُمْ مُتَزَهِّونَ ، وَهُمْ أَحَبُّ فِي الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُظْهِرُونَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لِشِدَّةِ حَرِيصِهِمْ عَلَيْهَا وَقُوَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِيهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ فَيَمُنُ يُظْهِرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَيْهَا :

أُظْهِرُوا لِلنَّاسِ زُهْدًا وَعَلَى الدُّيَّارِ دَارُوا
وَلَهُ صَلَّوْا وَصَامُوا وَلَهُ حَاجُوا وَزَارُوا
لَوْ يَرَى فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رِيْشٌ لَطَارُوا

يُحْتَشُونَ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَهُمْ غَيْرُ مُخْلِصِينَ وَيُظْهِرُونَ الدُّعَاءَ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ مِنْهُ فَارُونَ وَيُخَوِّفُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ آمِنُونَ . وَيُذَكِّرُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ لَهُ نَاسُونَ ، وَيُحْتَشُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسَّنَةِ بِالدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَهُمْ لَهَا نَابِذُونَ وَيَذَمُّونَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ وَهُمْ بِهَا مُتَّصِفُونَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ أَسْمَاعَهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقولُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . وقولُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَمَّا قَالَ شُعَيْبُ

﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ ووردَ عن ابنِ عباسٍ أنه جاءه رجلٌ فقال : إني أريد أن أمرَ بالمعروفِ وأنهى عن المنكرِ . قال أبلغتَ ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إن لم تخش أن تفتضح بثلاثِ آياتٍ من كتابِ الله فافعلْ يشيرُ ابنُ عباسٍ إلى الآياتِ المتقدمة .

الطبقةُ الثالثةُ : « أربابُ الأموالِ » فمنهم قومٌ يحرصون على بناءِ المساجدِ والمدارسِ ويكتبون أسماءهم عليها ليتخلد ذكْرهم ومن أراد وجهَ الله لم يُبالِ بذكر الخلقِ وهؤلاء قال بعضُ العلماءِ : إنهم اغتروا من وجهين : أحدهما أنهم اكتسبوا من الظلمِ والشبهاتِ والرشاءِ والجهاتِ المحظورةِ فهؤلاء تعرّضوا لسخطِ الله في كسبها فإذا غصوا الله في كسبها فالواجبُ عليهم التوبةُ وردُّ الأموالِ إلى أربابها إن كانوا أحياءً وإلى ورثتهم إن كانوا أمواتاً ، وإن لم يبقَ لهم ورثةٌ فالواجبُ عليهم أن يصرّفوها في أهمّ المصالحِ وربما يكون الأهمُّ تفرقتها على المساكينِ .

والوجهُ الثاني : أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاصَ وقصدَ الخيرِ في الانفاقِ وعلوِ الأبنيةِ . ولو كلفَ واحدٌ منهم أن يُنفقَ ديناراً على مسكينٍ لم تسمعَ نفسه بذلك ، لأنَّ حُبَّ المدحِ والثناءِ مُستكينٌ في باطنه .

ومنهم قومٌ يتصدّقون ولكن في المحافلِ ويُعطون من عادته الشكرُ وافشاء المعروفِ .

ومنهم من يُكثرُ الحجَّ وربما تركَ جيرانه جباعاً .

ومنهم قومٌ يجمعون المالَ ويحفلون بإخراجه ، ثم يشتغلون بالعباداتِ البدنيّةِ التي لا تحتاج إلى نفقةٍ كالصيامِ والصلاةِ ، ولا يدرون أن جهادَ النفسِ في البخلِ المهلكُ أولى .

شِعراً: لقد خابَ من غرته دُنياً دنيّةً وما هي أن غرث قروناً باطائلِ

أُتْنَا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بِبَيْنَةِ
فَقُلْتُ لَهَا غُرِّي سِوَايَ فَإِنِّي
وَهَبَهَا أُتْنَا بِالْكُنُوزِ وَدُرِّهَا
الْيَسَّ جَمِيعاً لِلْفَنَاءِ مَصِيرُهَا
فَغُرِّي سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبٍ
وَقَدْ قَنَعْتُ نَفْسِي بِمَا قَدْ رُزِقْتُهُ
فَأِنِّي أَخَافُ اللَّهَ يَوْمَ لِقَائِهِ
وَزِينَتِهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ
عَزُوفٍ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ
وَأَمْوَالِ قَارُونَ وَمُلْكِ الْقَبَائِلِ
وَيُطْلَبُ مِنْ خُزَانِهَا بِالطَّوَائِلِ
لِمَا فِيكَ مِنْ غَيْرِ وَمُلْكِ وَنَائِلِ
فَشَأْنِكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ الْعَوَائِلِ
وَأُحْشَى عِقَاباً دَائِماً غَيْرَ زَائِلِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ، وَأَدْخِلْنَا
فَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَتَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(٢) **موعظة** : إعلم يا بُنَيَّ وَقَفَّكَ اللَّهُ لِلصَّوَابِ أَنَّهُ لَمْ يَتَمِيزِ الْآدَمِيَّ
بِالْعَقْلِ إِلَّا لِيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ ، فَاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ ، وَأَعْمَلْ فِكْرَكَ ، وَاخْلُ
بِنَفْسِكَ تَعَلَّمْ بِالذَّلِيلِ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ ، وَأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالِبٌ
بِهَا .

وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُحْصِيَانِ أَلْفَاظَكَ وَنَظَرَاتِكَ ، وَأَنَّ أَنْفَاسَ الْحَيِّ حُطَّاهُ إِلَى
أَجَلِهِ ، وَمِقْدَارُ اللَّبِّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالْحَبْسُ فِي الْقُبُورِ طَوِيلٌ ، وَالْعَذَابُ عَلَى
مُوَافَقَةِ الْهَوَى وَيِيلُ .

فَأَيْنَ لَذَّةُ أُمْسٍ؟! رَحَلَتْ وَأُبْقَتْ نَدْمًا ، وَأَيْنَ شَهْوَةُ النَّفْسِ؟ كَمْ نَكَّسَتْ
رَأْسًا ، وَرَلَّتْ قَدَمًا ، وَمَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بِخِلَافِ هَوَاهُ ، وَلَا شَقِيَ مَنْ
شَقِيَ إِلَّا بِإِثَارِ دُنْيَاهُ .

فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد ، أين لذة هولاءٍ وأين تعب أولئك ؟ بقي الثواب الجزيل ، والذكر الجميل للصالحين ، والمقالة القبيحة والعقاب الويل للعاصين .

وكأنه ما جاع من جاع ولا شبع من شبع ، وأعلم أن الكسل عن الفضائل يمس الرفيق ، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة ، فاتبه راعب لنفسك .

واعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين ، ثم الفضائل تتفاوت ، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا ، ومنهم من يراها التشاغل بالتعب ، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل .

شِعْرًا: حَيَاةُ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى إِذَا نَمَّ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ كَأْسَ الذُّلِّ طَوَّلَ حَيَاتِهِ

فوائده: من حكم أمير المؤمنين على كرم الله وجهه: العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق ، بالعلم يكسب الإنسان الطاعة في حياته ، وجميل الأحداث بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه

فاذا حصلنا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه ، فتلك الغاية المقصودة ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وليس كل ما يريد مراداً ولا كل طالب واجداً ، ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان .

يَا خَالِقِي عَبْدَكَ الْخَاطِي الْحَزِينُ لَقَدْ
مَسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا
أَتَاكَ مَنكَسِرًا فَاجْبُرْ لِمَنكَسِرِ
بِعَفْوِكَ الْجَمِّ يَا رَحْمَنُ لَا تَذِرْ
بَيْنَ النَّوَابِ وَالْأَسْدَامِ وَالْغَيْرِ
فَلَا تَدْعُنِي مَلِكَ الْعَرْشِ مُطَّرِحًا

حَسْبِي لَدَى الْمُوبِقَاتِ الصُّمِّ أَنْتَ فَلَا
عَلَيْكَ يَا ذَا الْعَطَا وَالْمَنِّ مُعْتَمِدِي
فَاغْفِرْ وَأَكْرِمْ عُبِيداً مَالَهُ عَمَلٌ
لَكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَدْ
فِي رَحْمَتِ عَلَى مَنْ جَاءَ مُفْتَقِراً
وَإِنْ تُعَذِّبْ فإني أَهْلُ ذَاكَ وَذَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْخَلِيقَةِ مَنْ
وَالِهِ الطَّيِّبِينَ الطُّهْرَةَ قَاطِبَةً
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ النَّبَاتُ بِهَا

نَرْجُو سِوَاكَ لِئَلَّا السُّؤْلِ وَالْوَضْرِ
فِي كِبَلِ خَطْبِ أَمِي بِالْغَيْرِ وَالضَّرْرِ
مِنَ الصَّوَالِحِ يَا رَحْمَنُ فِي الْعُمْرِ
أَتَاكَ مُسْتَغْفِراً يَخْشَى مِنَ السَّقْرِ
فَأَنْتَ أَهْلٌ بِهِ يَارَبُّ فَاغْفِرْ
عَدْلٌ قَوِيماً بِلَا لَوْمٍ وَلَا نَكْرِ
كَفَاهُ مُعْجِزَةً الشَّقِّ فِي الْقَمْرِ
وَصَحْبِهِ الْمَكْرَمِينَ السَّادَةَ الْغُرَرَ
وَمَا تَغْنَّتْ حَمَامُ الْأَيْكِ فِي السَّحْرِ

فائدة: قال أحد العلماء رأيت كثيراً ما يُزَيْنُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَيَّامَ الْأَخْتِبَارِ قِرَاءَةَ مَا
لَيْسَ مُطَالِباً بِهِ فِي الْإِخْتِبَارِ، وَهَذَا مِنْ مَرَضِ النَّفْسِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ تَضْعِيفاً
لِلْهَيْمَةِ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الْمُطَالِبَ بِهِ فِيهِ تَكْلِيفٌ وَالزَّامُ وَتَحْمُلٌ وَأَدَاءٌ، فَهُوَ
ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ الْوَانِيَةِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي لَمْ يُطَالَبَ بِهِ لَا تَكْلِيفَ بِهِ فَهُوَ خَفِيفٌ
عَلَى النَّفْسِ وَهَذَا مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَسَرِقَةِ الشَّيْطَانِ لَهُ لِأَنَّهُ إِتْرَافٌ عَنِ
الصَّوَابِ النَّافِعِ.

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو اصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوِّ فَوْقَ
مَا نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ
تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا
يَارَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا رَحِمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الفصل الثامن: الطبقة الرابعة طبقة العوام وغرورهم من وجوه: فمنهم من
يُصَلِّي كَيْفَمَا اتَّفَقَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يُصْلِحُ الصَّلَاةَ وَمَا يُفْسِدُهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ

يَواظِبَ على النوافِلِ كالترَوايحِ ، ولا تَكاذُبُ تَجدُهُ في صَلاةِ الجَماعَةِ ، ومنهم مَن يَلازمُ مَجالِسَ الوَعظِ ولا يَعمَلُ بما يَسمَعُ ولا يَنتَهي عن قَبيحِ ما يَأُتِي ، كانَ المَقصودَ الحُضورَ فقط . قُلْتُ : لأنَّ مَجالِسَ الذِكرِ والإرشادِ إِنما تُفيدُ لِكُونِها مُرغِبَةً في الخَيرِ وباعِثَةً في الغالبِ عليه فإنَّ لَمَ يَنشَأُ عنها ذَلِكَ فلا خَيرَ فيها وَصِفَةُ هؤلاءِ كما قال بعضُ العُلَماءِ : كَمِثْلِ مريضٍ يَحضُرُ مَجالِسَ الأَطباءِ وَيَسمَعُ منهم ما يَصِفونَهُ مِنَ الأَدويةِ ولا يَفعلُها ولا يَشْتَعِلُ بها فَأَيُّ فائِدَةٍ يَحصلُ عليها .

فَكُلْ وَعَظْ لا يُغَيِّرُ مِنكَ صِفةً تَتَغَيَّرُ بها أفعالُكَ حتى تُقبِلَ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وتُعْرِضُ عن الدُنيا وتُقبِلُ إِقبالاً قَويّاً ، فإنَّ لَمَ تَفعلُ فَذلكَ كانَ زيادَةَ حُجَّةٍ عَلَيْكَ ، وهذا غُرورٌ عَظيمٌ .

ومنهم مَن يَتَنَفَّلُ بالعباداتِ وَيُهْمِلُ الفرائضَ .

ومنهم مَن يَتَطَوَّعُ بالخَيرِ وَيُكثِرُ التَسبيحَ مَعَ مَعامَلَتِهِ بالرِّبَا واسْتِعمالِ الغِشِّ ، وَرُبَما صاحَ على وَالِدِيهِ وَأَخَذَ أَعراضَ الناسِ ، وَجُمهورُ الناسِ قد أَتَكلوا على العَفوَ والحلمِ فَهُمُ مُصِرُّونَ على ذُنُوبٍ وَخطايا فإذا ذَكَرْتُ لَهُمُ العُقُوبَةَ قالوا : هو كَريمٌ وَيَنسَوْنَ أَنه شَديدُ العِقابِ ، ومنهم أَقوامٌ يَسْتَعجِلُونَ المَعْصِيَةَ مُوافِقَةً لِلهَوَى وَيُضْمِرُونَ أَننا سَتُوبُ وَيُسَوِّفُونَ بالتُوبَةِ ، وَمِنَ العُصاةِ مَن يَغْتَرُّ بِفَعْلِ خَيرٍ فربما تَصَدَّقَ أو سَبَّحَ وَظَنَّ أَنَّ هذا يُقاومُ ذُنُوبَهُ .

وَيَنسى ما حَصلَ مِنْهُ مِنَ الغِيبَةِ والكَذِبِ والرِّياءِ وغيرِ ذلكَ مِنَ المَعْاصِي التي تَقْضي على الحَسَناتِ التي أمثالُ الجبالِ .

وَمِنَ المَغْتَرِّينَ مَن يَغُرُّهُ صَلاحُ آبائِهِ وَربما قالَ : أبِي يَشْفَعُ لي ولا يَدري أَنَّ أباهُ فَضِّلَ بالتَقوى وكانَ مَعَ التَقوى خائِفاً ؟ وَمِنَ أَيْنَ لَهُ أَن يَشْفَعَ

لَهُ ، أَوْ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ .

وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ ابْنَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَغْرَقَ اللَّهُ ابْنَهُ مَعَ الْمُغْرَقِينَ .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« يَا فَاطِمَةُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » فَالْعَاقِلُ مِنْ عَمَلٍ عَلَى الْجِرْصِ
وَأَخَذَ بِالْأَحْوِطِ فَمَنْ تَأَمَّلَ الْعِلْمَ وَتَصَفَّحَهُ وَشَاوَرَ الْعَقْلَ دَلَّهُ عَلَى الْحَزْمِ
فَسَلِمَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَطَبَقَةٌ أُخْرَى أَكْبَرُوا عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرَكَوْا تَدْبِيرَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ ،
وَرُبَّمَا خَتَمُوهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالسِّنْتِهِمْ ، أَمَا قُلُوبُهُمْ فَهِيَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا تَرْدُدُ ،
وَلَا تَتَّفَكَّرُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِتَنْزَجِرَ بِزَوَاجِرِهِ وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِهِ وَتَقِفَ عِنْدَ أَوَامِرِهِ
وَنَوَاهِيهِ وَتَعْتَبِرَ بِمَوَاضِعِ الْإِعْتِبَارِ . فَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا عِدَّةَ مَرَاتٍ
وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ .

وَطَبَقَةٌ اغْتَرُّوا وَأَكْثَرُوا الصِّيَامَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ
الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالتَّمَلُّقِ عِنْدَ الْفُسَاقِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ وَلَا يَعْرِفُونَ
الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ وَلَا يَحْفَظُونَ بُطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَلَا أَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ
الْمُحَرَّمِ وَلَا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَقُومُونَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ
وَيَأْمُرُونَهُمْ .

وَطَبَقَةٌ أُخْرَى أَكْثَرَتْ مِنْ نَوَافِلِ الْحَجِّ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ مِنَ الْمَظَالِمِ
وَقَضَاءِ الدِّيُونِ وَاسْتِرْضَاءِ الْوَالِدِينَ وَلَا طَلَبُوا لِذَلِكَ الزَّادَ الْحَلَالَ وَرُبَّمَا
ضَيَّعُوا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ أَوْ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَا يُسَالُونَ
بِالنَّجَاسَاتِ ، وَرُبَّمَا كَانَ نَفَقَةُ أَحَدِهِمْ حَرَامًا كُلُّهُ هَرَوْرُقًا وَرُقَاقُوهُ ، وَرُبَّمَا كَانَ

مُرَاتِباً فِي إِنْفَاقِهِ فَيَعِصِي اللَّهَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ أَوْلاً وَفِي إِنْفَاقِهِ لِلرِّبَاءِ ثَانِياً
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْغُرُورِ . وَفِرْقَةٌ أَخَذَتْ فِي طَرِيقِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَارْتِشَادِ
الْخَلْقِ وَأَنْكَرُوا عَلَى النَّاسِ وَتَرَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَمَنْ يَخْشَوْنَهُمْ أَوْ
يَرْجُونَهُمْ . وَفِرْقَةٌ أُخْرَى غَلَبَ عَلَيْهَا الْبُخْلُ فَلَا تَسْمَحُ نَفْسُهُمْ بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ
كَامِلَةً مُكَمَّلَةً يُخْرِجُ مِقْدَارَ رُبْعِهَا فَقَطْ وَيَتَأَوَّلُ الْبَاقِي وَيَعِدُّ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ فَقِيراً
أَعْطَاهُ وَيَرَى أَنَّ مَا يَدْفَعُهُ إِذَا تَقَدَّمَ فَقِيراً فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَأَعْطَاهُ كَافِياً وَرُبَّمَا
كَانَتْ زَكَاتُهُ عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ مَثَابٍ مِنَ الرِّيَالَاتِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْغُرُورِ .
قُلْتُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْفَعُ زَكَاتَهُ إِلَى مَنْ يَخْدُمُهُ أَوْ يَخْدُمُ أَهْلَهُ وَهَذَا خَطَأً
فَائِتِبَةً وَنَبْهَةً فَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ وَقَايَةً لِمَالِهِ وَلَيْسَ زَكَاةً وَلَا يَخْفَى إِلَّا عَلَى مَنْ
عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْبُخْلُ وَالشُّحُ .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِ حَزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَآمِنًا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: المَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنًا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمِئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَاتِ
أَيْنَ الْأَجْبَةُ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَاتِ
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرِ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَاتِ
تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرَمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرِّ وَالْمِنَنَاتِ
حَسَبُ الْجِمَامِ لَوْ آبَقَاهُمْ وَأَمَهَلَهُمْ أَلَا يَظُنُّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَاتِ
اللَّهُمَّ أَظَلْنَا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إِلَّا وَجْهُكَ

وَأَسْقِنَا مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ شَرْبَةً هَنِئَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا حَتَّى نَدْخُلَ الْجَنَّةَ ،
 اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : خطب عمرُ بنُ عبد العزيز آخرَ خطبةٍ خطبها فقالَ فيها : أما
 بعدُ : « إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولكن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً ينزلُ اللهُ
 فيه للفصل بين عبادِهِ ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت
 كل شيءٍ وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألا ترون أنكم في أسلاب
 الهالكين ، وسيرتها بعدكم الباقون كذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين ، وفي
 كل يوم تُشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قضي نحبهِ وانقضى أجله فتدعونهُ في
 صدعٍ من الأرض غير مؤسِّد ولا مُمهِّد ، قد خلَعَ الأسباب ، وفارق
 الأحاب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، غنياً عما خلَّف ، فقيراً إلى ما
 أسلف ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مَواقِيتِهِ ، وإني لأقول لكم هذه
 المقالة وما أعلم عند أحدٍ من الذنوبِ أكثر مما أعلمُ عندي ، ولكن استغفرُ الله
 وأتوبُ إليه ، ثم رفع طرفَ رِدايهِ وبكى حتى شهقَ ثم نزل ، فما عادَ إلى المنبرِ
 بعدها حتى ماتَ رحمةُ اللهِ عليه .

شِعْرًا: وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
 وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدُ
 وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبُ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ

آخر :

أَتَبَكِّي لِهَذَا الْمَوْتِ أَمْ أَنْتَ عَارِفُ بِمَنْزِلَةِ تَبَقَى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
 كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ فِي اللَّحْدِ وَالقَرَى فَتَلَقَى كَمَا لَأَقَى الْقُرُونُ السُّوَالِفُ
 أَرَى الْمَوْتَ قَدْ أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِي مَضَتْ فَلَمْ يَبْقَ ذُو الْإِفِّ وَلَمْ يَبْقَ الْإِفُّ

كَانَ الْفَتَى لَمْ يَعْنِ فِي النَّاسِ سَاعَةً
 وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُصْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ
 وَغُودِرَ فِي لَحْدِ كَرِيهِ حُلُولُهُ
 يَقُلُّ الْغَنَى عَنْ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالثَّرَى
 وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ
 إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ
 إِذَا عُصِبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
 فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَآخِرُ هَاتِفُ
 وَتُعْقَدُ مِنْ لَبِنِ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
 بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الذُّوَارِفُ
 وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفُ
 وَهَيْجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمُ فَرِّغْنَا لِمَا
 خَلَقْتَنَا لَهُ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ يَوْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَيَرْضَى
 بِقَضَائِكَ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا،
 وَلَا تُثْمِثْ بِنَا أَحَدًا. اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
 عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

فصل في العلم وفضله

العلمُ صفةٌ يُمَيِّزُ الْمُتَّصِفُ بِهَا تَمِيزًا جَازِمًا مُطَابِقًا، وَقِيلَ هُوَ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ
 بِحَقِيقَتِهِ، وَالْعِلْمُ فَضْلُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا اكْتَسَبَهُ
 الْإِنْسَانُ وَأَشْرَفُ مُنْتَسِبٍ وَأَنْفَسُ ذَخِيرَةٍ تُقْتَنَى وَأَطْيَبُ ثَمَرَةٍ تُجْتَنَى، بِهِ
 يُتَوَصَّلُ إِلَى الْحَقَائِقِ وَإِذَا عَمِلَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ أُدْرِكَ رِضَا
 الْخَالِقِ.

وَالْعِلْمُ لَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَلَا

يَضِيعُ صَاحِبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَفْتَقِرُ كَاسِبُ الْعِلْمِ وَلَا يَخِيبُ طَالِبُهُ وَلَا تَنْحَطُّ مَرَاتِبُهُ مَا دَامَ مُطَبِّقًا لِعِلْمِهِ بِالْعَمَلِ وَلَا يَجْهَلُ شَرَفَ الْعِلْمِ إِلَّا الْجَاهِلُ لِقُصُورِ فَهْمِهِ عَنِ عَظِيمِ مَنَافِعِهِ وَكَرِيمِ مَوَاقِفِهِ ، وَحَامِلُهُ الصَّائِنُ لَهُ عَنِ الْأَذْنَانِ عَزِيزٌ عِنْدَ النَّاسِ إِنْ قَالَ فَكَلَامُهُ مَرْمُوقٌ بِعَيْنِ التَّقْدِيرِ وَإِنْ أَمَرَ فَامْرُهُ مَسْمُوعٌ .

وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ نُورٌ زَاهِرٌ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَقُوَّةٌ هَنِيئَةٌ لِمَنْ تَقَوَّتْ بِهِ تَرْتَاحُ بِهِ الْأَنْفُسُ إِذْ هُوَ غِذَاءُهَا وَتَفْرَحُ بِهِ الْأَفئِدَةُ إِذْ هُوَ قُوَاهَا
شعرا :

أَجَلٌ مَا يُبْتَغَى دَوْمًا وَيُكْتَسَبُ وَيُقْتَنَى مِنْ حُلَى الدُّنْيَا وَيُنْتَحَبُ
عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عِلْمٌ التُّفْعُ قَدْ رُفِعَتْ لِمَنْ يَزَاوِلُهُ بَيْنَ الْوَرَى رَبُّ
إِنْ عَاشَ عَاشَ سَعِيدًا سَائِدًا أَبَدًا لَا يُسْتَظَامُ وَلَا يُشْتَا فَيَجْتَنَّبُ
وَإِنْ يَمُتْ فَتَنَاءٌ سَائِدٌ أَبَدًا وَبَعْدَهُ رَحْمَةٌ تَرْجَى وَتُرْتَقَّبُ
وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ ، وَعَوْنٌ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهُوَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ
وَالْمُؤْنِسُ فِي الْخَلْوَةِ ، وَالشَّرْفُ فِي النَّسَبِ وَاللِّعْلَمُ آثَارُ جَلِيلَةِ الْقَدْرِ كَمْ
جَلُّ بِهِ مِنْ حَقِيرٍ .

وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ كَانَ جَلِيلًا عِنْدَنَا . مَضَى سَلْفُنَا الصَّالِحُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الْوَرَعُونَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأِيمِ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا ، وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ نَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ اسْتَنَارَتْ الْمَجَالِسُ وَأَسْفَرَتْ الْوُجُوهُ وَارْتَاحَتْ الْأَنْفُسُ وَقَوِيَتْ الْقُلُوبُ وَنَشِطَتْ الْأَبْدَانُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَوَدَّ الْمُسْتَمِعُونَ الْمُحِبُّونَ لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَنْ يَزِدَادُوا مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَذَلِكَ بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ

وَأَثَارِهِ الْجَلِيلَةَ ، وَكَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَكَانُوا أَشْجَعِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَجَلَ لَا يُطِيلُهُ الْجُبْنُ وَكَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ نَفُوساً وَأَقْوَاهِمَ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِقِسْمَةِ مُوَلَانَا الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ، وَكَانُوا مَحْطَّ رِحَالِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْبُخْلَ لَا يُرْضِي اللَّهَ ، وَكَانُوا فِي الْجِلْمِ كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا مَا لِلْجِلْمِ مِنْ مَزَايَا دُنْيَا وَأُخْرَى .

وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْبَلَايَا بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا بِتَقْدِيرٍ وَتَضَرِيفِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا دَائِمًا يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالشَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ لِجَزْمِهِمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ بَلْ مِنَ الْكَرِيمِ الدَّائِمِ الْإِحْسَانِ الَّذِي عَمَّ إِحْسَانُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ ، وَكَانُوا يُجِبُونَ الْخَيْرَ لِبَعْضِهِمْ كَمَحَبَّتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ عَمَلًا بِقَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ « لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَلِعِلْمِهِمْ أَنَّ كَرَاهَتَهُمْ لَا تُحْدِثُ أَيَّ تَغْيِيرٍ وَقَدْ عَرَفُوا قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَكَانُوا لَا يُجِبُونَ الشَّرَّ وَأَهْلَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَتَأَوَّنَ عَنْهُ . وَكَانُوا يُرَاقِبُونَ مَوْلَاهُمْ دَائِمًا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلِهَذَا كَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا تَحَرَّوْا مَا يُرْضِيهِ جَلًّا وَعَلَا فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِشَارَةِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رَضَى رَبُّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا كَانُوا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ تَمَامًا .

وَكَانُوا أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ حَقَارَتَهَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا

وَكثْرَةُ هُمُومِهَا وَغَمُومِهَا وَإِشْغَالِهَا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُقَدِّرُونَهُمْ وَيَضْرِبُونَ بِهِمُ الْأَمْثَالَ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ عَلَى قَدْرِ قَنَاعَةِ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا تَكُونُ مَكَانَتُهُمْ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَالتَّفَاهُومِ حَوْلَهُمْ وَالاسْتِمَاعِ لِنَصَائِحِهِمْ وَالانْقِيَادِ لِإِرْشَادَاتِهِمْ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ فِيمَا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ الْعُلَمَاءِ بِالدُّنْيَا وَتَوَجُّهِهِمْ إِلَيْهَا تَكُونُ زَهَادَةُ النَّاسِ فِي الْعُلَمَاءِ وَعَدَمُ الثِّقَةِ بِهِمْ وَإِتِهَامُهُمْ وَالنَّفَرَةُ مِنْهُمْ وَأَكْلُ لُحُومِهِمْ وَعَدَمُ قَبُولِ كَلَامِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَنَصَائِحِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ قَوْلًا وَلَا يُعْوَلُونَ عَلَيْهِمْ فِي مَا يَجْهَلُونَهُ وَيَحْرِصُونَ عَلَى الْبُعْدِ عَنْهُمْ وَيَسْتَتِقِلُونَهُمْ وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ كَمَا عَلِمْتَ أَوْلَى هُوَ التَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا ضِدًّا مَا عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ .

قال بعض العلماء : اعلم أيها الإنسان أن الدنيا منزلة وليست بدار قرار والآنسان مسافر فأول منازلها بطن أمه وآخر منازلها لحد قبره وإنما وطنه وقراره ومكثه وأستقراره بعدها في هذا .

واختُصِرَ أَحَدُ الْعُبَادِ فَقَالَ مَا تَأْسُفِي عَلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَنْكَادِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَإِنَّمَا تَأْسُفِي عَلَى لَيْلَةٍ نَمْتَهَا وَيَوْمٍ أَفْطَرْتَهُ وَسَاعَةٍ غَفَلْتُ فِيهَا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ نَعَّصَ عَلَى النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ ، فَأَطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ ، فَكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ يُعَدُّ فِيهِ الْجَوَابُ وَتَدَهَشُ فِيهِ الْأَلْبَابُ ، وَتَفْنَى فِي شَرْحِهِ الْأَقْلَامُ وَالْكِتَابُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : كُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنَ الْإِنْسَانِ فَكَالْمَرْحَلَةِ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ فَكَاسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي طَرِيقٍ وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقَرِيَةِ تَلْقَاؤِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَفَرَسَخٍ يَقْطَعُهُ .

وَكُلُّ نَفْسٍ كَخَطْوَةٍ يَخْطُوهَا . وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفْسٍ يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَمَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاسْتَعْجَلَ بِعِمَارَتِهَا فَنِي فِيهَا زَمَانُهُ .

ونسِيَ المنزلة التي هي مصيرُهُ ومكانهُ . وكان جاهلاً غيرَ عاقل .

وإنما العاقل الذي لا يشتغل في دُنياه إلا لاستعدادِهِ لمعادِهِ ويكتفي منها بقدر الحاجة ومهما جمعه فوق كفايته كان سماً ناقعاً ويتمنى أن تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره رماداً وتراباً لا فضةً ولا ذهباً ولو جمع مهماً جمع .
فإن نصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون عليه حسرةً وندامةً ويصعبُ عليه نزعُهُ عند موته فحلالها حساب . وحرامها عذاب .
إن كان قد جمع المال من حلالٍ طلبَ منه الحساب .

وان كان قد جمع من حرامٍ وجبَ عليه العذاب . وكان أشدَّ عليه من حسرته ، حُلُولُ العذاب في حُفْرته ومع هذا جميعه إذا كان إيمانه صحيحاً سالماً لحضرة الدّيان . فلا وجه لياسه من الرحمة والرضوان . فإن الله جواد كريم غفور رحيم .

واعلم أن راحة الدنيا أيامٌ وأكثرها منغصٌ بالتعب مشوبٌ بالنصب . وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة والملئ الذي لانهاية له ولا فناء . فيسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء .

شعرا : ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله
ومن لا يذل النفس في طلب العلى
يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أخاذل
قال ابن القيم رحمه الله :

كُلُّ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاسْتَحَبَّهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ عَلَى

الله غير الحق في فتواه وحكمه ، في خبره وإلزامه لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات

لَمْ يَتِمَّ لَهُمَا ذَلِكَ إِلَّا بِدْفَعِ مَا يُضَادُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَلَا سِيَّما إِذَا قَامَتْ لَهُ شُبْهَةٌ فَتَتَّفِقُ الشُّبْهَةُ وَالشَّهْوَةُ وَيَثُورُ الْهَوَى فَيَخْفَى الصَّوَابُ وَيَنْطَمِسُ وَجْهُ الْحَقِّ ، وَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا لَا خَفَاءَ بِهِ وَلَا شُبْهَةَ فِيهِ أَقْدَمَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَقَالَ لِي مَخْرَجٌ بِالتَّوْبَةِ وَفِي هَؤُلَاءِ وَأَشْبَاهِهِمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَخَلِيفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعَرَضَ الْأَدْنَى مَعَ عِلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِهِ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ عَرَضَ لَهُمْ عَرَضٌ آخَرَ أَخَذُوهُ فَهُمْ مُصْرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ هَذَا حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ وَدِينُهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ دِينَهُ وَشَرْعَهُ وَحُكْمَهُ يُخَالِفُ ذَلِكَ أَوْ لَا يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ دِينُهُ وَشَرْعُهُ وَحُكْمُهُ فَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَتَارَةً يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُونَ بَطْلَانَهُ : قَالَ وَهَؤُلَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعُوا فِي الدِّينِ مَعَ الْفُجُورِ فِي الْعَمَلِ فَيَجْتَمِعُ لَهُمُ الْأَمْرَانِ فَإِنْ اتَّبَعَ الْهَوَى يُعْمِي عَيْنَ الْقَلْبِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ أَوْ يُنَكِّسُهُ فَيَرَى الْبِدْعَةَ سُنَّةً وَالسُّنَّةَ بَدْعَةً فَهَذِهِ آفَةُ الْعُلَمَاءِ إِذَا آثَرُوا الدُّنْيَا وَاتَّبَعُوا الرِّيَاسَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثُ ﴾ . فَهَذَا مَثَلُ عَالِمِ السُّوءِ الَّذِي يَعْمَلُ بِخِلَافِ عِلْمِهِ .

وَخِتَامًا فَإِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ يَتَأَسَّفُ عَلَى إِهْمَالِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ

رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتِبَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَتَنَى عَلَيْهِمَا
الغُبَارُ وَيُسْتَبَدَلُ بِهِمَا قَتْلُ الْوَقْتِ فِي الْوَوَكْمِ بَاعِ فُلَانٌ وَكَمْ شَرَى فُلَانٌ
وَأَيْنَ قَضَيْتَ الْعُطْلَةَ فِيهِ وَأَيْنَ تَقْضِي الْمُسْتَقْبَلَةَ وَارْفَعِ الْجَرِيدَةَ وَأَعْطِنِي
الْأُخْرَى وَأَيْنَ الْمَجَلَّةُ الْفُلَانِيَّةُ وَمَا الَّذِي ظَهَرَ فِي التَّلْفِزْيُونِ وَمَاذَا بِالْإِذَاعَةِ
الْفُلَانِيَّةِ هَذَا وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ مِنْ نَوَاحِي مَعْلُومَاتِنَا مَعَشَرَ هَذَا الْجِيلِ يَشِبُّ
الوَاحِدُ مِنَّا وَيَشِيبُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِسِيرِ سَلْفِنَا وَتَطْبِيقِهَا وَالْاِقْتِدَاءِ بِمَنْ أَمَرْنَا
سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا بِاتِّبَاعِهِمْ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ وَمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ وَحَذَا حَذْوَهُمْ
وَنَهَجَ مَنَهَجَهُمْ مِنْ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمْ مَوْلَاهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَدْعَانَا تَوَجَّهْنَا وَبِفَائِكَ أَنْخُنَا وَإِيَّاكَ أُمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ
الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَلِرَحْمَتِكَ رَجَوْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِعُفْرَانِكَ
تَعَرَّضْنَا . اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوبَنَا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ
يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنِّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ
وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

هَذِهِ قَصِيدَةٌ تَحْتَوِي عَلَى الْحَثِّ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ .

تَفْتُ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًا
وَتَنْحَتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا

وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ
 أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
 أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرِ
 أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتًّا
 تَنَامُ الدَّهْرَ، وَيَحْكُ، فِي غَطِيطٍ
 بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ أَنْتَبَهْتَا
 فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ فَحَتَّى
 مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟!
 أَمَا بَكْرٍ دَعْوَتِكَ لَوْ أَجَبْتَ
 إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْنَا
 إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا
 مُطَاعًا، إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
 وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاءٍ
 وَيَهْدِيكَ الصِّرَاطَ إِذَا ضَلَلْنَا
 وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا
 وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا أَغْتَرَبْنَا
 يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا
 وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْنَا
 هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَكْبُو
 تَنَالُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْنَا
 وَكُنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا
 خَفِيفُ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْنَا
 يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ

وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًا شَدَدْنَا
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلَوَاهُ طَعْمًا
لَأَثَرْتَ التَّعَلُّمَ واجْتَهَدْنَا
وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٍ
وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فِتْنَا
وَلَا يُلْهِبُكَ عَنْهُ أُنَيْقُ رَوْضٍ
وَلَا خَوْدُ بَزِينَتِهَا كُفَيْتَا
فَقَوْتُ الرُّوحِ أَزْوَاجِ المَعَالِي
وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْنَا
فَوَاطِبُهُ، وَخَذَ بِالْجِدِّ فِيهِ
فَإِنْ أَعْطَاكَ البَارِي أَخَذْنَا
وَإِنْ أُوتِيَتْ فِيهِ بِطُولِ بَاعٍ
وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ سَبَقْنَا
فَلَا تَأْمَنُ سُؤَالَ اللّهِ فِيهِ
بِتَوْبِيخٍ، عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْنَا؟!
فَرَأَسُ العِلْمِ تَقْوَى اللّهِ حَقًّا
وَلَيْسَ بِأَنْ تَعَالَى أَوْ رُئِسْنَا
وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَا أَنْ
تُرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْنَا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهَمُّكَ فِي مَهَارٍ
فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهَمْنَا
إِذَا مَا لَمْ يُفِذْكَ العِلْمُ خَيْرًا
فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْنَا
سَتَجَنِّي مِنْ ثَمَارِ اللّهُوَ جَهْلًا

وَتَضْفُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبِرْنَا
 وَتَفْقَدُ إِنْ جَهَلْتَ ، وَأَنْتَ بَاقٍ
 وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ إِذَا فُقِدْنَا
 سَتَذْكُرُ لِلنَّصِيحَةِ بَعْدَ حِينٍ
 وَتَطْلُبُهَا إِذَا عَنَّا شَغِلْنَا
 وَسَوْفَ تَعْضُ مِنْ نَدَمِ عَلَيْهَا
 وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةَ إِنْ نَدِمْنَا
 إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ
 وَقَدْ رُفِعُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ سُفِلْنَا
 فَرَاغَهَا وَذَعَّ عَنْكَ الْهُوَيْنَا
 فَمَا بِالْبُطْءِ تُذْرِكُ مَا طَلَبْنَا
 وَلَا تَحْفِلُ بِمَالِكَ ، وَالْهُ عَنْهُ
 فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْنَا
 وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَغْنَى
 وَلَوْ مُلْكُ الْأَنْامِ لَهُ تَأْتِي
 سَيَنْطِقُ عَنْكَ مَالُكَ فِي نَدْيٍ
 وَيَكْتُبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْنَا
 وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي
 إِذَا بِالْجَهْلِ دِينَكَ قَدْ هَدَمْنَا
 جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا
 لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْنَا
 وَيَبِينُهُمَا بِنَهْضِ الْوَحْيِ فَرَقُ
 سَتَعْلَمُهُ إِذَا « طَه » قَرَأْنَا

لَيْسَ رَفَعَ الْغَنِيِّ لِنَوَاءِ مَالٍ
فَأَنْتَ لِنَوَاءِ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَنَا
وَأَنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا
فَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَنَا
وَأَنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُبَسَّوْمَاتٍ
فَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَنَا
وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي
فَكَمْ بِكْرِ مِنَ الْحِكْمِ افْتَضُّنَا
وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ شَيْئاً
إِذَا مَا أَنْتَ رَبُّكَ قَدْ عَرَفْتَنَا
فِيَا مَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَزِيلٍ
إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنْخَتْنَا
فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي
وَأَنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَنَا
وَأَنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلاً
وَعَامَلْتَ الْإِلَهَ بِهِ رَبِّحْتَنَا
فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
تَسْؤُوكَ حُقْبَةً ، وَتَسُرُّ وَقْتَنَا
وَعَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
كَفَيْتُكَ ، أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ رَقَدْتَنَا
سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُجِبٌّ ،
فَكَيْفَ تُحِبُّ مَنْ فِيهَا سُجِنْتَنَا ؟!
وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَلِيلٍ

سَتُطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَا
وَتَغْرَى إِنْ لَيْسَتْ بِهَا ثِيَاباً
وَتُكْسَى إِنْ مَلَأْسَهَا خَلَعْتَا
وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفَنَ حِلٍّ
كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَا
وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرْهَا، وَلَكِنْ
لِتَعْبُرْهَا، فَجِدْ لِمَا خُلِقْتَا
وَإِنْ هُدِمْتَ فَرِزْدَهَا أَنْتَ هَدِمْ
وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا
وَلَا تَحْزَنْ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْهَا
إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُرْتَا
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا
مِنَ الْفَانِي إِذَا الْبَاقِي حُرِمْتَا
وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ جَهْلًا
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَجَّكْتَا
وَكَيْفَ بِكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ زَهْنُ
وَلَا تَدْرِي غَدًا أَنْ لَوْ غُلِبْتَا؟
وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا
وَأَخْلِصْ فِي الدُّعَاءِ إِذَا سَأَلْتَا
وَنَادِ إِذْ سُجِنْتَ بِهِ اعْتِرَافًا
كَمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ بِنُ مَتَّى
وَلَا زِمِ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ
سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

وَأَكْثَرُ ذِكْرُهُ فِي الْأَرْضِ دَابًّا
 لِتُذَكَّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَنَا
 وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ أُمَّتِهَالُ
 وَفَكِّرْ، كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَنَا
 وَقُلْ لِي : يَا نَصِيحِي لِأَنْتَ أَوْلَى
 بِنُصْحِكَ ، إِذْ بَعَقَلِكَ قَدْ عُرِفْنَا
 فَتَعَذَّلْنِي عَنِ التَّفْرِيطِ يَوْمًا
 وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْنَا
 وَفِي صَغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا
 وَمَا تَجْرِي بِبَالِكَ حِينَ شِخْتَنَا
 وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلَا
 فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْنَا
 وَمَا أَنَا لَمْ أَخْضُرْ بَحْرَ الْخَطَايَا
 كَمَا قَدْ خُضَّتَهُ حَتَّى غَرِقْنَا
 وَلَمْ أَشْرَبْ حُمِيًّا أَمْ دَفِرْ
 وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَنَا
 وَلَمْ أَحْلِلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ
 وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ ، وَأَنْتَهَكْتَنَا
 وَلَمْ أَنْشَأْ بَعْضِرٍ فِيهِ نَفْعٌ
 وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ ، فَمَا انْتَفَعْنَا
 وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ
 وَنَبَّهَكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَنَا
 وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كَثِيرًا

فَلَمْ أَرَكَ أَنْتَفَعْتَ بِمَنْ صَحِبْنَا
 وَيَقْبَحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التُّصَابِي
 وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفْتَى
 فَأَنْتَ أَحْوَبُ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي
 وَلَوْ سَكَتَ الْمُسِيءُ لَمَا نَطَقْنَا
 فَنَفْسِكَ ذُمَّ، لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا
 بِغَيْبٍ، فَهِيَ أَجْدَرُ إِنْ ذَمَّمْنَا
 وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا
 لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْنَا
 فَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدُ
 أَمِرْتِ، فَمَا ائْتَمَرْتِ، وَلَا أَطَعْنَا
 فَسِرْتِ الْقَهْقَرَى، وَخَبِطْتَ عَشْوًا
 لَعَمْرُكَ لَوْ وَصِلْتَ لَمَا رَجَعْنَا
 ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَسْتَ تَخْشَى
 لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْنَا
 وَلَوْ وَأَفَيْتَ رَبِّكَ ذُنُوبَ
 وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكْنَا
 وَلَمْ يَظْلَمَكَ فِي عَمَلٍ، وَلَكِنْ
 عَسِيْرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْنَا
 تَوَجُّعٌ لِلْمَصِيرِ عَلَى الْخَطَايَا
 وَتَرْحُمُهُ، وَنَفْسِكَ مَا رَجِمْنَا
 وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَضْلِ فَرْدًا
 وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شُنَى

لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا
على ما في حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْنَا
تَفِرُّ مِنَ الْهَجِيرِ وَتَتَقِيهِ
فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْنَا !!
وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَانَهَا عَذَابًا
ولو كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذَبْنَا
ولا تَكْذِبْ، فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ
وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ، وَمَا ظَنَّنَا
أَبَا بَكْرٍ، كَشَفْتَ أَقْلَ عَيْبِي
وما اسْتَعْظَمْتَهُ مِنْهَا سَتَرْنَا
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي مِنَ الْمَخَازِي
وضاعفها، فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْنَا
وَمَهْمَا عَيْبَتَنِي فَلِفَرِّطِ عِلْمِي
بباطنتي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْنَا
ولا تَرْضَى الْمَعَائِبَ فَهِيَ عَارٌ
عَظِيمٌ، يُورِثُ الْإِنْسَانَ مَقْتًا
وَتَهْوَى بِالْوَجْهِ مِنَ الثَّرِيَا
وَتُبَدِّلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتًا
كَذَا الطَّاعَاتُ تُبَلِّغُكَ الدَّرَارِي
وَتَجْمَعُكَ الْقَرِيبَ، وَإِنْ بَعُدْنَا
وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا
فَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْنَا
وَتُمِيسِي فِي مَسَاكِينِهَا عَزِيزًا

وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْنَا
 وَأَنْتَ الْيَوْمَ لَمْ تُعْرِفْ بِغَيْبِ
 وَلَا دُنُسَتْ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْنَا
 وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ
 وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ ، وَلَا خَبَبْنَا
 فَإِنْ لَمْ تَنَا عَنْهُ نَشَبْتَ فِيهِ
 فَمَنْ لَكَ بِالْخَلَّاصِ إِذَا نَشَبْنَا ؟!
 وَدُنِسَ مِنْكَ مَا طَهَّرْتَ حَتَّى
 كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهَّرْنَا
 وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وِثَاقٍ
 وَكَيْفَ لَكَ الْفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْنَا ؟!
 فَخَفَ أَبْنَاءَ جَنِيكَ ، وَأَخْشَ مِنْهُمْ
 كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبِينَا
 فَخَالِطُهُمْ ، وَزَايِلُهُمْ جِدَاراً
 وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمَسْنَا
 وَإِنْ جَاهَلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ : سَلَامٌ
 لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسَلِّمُ إِنْ سَلِمْنَا
 وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ
 يُزِلُّ الْعُضْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْنَا
 وَلَا تَلْبَثْ بِحَيِّ فِيهِ ضَيْمٌ
 يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُيِّمْنَا
 فَغَرِّبْ ، فَالْتَّغَرِّبْ فِيهِ خَيْرٌ
 وَشَرِّقْ إِنْ بَرِّقَكَ قَدْ شَرِقْنَا

فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا حُمُولًا
 فَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهَدْنَا
 فَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ يَكُونُ عَالٍ
 عُلُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا
 فَإِنْ فَارَقْتَهَا، وَخَرَجْتَ مِنْهَا
 إِلَى دَارِ السَّلَامِ، فَقَدْ سَلِمْنَا
 وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا، وَنَظَرْتَ فِيهَا
 بِإِجْلَالٍ، فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا
 جَمَعْتَ لَكَ النَّصَائِحَ فَاثْمَثِلْهَا
 حَيَاتِكَ، فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْنَا
 وَطَوَّلْتَ الْعِتَابَ، وَزِدْتُ فِيهِ
 لِأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْنَا

فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رُشِدْنَا
 وَقَدْ أَرْفَقْتُهَا سِتًّا حِسَانًا فَكَأَنَّا قَبْلَ ذَا مِائَةٍ وَسِتًّا
 وَصَلَّى اللَّهُ مَا أَوْرَقَ نَضَارًا عَلَى الْخِتَارِ فِي شَجَرٍ وَحْنَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ
 يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسَأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عباد الله سيصْحُو السكران من سُكْرِهِ ، حين لا يُمكنه تلافي
 أمره وسيندم المضيع على تضييعه ، إذا قابله أمر صنيعة ، وسيقصر الأمل من
 أمله وقت هجوم أجله ، وتعذر الزيادة في عمله ، والخروج من بين ماله وأهله .

هُنَالِكَ يَسْتَحِيلُ حُلُو الْعَيْشِ مُرًا وَيَنْقَلِبُ عُرْفُ الْأَمْرِ نُكْرًا ، وَيَعْلَمُ
جَامِعُ الْحَطَامِ الَّذِي أَضَاعَ بِهِ أَوْقَاتَهُ أَنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَبْقَى ذِكْرًا وَأَنْفَعُ
ذُخْرًا ، لَيْسَ فِي ظِلِّ الدُّنْيَا مَقِيلٌ وَلَا عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ تَعْوِيلٌ .

كَيْفَ يَطْمَعُ عَاقِلٌ فِي الْإِقَامَةِ بِدَارِ الرَّحِيلِ ، كَيْفَ يَضْحَكُ مَنْ هُوَ
مُخْفُوفٌ بِمُوجِبَاتِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، أَسْمَعَنَا النَّاصِحُ فَتَصَامَمْنَا ، وَأَيَقِظُنَّا الْغَيْرُ
فَتَنَاوَمْنَا ، وَرَضِينَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ، وَاشْتَرَيْنَا مَا يَفْنَى بِمَا يَبْقَى فَتَلِكُ
إِذَا صَفَقَةٌ خَاسِرَةٌ .

أَيْنَ الْآذَانُ الْوَاعِيَةِ ، أَيْنَ الْأَعْيُنُ الْبَاكِئَةِ ، قَوْلٌ بَلَا فِعَالٍ وَأَمْرٌ
بَلَا امْتِثَالٍ ، رُسُلُ مَلِكِ الْمَوْتِ فِي كُلِّ نَفْسٍ تَذُنُّوْنَ إِلَى أَنْفُسِنَا وَأَجْسَادِ أَحِبَّتِنَا تَحْتَ
أَطْبَاقِ الثَّرَى هَامِدَةٌ .

قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ دِيَارُهُمْ ، وَدَرَسَتْ رُسُومُهُمْ وَأَثَارُهُمْ ، وَتَقَطَّعَتْ
بِالْبَلَاءِ أَوْصَالُهُمْ ، وَمَحَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ وَالْقُبُورِ مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ ،
وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ضُلُمَاتُ تِلْكَ الْحُفْرِ .

فَلَا شَمْسٌ فِيهَا وَلَا نُورٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَنَحْنُ عَمَّا قَرِيبٍ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ
صَائِرُونَ ، وَبِالْكَأْسِ الَّذِي شَرَبُوا مِنْهُ شَارِبُونَ ثُمَّ مَعَ هَذَا الْيَقِينِ إِلَى دَارِ
الْغُرُورِ رَاكِنُونَ .

طُوبَى لِمَنْ فِي مَرَاضِي رَبِّهِ رَغِبَا وَعَنْ مَصَارِعِ أَهْلِ اللُّهُوقِ قَدْ هَرَبَا
قَدْ وَطَّنَ النَّفْسَ أَنَّ اللَّهَ سَأَلَهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ مَهْيَا هَرَبَا
وَاللَّتْقَى مَرْكَبٌ يَنْجُو بِرَاكِبِهِ فَيَانْجَاةَ الَّذِي مَعَ أَهْلِهِ رَكِبَا
وَاللَّهُدَى رُقُقَةٌ فَاسْعَدُ بِصُحْبَتِهِمْ فَيَا سَعَادَةَ مَنْ أَهْلَ الْهُدَى صَحَبَا
لِلَّهِ دَرٌّ عِبَادٍ قُرْبَهُ طَلَبُوا لَمْ يَطْلُبُوا فَضَّةً مِنْهُ وَلَا ذَهَبًا
سَارُوا بَعْزَمٍ وَتَشْمِيرٍ وَمَا اتَّخَذُوا فِي سَيْرِ دُنْيَاهُمْوَا لَهْوًا وَلَا لَعِبًا

الصِّدْقُ مَرْكَبُهُمْ وَالْحَقُّ مَطْلَبُهُمْ لَا زُورَ مَزَاجَ دَعْوَاهُمْ وَلَا كَذِبًا
اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعْنَا بِهَا عَلَّمْتَنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي عِلْمِنَا وَأَعْمَلِنَا
وَأَعْمَارِنَا وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

ومما ورد في فضل العلم والحث على تعلمه وتعليمه ما يلي من
الأحاديث :

١ - فعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . رواه البخاري ومسلم .

٢ - وعن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهْهُ فِي الدِّينِ وَأَهْلَمَهُ
رُشْدَهُ » . رواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً
مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ
يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا
كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ
بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ
الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .
رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في
صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطيهما .

٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ . وَفَضَلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » . رواه أبو داودَ والترمذي وابن ماجه وابن حبانَ في صحيحه والبيهقي .

٥ - وعن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مُتَكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ ، فَقَالَ : « مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ » . رواه أحمد والطبراني بإسنادٍ جيدٍ واللفظُ لَهُ وابنُ حبانَ في صحيحه والحاكمُ وقال صحيحُ الإسنادِ . وَرَوَى ابْنُ مَاجَهٍ نَحْوَهُ بِاخْتِصَارٍ وَيَأْتِي لَفْظُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تَرَفَّقَ بِمَنْ يَأْتِيكَ لِلْعِلْمِ طَالِبًا
فَهَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ سَيِّدُ الْوَرَى
وَمَنْ سَهَّلَ اللَّهُ الطَّرِيقَ لِحَبَابَةِ
آخِرٍ : مُنَايَ مِنَ النِّيَا عُلُومٍ أُبْثَهَا
دُعَاءٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
وَقَدْ أَبْدَلُوها بِالْجَرَايِدِ تَارَةً
وَمُذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرُّهُ
وَقُلْ مَرْحَبًا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ مَرْحَبًا
كَمَا قَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ عَنْهُ وَرَحَبًا
لَهُ الْجَدِيدُ بِالْتَّرْحُوبِ وَالْحَبَا
وَأَنْشَرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
تَنَاسَى رِجَالَ ذِكْرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ
وَتَلْفَازِهِمْ رَأْسُ الشُّرُورِ الْمَنَاكِرِ
فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتٍ بِهِ بِالْحَسَائِرِ
وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلَّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ » . رواه ابن ماجه وغيره .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِقِيَّ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبُوَّةِ » . رواه الطبراني في الأوسط .

٦ - وَرُوِيَ عَنْ سَخْبِرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى رَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَذْكُرُ ، فَقَالَ اجْلِسَا فَإِنكُمَا عَلَى خَيْرٍ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ قَامَا فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ قُلْتَ لَنَا اجْلِسَا فَإِنكُمَا عَلَى خَيْرٍ أَلَا خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ . فَقَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً مَا تَقَدَّمَ » . رواه الترمذي مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له .

مختصراً والطبراني في الكبير واللفظ له . قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ غَرَسَ الْعِلْمَ اجْتَنَى النَّبَاهَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الزُّهْدَ اجْتَنَى الْعِزَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْإِحْسَانَ اجْتَنَى الْحَبَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْفِكْرَةَ اجْتَنَى الْحِكْمَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْوَقَارَ اجْتَنَى الْمَهَابَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْمَدَارَةَ اجْتَنَى السَّلَامَةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْكِبَرَ اجْتَنَى الْمُقْتَتَ ، وَمَنْ غَرَسَ الْجِرْصَ اجْتَنَى الذَّلَّةَ ، وَمَنْ غَرَسَ الطَّمَعَ اجْتَنَى الْعِزِّيَّ ، وَمَنْ غَرَسَ الْحَسَدَ اجْتَنَى الْحُزْنَ وَالْكَمَدَ .

٧ - وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « مَا أَكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى ، أَوْ يَرُدُّهُ عَنْ رَدًى وَمَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَمَلُهُ » . رواه الطبراني في الكبير واللفظ والصغير إلا أنه قال فيه : حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ . واسنادُهُمَا مُتَقَارِبٌ .

٨ - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا :

لباب يتعلمه الرجل أحب إلى الله من ألف ركعة تطوعاً وقالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد » . رواه البزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : خير له من ألف ركعة .

٩ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة » . رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

شِعْرًا: إذا ما شئت أن تسمو وتسمى
فقم لطريق أهل العلم سعياً
فإن حصلت مطلوباً وإلا
فاكرم ما حواه المرء علم
وليس يفيد الكون عبداً
فكم أبدى ضياء العلم رُشداً
فنحمد ربنا إذ من لطفاً
آخر: إذا مت فائتني إلى العلم والنهي
فإني من قوم بهم يضح الهدى
وتذكر راحة روحاً وجسماً
لتقفو معهموا أثراً ورسماً
ظفرت بأكبر الشرفين قسماً
به يهدي ويهدي من الما
إلى العلياء يسري وهو أغمى
وأذهب ظلمة وأزال غمماً
به في رُشدنا وأزال غمماً
وما حُبرث كفي بما في المحابر
إذا أظلمت بالقوم طرق البصائر

١٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا وملتعلماً » . رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن .

١١ - وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق

ورجلُ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا . رواه البخاري ومسلم .
 ١٢ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أرضاً فَكانتْ مِنْها طائفةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلتْ الماءَ وَأَنْبَتتْ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثيرَ وكانَ مِنْها أَجادِبُ أَمْسَكَتْ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بِها الناسَ فَشَرِبُوا مِنْها وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصابَ طائفةٌ أُخرى مِنْها إِنما هي قِيعانٌ لا تُمَسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ في دينِ اللهِ تعالى وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلتُ بِهِ » . رواه البخاري ومسلم .

شعرا :

إِعْمَلْ بِعِلْمِكَ تُؤْتِ حِكْمَةً إِنَّمَا جَدَوَى عُلُومِ المَرْءِ نَهَجَ الأَقْوَمِ
 وَإِذَا الفَتَى قَدْ نَالَ عِلْماً ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَكأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمِ

آخِر : وَأَعْلَمَ بِأَنَّ العِلْمَ أَرْفَعُ رُتَبَةً
 وَأَجَلُ مَكْتَسَباً وَأَسْنَى مَفْخَرِ
 فَاسْأَلْكَ سَبِيلَ المُقْتَضِينَ لَهُ تُسَدِّ
 إِنَّ السِّيادَةَ تُقْتَنَى بِالدَّفْتَرِ
 وَالعِلْمُ المَدْعُوُّ حَبِيراً إِنَّمَا
 سَمَّاهُ بِاسْمِ الحَبِيرِ حَمَلُ المَحْبَرِ
 تَسْمُوا إِلى ذِي العِلْمِ أَبْصَارُ الوَرَى
 وَتَغْضُ عَنْ ذِي الجَهْلِ لا بَلَّ تَزْدَرِي
 وَمُضْمَرُ الأَقلامِ يَبْلُغُ أَهْلُها
 ما لَيْسَ يُبْلَغُ بِالعِتاقِ الضُّمَرِ
 وَالعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبابَهُ

مَا لَمْ يُفِدْ عَمَلًا وَحُسْنَ تَبَصُّرٍ
فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَوْفِ نَفْسِكَ وَوزْنَهَا
لَا تَرْضَى بِالتَّضْيِيعِ وَوزْنَ الْمَخْسِرِ
آخِر :

وَبَحَّتْ غَيْرَكَ بِالْعَمَى فَأَفْذَتْهُ
كَفْتِيلَةَ الْمِصْبَاحِ تَحْرِقُ نَفْسَهَا
بَصْرًا وَأَنْتَ مُحَسِّنٌ لِعِمَّاكَ
وَتُضِيءُ لِلْأَعْمَى وَأَنْتَ كَذَاكَ
آخِر :

جَزَى اللَّهُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ مَثُوبَةً
فَلَوْلَا اعْتِنَاهُمْ بِالْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ
وَبَوَّأَهُمْ فِي الْخُلْدِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ
وَنَفِيَهُمْ عَنْهُ ضُرُوبَ الْأَبَاطِلِ
وَأَنفَقَهُمْ أَعْمَارَهُمْ فِي طَلَابِهِ
وَبَحَثَهُمْ عَنْهُ بِجِدِّ مُوَاصِلِ
لَمَّا كَانَ يَدْرِي مَنْ غَدًا مُتَّفَقَهَا
صَحِيحَ حَدِيثٍ مِنْ سَقِيمٍ وَبَاطِلِ
وَلَمْ يَسْتَبِنْ مَا كَانَ فِي الذِّكْرِ مُجْمَلًا
وَلَمْ نَذَرِي فَرَضًا مِنْ عُمُومِ النَّوَافِلِ
لَقَدْ بَدَلُوا فِيهِ نَفُوسًا نَفِيسَةً
وَبَاعُوا بِحِطِّ آجِلٍ كُلِّ عَاجِلِ
فَحُبُّهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَلَيْسَ يُعَادِيهِمْ سِوَى كُلِّ جَاهِلِ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَعْرِفَتِكَ بِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ وَأَرْزُقْنَا الرِّضَا
بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ وَكُلِّ
مَائِسٍ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَجَنَّبْنَا جَمِيعَ مَا يُغْضِيكَ
يَا كَرِيمُ وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالْجَحِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

(فصل ١١)

١٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ يَمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مَضْنَحًا وَرَثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِأَبْنٍ

السبيلِ بناه أو نهراً أجراه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته
تلحقه من بعد موته . رواه ابن ماجه باسناد حسن والبيهقي .

١٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة
جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . رواه مسلم
وغیره .

١٥ - وعن أبي أمامة قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال عليه أفضل الصلاة
والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على أذنائكم » ، ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض
حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » .
رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ورواه البزار من حديث عائشة
مختصراً قال : معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر .

١٦ - وروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في دين وفقهه واحد أشد على الشيطان
من ألف عابد ولكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه ، وقال : أبو
هريرة لأن أجلس ساعة فأفقه أحب إلي من أن أحيي ليلة القدر . رواه
الدارقطني والبيهقي إلا أنه قال : أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى
الصباح ، وقال . المحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري .

شِعْرًا: تَعَلَّمَ يَأْفَتَى وَالْعُودُ رَطْبٌ وَطِينُكَ لَيِّنٌ وَالْعُمْرُ قَابِلٌ
وَحَسْبُكَ يَأْفَتَى شَرَفًا وَفَخْرًا سَكُوتُ الْحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلٌ

١٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف
عليها ، فقال يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة؟

قَالَ ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقَسَّمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا ،
 إِلَّا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيْبِيْكُمْ مِنْهُ . قَالُوا وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ فِي الْمَسْجِدِ
 فَخَرَجُوا سِرَاعًا وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا
 يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئًا يُقَسَّمُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو
 هُرَيْرَةَ : وَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا قَالُوا بَلَى رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ ، وَقَوْمًا
 يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَقَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَيَحْكُمُ
 فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه الطبراني في الأوسط باسنادٍ
 حَسَنٍ .

١٨ - وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان : علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم . رواه أبو بكر الخطيب باسنادٍ حسن . ورواه ابن عبد البر النعمري في كتاب العلم عن الحسن مرسلاً باسنادٍ صحيح .

شِعْرًا: لَا خَيْرَ فِي الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَرْتَقِ صَاحِبُهُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي الصُّعْرِ
 كَمْ عَالِمٍ فَاسِدٌ ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَقَدْ غَدَا عِلْمُهُ شَرًّا عَلَى الْبَشَرِ
 إِبْلِيسُ أَعْلَمُ الْفِسْقِ قَاطِبَةً وَالنَّاسُ تَلْعَنُهُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 الْعِلْمُ كَالْعَيْثِ وَالْأَخْلَاقُ مَزْرَعَةٌ إِنْ تَحَبَّبْتَ الْأَرْضُ تَذْهَبُ نِعْمَةُ الْمَطَرِ
 وَالْجَهْلُ أَفْضَلُ مِنْ عِلْمٍ يُدْنِسُهُ نُضِجُ الرِّذِيلَةَ مِنْ أَخْلَاقٍ مُقْتَدِرِ

١٩ - وعن زير بن حبيش قال أتيت صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : ما جاء بك؟ قلت : العلم . قال فلاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من خارجٍ خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاء بما يصنع . رواه الترمذي وصححه وابن ماجه واللفظ له ، وابن جبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ
 الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِمَجْلِسَيْنِ أَحَدُهُمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَالْآخَرُونَ يَتَفَقَّهُونَ ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِلَا مَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِنْ صَاحِبِهِ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَذْكُرُونَهُ فَلَنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ
 وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَأَمَّا الْمَجْلِسُ الْآخَرُ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ وَإِنَّمَا
 بُعِثْتُ مُعَلِّمًا وَجَلَسَ إِلَى الْفِقْهِ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
 قَالَ خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا وَخِيَارُ عُلَمَائِهَا فَفَهَاؤُهَا .

يَمُوتُ قَوْمٌ وَيُحْيِي الْعِلْمَ ذِكْرُهُمْ وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَحْيَاءَ بِأَمْوَاتِ
 آخِر : تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ

وَفَضْلٌ وَعَنْوَانٌ لِكُلِّ الْمَحَامِدِ
 وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً

مِنَ الْعِلْمِ وَاسْبِخْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ
 تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ

إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٍ
 هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سُنَنِ الْهُدَى

هُوَ الْحِصْنُ يُنَجِّي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ
 فَإِنَّ فِقْهَهَا وَاجِدًا مُتَوَرَعًا .

أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدٍ
 آخِر :

وَعَابَ سَمَاعِي لِلْحَدِيثِ بُعِيدَمَا كَثُرَتْ أَنَاسٌ هُمْ إِلَى الْعَيْبِ أَقْرَبُ
 وَقَالُوا إِمَامٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ يَرُوحُ وَيَعْدُ سَامِعًا يَتَطَلَّبُ

فَقُلْتُ مُجِيبًا عَنِ مَقَالَتِهِمْ وَقَدْ غَلَوْتُ لِجَهْلٍ مِنْهُمْ أَنْتَعْجَبُ
 إِذَا اسْتَدْرَكَ الْإِنْسَانُ مَا فَاتَ مِنْ عُلَا فَلِلْحَزْمِ يُعْزَى لَا إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ

آخِر : يَلُومُونِي إِنْ رُحْتُ فِي الْعِلْمِ دَائِبًا أَجْمَعُ مِنْ عِنْدِ الرَّوَاةِ فُنُونَهُ

فِيَا عَاذِلِي دَعْنِي أَعَالِي بِقِيَمَتِي فِقِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

آخر: ذُوُوا الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا نُجُومٌ هِدَايَةٌ

إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ بَعْدُ جَدِيدٌ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طَرًّا وَهُمْ لَهُ

مَعَاقِلُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَجُنُودٌ
آخر:

وَمَا أَنَا بِالغَيْرَانِ مِنْ دُونِ جَارَتِي إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ غَيْرًا عَلَى الْعِلْمِ
آخر:

أَرَى الْعِلْمَ أَعْلَى رُتْبَةً فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي الْمَوَاقِبِ
فَذُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّرَائِبِ
فَهَيْهَاتَ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مَنْ ارْتَقَى رُقِيَّ وَلِيَّ الْمُلْكِ وَالِي الْكُتَائِبِ
سَأْمَلِي عَلَيْكُمْ بَعْضُ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا فِيهِ حَصْرٌ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَمَى وَذُو الْجَهْلِ مَرَّ الدَّهْرَيْنِ الْغِيَاهِبِ ؛
هُوَ الذَّرْوَةُ الشَّمَاءِ تُحْمِي مِنَ التَّجَا إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِنًا فِي النَّوَابِ
بِهِ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ
بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مَنْ رَاحَ عَاصِيًا إِلَى دَرَكِ النِّيرَانِ شَرُّ الْعَوَاقِبِ
فَمَنْ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبِ كُلَّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ
هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِي فِيَا صَاحِبَ الْحِجَا إِذَا نَلْتَهُ هَوْنٌ بِفُوتِ الْمَنَاصِبِ
فَإِنْ فَاتَتْ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَعِيمِهَا [فَعَمَّضُ] فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ
آخر:

الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
لَا تُحْسِنُ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجَّ رُبُّهُ بِخَلَاقِ
كَمْ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا لَوْقِيَعَةٍ وَقَطِيَعَةٍ وَفِرَاقِ

وَفِيهِ قَوْمٌ ظَلَّ يَرُصُّدُ فِقْهَهُ
يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ
وَطَيْبٌ قَوْمٌ قَدْ أَحَلَّ لِطَبِّهِ
قَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً
لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَجِلِّ طَلَاقِ
كَالْبُرْجِ لَكُنْ فَوْقَ تَلٍّ نِفَاقِ
مَا لَا تُخِلُّ شَرِيعَةَ الْخَلْقِ
جَمَعَ الدَّرَاهِمَ مِنْ دَمٍ مِهْرَاقِ
آخِر :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ
فَعِشْ بِعِلْمٍ تَفُزْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل ١٢) قال ابن القيم رَجَمَهُ اللَّهُ :

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ فِي الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَبَيَانِ عُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ
وَتَوْقُفِ كَمَالِ الْعَبْدِ وَنَجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ عَلَيْهِ .

قال الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا
العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ استشهد سبحانه بأولي
العلم على أجل مشهودٍ عليه وهو توحيدُهُ فقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا
هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ﴾ وهذا يدلُّ على فضل العلم
وأهله من وجوه . أحدها استشهادُهُم دون غيرهم من البشر ، والثاني
اقتران شهادتهم بشهادته ، والثالث اقترانها بشهادة ملائكتيه ، والرابع أن في
ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول
ومنه الأثر المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من
كل خلقه عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين .

والخامس: أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِكُونِهِمْ أُولَى الْعِلْمِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
اِخْتِصَاصِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُمْ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ لَيْسَ بِمُسْتَعَارٍ لَهُمْ .

السادس : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَجَلُّ شَاهِدٍ ثُمَّ بِخِيَارِ
خَلْقِهِ وَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَكْفِيهِمْ بِهَذَا فَضْلاً وَشَرَفاً .

السابع : أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِهِمْ عَلَى أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ وَأَعْظَمِهِ وَأَكْبَرِهِ وَهُوَ
شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْعَظِيمُ الْقَدِيرُ إِنَّمَا يَسْتَشْهَدُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ
أَكْبَرَ الْخَلْقِ وَسَادَاتِهِمْ .

الثامن : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ شَهَادَتَهُمْ حُجَّةً عَلَى الْمُنْكَرِينَ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ
أَدْلِيَّتِهِ وَآيَاتِهِ وَبَرَاهِينِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ .

التاسع أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَفْرَدَ الْفِعْلَ الْمُتَضَمَّنَ لِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الصَّادِرَةَ مِنْهُ
وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ وَمِنْهُمْ وَلَمْ يَعْطِفْ شَهَادَتَهُمْ بِفِعْلِ آخَرَ غَيْرِ شَهَادَتِهِ .

وهذا يدلُّ على شِدَّةِ ارْتِبَاطِ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ فَكَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ شَهِدَ
لِنَفْسِهِ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْطَقَهُمْ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ فَكَانَ هُوَ الشَّاهِدَ بِهَا
لِنَفْسِهِ إِقَامَةً وَإِنْطَاقاً وَتَعْلِيماً وَهُمْ الشَّاهِدُونَ بِهَا لَهُ إِقْرَاراً وَاعْتِرَافاً وَتَصْديقاً
وَإِيمَاناً .

العاشرُ : أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَهُمْ مُؤَدِّينَ لِحَقِّهِ عِنْدَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ
فَإِذَا أَدَّوْهَا فَقَدْ أَدَّوْا الْحَقَّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَثَبَّتَ الْحَقُّ الْمَشْهُودَ بِهِ فَوَجَبَ عَلَى
الْخَلْقِ الْإِقْرَارُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ غَايَةَ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَكُلُّ مَنْ
نَالَ الْهُدَى بِشَهَادَتِهِمْ وَأَقْرَأَ بِهَذَا الْحَقِّ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِمْ فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ
أَجْرِهِ أَيْضاً فَهَذِهِ عَشْرَةٌ أَوْجِبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

الحادي عشر : فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ
أَهْلِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ كَمَا نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ .

فقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كما قال تعالى ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ وهذا يدلُّ على غاية فضليهم وشرفهم .

الوجه الثاني عشر: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يتصرون فقال ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ مِمَّا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ فما نَمَّ إلا عالم أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صُمُّ بكم عمي في غير موضع من كتابه .

شعرا :

ما أفتَحَ الجَهْلُ يَيدِي عَيْبِ صَاحِبِهِ لِلنَّاطِرِينَ وَعَنْ عَيْنَيْهِ يُخْفِيهِ
كَذَلِكَ الثُّومُ لَا يَشْمُمُهُ آكِلُهُ وَالنَّاسُ تَشْتُمُ تَنْ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

الوجه الثالث عشر: أنه سبحانه أخبر عن أولي العلم بأنهم يرون أن ما أنزل إليه من ربه حق وجعل هذا ثناء عليهم واستشهاداً بهم . فقال تعالى ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ .

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم . فقال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء .

الوجه الخامس عشر: أنه سبحانه شهد لأهل العلم شهادة في ضمئها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ،

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه سَلَى نَبِيَّهُ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ .
 وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَعْجَبَ بِالْجَاهِلِينَ شَيْئًا . فقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى
 النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا
 إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ وهذا شَرَفٌ عَظِيمٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَتَحْتَهُ أَنَّ أَهْلَهُ
 الْعَالِمُونَ قَدْ عَرَفُوهُ وَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا فَسَوَاءٌ آمَنَ بِهِ غَيْرُهُمْ أَوْ لَا .

الوجه السابع عشر: أنه سبحانه مَدَحَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَأَثَنَى عَلَيْهِمْ
 وَشَرَّفَهُمْ بِأَنْ جَعَلَ كِتَابَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِهِمْ وَهَذِهِ خَاصَّةٌ وَمُنْقَبَةٌ لَهُمْ
 دُونَ غَيْرِهِمْ . فقال تعالى ﴿ وكذلك أنزلنا الكتابَ فالذين آتيناَهُمُ الْكِتَابَ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرَتَابِ
 الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
 إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿ وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُسْتَقَرٌّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ ثَابِتٌ فِيهَا مَحْفُوظٌ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فَيَكُونُ أَخْبَرَ عَنْهُ
 بِخَبْرَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنَّهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ . الثَّانِي أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مُسْتَقَرٌّ ثَابِتٌ فِي صُدُورِ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ . أَوْ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِهِمْ أَيْ كَوْنُهُ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَعْلُومٌ لَهُمْ ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَالْقَوْلَانِ مُتَلَاذِمَانِ لَيْسَا
 بِمُخْتَلِفَيْنِ . وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ مَدْحٌ لَهُمْ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ فِي ضَمْنِهِ الْإِسْتِشْهَادُ
 بِهِمْ فَتَأَمَّلُهُ .

الوجه الثامن عشر: أنه سبحانه أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ مَزِيدَ الْعِلْمِ فَقَالَ
 تَعَالَى ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ
 وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ أَنْ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ

المزيد منه . اللهم عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا .

شعراً : العِلْمُ مُبْلَغُ قَوْمِ ذُرْوَةِ الشَّرْفِ
وصاحب العلم محفوظٌ من التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ العِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنِّسُهُ
بالمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ
العِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ
وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزِّ وَالشَّرْفِ

الوجه التاسع عشر أنه سبحانه أخبر عن رَفْعِهِ دَرَجَاتِ أَهْلِ العِلْمِ
وَالْإِيمَانِ خَاصَّةً . فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .
قَصِيدَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ :

يَا تَارِكًا لِمَرَاضِي اللَّهِ أَوْطَانًا
وَسَالِكًا فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ أَحْزَانًا
كُنْ بِإِذْنِ الْجِدِّ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ تَنَلْ
كُلَّ الْعُلُومِ وَكُنْ بِالْأَضَلِّ مُشْتَانًا
فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ
مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ مِيزَانًا وَرُجْحَانًا
وَالْعِلْمُ نُورٌ فَكُنْ بِالْعِلْمِ مُعْتَصِمًا
إِنْ رُمْتَ فَوْزًا لَدَى الرَّحْمَنِ مَوْلَانَا
وَهُوَ النَّجَاةُ وَفِيهِ الْخَيْرُ أَجْمَعُهُ
وَالْجَاهِلُونَ أَخَفُّ النَّاسِ مِيزَانًا
وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا كَانَ مُنْخَفِضًا

والجهلُ يَخْفِضُهُ لو كان ما كانا
وأرفعُ الناسِ أهلُ العِلْمِ مَنْزِلَةٌ
وأوضحُ الناسِ مَنْ قد كان خَيْرَانَا
لا يَهْتَدِي لِطَرِيقِ الحَقِّ مِنْ عَمِهِ
بل كانَ بالجهلِ مِمَّنْ نال خُسْرَانَا
تلقاهُ بينَ الوَرَى بالجهلِ مُنْكَبِرًا
لا يَدِرُ مَا زَانَهُ فِي الناسِ أَوْشَانَا
والعِلْمُ يَرْفَعُهُ فَوْقَ الوَرَى دَرَجًا
والناسُ تَعْرِفُهُ بِالْفَضْلِ إِذْعَانَا
وطالبُ العِلْمِ إِنْ يَظْفَرُ بِبُغْيَتِهِ
يَنَالُ بِالْعِلْمِ غُفْرَانًا وَرِضْوَانَا
فإِطْلَبْهُ مُجْتَهِدًا مَا عِشْتَ مُحْتَسِبًا
لا تَبْتَغِي بَدَلًا إِنْ كُنْتَ يَقْظَانَا
مَنْ نَالَ نَالَ فِي الدَّارَيْنِ مَنْزِلَةً
أَوْفَاتُهُ نَالَ خُسْرَانًا وَنُقْصَانَا
وَبَادِلُ الجِدِّ فِي تَحْصِيلِهِ زَمَانًا
وَلَمْ يَكُنْ نَالَ بَعْدَ الجِدِّ عِرْفَانَا
فَلَنْ يَضِيْعَ لَهُ سَعْيٌ وَلَا عَمَلٌ
عِنْدَ الإِلهِ وَلَا يُؤَلِيهِ خُسْرَانَا
فطالِبُ العِلْمِ إِنْ أَضْفَى سَرِيرَتَهُ
يَنَالُ مِنْ رَبَّنَا عَفْوَاً وَرِضْوَانَا
فالعِلْمُ يَرْفَعُهُ فِي الخُلْدِ مَنْزِلَةً
والجهلُ يُضْلِيهِ يَوْمَ الحَشْرِ نِيرَانَا

وَالْجَهْلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُنْقِضُهُ
 وَالْعِلْمُ يَكْسُوهُ تَاجَ الْعِزِّ إِعْلَانًا
 وَإِنْ تُرِيدَ نَهَجَ هَذَا الْعِلْمِ تَسْلُكُهُ
 أَوْ رُؤْمَتَ يَوْمًا لِمَا قَدْ قُلْتَ بُرْهَانًا
 فَالْقِي سَمْعًا لِمَا أُبَدِي وَكُنْ يَقِظًا
 وَلَا تُكُنْ غَافِلًا عَنِ ذَاكَ كَسَلَانًا
 قَدْ أَلَّفَ الشَّيْخُ فِي التَّوْحِيدِ مُخْتَصِرًا
 يَكْفِي أَخَا اللَّبِّ إِضْحَاحًا وَتَبْيَانًا
 فِيهِ الْبَيَانُ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ بِمَا
 قَدْ يَفْعَلُ الْعَبْدُ لِلطَّاعَاتِ إِيمَانًا
 حُبًّا وَخَوْفًا وَتَعْظِيمًا لَهُ وَرَجَا
 وَخَشْيَةً مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ إِذْعَانًا
 كَذَلِكَ نَذْرًا وَذَبْحًا وَاسْتِغْنَاءً
 وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْمَعْبُودِ مَوْلَانَا
 وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ
 لِيْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ سِرًّا وَإِعْلَانًا
 وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا رَبِّ الْعِبَادِ بِمَا
 قَدْ يَفْعَلُ اللَّهُ أَحْكَامًا وَإِتْقَانًا
 خَلْقًا وَرِزْقًا وَإِحْيَاءً وَمَقْدَرَةً
 بِالِاخْتِرَاعِ لِمَا قَدْ شَاءَ أَوْ كَانَا
 وَنَخْرُجُ الْأَمْرَ عَنِ طَوْقِ الْعِبَادِ لَهُ
 وَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَعْظَمُ بِهِ شَأْنَا
 وَفِيهِ تَوْحِيدُنَا الرَّحْمَنِ أَنْ لَهُ

صِفَاتِ مَجْدٍ وَأَسْمَاءِ لِمَوْلَانَا
تَسْعُ وَتَسْعُونَ إِسْمَاءً غَيْرَ مَا خَفِيَتْ
لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْإِنْسَانُ حُسْبَانَا
مِمَّا بِهِ اسْتَأْتَرَ الرَّحْمَنُ خَالِقُنَا
أَوْ كَانَ عِلْمُهُ الرَّحْمَنُ إِنْسَانَا
نَمِرُهَا كَيْفَ جَاءَتْ لَا نُكَيِّفُهَا
بَلْ لَا نُؤَوِّلُهَا تَأْوِيلَ مَنْ مَانَا
وَفِيهِ تَبْيَانُ إِشْرَاكِ يُنَاقِضُهُ
بَلْ مَا يُنَافِيهِ مِنْ كُفْرَانٍ مَنْ خَانَا
أَوْ كَانَ يَقْدَحُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ بَدَعِ
شَنْعَاءِ أَحَدَثَهَا مَنْ كَانَ فَتَانَا
أَوْ الْمَعَاصِي الَّتِي تُزْرِي بِفَاعِلِهَا
مِمَّا يُنْقِصُ تَوْحِيداً وَإِيمَانَا
فَسَاقَ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ كَمَا
قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ مَنْ كَانَ يَقْظَانَا
وَسَاقَ فِيهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْقُضُهُ
لِتَعْرِفَ الْحَقَّ بِالْأَضْدَادِ إِمْعَانَا
مُضْمِناً كُلَّ بَابٍ مِنْ تَرَاجُمِهِ
مِنَ النُّصُوصِ أَحَادِيثاً وَقُرْآنَا
فَالشَّيْخُ ضَمَّنَهُ مَا يَطْمَئِنُّ لَهُ
قَلْبُ الْمُؤَحِّدِ إِيْضَاحاً وَتَبْيَانَا
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مُعْتَصِماً
يُورِثُكَ فِيْمَا سِوَاهُ اللَّهِ عِرْفَانَا

وَانظُرْ بِقَلْبِكَ فِي مَبْنَى تَرَاجُمِهِ
 تَلْقَى هُنَالِكَ لِلتَّحْقِيقِ عُنْوَانَا
 وَلِلْمَسَائِلِ فَاَنْظُرْ تَلَقَّهَا حِكْمًا
 يَزْدَادُ مِنْهُنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ إِتْقَانَا
 وَقُلْ جَزَى اللَّهُ شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ كَمَا
 قَدْ شَادَ لِلْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَرْكَانَا
 فَقَامَ لِلَّهِ يَدْعُو النَّاسَ مُجْتَهِدًا
 حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ مَثْنَى وَوَحْدَانَا
 وَوَحَّدُوا اللَّهَ حَقًّا لَا شَرِيكَ لَهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَنْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ أَزْمَانَا
 وَأَصْبَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْجَهْلِ قَدْ عَلِمُوا
 وَطَالَ مَا هَدَمُوا لِلدِّينِ بُنْيَانَا
 وَأَظْهَرَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَأَنْتَشَرَتْ
 أَحْكَامُهُ فِي الْوَرَى مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَا
 بِالْجَهْلِ وَالْكُفْرِ قَدْ أُرْسَتْ مَعَالِمُهُ
 لَا يَعْرِفُ النَّاسُ إِلَّا الْكُفْرَ أَزْمَانَا
 يَدْعُونَ غَيْرَ الْإِلَهِ الْحَقِّ مِنْ سَفَهٍ
 وَيَطْلُبُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ غُفْرَانَا
 وَيَنْسِكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَا ذَبَحُوا
 وَيَنْذِرُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ قُرْبَانَا
 وَيَسْتَعِينُونَ بِالْأَمْوَاتِ إِنْ عَظَمَتْ
 وَأَعْضَلَتْ شِدَّةً مِنْ حَادِثٍ كَانَا
 وَيَنْدِبُونَ لَهَا زِيدًا لِيَكْشِفَهَا

بَلْ يَنْدُبُونَ لَهَا تَاجاً وَشُمْسَانَا
 فَزَالَ ثُمَّ بِهَذَا الشَّيْخِ حِينَ دَعَا
 مَنْ صَدُّ أَوْ نَدُّ عَنْ تَوْجِيدِ مَوْلَانَا
 فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو وَلِيَجْتَهُ
 يَوْمًا بِنَجْدٍ وَلَا يَدْعُونَ أُوثَانَا
 بَلِ الدُّعَا كُلُّهُ وَالذِّينُ أَجْمَعُهُ
 لِيَلِيَهُ لَا لِسِوَى الرَّحْمَنِ إِيمَانًا
 فَاللَّهُ يُعْلِيهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَنْزِلَةً
 فَضْلاً وَجُوداً وَتَكْرِيماً وَإِحْسَانَا
 وَاللَّهُ يُؤَلِّيهِ أَلْطَافاً وَمَغْفِرَةً
 وَرَحْمَةً مِنْهُ إِحْسَانَا وَرِضْوَانَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَعْصُومِ سَيِّدِنَا
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ إِيمَانًا وَعِرْفَانَا
 مَا نَاصَ بَرَقَ وَمَا هَبَّ النَّسِيمُ وَمَا
 مَسَّ الْحَجَّاجُ لِبَيْتِ اللَّهِ أَرْكَانَا
 أَوْ قَهَقَةَ الرَّعْدُ فِي هَذْبَاءِ مُذْجَنَةٍ
 أَوْ نَاحَ طَيْرٍ عَلَى الْأَغْصَانِ أَرْمَانَا
 وَالْأَلِ وَالصُّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ
 عَلَى الْمَحَجَّةِ إِيمَانًا وَإِحْسَانَا

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عِنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ
 مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا
 بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ رَاقِدِينَ

ولا تُشْمِثُ بنا الأعداءَ ولا الحاسدينَ ، اللَّهُمَّ وعافنا من مَحَنِ الزَّمانِ وعوارضِ
الْفِتَنِ فإنَّا ضعفاءُ ، عن حَمَلِها وإن كُنَّا من أهلِها فَعافيتُكَ أوْسَعُ يا واسِعُ يا عَلِيمُ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَي
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل ١٣) : وقد أُخْبِرَ سبحانه في كتابه بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ في أربعةِ مَواضِعَ ،
أحدها هذا . والثاني قَوْلُهُ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ . (والثالث) قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (والرابع)
قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ فهذه أربعةُ مَواضِعَ في ثلاثَةِ مِنْها الرِّفْعَةُ بالدَّرَجَاتِ
لِأَهْلِ الرِّفْعَةِ بِالْجِهَاتِ فَعَادَتْ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ كُلِّهَا إِلَى العِلْمِ وَالْجِهَادِ
اللَّذِينَ بِهِمَا قِوَامُ الدِّينِ .

الوجهُ العِشْرُونَ : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِأَهْلِ العِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الكُفَّارِ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ
المُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

الوجهُ الحادي والعِشْرُونَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَتِهِ بَلْ
خَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِذَلِكَ . فَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ عِبَادِهِ
العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ .

شعرا

لَا يَنَالُ الْعِلْمَ شَخْصٌ وَقْتُهُ
ضَائِعٌ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْكُرَى
وَالْتَلَافِيْزِ وَمَذِيَّاعِ الضَّرْرِ
وَكَذَا الْفِدْيُو فَحَذَّرْ وَاحْذَرَهُ

(فصل) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

وهذا حَضْرٌ لِحَشِيَّتِهِ فِي أُولِي الْعِلْمِ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ خَشِيَّتِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ . فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْجِزَاءَ الْمَذْكُورَ لِلْعُلَمَاءِ بِمَجْمُوعِ النَّصِيِّينَ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَفَى بِخَشِيَّةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْأَغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا .

الوجه الثاني والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أَمْثَالِهِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِعِبَادِهِ يَدُلُّهُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ هُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا الْمُخْتَصُّونَ بِعِلْمِهَا فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وَفِي الْقُرْآنِ بَضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا مَرَّ بِمَثَلٍ لَا يَفْهَمُهُ يَبْكِي وَيَقُولُ لَسْتُ مِنَ الْعَالِمِينَ .

الوجه الثالث والعشرون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ مُنَاطَرَةَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ وَغَلَبَتْ لَهُمُ بِالْحُجَّةِ وَأَخْبَرَ عَنْ تَفْضِيلِهِ بِذَلِكَ وَرَفَعِهِ دَرَجَتَهُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ فَقَالَ تَعَالَى عَقِيبَ مُنَاطَرَتِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ .

الوجه الرابع والعشرون : أنه سبحانه أخبر أنه خلق الخلق ووضع بيته الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد ليُعَلِّم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فقال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فدل على أن علم العباد بربههم وصفاته وعبادته وحده هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر .

شعرا : العِلْمُ يَغْرِسُ كُلَّ فَضْلٍ فَاجْتَهِدْ
 أَنْ لَا يَفُوتَكَ فَضْلُ ذَاكَ الْمَغْرُسِ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يِنَالُهُ
 مَنْ هَمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ
 إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يَزْهَوُ بِهِ
 فِي حَالَتَيْهِ عَارِيًّا أَوْ مُكْتَسِبِي
 فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًا
 وَاهْجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وَعَبَّسٍ
 فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ
 كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخَرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ
 آخِر :

شُغِلْنَا بِكَسْبِ الْعِلْمِ عَنْ مَكْسَبِ الْغِنَى كَشَغَلَهُمْ عَنْ مَكْسَبِ الْعِلْمِ بِالْوَفْرِ
 فَصَارَ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِنَى وَصَارَ لَنَا حَظٌّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْرِ
 آخِر :

إِذَا مَا أَعْتَزَ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ فَعِلْمُ الْفِقْهِ أَوْلَىٰ بِاعْتِرَازِ
 فَكَمْ طِيبٌ يَفُوحٌ وَلَا كِمْسِكٍ وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي
 آخِر :

لَيْسَ الْحَيَاةُ بِأَنْفَاسٍ تُرَدِّدُهَا إِنَّ الْحَيَاةَ حَيَاةُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

آخر :

يا طالب العلم لا تُرَكَنْ إلى الكسل
واستعمل الصبر في كسب العلوم وقل
واعجل فقد خلق الإنسان من عجل
أعوذ بالله من علم بلا عمل

آخر :

الفقه أنفُسُ شيءٍ أنتَ ذاخره
فاكسب لنفسك ما أصبحت تجهله
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فأول العلم إقبال وآخره

آخر :

ومن بغى نيل فقه وهو في دعة
كمن بغى من صفاة درحلاب

آخر :

العلم يمنع أهله أن يمنعا
واجعله عند المستحق وديعة
فأسمح به تمل المحل الأرفعا
فهو الذي من حقه أن يودعا
يعمل به أو إن تلقنه وعما
والمستحق هو الذي إن حازه

آخر :

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى
فبشبهه أن الله أولاه فتنه
وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

آخر :

يقدر الجدُّ تُكتسب المعالي
نزوم العزُّ ثم تنام عنه
ومن طلب الغلا سهسر الليالي
يغوص البحر من طلب اللالي

آخر: عود بنيك على الآداب في الصغر

كيما تقر بهم عيناك في الكبر

فإنما مثل الآداب تجمعها

في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخايرها

ولا يخاف عليها حادث الغير

إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ

يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيْبَاجِ وَالسُّرْرِ

آخر: حَاوَلَ جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ وَلَا تَبْنِي إِنَّ الْمَحَامِدَ وَالْعُلَا أَرْزَاقُ
وَأَرْغَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مُقْصِراً عَنْ غَايَةِ فِيهَا الطَّلَابُ سِبَاقُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ الْجُهَالَ يَهَابُونَكَ وَيُجْلُونَكَ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ
الْعَامِلُونَ بَعْلِمِهِمُ الْبَعِيدُونَ عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الظُّهُورِ يُحِبُّونَكَ وَيُكْرِمُونَكَ لَكَانَ
ذَلِكَ سَبَبًا دَعِيًّا إِلَى وَجُوبِ طَلِبِهِ فَكَيْفَ بِسَائِرِ فَضَائِلِهِ فِي النُّيَا وَالْآخِرَةِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَقْصِ الْجَهْلِ إِلَّا صَاحِبَهُ يُحْسِدُ الْعُلَمَاءَ وَيُحْتَقِرُّ عِنْدَ النَّاسِ
حَتَّى عِنْدَ أَهْلِهِ وَأَقْرَبَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَكَيْفَ بِسَائِرِ رَذَائِلِهِ وَمَسَاوِيهِ فِي النُّيَا وَالْآخِرَةِ .

ولو لم يكن من فضل العلم إلا أنه يُقَطِّعُ الْمُشْتَغَلَ بِهِ عَنِ الْوَسَاوِسِ
الْمُضْنِيَةِ وَالْأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ وَمَطَارِحِ الْأَمَالِ الَّتِي لَا تَفِيدُ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ لَكَانَ
ذَلِكَ أَعْظَمُ دَاعٍ فَكَيْفَ وَلَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

أَلَا رَبُّ مَنْ قَدْ أَنْحَلَ الزُّهْدُ جِسْمَهُ كَثِيرَ صَلَاةٍ دَائِمُ الصُّومِ عَابِدُ
يَرُومٍ وَصَالاً وَهُوَ بِالطَّرِيقِ جَاهِلٌ إِذَا جُهِلَ الْمَقْصُودُ قَدْ خَابَ قَاصِدُ
قَلِيلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

اللَّهُمَّ أَعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ
إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ
مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَهْلِمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا
فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَآ بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

الوجه الخامس والعشرون : أنه سبحانه أمر أهل العلم بالفرح ،
بما آتاهم وأخبر أنه خير مما يجمعونه الناس فقال ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ
وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وَفَسَّرَ اللَّهُ الْفَضْلَ
بِالْإِيمَانِ وَرَحْمَتَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ هُمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ وَهُمَا أَفْضَلُ عِلْمٍ وَأَفْضَلُ عَمَلٍ .

الوجه السادس والعشرون : أنه سبحانه شهد لمن آتاه العلم بأنه قد
آتاه خيراً كثيراً فقال تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَالْجُمْهُورُ الْحِكْمَةُ إِصَابَةُ الْحَقِّ
وَالْعَمَلُ بِهِ وَهِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ .

الوجه السابع والعشرون : أنه سبحانه عدّد نعمه وفضله على رسوله
صلى الله عليه وسلم وجعل من أجلها أن آتاه الكتاب والحكمة وعلمه ما
لم يكن يعلم فقال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا
لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

الوجه الثامن والعشرون : أنه سبحانه ذكّر عباده المؤمنين بهذه
النعمه وأمرهم بشكرها وأن يذكروه على إسدايها إليهم فقال تعالى ﴿ كَمَا
أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي
وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ .

الوجه التاسع والعشرون : أنه سبحانه لما أن عرفهم فضل آدم
بالعلم وعجزهم عن معرفة ما علمه قال لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فَعَرَفَهُمْ

سبحانه نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِعِلْمِهِ بِظَاهِرِهِمْ وَبِاطِنِهِمْ وَبِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِصِفَةِ الْعِلْمِ وَعَرَفَهُمْ فَضْلَ نَبِيِّهِ وَكَلِيمِهِ بِالْعِلْمِ
وَعَجَزَهُمْ عَمَّا آتَاهُ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ وَكَفَى بِهِذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ .

وَبَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ وَجُوهِ . أَحَدُهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ فِي آدَمَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا كَانَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ
الْمَخْلُوقَاتِ وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُظْهِرَ لِمَلَائِكَتِهِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَظَهَرَ لَهُمْ أَحْسَنُ
مَا فِيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَنَّ فَضْلَهُ
وَشَرَفَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ وَنَظِيرُ هَذَا مَا فَعَلَهُ بِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ
إِظْهَارَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ كُلِّهِمْ أَظْهَرَ لِلْمَلِكِ وَأَهْلِ مِصْرَ مِنْ
عِلْمِهِ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ عُلَمَاءُ التَّعْبِيرِ فَحِينَئِذٍ قَدَّمَهُ وَمَكَّنَهُ وَسَلَّمَ
إِلَيْهِ خَزَائِنَ الْأَرْضِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ حَبَسَهُ عَلَى مَا رَأَاهُ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
وَجَمَالِ صُورَتِهِ وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ حُسْنُ صُورَةِ عِلْمِهِ وَجَمَالُ مَعْرِفَتِهِ أَطْلَقَهُ مِنَ
الْحَبْسِ وَمَكَّنَهُ فِي الْأَرْضِ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ صُورَةَ الْعِلْمِ عِنْدَ بَنِي آدَمَ أَبْهَى
وَأَحْسَنُ مِنَ الصُّورَةِ الْجَسَدِيَّةِ وَلَوْ كَانَتْ أَجْمَلَ صُورَةٍ . وَهَذَا وَجْهٌ مُسْتَقِلٌّ
فِي تَفْضِيلِ الْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ فَتَمَّ بِهِ ثَلَاثِينَ وَجْهًا .

الوجه الحادي والثلاثون : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ أَهْلَ الْجَهْلِ فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ .

الوجه الثاني والثلاثون أَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةٌ وَنُورٌ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ سَبَبُهُ النُّورُ
وَالْحَيَاةُ فَإِنَّ النُّورَ يَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَيُبَيِّنُ مَرَاتِبَهَا وَالْحَيَاةُ هِيَ
الْمُصْطَحِحَةُ لَصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَوْجِبَةُ لِتَسْدِيدِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَكُلَّمَا
تَصَرَّفَ مِنَ الْحَيَاةِ فَهُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْحَيَاءِ الَّذِي سَبَبُهُ كَمَالُ حَيَاةِ الْقَلْبِ
وَتَصَوُّرُهُ حَقِيقَةُ الْقُبْحِ وَنَفَرَتُهُ مِنْهُ وَضِدُّهُ الْوَقَاحَةُ وَالْفُحْشُ وَسَبَبُهُ مَوْتُ

القلبِ وعدمُ نُفْرَتِهِ مِنَ الْقَبِيحِ وَكَالْحَيَا الَّذِي هُوَ الْمَطْرُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ كَانَ مَيِّتًا بِالْجَهْلِ قَلْبُهُ فَأَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ .

الوجهُ الثالثُ والثلاثون : أن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتةً يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المَعْلَمُ وهذا أيضاً من شرف العلم أنه لا يُباح إلا صيد الكلب العالمِ وأما الكلبُ الجاهلُ فلا يحلُّ أكلُ صيدهِ فدلَّ على شرفِ العِلْمِ وَفَضْلِهِ .

شِعْرًا: إِذَا مَا أَنَا فَانْحَرُونَا بِمَالِهِمْ	فَأَنِّي بِمِيرَاثِ النَّبِيِّينَ فَأَخِرُّ
ألم تر العلم يُذكرُ أهله	بِكُلِّ جَمِيلٍ فِيهِ وَالْعَظْمُ نَاخِرُ
سقى الله أجداناً أجنّت معاشرًا	لَهُمْ أَبْحُرُّ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَوَاخِرُ
آخر: العلم بالتوحيد أفضلُ مُكْتَسَبُ	ثُمَّ الْحَدِيثُ يَتْلُوهُ فَنِعَمَ الْأَدَبُ
فاشدُّ يدك بحبليهما	فَلِحَبْلَيْهِمَا أَقْوَى سَبَبُ
هذا هو الكنز الذي	يَبْقَى إِذَا فَنِيَ الذَّهَبُ

وقال رحمه الله :

الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبهته وإيثاره مرضاته ، المسلمتمة لمعرفة ، ونصب للعباد علماً لا كمال لهم إلا به . وهو : أن تكون حركاتهم كلها موافقة على وفق مرضاته ومحبهته ، ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه . فكمال العبد الذي لا كمال له إلا به ، أن تكون حركاته موافقة لما يحبه الله منه ويرضاه له . ولهذا جعل إتيان رسوله ﷺ دليلاً على محبهته . قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحجوبه أن يتحرك بتحركة إختيارية في غير مرضاته ، وإذا فعل فعلاً مما أبيع له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنوب ، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب بها مباحاته كلها طاعات .

فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومه وصومه واجتهاده ، وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها ، وضراء يصبر عليها ، فهو سائر إلى الله تعالى دائماً في نومه ويقظته .

قال بعض العلماء : الأكياس عاداتهم عبادات الحمقى والحمقى عباداتهم عادات .

شعراً : لا يحقر الرجل العظيم دقيقةً في السهو فيها لوضيع معاذر
فكباثر الرجل الصغير صغائر وصغائر الرجل الكبير كباثر
آخر : دع التعليل والتسوية واقبل على مولاك تغنم نيل حظ
أدم بالحزم إقبالاً عليه عسى تحظى بتوفيق وحفظ
ونق القلب من شبهات زيف تراه معنوياً ثم لفظي
ورد حوض الشريعة مع صفاء وجانب كل ذي حسد وعيظ
ورق النفس بالعرفان تزكو وتظفر بالمنى من كل وعظ

وقال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس وفطرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم ، فالمحب الصادق إن نطق نطق الله وبالله ، وإن سكت سكت الله وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فسكونه إستعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله .

ومعلوم أن صاحب هذا المقام ، أحوج خلق الله إلى العلم ، فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب لله من غيره إلا بالعلم . فليست حاجته إلى العلم كحاجة من طلب العلم لذاته .

ولأنه في نفسه صفة كمال ، بل حاجته إليه كحاجته إلى ما به قوام نفسه وذاته .

ولهذا إشتدت وصاة شيوخ العارفين لمريديهم بالعلم وطلبه ، وإنه من لم يطلب العلم لم يفلح ، حتى كانوا يعدون من لا علم له من السفلة .

قال ذو النون وقد سئل من السفلة فقال : من لم يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه .

وقال أبو يزيد : لو نظرتم إلى الرجل وقد أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة .

وقال أبو حمزة البزازي : مَنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْحَقِّ سَهَّلَ عَلَيْهِ سُلُوكَهُ ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى الطَّرِيقَةِ إِلَّا مَتَابَعَةُ الرَّسُولِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ .

وقال محمد بن الفضل الصوفي الزاهد : ذهاب الإسلام على يدي أربعة أصناف من الناس .

صِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ لَا يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ .

وَصِنْفٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ التَّعَلُّمِ .

قلت : الصنف الأول : من له علم بلا عمل ، فهو أضر شيء على

العامة ، فإنه حجة لهم في كل نقيصة ومخسة .

والصنف الثاني : العابد الجاهل ، فإن الناس يحسنون الظن به

وعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله .

وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله : إحدروا

فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم ، فإذا كان العلماء فجرة ،
والعباد جهلة ، عمت المصيبة بهما ، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة .
والصنف الثالث : الذين لا علم لهم ولا عمل ، وإنما هم كالأنعام
السائمة والصنف الرابع : نواب إبليس في الأرض ، وهم الذين يشبثون
الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين ، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين
الجن ، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه .
فهؤلاء الأربعة الأصناف ، هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله
عليه وهؤلاء كلهم على شفا جرف هار ، وعلى سبيل الهلكة .
وَمَا يَلْقَى الْعَالِمُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُلْقَاهُ مِنَ الْأَذَى وَالْمَحَارِبَةِ إِلَّا
عَلَى أَيْدِيهِمْ .

والله يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي سَخَطِهِ ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي مَرْضَاتِهِ
إنه بعباده خبير بصير .

ولا ينكشف سرُّ هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم ، فعاد الخير
بحدافيره في العلم وموجبه ، والشر بحدافيره إلى الجهل وموجبه .

شِعْرًا: مَعَ الْعِلْمِ فِاسْئَلُكَ حَيْثُمَا سَلَكَ الْعِلْمُ	وعنه فكاشفٌ كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمٌ
فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى	وَعَوْنٌ عَلَى الَّذِينَ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمٌ
آخِر: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ	يَذَرُ الضَّيِّيلَ مِنَ الرِّجَالِ مَهِيْبًا
آخِر: ذَوُوا الْعِلْمِ فِي الثِّيَا نُجُومٌ هِدَايَةٌ	إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ بَعْدُ جَدِيدٌ
بِهِمْ عَزَّ دِينُ اللَّهِ طَرَأَ وَهُمْ لَهُ	مَعَاقِلٌ مِنَ أَعْدَائِهِ وَجُنُودٌ
وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِنَقْلِهِ	فَمَنْ كَانَ يُرْوِي عِلْمَهُ وَيُفِيدُ
هُمُومًا وَرَثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَاحْتَوُوا	مِنَ الْفَضْلِ مَا عَنْهُ الْأَنَامُ رُقُودٌ
وَهُمْ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى يُهْتَدَى بِهِمْ	وَمَا لَهُمُومًا بَعْدَ الْمَمَاتِ خُمُودٌ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْغِرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ وَمِنْ شَغْلِ

الْقَلْبِ وَتَعَلَّقِ الِهَمَّ بِهِ ، وَمِنَ الدُّلِّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمِنَ التَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمِنَ الشُّحِّ وَالحِرْصِ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : قال ابن رجب : فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء والذين يُهْتَدَى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال فإذا فُقدوا ضلَّ السالكُ .

وقد شُبِّه العلماء بالنجوم ، والنجوم فيها ثلاث فوائد : يُهْتَدَى بها في الظلمات ، وهي زينة للسماء ، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع منها .

والعلماء في الأرض يجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة : بهم يُهْتَدَى في الظلمات ، وهم زينة للأرض ، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل ويُدْخِلُونَ في الدين ما ليس منه من أهل الأهواء .

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هُدَى . وبقاء العلم بقاء حَمَلَتِهِ فإذا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ وَمَنْ يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلماء فإذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا » .
شعرا :

مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدُرُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَجْمَعَهُ
إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ لَهُ طَالِبَا فَجِدَّ فِيهِ وَالتَّمَسْ أَنْفَعَهُ

وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فقال « هذا أوانٌ يُخْتَلَسُ العلمُ من الناس حتى لا يَقْدِرُوا منه على شيء » .

فقال زيادُ بنُ لبيدٍ يا رسولَ الله كيفَ يُحْتَلَسُ منّا العِلْمُ ، وقد قرأنا القرآنَ ؟ فواللهَ لنقرآنَهُ ولنُقرئَنَّهُ نِسائِنَا وأبنائِنَا .

فقال « ثكلتكُ أمكُ يا زياد ، إن كُنتُ لأعدكُ من فقهاءِ المدينة ، هذهِ التوراةُ والانجيلُ عند اليهود والنصارى ، فماذا تُغني عنهم ؟ » .

قال جبيرُ بنُ نُفَيْرٍ : فلقيتُ عُبَادَةَ بنَ الصامتِ فقلتُ ألا تسمع ما يقولُ أبو الدرداءِ ؟ فأخبرتهُ بالذي قال .

فقال صدقَ أبو الدرداءِ ، لو شئتُ لأخبرتكَ بأولِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ الناسِ : الخشوعُ ، يُوشِكُ أن تدخلَ المسجدَ الجامعَ فلا ترى فيه خاشعاً . وخرجه النسائي من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه .

وفي حديثه « فذكر ﷺ ضلالةَ اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتابِ الله » قال جبيرُ بنُ نُفَيْرٍ : فلقيتُ شدادَ بنَ أوسٍ فحدثتهُ بحديثِ عوفِ بنِ مالكٍ فقال : صدق ، ألا أخبركَ بأولِ ذلكِ ؟ يُرْفَعُ الخشوعُ حتى لا ترى خاشعاً .

وخرج الإمام أحمد من حديث زياد بن لبيد عن النبي ﷺ أنه ذكر شيئاً فقال « ذاك عند أوانِ ذهابِ العلمِ » فذكر الحديث وقال فيه « أو ليس اليهود والنصارى يقرأون التوراةَ والانجيلَ لا يعملون بشيءٍ مما فيهما ؟ » ولم يذكر ما بعدها .

ففي هذه الاحاديث ان ذهابَ العلمِ بذهابِ العملِ وان الصحابةَ فسروا ذلكَ بذهابِ العلمِ الباطنِ مِنَ القلوبِ وهو الخشوعُ . كذا روى عن حديفةَ : أن أولَ ما يُرْفَعُ من العلمِ الخشوعُ .

فإن العِلْمَ كما قال الحسنُ عَلِمَانُ : عِلْمُ اللِّسَانِ فِذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى
ابنِ آدَمَ ، وَعِلْمُ فِي الْقَلْبِ فِذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ . وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « إِنْ أَقْوَامًا
يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُونَ تَرَاقِيهِمْ وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ وَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ » .

فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا بَاشَرَ الْقَلْبَ فَأَوْقَرَ فِيهِ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ وَخَشِيئَتَهُ
وَإِجْلَالَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، وَمَتَى سَكَنَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْقَلْبِ خَشَعُ
فَخَشَعَتِ الْجَوَارِحُ تَبَعًا لَهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ » .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُوجِبُ الْخُشُوعَ لِلْقَلْبِ فَهُوَ عِلْمٌ
غَيْرٌ نَافِعٌ . وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ
« سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » .

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ فَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ كَمَا قَالَ ﷺ
« وَالْقُرْآنُ حُجَّةُ اللَّهِ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ » فَإِذَا ذَهَبَ مِنَ النَّاسِ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ
بَقِيَ الظَّاهِرُ عَلَى اللِّسَانِ حُجَّةً .

ثُمَّ يَذْهَبُ الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ بِذَهَابِ حَمَلَتِهِ وَلَا يَبْقَى مِنَ الدِّينِ
إِلَّا اسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ فَيَبْقَى الْقُرْآنُ فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ يُسْرَى بِهِ
فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الْمَصَاحِفِ وَلَا فِي الْقُلُوبِ شَيْءٌ .

وَمِنْ هُنَا قَسَمَ مَنْ قَسَمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعِلْمَ إِلَى بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ : فَالْبَاطِنُ
مَا بَاشَرَ الْقُلُوبَ فَأَثْمَرَ لَهَا الْخُشْيَةَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّعْظِيمَ وَالْإِجْلَالَ وَالْمَحَبَّةَ
وَالْأَنْسَ وَالشُّوقَ . وَالظَّاهِرُ مَا كَانَ عَلَى اللِّسَانِ فِيهِ تَقْوَمُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ
آدَمَ .

وَكَتَبَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ إِلَى مَكْحُولٍ : إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ أَصَبْتَ بِهَا ظَهَرَ مِنْ
عِلْمِ الْإِسْلَامِ شَرَفًا فَأُطْلِبُ بِهَا بَطْنَ مِنْ عِلْمِ الْإِسْلَامِ مَحَبَّةً وَزُفْيَ . وَفِي
رِوَايَةٍ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ بِظَاهِرِ عِلْمِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةً وَشَرَفًا
فَأُطْلِبُ بِبَاطِنِ عِلْمِكَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَزُفْيَ . وَاعْلَمْ أَنَّ إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ تَمْنَعُ
مِنَ الْآخَرَى .

فَإِشَارَ وَهْبٍ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ إِلَى عِلْمِ الْفَتَاوِيِّ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ
وَالْحَرَامِ وَالْقَصَصِ وَالْوَعِظِ وَهُوَ مَا يَظْهَرُ عَلَى اللِّسَانِ ، وَهَذَا الْعِلْمُ يَوْجِبُ
لِصَاحِبِهِ مَحَبَّةَ النَّاسِ لَهُ وَتَقَدُّمَهُ عِنْدَهُمْ فَحَدَّرَهُ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ ذَلِكَ
وَالرُّكُونِ إِلَيْهِ وَالِالْتِفَاتِ إِلَى تَعْظِيمِ النَّاسِ وَمَحَبَّتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ وَقَفَ مَعَ ذَلِكَ
فَقَدْ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ وَأَنْحَجَبَ بِنَظَرِهِ إِلَى الْخَلْقِ عَنِ الْحَقِّ .

وَإِشَارَ بِعِلْمِ الْبَاطِنِ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي يُبَاشِرُ الْقُلُوبَ فَيُحَدِّثُ لَهَا
الْخَشْيَةَ وَالْإِجْلَالَ وَالتَّعْظِيمَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُطَلَّبَ بِهَذَا الْمَحَبَّةَ مِنَ اللَّهِ وَالْقُرْبَ
مِنْهُ وَالزُّفْيَ لَدَيْهِ .

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ يُقَسِّمُونَ الْعُلَمَاءَ ثَلَاثَةً
أَقْسَامًا : عَالِمٌ بِاللَّهِ وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَشَيْرُونَ بِذَلِكَ إِلَى مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ
الْعُلَمَاءِ الْمَشَارُ إِلَيْهِمَا الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ .

وَهؤُلَاءِ أَشْرَفُ الْعُلَمَاءِ وَهُمْ الْمَمْدُوحُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مَنْ عِبَادَهُ الْعُلَمَاءُ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ
يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ : لَيْسَ الْعِلْمُ كَثْرَةُ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا . وَيَقُولُونَ
أَيْضًا : عَالِمٌ بِاللَّهِ لَيْسَ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَيْسَ لَهُمْ اتِّسَاعٌ فِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِ .

وَيَقُولُونَ : عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ
الظَّاهِرِ الَّذِينَ لَا نَفَادَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ الْبَاطِنِ وَلَيْسَ لَهُمْ خَشْيَةٌ وَلَا خُشُوعٌ ،
وَهَؤُلَاءِ مَذْمُومُونَ عِنْدَ السَّلَفِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : هَذَا هُوَ الْعَالِمُ
الْفَاجِرُ .

وهؤلاء الذين وَقَفُوا مَعَ ظَاهِرِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَصِلِ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى
قُلُوبِهِمْ وَلَا شَمُّوا لَهُ رَائِحَتَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْغَفْلَةُ وَالْقَسْوَةُ وَالْأَعْرَاضُ عَنِ
الْآخِرَةِ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَمَحَبَّةُ الْعُلُوفِ فِيهَا وَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ أَهْلِهَا .

وَقَدْ مُنَعُوا إِحْسَانَ الظَّنِّ بِمَنْ وَصَلَ الْعِلْمُ النَّافِعُ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا
يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُجَالِسُونَهُمْ وَرَبِمَا ذَمُّوهُمْ وَقَالُوا لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ ، وَهَذَا مِنْ خِدَاعِ
الشَّيْطَانِ وَغُرُورِهِ لِيَحْرِمَهُمُ الْوَصُولَ إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي مَدَحَهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَسَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَتْمَتُهَا .

ولهذا كَانَ عُلَمَاءُ الدُّنْيَا يُبْغِضُونَ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ وَيَسْعَوْنَ فِي أَذَاهِمُ
جُهْدَهُمْ كَمَا سَعَوْا فِي أَذَى سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ وَالْحَسَنِ وَسَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ
وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ .

وَذَلِكَ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْآخِرَةِ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ وَعُلَمَاءُ السُّوءِ فِيهِمْ شَبَهٌ مِنْ
الْيَهُودِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَقَتْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْقَسْطِ مِنَ النَّاسِ ، وَهُمْ
أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً وَحَسَدًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَلِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لِلدُّنْيَا لَا يُعْظَمُونَ عِلْمًا وَلَا دِينًا وَإِنَّمَا يُعْظَمُونَ الْمَالَ
وَالجَاهَ وَالتَّقَدُّمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ .

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ حَامِلٌ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
آخِرُ : قَالُوا فَلَانَّ عَالِمٌ فَاضِلٌ فَأَكْرَمُوهُ مِثْلَ مَا يَرْتَضِيهِ

فَقُلْتُ أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا تُقَى تَعَارَضَ الْمَانِعُ وَالْمُقْتَضِي
 اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ وَحَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَاجْعَلْنَا
 بِفَضْلِكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فَوَائِدُ نَافِعَةٌ حَوْلَ الْإِفْتَاءِ وَالْإِسْتِفْتَاءِ]

إِعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الفتيا أمرها
 عظيم ، ولقد كان السلف رحمهم الله يأبسون الفتيا ، ويشددون فيها ،
 ويتدافعون عكس ما عليه علماء هذا العصر .

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب
 رسول الله ﷺ يُسألُ أحدهم عن المسألة فيردّها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا
 حتى ترجع إلى الأول .

وفي رواية ما منهم من يُحدّث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا
 يُسْتَفْتَى عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا ، وأنكر الامام أحمد وغيره على من
 يهجم على الجواب لخبر أجروكم على الفتيا أجروكم على النار .

وقال الامام أحمد : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُسْتَفْتَى فيه ، وقال :
 لا ينبغي للرجل أن يُعرِّض نفسه للفتيا حتى يكون في خمس خصال :

أحدها : أن تكون له نية ، وهي أن يخلص لله تعالى ، ولا يقصد
 رياسةً ولا نحوها ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن من فعل ما
 تصدّى له من بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته ، وإلا فقد عرّض
 نفسه لخطرٍ عظيم .

الرابعة : الكفاية ، وإلا أَبْغَضَهُ الناس ، لأنه إحتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فيتضررون منه .

الخامسة : معرفة الناس بأن يكون بصيرا بمكرهم وخذاعهم ، ليكون حذراً منهم لئلاً يوقعوه في المكروه .

وإليك ما ورد في ذلك ، نقل الميموني عن الامام أحمد رضى الله عنه أنه سئل عن حديث ، فقال سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطي .

وقال أبو داود الطيالسي : سَمِعْتُ شُعْبَةَ قَالَ : سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، مَا مَعْنَى يُغَانُ ؟

قال : فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ : لو كان عن غير النبي ﷺ لَفَسَّرْتُ ذَلِكَ وَلَكِنْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أُجْتَرِيءُ عَلَيْهِ .
وعن الأصمعي عن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانُوا يَتَّقُونَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَتَّقُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ .

وكان الامام أحمد يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب روى ذلك الخلال .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وقال كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وقال أحمد في رواية المروزي : كان مالك يسأل عن الشيء فَيُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ يَتَّبِعُ وَهَؤُلَاءِ يَقِيسُونَ عَلَى قَوْلِهِ وَيَقُولُونَ : قال مالك .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : مِنْ عِلْمِ الرَّجُلِ أَنْ

يقول لما لا يَعْلَمُ اللهُ أَعْلَمُ لأن الله عز وجل قال لرسوله ﷺ ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وصح عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : العلم ثلاثة : كتابٌ ناطقٌ وسنة ماضية ولا أدري .

وقال أحمد في رواية المروزي : ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه ، وذكر أحاديث النبي ﷺ كان يُسأل فيقول لا أدري حتى أسأل جبريل .

وقال عبدالله : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول مَنْ يُحْسِنُ ذَا مِنْ يُحْسِنُ ذَا .

وقال في رواية الحارث : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَوْ مَا شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْبَلَاءِ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ عَنْ عُنُقِهِ وَيُقَلِّدُكَ .

وخاصة مسائل الطلاق والفروج ، ونقل الأثرم عنه أنه سأله عن شيء فقلت كيف هو عندك فقال وما عندي أنا .

وسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّمَا هُوَ يَعْنِي الْعِلْمَ مَا جَاءَ مِنْ فَوْقَ ، وقال سفيان : من فتنة الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحبَّ إليه من السكوت .

وقال المروزي : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنْ الْعَالِمَ يَظُنُّونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ ، فقال : قال ابن مسعود رضی الله عنه إن الذي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ لَمَجُونٌ وَأَنْكَرَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ مَنْ يَتَهَجَّمُ فِي الْمَسَائِلِ وَالْجَوَابَاتِ .

قال : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : لِيَتَّقِ اللهُ عَبْدًا وَلِيَنْظُرَ مَا يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّمُ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ .

وقال : مَنْ أَفْتَى النَّاسَ لَيْسَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحِيلَ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ .

وقال في رواية القاسم : إنما يُنبغي أن يُؤمر الناس بالأمر البين الذي لا شك فيه وليت الناس إذا أمرُوا بالشيء الصحيح أن لا يجاوزوه .

ونقل محمد بن أبي طاهر عنه أنه سئل عن مسألة في الطلاق ، فقال : سئل غيري ليس لي أن أفتي بالطلاق بشيء .

وقال في رواية ابن منصور : لا ينبغي أن يُجيب في كل ما يُستفتى وصح عن مالك أنه قال : ذل وإهانة للعالم أن تجيب كل من سألك .

وقال أيضاً : كل من أخبر الناس بكل ما يسمع فهو مجنون ، وقال أحمد في رواية أحمد بن علي الأبار وقال له رجل حلفت بيمين لا أدري إيش هي ، قال : ليت أنك إذا دريت دريت أنا .

وقال في رواية الأثرم : إذا هاب الرجل شيئاً فلا ينبغي أن يحمل على أن يقول .

وقال في رواية المروزي : إن الذي يُفتي الناس يتقلد أمراً عظيماً ، وقال يُقدم على أمرٍ عظيم يُبغى لمن أفتى أن يكون علماً بقول من تقدم وإلا فلا يُفتى .

وقال في رواية الميموني من تكلم في شيء ليس له فيه إمام أخاف عليه الخطأ .

وقال الثوري : لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا ، وقال أحمد : نحن الساعة نتعلم ، وسأله إسحاق بن إبراهيم عن الحديث الذي جاء أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ما معناه .

قال أبو عبدالله : يُفتي بما لم يسمع ، وقال محمد بن أبي حرب : سمعت أبا عبدالله وسئل عن الرجل يفتي بغير علم ، قال يروى عن أبي موسى قال : يمرق من دينه .

ونقل المروزي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه أبو عبدالله قال :
هذا من حبه الدنيا يُسأل عن الشيء الذي لا يحسن فيحمل نفسه على
الجواب .

ونحو هذا عن حماد وقال : كنت أسائل إبراهيم عن الشيء فيعرف في
وجهي أني لم أفهم فيعيده حتى أفهم روى ذلك الخلال وغيره .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ أَرِيِّ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَرِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) : قال ابن وهب عن يونس عن الزهري : أن أبا بكر الصديق رضي الله
عنه حدث رجلا بحديث فاستفهمه الرجل فقال الصديق : هو كما حدثك أي
أرضي ثقلني إذا قلت بما لا أعلم .

وروى نحوه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا من أفتي بفتيا غير
ثبت فيها فإنما إثمه على الذي أفتاه ، وفي لفظ من أفتى بفتيا بغير علم كان
إثم ذلك على الذي أفتاه رواهما أحمد ، وروى الثاني أبو داود والأول ابن ماجه
وهو حديث جيد له طرق مذكورة في حواشي المنتقى .

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال من
أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون ، وقال مالك : عن يحيى بن
سعيد عن ابن عباس مثله .

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال : كنا مع ابن عمر فسأله أعرابي
أترث العمة ؟ فقال : لا أدري ، قال : أنت لا تدري ، قال : نعم إذهب
إلى العلماء فاسألهم ، فلما أدبر الرجل قبل ابن عمر يده فقال : نعم ما قال أبو
عبدالرحمن سئل عما لا يدري فقال : لا أدري .

وقال سفيان بن عيينة والثوري عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه .

ولا يُسْتَفْتَى عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى هذا لفظ رواية الثوري ، ولفظ ابن عيينة إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال أبو حُصَيْن عثمان بن عاصم التابعي : إن أحدكم يُفتى في المسألة ولو وُردَّت على عمر لجمع لها أهل بدرٍ .

وقال القاسم وابن سيرين لأن يموت الرجل جاهلاً خيراً له من أن يقول ما لا يعلم ، وقال مالك عن القاسم بن محمد : إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

وقال سعيد بن جبير : ويُلِّ لِمَنْ يَقُولُ لِمَا لَا يَعْلَمُ إِنِّي أَعْلَمُ ، وقال مالك : من فقه العالم أن يقول لا أعلم فإنه عسى أن يهياً له الخير .
وقال أحمد بن حنبل : سَمِعْتُ الشافعي رضي الله عنهما سمعت مالكا سمعت محمد بن عجلان يقول : إذا تَرَكَ الْعَالِمُ لَا أُدْرِي أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ ، ورواه إسحاق بن راهوية عن ابن عيينة عن داود بن أبي الزبير الزبيري عن مالك بن عجلان قال قال ابن عباس فذكره وقد سبق .

وقال عبد الرازق عن عمر قال : سأل رجل عمرو بن دينا عن مسألة فلم يجبه ، فقال الرجل : إن في نفسي منها شيئاً فأجبنني .

فقال : إن يَكُنْ في نَفْسِكَ منها مثلُ أَبِي قُبَيْسٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ في نَفْسِي منها مثلُ الشَّعْرَةِ .

وقال ابن مهدي : سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيه ولحَّ عليه فقال : ما شاء الله يا هذا إنني لم أتكلَّم إلا فيما أحتسبُ فيه الخير ولستُ أحسنُ مسألتك هذه .

وقال ابن وهب : سَمِعْتُ مالكا يقول العَجَلَةَ في الفَتْوَى نوعٌ مِنَ الجهل
والخُرْق .

وقال يحيى بن سعيد : كان سعيدُ بنُ المسيب لا يَكادُ يُفتي فُتيا
ولا يقولُ شيئاَ إلا قال : اللهم سَلِّمْني وسَلِّمْ مِنِّي . ذكره البيهقي وغيره .

ولا سيما أن كان مَنْ يُفتى يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنه لَيْسَ أَهْلاً لِلْفَتْوَى لِفَوَاتِ
شَرِطٍ أَوْ وَجُودِ مَانِعٍ وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ .

فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا إشكال فهو يُسَارِعُ إلى ما
يَحْرُمُ لا سِيَّما إن كان الحامل على ذلك عَرَضُ الدُّنْيَا .

وأما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفاً وَلَعَلَّ غَيْرُهُ يَكْفِيهِ ، وقد يكون
أُذْنِي لِوُجُودِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ .

قال ابن مُعِين : الذي يحدث بالبلدة وبها مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بالحديث
فهو أَحْمَقُ .

وقال مالك : ما أَفتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لي سَبْعُونَ أَنبي أَهْلٌ لِذَلِكَ .

وقال ابن عُيَيْنَةَ وَسُحُنُونَ أَجَسَرُ النَّاسِ على الفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْماً . وقال
سُحُنُونَ : أَشَقَى النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .

وقال : فِتْنَةُ الجَوَابِ بالصوابِ أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ المَالِ .

وقال سُفْيَانُ أَدْرَكَتْ الفُقَهَاءَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يُجِيبُوا في المسائلِ والفُتْيَا
حتى لا يَجِدُوا بُدْأً مِنْ أَنْ يُفْتُوا . وقال : أَعْلَمُ النَّاسِ بالفُتْيَا أَسْكَنُهُمْ عنها ،
وَأَجْهَلُهُمْ بِهَا أَنْطَقُهُمْ فيها .

وبَكَى رَبيعةٌ فَقِيلَ ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : اسْتَفْتَيْتُ مَنْ لا عِلْمَ لَهُ وقال :
وَلَبَّغْتُ مَنْ يُفتي هَاهُنَا أَحَقُّ بالسَّجْنِ مِنَ السُّراقِ .

وقال بعض العلماء لبعض المفتين : إذا سُئِلتَ عن مسألة فلا يكن همُّكَ
تُخْلِصَ السائلَ ، ولكن ليكنْ همُّكَ تَخْلِصَ نَفْسِكَ .

وقال عمرو بن دينار : لما جَلَسَ قتادة للفتيا تدري في أي عملٍ
وقَعْتَ ؟ وقعت ياقتادة بين الله وبين خلقه وقلت هذا يصلح وهذا لا يصلح .

وقال بعضهم : إن العالم داخل بين الله وبين خلقه فليُنظر كيف يدخل
بينهم .

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحداً
تسأله غيري .

وقال آخر : إذا سئلت عن مسألة فتفكر فإن وجدت لنفسك مخرجا
فتكلم وإلا فاسكت .

وعن مالك أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار .

وقال النخعي : قد تكلمت ولو وجدْتُ بُدأً ما تكلمت وإن زمانا
أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس إحتاجوا إليه إنما هذا
الأمر لمن ود أنه وجد من يكفيه .

وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال : ما أنا على الفتيا بجري .
اللَّهُمَّ أحيِنَا فِي الدنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « مِنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الْيُسْرِ » .

روِي عن مجاهد أنه قال « الفقيه من يخاف الله عز وجل .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « ألا أخبركم بالفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يدع القرآن رغبة إلى غيره » .

وقال ابن مسعود « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار به جهلاً » .

وروي عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري « إن الفقه ليس بكثرة السرد ، وسعة الهذر ، وكثرة الرواية ، وإنما الفقه خشية الله عز وجل » .

وقال أحد العلماء إن كمال علم العالم ثلاثة ، ترك طلب الدنيا بعلمه ، ومحبة الانتفاع لمن يجلس إليه ، ورأفته بالناس .

وروي عن مطر الوراق قال سألت الحسن عن مسألة فقال فيها فقلت يا أبا سعيد يابني عليك الفقهاء فقال الحسن تكلمت أمك يامطر ، الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي لا يسخر بمن أسفل منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على علم علمه الله إياه خطأً .

عن الحسن قال الفقيه المجتهد في العبادة الزاهد في الدنيا المقيم على سنة رسول الله ﷺ وعنه قال الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير في دينه المجتهد في العبادة . وعن وهب بن منبه قال الفقيه العفيف المتمسك بالسنة أولئك أتباع الأنبياء .

وقال سفيان الثوري الفقيه يعدُّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة وأفقه منه من لم يجترىء على الله عز وجل في شيء لعلته به .

وقال غيره إن الفقيه كلُّ الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيده الشيطان .

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ « إنما الفقيهُ الذي أنطقتهُ الخَشْيَةُ وأسكتهُ الخَشْيَةُ إن قال قال بالكتاب وإن سَكَتَ سَكَتَ بالكتاب وإن اشْتَبَهَ عليه شيءٌ وَقَفَ عنده وَرَدَّهُ إلى عَالِمِهِ » .

وعن الحسن قال إنا لنجالسُ الرَّجُلَ فنرى إن به عِيًا وما به عِيٌّ وإنه لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ قال وكيعٌ أسكتهُ الخَشْيَةُ .

وقال الشعبي لَسْنَا بَعُلَمَاءٍ وَلَا فُقَهَاءَ وَلَكِنَّا قَوْمٌ قَدْ سَمِعْنَا حَدِيثًا فَحَنُّ نَحْدِثْكُمْ بِمَا سَمِعْنَا إِنَّمَا الْفَقِيهَ مَنْ وَرَعَ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالْعَالِمُ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

واستفتى رجلُ الشعبي فقال أيها العالمُ أفتني فقال إنما العالمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ .

وعن جابر أنه تلا قولَ الله تعالى ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

فقال العالمُ الذي عَقَلَ عن اللَّهِ أمرَهُ فَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ .

وسئل عبدُ الله بنُ المبارك هل لِلْعُلَمَاءِ عِلْمَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا قال علامةُ العالمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ وَاسْتَقَلَّ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ .

وَرَغِبَ فِي عِلْمٍ غَيْرِهِ وَقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِهِ وَأَخَذَ الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدَهُ فَهَذِهِ عِلْمَةُ الْعَالِمِ وَصِفَتُهُ .

قال المروزي فذكرتُ ذلك لَأبي عبدِ اللَّهِ فقال هكذا هو .

قيل لابنُ المبارك كيف يُعرفُ العالمُ الصادقُ فقال الذي يَزْهَدُ في الدنيا وَيَعْقِلُ أمرَ آخِرَتِهِ .

وقال الزهري لا نثقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لا يَعْلَمُ .

ولا نرضي لهم بعلمِ عالمٍ لا يَعْمَلُ .

وقال الحسن كان الرجل إذا طلب باباً من العلم لم يلبث أن يرى أثر ذلك في تحشُّعه وبصره ولسانه ويده وزُهدِهِ وصلاته وبدنه وإن كان الرجل لِيطلب الباب من العلم فلَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها .

وروي عن أحد العلماء أنه قال أدركتُ الفقهاء بالمدينة يقولون لا يجوزُ أن ينصبَ نفسه للفتوى ولا يجوزُ أن نستفتي إلا الموثوق في عفافه وعقله وصلاحه ودينه وورعه وفقهه وحلمه ورفقه وعلمه بأحكام القرآن والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ .

علما بالسنة والآثار وبمن نقلها والمعمول به منها والمتروك .

علما بوجوه الفقه التي فيها الأحكام علما باختلاف الصحابة والتابعين .

فإنه لا يستقيم أن يكونَ صاحبَ رأيٍ له علم بالكتاب والسنة والأحاديث والاختلاف ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه وليس يستقيم واحدٌ منهما إلا بصاحبه ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة إلا أن طعمته من الناس وحاجاته مُنزلة بهم وهو محمولٌ عليهم فليس بموضع الفتوى ولا موثوق في فتواه ولا مأمون على الناس فيما اشتبه عليهم .

نختم هذا الكلام بما قاله شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعملاً بتبعاً لأمره فهكذا كان الصحابةُ ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

العِلمُ قالَ اللهُ وقالَ رَسولُهُ قالَ الصَّحابةُ هُمُ أُولُوا العِرفانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ اليَقينِ، وَمِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، وَمِنَ

شَدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَتَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَتَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخِطِكَ وَالنَّارِ ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقُ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُنُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغَزَلَانِ وَالْغَزَلَ
ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لَا دُنْيَا ظَفِرَتْ بِهَا
تَرَكْتَ طُرُقَ الْهُدَى كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً
وَلَمْ تَكُنْ نَاطِرًا فِي أَمْرِ عَاقِبَةٍ
يَا عَاجِزًا يَتِمَّادَى فِي مُتَابَعَةِ النَّ
هَلَّا تَشَبَّهْتَ بِالْأَكْيَاسِ إِذْ فَطِنُوا
فَرَطْتَ يَا صَاحِبَ فَاسْتَدْرَكَ عَلَى عَجَلٍ
هَلْ أَنْذَرْتِكَ يَقِينًا وَقَتَ زَوْرَتِهَا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِيَاقِيَةٍ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّيَالِي سَأَلْتَ أَحَدًا
وَلَا يَغُرُّنَّكَ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ نَعَمٍ
كَمْ مِنْ فِتْيَ جَبْرَتُهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ
إِلَّامَ تَرْفُلٍ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ عَلَى
وَالشَّيْبِ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحُ حَذِرٍ
وَلَمْ تُرْعَ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَشُدُّهُ
وَسِرْتَ تَطْلُبُ حِطَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ
وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلًا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ

يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي شُغْلٍ
وَمِلْتَ عَنْهَا لِمُعْوَجِّ مِنَ السُّبُلِ
أَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ فِي خَبَلٍ
نَفْسَ اللُّجُوجِ وَيَرْجُو أَكْرَمَ النُّزُلِ
فَقَدِّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ الْعَمَلِ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
أَوْ بَشَّرْتِكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
وَلَا الزَّمَانَ بِمَا أُمِلْتَ فِيهِ مَلِي
صَفْوًا فَمَا سَأَلْتَ إِلَّا عَلَى دَخَلٍ
فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ
فَقَابَلْتَهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
بَسَاطِ لُهُوكَ بَيْنَ التِّيهِ وَالْجَذَلِ
فَمَا بِهِ كُنْتَ إِلَّا غَيْرَ مُهْتَبِلِ
إِنِّي أَتَمَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ
فَبَهْجَةِ الْعُمْرِ قَدْ وُلَّتْ وَلَمْ تَصِلِ
وَحَالَةَ عَنْ طَرِيقِ الْغَيِّ لَمْ تُحِلِ
تَرَكْتَهَا بِاِكْتِسَابِ الْوِزْرِ فِي ثِقَلِ
عَلَى الضَّمَامِئِرِ وَالْأَسْرَارِ وَالْحَيْلِ

يُحْصَى لَوْ كُنْتَ فِي الْأَسْتَارِ وَالْكَلَلِ
 هَذِي الْخَلِيقَةَ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
 أُخِّرْتَ عَمَّنْ مَضَى إِلَّا إِلَى أَجَلٍ
 بِالْحِزْمِ وَانْهَضْ بِعِزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمَلٍ
 شَرَحَ الشَّبَابَ الَّذِي وَلَّى وَلَمْ يَطُلْ
 يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 وَلَوْ تَعَاظَمَ وَاحْذَرُ بَيْعَةَ السُّفَلِ
 عَمَّا نَهَى وَتَدَبَّرْهُ بِلَا مَلَلٍ
 فَهُوَ النَّجَاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَلِ
 وَعَدَّ عَن طُرُقِ الْأَهْوَاءِ وَاعْتَزَلِ
 وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْذَرُ فِتْنَةَ الْجَدَلِ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ فِيهِ غَيْرَ مُحْتَمَلِ
 فِي الْقِنَاعَةِ عِزٌّ غَيْرُ مُرْتَجَلِ
 مَا تَبْتَغِيهِ بِلَا مَنْ وَلَا بَدَلِ
 يَوْمًا وَلَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
 وَأَنْشُرْهُ تَسْعُدُ بِذِكْرٍ غَيْرِ مُنْخَذَلِ
 تَحْقِدْ عَلَيْهِ وَفِي عُتْبَاهُ لَا تَطُلِ
 صَحَائِفُ لَكَ مِنْهَا صِرَتْ فِي خَجَلِ
 فَذَاكَ يَقْبَحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالرَّجُلِ
 أَسْلَفْتَ مِنْ زَلَّةٍ لَكِنْ عَلَى وَجَلِ
 تَجُزْمُ بِتَسْكِينِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عِلَلِ
 جُنَّ الظُّلَامُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُشْتَغَلِ
 وَاخْضَعْ لَهُ وَتَذَلَّلْ وَادْعُ وَابْتَهَلِ

وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ أَنْتَ فَاعِلُهُ
 أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَرْدَادِ الْمُنُونِ إِلَى
 وَسَوْفَ تَأْتِي بِلَا شَكٍّ إِلَيْكَ فَمَا
 لَكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ
 دَعِ الْبَطَالََةَ وَالتَّفْرِيطَ وَأَبِكِ عَلَى
 وَلَمْ تُحْصَلْ بِهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
 وَأَبْخَلْ بِدِينِكَ لَا تَبْغِي بِهِ عَوْضًا
 وَأَتْلُ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَّهِيًا
 وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ
 وَلَا زِمَ السُّنَّةَ الْغُرَاءَ تَحْظُ بِهَا
 وَجَانِبِ الْخَوْضِ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ
 وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ الْحَلَالِ وَلَوْ
 وَاقِنَعْ تَجِدُ غُنْيَةً عَنِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ
 وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ وَاتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ
 وَلَا تُدَاهِنْ فِتْيَ مَنْ أَجَلَ نِعْمَتِهِ
 وَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ لَا تَهْجُرْهُ تَشَقُّ بِهِ
 وَمَنْ أَتَى لَكَ ذَنْبًا فَاعْفُ عَنْهُ وَلَا
 عَسَاكَ بِالْعَفْوِ أَنْ تُجْزَى إِذَا نُشِرْتَ
 وَلَا تَكُنْ مُضْمِرًا مَا لَسْتَ تُظْهَرُ
 وَلَا تَكُنْ آيسًا وَارْجُ الْكَرِيمَ لِمَا
 وَقَفَ عَلَى بَابِهِ الْمَفْتُوحِ مُنْكَسِرًا
 وَارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشُّكْوَى وَسَلَّهُ إِذَا
 وَلَا زِمِ الْبَابَ وَاصْبِرْ لَا تَكُنْ عَجَلًا

وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا
فَإِنِّي عَبْدٌ سَوْءٌ قَدْ جَنَى سَفَهًا
وَعَرَّةَ الْحِلْمِ وَالْإِمْهَالِ مِنْكَ لَهُ
وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ فَإِنْ
حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِبًا جَزَعًا
وَلَمْ أَكُنْ بِكَ يَوْمًا مُشْرِكًا وَإِلَى
وَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنْكَ جُدْتَ بِهِ
اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا ثِقْوَاكَ وَأَهْدِنَا بِهِدَاكَ

وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
مُخْرَجًا اللَّهُمَّ اعْزِزْنَا بِمَعَايِفَتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .
(فصل ١٥)

وَمِمَّا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَدْبَاءُ وَالْحُكَمَاءُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ
تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا
يُحْسِنُونَ وَقَالَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ
الْعِلْمُ لَكَ جَمَالًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
مَرْوَانَ لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقُتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدُّتُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعِلْمُ شَرَفٌ لَا قَدْرَ لَهُ وَالْأَدَبُ مَالٌ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ الْعِلْمُ أَفْضَلُ خَلْفٍ وَالْعَمَلُ بِهِ أَمَلٌ شَرَفٍ وَقَالَ
بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقْوِمُكَ وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ
كَبِيرًا وَيُضْلِحُ زَيْفَكَ وَفَاسِدَكَ وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ وَيُقْوِمُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ
وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمَلَكَ .

قلت وهذا صحيحٌ في حَقِّ العاقلِ اللبيبِ القابلِ لِذَلِكَ دُونَ الأحمقِ
المتكبرِ الجاهلِ جَهلاً مُركباً قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعراً : كَالثَّوْرِ عَقْلاً وَمِثْلَ التَّيْسِ مَعْرِفَةً فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْفَنَدِ
الجاهلِ شَخْصٌ يُنَادِي فَوْقَ هَامَتِهِ لَا تَسْأَلِ الرَّبِيعَ مَا فِي الرَّبِيعِ مِنْ أَحَدِ

العِلْمِ لِلرَّجُلِ اللَّبِيبِ زِيَادَةٌ
وَنَقِیْصَةٌ لِلأحمقِ الطَّيَّاشِ

مِثْلُ النَّهَارِ يَزِيدُ أَبْصَارَ السَّوْرَى
شِعراً : نُوراً وَيُعْشِي أَعْيُنَ الخُفَّاشِ

مَا الفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ
عَلَى الهُدَى لِمَنْ آسَتْهُدَى أُدْلَاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ أَمْرٍ؛ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ

وَالجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ
نَفَرٌ بِعِلْمٍ تَعِشُ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ آخِرُ :

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ المَرءُ يُولَدُ عَالِمًا
وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنْ كَبِيرَ القَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
صَغِيرٌ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ
وَأَنْ صَغِيرَ القَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا
كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ المَسَائِلُ

آخِرُ : يَقُولُ أَنَا الكَبِيرُ فَبَجِّلُونِي أَلَا هَبَلَتْكَ أُمُّكَ مِنْ كَبِيرِ
إِذَا كَانَ الصَّغِيرُ أَعْمُ نَفْعًا وَأَمْضِي فِي الحَوَائِجِ والأُمُورِ
وَأُنْفَذَ فِي النَوَائِبِ إِنْ أَلَمْتُ فَمَا فَضْلُ الكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ

وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً بالأول والجاهل
لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً ورُبما ذم العالم وعلمه ، قال
بعضهم :

أَنَا أَنْ سَهلاً ذَمَّ جَهْلاً
عُلُوماً لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ
عُلُوماً لَوْ قَرَأَهَا مَا تَلَاهَا
وَلَكِنْ الرِّضَا بِالْجَهْلِ سَهْلُ

آخر : دَعِ الْجَاهِلَ الْمُفْتُونَ لَا تَصْحَبْتَهُ وَجَانِبِهِ لَا يَغْرِي بِعَقْلِكَ ضَيْرُهُ
فَإِنَّ الَّذِي أَمْسَى عَدُوًّا لِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يُصَادِقَ غَيْرَهُ
وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيلِ ابْنُ لَهُ مُتَجَلِّفٌ وَهُوَ يُقَطِّعُ بَيْتَ شِعْرِ فَخَرَجَ
وقال إنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ فَقَالَ أَبُوهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَّرْتَنِي
أَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَا أَقُولُ عَذَّلْتَكَا
لَكِنْ جَهَلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَّلْتَنِي
وَعَلِمْتَ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَّرْتَكَا

وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي ذَمِّ الْجَهْلِ فَهُوَ مَذْحٌ لِلْعِلْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ لِرَسُولِهِ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ جَلُّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِعُوَيْمِرٍ كَيْفَ أَنْتَ يَا عُوَيْمِرُ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْلِمْتَ أَمْ جَهَلْتَ فَإِنْ

قُلْتَ عَلِمْتُ قَبْلَ لَكَ فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ وَإِنْ قُلْتَ جَهَلْتُ قَبْلَ لَكَ فَمَا
 كَانَ عُدْرَكَ فِيمَا جَهَلْتَ أَلَا تَعْلَمُتَ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِنَاعَةِ الْجَهْلِ وَقُبْحِهِ وَمَهَانَتِهِ وَرَذَالَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ
 وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَقَالَ آخِرُ إِنَّ الْجَهْلَ يَحُطُّ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَيُصَغِّرُ ذَوِي
 الْمَنَاصِبِ .

شِعْرًا: مَنْ جَادَ بِالْعِلْمِ أَحْيَا الْعَالَمُونَ لَهُ بَدِيعَ حَمْدٍ بِمَدْحِ الْفِعْلِ مُتَّصِلِ
 يَمُوتُ قَوْمٌ فَيُحْيِي الْعِلْمُ ذِكْرَ هُمُومَا وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَمْوَاتًا بِأَمْوَاتِ
 شِعْرًا: إِذَا مَا الْجَهْلُ حَيَّمُ فِي بِلَادِ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا مُسِيحَتْ قُرُودًا
 آخِرُ:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِيهِ
 فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
 وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَحْيَى بِالْعِلْمِ مَيِّتُ
 فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ
 آخِرُ: مَعَ الْعِلْمِ فَاسْأَلْكَ حَيْثُ مَا سَلَكَ الْعِلْمُ
 وَعَنْهُ فَكَاشِفٌ كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمُ
 فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى
 وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمُ
 فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ يُزْرِي بِأَهْلِيهِ
 وَذُو الْعِلْمِ فِي الْأَقْوَامِ يَرْفَعُهُ الْعِلْمُ
 يُعَدُّ كَبِيرَ الْقَوْمِ وَهُوَ صَغِيرُهُمْ
 وَيَنْفُذُ مِنْهُ فِيهِمُ الْقَوْلُ وَالْحُكْمُ
 وَأَيُّ رَجَاءٍ فِي امْرِيءٍ شَابَ رَأْسُهُ
 وَأَفْنَى سِنِيهِ وَهُوَ مُسْتَفْجِمٌ فَذَمُّ

يَرُوحُ وَيَنْغَدُو الدَّهْرَ صَاحِبُ بَطْنَةٍ
تَرَكَبَ فِي أَحْضَانِهَا اللَّحْمُ وَالشَّحْمُ
إِذَا سُئِلَ الْمِسْكِينُ عَنْ أَمْرِ دِينِهِ
بَدَتْ رُحَضَاءُ الْعِيِّ فِي وَجْهِهِ تَسْمُو
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنْظَرًا
مِنْ أَشْيَبِ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ وَلَا حُكْمَ
هِيَ السَّوَاءُ السَّوَاءِ فَاحْذَرِ شَمَاتَهَا
فَأَوْلُهَا خِزْيٌ وَآخِرُهَا دَمٌ
فَخَالِطِ رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَبِ خِيَارَهُمْ
فَصُحْبَتُهُمْ زِينٌ وَخِلَاطَتُهُمْ غَنَمٌ

وَلَا تَعُدْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَأَنْتُهُمْ نَجْمٌ إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمٌ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا تَضَحَّ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ، وَيَارْفِيعَ الدَّرَجَاتِ، وَيَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ
شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

نَسَأَلُكَ أَنْ تَذِقْنَا بِرِ عَفْوِكَ، وَحَلَاوَةِ رَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَأَرْأَفَ
الرَّائِفِينَ وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فَصْلٌ): قَالَ فِي مِنْهَاجِ الْيَقِينِ وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ الْعُلُومِ شَرِيفَةٌ وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا
فَضِيلَةٌ وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِهَا مُحَالٌ لِعَجْزِ عُقُولِ الْبَشَرِ عَنْ إِحَاطَتِهَا أَوْ لِعَدَمِ تَنَاهِي
الْأَعْمَارِ وَالْإِحَاطَةُ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِي بِالْمُتَنَاهِي مُحَالٌ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مَنْ
يَعْرِفُ كُلَّ الْعُلُومِ؟ فَقَالَ كُلُّ النَّاسِ.

قُلْتُ: مَا يَعْلَمُ كُلُّ الْعُلُومِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلْعِلْمِ غَايَةً فَقَدْ

بَحْسَهُ حَقُّهُ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا حَيْثُ يَقُولُ :
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ انتهى .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ سَأَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ :
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الْآيَةَ . فَقَالُوا تَزْعُمُ أَنَّا لَمْ نُؤْتِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَهِيَ الْحِكْمَةُ ﴿ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
قَالَ فَتَزَلَّتْ ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ الْآيَةَ .

قَالَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَجَاكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ فَهِيَ كَثِيرٌ طَيِّبٌ وَهُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ
قَلِيلٌ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا بِالنَّقِيصَةِ
وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ لِنُنْقِصَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ وَتَزْدَادَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

شِعْرًا: الْعِلْمُ نُورٌ فَلَا تُهْمِلُ مَجَالِسَهُ وَاعْمَلْ جَمِيلًا يُرَى فَالْفَضْلُ فِي الْعَمَلِ
لَا تَرْقُدِ اللَّيْلَ مَا فِي النَّوْمِ فَائِدَةٌ لَا تَكْسَلَنَّ تَرَى الْجِرْمَانَ فِي الْكَسَلِ
آخِرُ: إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكَثْبِ لَا يَنْفَعُ
آخِرُ: وَبَادِرِ اللَّيْلَ بَدْرِ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرْيَبِ
آخِرُ: إِحْفَظِ الْعِلْمَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ خَامِلًا رَفَعَكَ
وَإِثْرِكَ الْجَهْلَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ عَالِيًا وَضَعَكَ
آخِرُ: مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْحَرٍ زَاجِرٍ فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى مَعْرِفَةِ جَمِيعِ الْعُلُومِ سَبِيلٌ وَجَبَ صَرْفُ الْإِهْتِمَامِ إِلَى مَعْرِفَةِ
أَهْمِّهَا وَالْعِنَايَةُ بِأَوْلَاهَا وَأَفْضَلِهَا وَأَوْلَى الْعُلُومِ وَأَفْضَلُهَا عِلْمُ الدِّينِ الْمُبِينِ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُسْتَنْبَدِ مِنْهُمَا لِأَنَّ النَّاسَ بِمَعْرِفَةِ عُلُومِ الشَّرْحِ يَرْتُدُّونَ
وَيَهْتَدُونَ وَبِجَهْلِهِ يَضِلُّونَ وَلَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ صِفَتَهَا وَلَا شَرْطَهَا

ولا أركانها والذي يجبُ على المكلفِ تعلُّمُهُ مِنَ العلومِ الدينيةِ كُلِّ ما يحتاجُهُ في عباداتِهِ ومُعَامَلاتِهِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ العلومِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ ما هُوَ وَسِيلَةٌ فمُسْتَحَبٌّ. قال اللهُ تعالى ﴿فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فصل): قال بعضُ العُلَماءِ المُحَقِّقِينَ على قولِ اللهِ تعالى ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وَلِيَجْعَلُوا غَرَضَهُمْ وَمَرَمَى هِمَّتِهِمْ فِي التَّفَقُّهِ إِذْ نَارَ قَوْمِهِمْ وَإِرْشَادَهُمْ وَالنَّصِيحَةَ لَهُمْ لا ما يَنْتِجُهُ بعضُ العُلَماءِ مِنَ الأَعْرَاضِ الحَسِيْسَةِ وَيَوْمُؤُونُهُ مِنَ المَقاصِدِ الرَّكِيكَةِ مِنَ التَّصَدُّرِ وَالتَّرْوُسِ وَالتَّبَسُّطِ فِي البِلادِ وَالتَّشْبِيهِ بِالظَّلْمَةِ فِي مَلابِسِهِمْ وَمَساكِينِهِمْ وَمَرَاكِبِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَمُنَافَسَةِ بعضِهِمْ بعضاً وَفُشُو داءِ الضرائرِ بَيْنَهُمْ وَانْقِلابِ حَمالِقِ أَحَدِهِمْ إِذا لَمَحَ بَبَصَرِهِ مَدْرَسَةً لِأَخْرَ أَوْ شِرْذِمَةً جَثُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَهالَكُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُوطاً العَقِبِ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَمَا أَبْعَدَ هُوَ لِآءٍ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً﴾.

آخر: وَصَنَ العُلُومَ عَنِ المَطامِعِ كُلِّها لَتَرى بَأْنَ العِزِّ عِزَّ اليَاسِ فَالعِلْمُ ثَوْبٌ وَالصَّفَاتِ طِرارُهُ وَمَطامِعُ الإِنسانِ كالأُدُناسِ
آخر: وَإِذا طَلَبْتَ العِلْمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ حِمْلٌ ثَقِيلٌ فَانْتخِبْ ما تَحْمِلُ وَإِذا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُتَفاضِلٌ فَاشْغَلْ فوَادَكَ بِالذِّى هُوَ أَفْضَلُ
آخر: كَأَنَّكَ لَمْ تَتَّعَبْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذا أَنْتَ أَذْرَكَتِ الذِّى أَنْتَ تَطْلُبُ

شِعْراً: اجْعَلِ العِلْمَ يا فَتى لَكَ قَيْداً وَاتَّقِ اللهُ لا تَحْنُهُ رُزَيْداً لا تَكُنْ مِثْلَ مَعْشَرِ فُقْهائِها جَعَلُوا العِلْمَ لِذِراهِمِ صَيْداً طَلَبُوهُ فَصَيَّرُوهُ مَعاشاً ثَمَّ كادُوا بِهِ البَرِيَّةِ كَيْداً
آخر: يُقالُ خِصالُ العِلْمِ أَلْفٌ وَمَنْ جَمَعَ الخِصالَ الأَلْفَ ساداً وَيَجْمَعُها الصِّلاحُ فَمَنْ تَعَدَّى مَذاهِبَهُ فَقَدْ جَمَعَ الفَساداً

آخر: يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِبَاضٌ وَإِنَّمَا
وما زِلْتُ مُنْحَازاً بِعِرْضِي جَانِباً
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
أَنَّهُنَّهَا عَنْ بَعْضِ مَا قَدْ يَشِينُهَا
فَأَصْبَحُ عَنْ عَيْبِ اللَّيْمِ مُسَلِّماً
فَإِنْ قُلْتُ زِنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلاًمَا
وَكَمْ طَالَبَ رِقِي بِنِعْمَاهُ لَمْ يَصِلْ
وَكَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْحُرِّ نِعْمَةً
وَلَكِنْ إِذَا مَا اضْطَرَّنِي الضُّرُّ لَمْ أَبْتَ
إِلَى أَنْ أَرَى مَا لَا أُغْصُ بِذِكْرِهِ
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
أَشْقَى بِهِ غَرَساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً

رَأَوْا رُجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذَّلِّ أَحْجَمَا
عَنْ الذَّمِّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَعْنَمَا
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَلَكِنْ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظُّلْمًا
مَخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيهِمْ أَوْ لِمَا
وَقَدْ رَحْتُ فِي نَفْسِ الْكَرِيمِ مُعْظَمًا
كَبَا حَيْثُ لَمْ تَحْمَى حِمَاهُ وَأُظْلَمًا
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفُوسِ لَعُظِّمًا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا
بَدَا طَمَعٌ صَيْرْتُهُ لِي سُلْمًا
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ الْمُعْظَمًا
وَكَمْ مَغْنَمٍ يَعْتَدُهُ الْحُرُّ مَغْرَمًا
أَقْلَبُ فِكْرِي مُنْجِدًا ثُمَّ مُتْهِمًا
إِذَا قُلْتُ قَدْ أَسْدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمًا
لِأَخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأَخْدَمَا
إِذَا فَاتْبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا

اللَّهُمَّ تَوَنَّا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فصل): ثم أعلم أن من لم يصن نفسه بوقايتها عن المحرمات ومخيل المرات
لم ينفعه علمه لأن العلم للعمل فكما لا ينفع السلاح للمجاهد ما لم يستعمله ولا
الكتب النافعة المستمدة من الكتاب ما لم يطالعها ويتعلم منها ولا الأئمة النفيسة
المُدخِرة للجائع ما لم يأكل منها، فكذلك العلم وقديماً قيل:

يُحَاوِلُ نَيْلَ الْمَجْدِ وَالسَّيْفِ مُعَمِّدٌ وَيَأْمَلُ إِذْرَاكَ الْعُلَى وَهُوَ نَائِمٌ
آخِر: إِذَا كُنْتَ تَهْوَى أَنْ تَعِيشَ بِذَلِكَ فَلَا تَسْتَعِدَّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا
وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرَّمَاخَ لِعَارَةِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

فصيانة النفس أصل الفضائل لأن من أهمل نفسه ثقة بما منحه الله من فضيلة علمه وتوكلًا على ما يلزم الناس من صيانتِهِ سلبوه فضيلة علمه ووسموه بقبیح تبدل به فلم يف ما أعطي من العلم بما سلبه منه التبذل لأن القبيح أشيع من الجميل والرديلة مشهورة تنقل وتذاع بسرعة لما في طباع الناس من الحسد والبغض والحقد ونزاع المنافسة فتصرف عيونهم عن المحاسن إلى المساوي فلا ينصفون محسنًا ولا يجاملون ولا يسامحون مسيئًا يذكرون المساوي كلها غالبًا لا سيما إذا كان المرموق عالمًا فإن زلته عندهم لا تقال وهفوته لا تُعذر لأن العيب الصغير يعظم في حق أهل المروآت والعيب في الجاهل المغمور مغمور ولهذا ينبغي للعالم أن يحسن أخلاقه وخلقه ليقتدى به ويسلم عرضه من الطعن والاعتراضات .

قال بعض العلماء :

أَيُّهَا الْعَالِمُ إِيَّاكَ الرَّزْلُ وَاحْذَرِ الْهَفْوَةَ وَالْحَطْبَ الْجَلْلَ
هَفْوَةُ الْعَالِمِ مُسْتَعْظَمَةٌ إِذْ بِهَا أَصْبَحَ فِي الْخَلْقِ مَثَلٌ
وَعَلَى زَلَّتِيهِ عُمَدُهُمْ فَبِهَا يَحْتَجُّ مَنْ أَخْطَأَ وَزَلَّ
لَا تَقُلْ يَسْتُرْ عَلَيَّ الْعِلْمُ زَلَّتِي بَلْ بِهَا يَحْصُلُ فِي الْعِلْمِ الْخَلْلُ
إِنْ تَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَحْقِرَةٌ فَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ جَبَلٌ
لَيْسَ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْعَالِمُ فِي كُلِّ مَا دَقَّ مِنَ الْأَمْرِ وَجَلٌ
مِثْلُ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ جَهْلُهُ إِنْ أَتَى فَاخْشَةَ قَيْلٍ قَدْ جَهْلُ
انظُرِ الْأُنْجَمَ مَهْمَا سَقَطَتْ مَنْ رَأَاهَا وَهِيَ تَهْوِي لَمْ يُبَلْ

فإذا الشمسُ بدتْ كاسِفَةً وجَلَّ الخَلْقُ لَهَا كُلَّ الوَجَلِ
 وتَرَاءَتْ نَحْوَهَا أَبْصَارُهُمْ فِي انزِعَاجٍ واضْطِرَابٍ وَوَجَلِ
 وَسَرَى التَّقْصُ لَهُمْ مِنْ تَقْصِيهَا فَعَدَّتْ مُظْلِمَةً مِنْهَا السُّبُلُ
 وكذا العَالِمُ فِي زَلَّتِهِ يَفْتِنُ العَالِمَ طَرًّا وَيُضِلُّ

آخر: أَرَى العِلْمَ كالمِرآةِ يَصْنَدُ وَجْهَهُ

وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الخَلَالِاقِ مِنْ جَالِي
 وَلَوْ وَازَنَ العِلْمُ الجِبَالَ وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ حُسْنُ خُلُقٍ لَمْ يَزِنْ وَزْنَ مِثْقَالِ
 وَإِنَّ المَسَاوِي زَهِيَ فِي خُلُقِ عَالِمِ
 لِأَقْبَحُ مِنْهَا وَهِيَ فِي خُلُقِ جُهَّالِ

آخر: والعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الإِخْفَاقِ
 لِأَتَحَسَّبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحَدَهُ مَا لَمْ يَتَّوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

وروي عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ تَعَلَّمُوا العِلْمَ وَعَلَّمُوهُ وَلَا تَكُونُوا
 جَبَابِرَةَ العُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ جَهْلُكُمْ بِعِلْمِكُمْ وَقَالَ فِي مِنْهَاجِ اليَقِينِ وَيَنْبَغِي لِمَنْ
 اسْتَدَلَّ بِفِطْرَتِهِ عَلَى اسْتِحْسَانِ الفِضَائِلِ وَاسْتِقْبَاحِ الرِّذَائِلِ أَنْ يَنْفِي عَنِ نَفْسِهِ
 رِذَائِلَ الجَهْلِ بِفِضَائِلِ العِلْمِ وَيَنْفِي غَفْلَةَ الإِهْمَالِ بِاسْتِيقَاطِ المَعَانِيَةِ وَيَرْغَبُ فِي
 العِلْمِ رَغْبَةً مُتَحَقِّقٍ لِفِضَائِلِهِ وَاثِقٍ بِمَنَافِعِهِ وَلَا يُلْهِمِهِ عَنِ طَلْبِهِ كَثْرَةُ مَالٍ وَجِدٌ وَلَا
 نَفُوذُ أَمْرٍ وَعُلُوُّ مَنْزِلَةٍ فَإِنَّ مَنْ نَفَذَ أَمْرَهُ فَهُوَ إِلَى العِلْمِ أَحْوَجُ لِيَكُونَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ
 عَلَى البَرَاهِينِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَنْ عَلَّتْ مَنْزِلَتُهُ فَهُوَ بِالعِلْمِ أَحَقُّ لِيُعْرَفَ فَضْلُهُ وَنَهْيُهُ عَلَى
 البَرَاهِينِ الشَّرْعِيَّةِ .

شِعْرًا: لَوْ كَانَ هَذَا العِلْمُ يَحْصُلُ بِالمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي البَرِيَّةِ جَاهِلُ
 فَاجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا فَتَدَامَةَ العُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

شعرا :
يَقُولُونَ ذَكَرَ الْمَرْءَ يَبْقَى بِنَسِيلِهِ وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ
فَقُلْتُ لَهُمْ نَسْلِي بَدَائِعُ حِكْمَتِي فَمَنْ سَرَّهُ نَسْلٌ فَإِنَا بِذَا نَسَلُوا
شعرا :

تَفَنَّنَ وَخُذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
يَفُوقُ أَمْرُوهُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
بِهِ وَلِعَلَّمِ أَنْتَ تُنْفِقُهُ سِلْمٌ
آخر :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِيَصَاحِبِهِ
فِيَا طَلِبَ هُدَيْتَ فُنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَ أَبَاؤُهُ نُجَبٌ
كَانُوا الرُّؤُوسَ فَامَسَى بَعْدَهُمْ ذَنْبًا
وَمُقَرِّفٍ خَامِلٍ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ
نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
الْعِلْمُ زَيْنٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
نَعَمَ الْقَرِيرِينَ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبًا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ
عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَعْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْفُوتُ وَالسُّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعَمَ الذَّخْرُ تَجْمَعُهُ
لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

آخر :

بَعْضُ الرِّجَالِ لَهُ رَأْيٌ وَمَعْرِفَةٌ يَدْرِي وَيَعْلَمُ أَنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ
وَهُمُّهُ فِي عُلُومِ الدِّينِ يُتَّقِنُهَا وَهُمْ أَقْرَانِهِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

آخر : وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَالِ وَالرِّيَا

فَإِنَّ مَلَكَ الْأُمُورِ فِي حُسْنِ مَقْصِدِ

وَكُنْ عَامِلًا بِالْعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ

لِيُهْدَى بِكَ الْمَرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي

حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الْوَرَى وَهَدَاهُمْ

تَنَلُ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ

(فَصْلٌ) : وَقَالَ فِي مِنْهَاجِ الْيَقِينِ «وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ بَاعِثًا وَبَاعِثًا

عَلَى الْمَطْلُوبِ شَيْئَانِ رَغْبَةٌ أَوْ رَهْبَةٌ فَلْيَكُنْ طَالِبُ الْعِلْمِ رَاغِبًا رَاهِبًا أَمَا
الرَّغْبَةُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِطَالِبِي مَرْضَاتِهِ وَحَافِظِي مُفْتَرَضَاتِهِ بِإِقَامَتِهَا
وَتَعْلِيمِهَا مَنْ لَا يَعْلَمُهَا وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَمَا الرَّهْبَةُ فَمِنْ عِقَابِ اللَّهِ
تَعَالَى لِتَارِكِي أَوْامِرِهِ وَمُهْمَلِي زَوَاجِرِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ أَدَّتَا إِلَى
كُنْهِ الْعِلْمِ وَحَقِيقَةِ الزُّهْدِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِأَنَّ الرَّغْبَةَ فِي الثَّوَابِ أَقْوَى الْبَاعِثِينَ
عَلَى الْعِلْمِ وَالْبَاعِثُ الْآخِرُ حُبُّ النَّبَاهَةِ وَنَجْوَاهَا وَالرَّهْبَةُ مِنَ الْعِقَابِ أَقْوَى
السَّبَبِينَ فِي الزُّهْدِ وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ « أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ
وَأَصْلُ الزُّهْدِ الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ » فَإِذَا اقْتَرَنَ الْعِلْمُ وَالزُّهْدُ فَقَدْ تَمَّتْ
السَّعَادَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ وَعَمَّتْ الْفَضِيلَةُ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَزْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا وَلَمْ يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا لَمْ
يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْمَعُهُ
فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ لَا يَنْفَعُهُ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْفَقِيهُ بَغِيرِ وَرَعٍ كَالسِّرَاجِ
يُضِيءُ الْبَيْتَ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ . وَبِالتَّالِي فَالْعِلْمُ فَضْلُهُ يَعْرِفُهُ كُلُّ مُنْصِفٍ

والناس يَحْتَاجُونَ إليه في كُلِّ وَقْتٍ قال حَرْبٌ سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ
يقولُ الناسُ مُحْتَاجُونَ إلى العِلْمِ قَبْلَ الخُبْزِ والماءِ لأنَّ العِلْمَ يَحْتَاجُ إليه
الإنسانُ في كُلِّ ساعةٍ والخُبْزُ والماءُ في اليومِ مرةً أو مرَّتينِ .

وقال شيخُ الإسلامِ بنُ تيميةَ في قصيدةٍ له حلُّ بها لُغزاً لَفْظَةً عِلْمٌ :
والعلمُ بالرحمنِ أولُ صاحبِ
وأهمُّ فَرَضٍ لله في مَشْرُوعِهِ
وأخو الدِّيانَةِ طَالِبٌ لِمَزِيدِهِ
أبدأُ ولَمَّا يُنْهيه بِقَطُوعِهِ
والمَرَّةُ حَاجَتُهُ إليه أَشَدُّ مِنْ
فَقْرِ الغِذاءِ لِعلمِ حُكْمِ صَنِيعِهِ
في كُلِّ وَقْتٍ والطَّعامُ فَإِنَّمَا
يَحْتَاجُهُ في وَقْتِ شِدَّةِ جُوعِهِ
وهو السَّبِيلُ إلى المَحاسِنِ كُلِّهَا
والصالحاتِ فَسَوَاءٌ لِمُضِيِّهِ

آخر :

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ
[إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي البَحْثِ عَنْ شِبْهِ]
وإذا أَرَدْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَهَا
فَعَلُومٌ تَوْحِيدِ الإِلهِ وَتَعَدُّهُ
آخر

حَدِيثِ رِجَالِ العِلْمِ أَهْوَى وَاشْتَهَى
وَأَفْرَحُ أَنْ القَاهُمُوا فِي بُحُوثِهِمْ
كَمَا يَشْتَهَى المَاءَ المَبْرَدَ شَارِبُهُ
كَمَا يَفْرَحُ المَرءُ الَّذِي أَبَ غَائِبُهُ

آخر :

كُلُّ العُلُومِ سِوَى القُرْآنِ مَشْغَلَةٌ
إِلا الحَدِيثَ وإِلا الفِقهَةَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مُتَّبِعٌ مَا قِيلَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَا سُ الشَّيَاطِينِ
 وَاَعْلَمُ أَنَّ الْكَسْلَ مِنْ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَّبَعَ
 نَفْسُهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاطَّئَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَنْقَى
 [بِيَقَاءِ الْمَعْلُومَاتِ] وَالْمَالُ يَفْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ
 اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجَهَّالِ مَالٌ
 فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَنْقَى لَا يِرَالُ
 آخِر :

فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مُفْتَاخُ الْعَالَا لَمْ يُبْقِ بَاباً لِلسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
 ثُمَّ اسْتَمِدُوا مِنْهُ كُلَّ قَوَاكُمُ إِنَّ الْقَوِيَّ بِكُلِّ أَرْضٍ يَنْقَى
 آخِر :

لَا تُوَاصِلْ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا وَإِخْرَصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا
 أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا فَالْتَّحَلُّ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَآكِهَةِ
 وَالشَّهْدُ يُبْرِئِي بِإِذْنِ الْبَارِيءِ الْعِلَلَا الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَنْظَاءُ بِهِ

وَيُرَوَّى عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلَّمَهُ لِلَّهِ خَشِيَةً
 وَطَلَبَهُ عِبَادَةً وَمَدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ
 صَدَقَةٌ وَبَذَلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ وَهُوَ الْأَنْبَسُ فِي الْوَحْدَةِ وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ
 وَالذَّلِيلُ عَلَى الدِّينِ وَالْمُصْبِرُ عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْوَزِيرُ عِنْدَ الْأَخِلَاءِ
 وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي
 الْخَيْرِ قَادَةَ سَادَةَ هُدَاةً يُقْتَدَى بِهِمْ أَدِلَّةً لِلْخَيْرِ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ وَتُرْمَقُ أفعالُهُمْ
 وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابَسَ لَهُمْ
 يَسْتَغْفِرُ حَتَّى جِيئَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا لِأَنَّ
 الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَنُورَ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ وَقُوَّةَ الْأَبْدَانِ مِنَ

الضَّعْفُ يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى وَمُدَارَسَتَهُ بِالْقِيَامِ .
بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ وَبِهِ يُوْحَدُ وَبِهِ يُمَجَّدُ وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وَبِهِ تُوَصَّلُ
الْأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَهُوَ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ
وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ .

ووردَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اَعْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُجِبًّا وَلَا
تَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ
مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَآلَاهُ أَوْ مُعَلِّمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ
وعن عطاء بن السائب عن الحسن قال : اَعْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا
وَلَا تَكُنْ رَابِعًا فَتَهْلِكَ .

وعن الحسن أن أبا الدرداء قال : كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُجِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا
وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ . قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ وَمَا الْخَامِسُ ، قَالَ : الْمُتَّبِعُ .

شِعْرًا: كَفَى بِالْعِلْمِ فِي الظُّلُمَاتِ نُورٌ يُبَيِّنُ فِي الْحَيَاةِ لَنَا الْأُمُورَا
فَكَمْ نَالَ الدَّلِيلُ بِهِ إِعْتِزَاؤَا وَكَمْ لَيْسَ الْحَزِينُ بِهِ سُرُورَا
تَزِيدُ بِهِ الْعُقُولَ هُدًى وَرُشْدَا وَتَسْتَعْلِي النُّفُوسُ بِهِ شُعُورَا

اللَّهُمَّ ائْقِظْ قُلُوبَنَا وَتَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ فِيهَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ
وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَرْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَاجْعَلْ آخِرَ كَلِمَةٍ نَتَكَلَّمُ بِهَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: عَلَى الْعِلْمِ تَبْلِي إِذْ قَدْ انْدَرَسَ الْعِلْمُ أَوْ لَمْ يَبْقَ فِينَا مِنْهُ رُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

ولكن بقي رَسْمٌ من العلمِ دَارِسُ
وعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَنْطَمِسُ الرَّسْمُ
فَإِنَّ لِعَيْنٍ أَنْ تَسِيلَ دُمُوعُهَا
وَأَنَّ لِقَلْبٍ أَنْ يُصَدِّعَهُ الْهَمُّ
فَإِنَّ بِفَقْدِ الْعِلْمِ شَرًّا وَفِتْنَةً
وَتَضْيِيعَ دِينِ أَمْرَةٍ وَاجِبِ حَتْمِ
وَمَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ إِلَّا ضَلَالَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَامِلِينَ بِهَا عِلْمٌ
وَمَا النَّاسُ دُونَ الْعِلْمِ إِلَّا بِظُلْمَةٍ
مِنَ الْجَهْلِ لَا مِصْبَاحَ فِيهَا وَلَا نَجْمٌ
فَهَلْ يُهْتَدَى إِلَّا بِنَجْمِ سَمَائِهِ
إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ أَفْقِهِ ذَلِكَ النُّجْمُ
فَهَذَا أَوْ أَنَّ الْقَبْضَ لِلْعِلْمِ فَلْيُنْحِ
عَلَيْهِ الَّذِي فِي الْحَبِّ كَانَ لَهُ سَهْمٌ
فَلَيْسَ بِمُبْقِي الْعِلْمِ كَثْرَةُ كُتُبِهِ
فَمَاذَا تَفِيدُ الْكُتُبُ إِنْ فَقِدَ الْفَهْمُ؟
وَمَا قَبْضُهُ إِلَّا بِمَوْتِ وَعَاتِهِ
فَقَبْضُهُمْ قَبْضٌ لَهُ وَبِهِمْ يَنْمُو
فَجِدْ وَاذِ الْجَهْدِ فِيهِ فَإِنَّهُ
لِصَاحِبِهِ فَخْرٌ وَذُخْرٌ بِهِ الْغُنْمُ
فَعَارٌ عَلَى الْمَرءِ الَّذِي تَمَّ عَقْلُهُ
وَقَدْ أَمَلَتْ فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْحَزْمُ
إِذَا قِيلَ : مَاذَا أَوْجَبَ اللَّهُ يَا فَتَى؟

أجاب بلا أدري وأنسى لي العلم
وأقبح من ذا لو أجاب سؤاله
بجهل فإن الجهل مؤدد وخم
أيرضى بأن الجهل من بعض وصفه
ولو قيل ياذا الجهل فارقه العلم
فكيف إذا ما البحث من بين أهله
جرى وهو بين القوم ليس له سهم
تدور بهم عيناه ليس بناطقي
فغير حري أن يرى فاضلاً قدم
وما العلم إلا كالحياة إذا سرت
بجسم حيا والميت من فاته العلم
وكم في كتاب الله من مدحة له
يكاد بها ذو العلم فوق السهى يسمو
وكم خبر في فضله صح مسنداً
عن المصطفى فاسأل به من له علم
كفى شرفاً للعلم دعوى الورى له
جميعاً وينفي الجهل من قبجه القدم
فلست بمخص فضله إن ذكرته
فقد كل عن إحصائه الشر والنظم
فيا رافع الدنيا على العلم غفلة
حكمت فلم تنصف ولم يصب الحكم
أترفع دنيا لا تساوي بأسرها
جناح بعوض عند ذي العرش يا قدم

وَتُوْثِرُ أَصْنَافَ الحُطَامِ عَلَى الَّذِي
 بِهِ العِزُّ فِي الدَارَيْنِ وَالْمَلِكُ وَالْحَكْمُ
 وَتَرْغَبُ عَنِ إِرْثِ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ
 وَتَرْغَبُ فِي مِيرَاثِ مَنْ شَأْنُهُ الظُّلْمُ
 وَتَزْعُمُ جَهْلًا : أَنَّ بَيْعَكَ رَابِحٌ
 فَهَيْهَاتَ لِمَ تَرْبِحَ وَلِمَ يَصْدُقِ الزَّعْمُ
 أَلَمْ تَعْتَبِرْ بِالسَّابِقِينَ ؟ فَحَالُهُمْ
 ذَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَجَلَ هُوَ العِلْمُ
 فَكَمْ قَدْ مَضَى مِنْ مُتَرَفٍ مُتَكَبِّرٍ
 وَمِنْ مَلِكٍ دَانَتْ لَهُ العُرْبُ وَالعَجَمُ
 فَبَادُوا فَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ قَطُّ ذَاكِرًا
 وَإِنْ ذُكِرُوا يَوْمًا فَذِكْرُهُمُ الذَّمُّ
 وَكَمْ عَالِمٍ ذِي فَاقَةٍ وَرِثَاةٍ
 وَلَكِنَّهُ قَدْ زَانَهُ الزُّهْدُ وَالعِلْمُ
 حَيَا مَا حَيَا فِي طَيْبِ عَيْشٍ وَمُدَّ قَضَى
 بَقِيَ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ إِذْ فُقِدَ الجِسْمُ
 فَكُنْ طَالِبًا لِلعِلْمِ حَقَّ طَالِبِهِ
 مَدَى العُمُرِ لَا يُوهِنُكَ عَنْ ذَلِكَ السَّأْمُ
 وَهَاجِرٌ لَهُ فِي أَيِّ أَرْضٍ وَلَوْ نَاتٌ
 عَلَيْكَ فإِعْمَالُ المَطِيِّ لَهُ حَتْمٌ
 وَأَنْفِقْ جَمِيعَ العُمُرِ فِيهِ فَمَنْ يَمُتْ
 لَهُ طَالِبًا نَالَ الشَّهَادَةَ لَاهِظْمُ
 فَإِنْ نِلْتَهُ فَلْيَهْنِكِ العِلْمُ إِنَّهُ

هو الغاية العلياء واللذة الجسم
فليله كم تفتض من بكر حكمة
وكم ذرة تحظى بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خذرها
فيُسفر عن وجهه به يبرأ السقم
فتلك التي تهوى ظفرت بوصولها
لقد طال ما في حيا نحل الجسم
فعايق وقيل وارثيف من رضاها
فعدلك عن وصل الحبيب هو الظلم
فجالس رواة العلم واسمع كلامهم
فكم كلم منهم به يبرأ الكلم
وان امرؤ فاسمع لهم واطع فهم
اولوا الامر لامن شانه الفتك والظلم
مجالسهم مثل الرياض انيقة
لقد طاب منها اللون والريح والطعم
اتعاض عن تلك الرياض وطيبها
مجالس دنيا حشوها الزور والاثم
فما هي الا كالمزابيل موضعا
لكل اذى لا يستطيع له شم
فدحوول قال الله قال رسوله
واصحابه ايضا فهذا هو العلم
وما العلم آراء الرجال ووطنهم
الم تدري ان الظن من بعضه الائم

وَكُنْ تَابِعاً خَيْرَ الْقُرُونِ مُمَسِكاً
بِآثَارِهِمْ فِي الدِّينِ هَذَا هُوَ الْحَزْمُ
وَصَلِّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ مُسَلِّماً
عَلَى مَنْ بِهِ لِلْأَنْبِيَاءِ جَرَى الْخَتْمِ
كَذَا الْأَلِ وَالْأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلُ
عَلَى الْعِلْمِ نَبِيِّي إِذْ قَدِ انْدَرَسَ الْعِلْمُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عباد الله انتهزوا فرص الزمان ، قبل تعذر الامكان قبل أن
تثقل من اسم مازال إلى خبر كان ، فانتبه يا من نظنه صاح وإذا هو سكران .
فما كل حين ممكن الفوز بالمنى ولا كل وقت يرفع الحجب للعبد
عباد الله كيف يثق بالحياة من المنية تقفوا إثره وتقف له في دربه ،
كيف يرجو راحة الدنيا من لا راحة له دون لقار ربه .

تالله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب ميسرة المطالب
لكل طالب ، باقية علينا لا يسلبها منا سالب ، لكان الزاهد فيها هو
اللبيب الصائب ، لأنها تشغل عن الله والنعم إذا أشغلت عن المنعم كانت
من المصائب .

أيا راضع الدنيا انقطم عن رضاعها	فقد آن تنهاك عنها الشوائب
ألا عامل فيها لينقذ نفسه	ألا مؤمن فيها سيخلد راغب
ألا آسف ذو لوعة وتحرق	ألا نائح في ماتم الحزن نادب
ألا مذنب مستغفر من ذنوبه	ألا خائف من خشية الله راهب
ألا خاشع خوفاً من الله خاضع	ألا ناحل شوقاً إلى الله ذائب
ستلقون ما قدمتموا اليوم في غد	وكل أمرىء يجزى بما هو كاسب

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، وَيَا بَارِيَّ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، يَا مَنْ لَا تَشْتَبَهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ ، يَا عَظِيمَ الشَّانِ ، وَيَا وَاضِعَ الْبِرْهَانِ ، يَا مَنْ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ ، اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . اللَّهُمَّ أَمِّنْ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عَيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتِمَادُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل التاسع في الإخلاص والنية

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَشُوبَهُ غَيْرُهُ فَإِذَا صُنِّيَ عَنْ شُوبِهِ وَخَلَصَ عَنْهُ سُمِّيَ خَالِصًا ، وَيُسَمَّى الْفِعْلُ الْمُصَفَّى الْمُخْلِصَ إِخْلَاصًا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ فَإِنَّمَا خُلُوصُ اللَّبَنِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شُوبٌ مِنَ الدَّمِ وَالْفَرْثِ وَمِنْ كُلِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْتَزَجَ بِهِ . وَالْإِخْلَاصُ يُضَادُّهُ الْإِشْرَاقُ ، الْمُخْلِصُ الصَادِقُ هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي لَوْ خَرَجَ كُلُّ قَدْرٍ لَهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ قَلْبِهِ وَلَا يُحِبُّ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْإِخْلَاصُ أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَقَالَ غَيْرُهُ : الْإِخْلَاصُ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِطَاعَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ تَصْنُوعِ لِمَخْلُوقٍ أَوْ اكْتِسَابِ مَحْمَدَةٍ عِنْدَ النَّاسِ أَوْ مَحَبَّةٍ مَذْجٍ مِنَ الْخَلْقِ أَوْ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي سِوَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرُ : نَظَرَ الْاِكْيَاسُ فِي تَفْسِيرِ الْإِخْلَاصِ فَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ هَذَا أَنْ تَكُونَ حَرَكَتُهُ وَسُكُونُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يُمَارِجُهُ نَفْسٌ وَلَا هَوًى وَلَا دُنْيَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْإِخْلَاصُ التَّوْقِيُّ عَنْ مَلَاخِظَةِ الْخَلْقِ ،

وَالصَّدَقُ التَّنْقِي مِنْ مُطَاوَعَةِ النَّفْسِ فَاَلْمَخْلَصُ لَا رِيَاءَ لَهُ ، وَالصَّادِقُ لَا
إِعْجَابَ لَهُ .

وَقَالَ آخَرُ : ثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ : إِسْتَوَاءُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ
مِنَ الْعَامَّةِ ، وَنَسْيَانُ رُؤْيَةِ الْأَعْمَالِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَاقْتِضَاءُ ثَوَابِ الْعَمَلِ
فِي الْآخِرَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْإِخْلَاصِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا
بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لِحُومَهَا
وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ الْمُخْلِصُونَ مِنْ عِبَادِهِ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ
اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ
خَرَجَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِيِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ
وَقَالَ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

وعن أبي سعيد الخُدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : في حجة الوداع : نَصَرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مقالتي فَوَعَاها فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ ليس بفقِيهٍ ، ثلاثٌ لا يُغْلَى عليهنَّ قلبُ امرئٍ مؤمنٍ : إخلاصُ العملِ لله والمناصحةُ للأئمةِ المسلمين ولزومُ جماعتِهِمْ فإنَّ دعاءَهُمْ محيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ . رواه البزارُ بإسنادٍ حَسَنٍ ورواهُ ابنُ جِبَانٍ في صحيحِهِ مِنْ حديثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ .

وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عن أبيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ . رواه النسائي وغيره .

وما وردَ عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا: إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُهْدَبًا
فَكُنْ مُخْلِصًا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَإِنْ مَا بَدَا مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
أَخْرَجُ: جُرُوحُ الْمَعَاصِي لِلْفُؤَادِ تُذَيِّبُ
وَحَسْبُكَ أَنْ تُخْلِصَ لِمَنْ خَلَقَ الْوَرَى
تَقِيًّا سَرِيًّا مَا جَدًّا فَطِنًا حُرًّا
وَكَنْ تَابِعًا لِلْمُصْطَفَى تُحْرِزِ الْأَجْرًا
فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِيهِ عُدْرًا
وَلَيْسَ سِوَى تَقْوَى الْإِلَهِ طَيِّبٌ
وَتَسْأَلُهُ دَوْمًا لَعْلَ يُجِيبُ

وعن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال : إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وادياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ وَفِي رِوَايَةٍ إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ . رواه مسلمُ وَفِي رِوَايَةٍ حَبَسَهُمُ الْعَذْرُ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِفَ بأولهم وأخبرهم قالت : قلت يا رسول الله كيف يُخسَفُ بأولهم وأخبرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ، قال : يُخسَفُ بأولهم وأخبرهم ثم يُبعثون على نياتهم . متفق عليه .

وعن معن بن يزيد قال : كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيتها بها فقال : والله ما إياك أردت . فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن رواه البخاري .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : إنك لن تُخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة الحديث . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم . رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً ويُقاتل حميةً ويُقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ، قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : فلان جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ
 فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَمِلْتُ بِهِ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ :
 كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ
 قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ : مَا
 عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا
 لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ
 فَسُجِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ . وعن أبي كبشة الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الأمة مثل أرבעة نفر رجل آتاه الله مالا وعِلْمًا فهو يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهَمَّا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخِطُّ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَيَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهَمَّا فِي الْوَزْرِ سَوَاءٌ .

وقال عمرُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَصِدْقُ النِّيَّةِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : دُلُونِي عَلَى عَمَلٍ لَا أزالُ بِهِ عَامِلًا لِلَّهِ تَعَالَى فَقِيلَ لَهُ : أَنْوَ الخَيْرِ فَإِنَّكَ لَا تَرَالُ عَامِلًا وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ ، فَالنِّيَّةُ الصَالِحَةُ بِعَمَلٍ وَإِنْ عَدِمَ العَمَلُ لِعُدْرِ

شَرْعِي ، فَإِنَّ مَنْ نَوَى أَنْ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَامَ كُتِبَ لَهُ ثَوَابُ مَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يَقُومُهَا فَيَنَامُ عَنْهَا إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً تُصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ فَالْمَرْءُ مَا دَامَ قَدْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَأَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَوْمَاتِهِ وَيَقْظَاتِهِ تُحْسَبُ خَطَوَاتٍ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ .

قال بعضُ السلفِ : إني لأستحِبُّ أن يكونَ لي في كلِّ شيءٍ نيةٌ حتَّى في أكلِي وشُرْبِي ونومي ودُخُولِ الخلاءِ وفي كلِّ ذلكِ ممَّا يُمكنُ أن يُقصدَ به التَّقربُ إلى الله تعالى لأنَّ كلَّ ما هو سببٌ لبقاءِ البدنِ وفراغِ القلبِ من مُهمَّاتِ الدِّينِ فَمَنْ قَصَدَ مِنَ الأكلِ التَّقْوِيَّ عَلَى العِبَادَةِ ومن النِّكاحِ العَفَافَ وَتَحْصِينَ الدِّينِ وَتَطْيِيبَ قَلْبِ أَهْلِهِ وَالتَّوَصُّلَ إِلَى وَلَدٍ يَعْبُدُ اللَّهَ بَعْدَهُ أُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ .

ولا تُحْتَقِرْ شيئاً من حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ فَصَلِّحْ النِّيَّةَ وَاخْلُصْ الْقَلْبَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَرْفَعَانِ مَنزِلَةَ الْعَمَلِ الدُّنْيَوِيِّ الْبَحْتِ فَيَجْعَلَانِهِ عِبَادَةً مُتَقَبَّلَةً كَمَا أَنَّ فَسَادَ النِّيَّةِ يَنْزِلُ بِالطَّاعَاتِ وَتَنْقَلِبُ مَعَهُ مَعَاصِيهِ فَلَا يَنَالُ الْمَرْءُ بَعْدَ التَّعَبِ فِي أَدَائِهَا إِلَّا الْفُشْلَ وَالْحَسَارَةَ .

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عُيُوبَنَا وَاغْفِرْ بَعْفُوكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا مُوَبِقَاتِ الْجَرَائِرِ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَأَحْسَانِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : قال ابن القيم : رحمه الله لا يَجْتَمِعُ الاخْلَاصُ فِي الْقَلْبِ وَمَحَبَّةُ الْمَدْحِ وَالشَّنَاءِ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ

والضُّبُّ والحوتُ ، فاذا حَدَّثْتَكَ نَفْسَكَ بِطَلَبِ الاخْتِلاصِ فَأَقْبِلْ عَلَيَّ
الطَّمَعِ أَوْلَا فاذْبَحْهُ بِسِكِّينِ اليَاسِ ، واقْبِلْ عَلَيَّ المَدْحِ والشَّاءِ فَاذْهَبْ
فِيهِمَا زُهْدَ عُشَاقِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ ، فاذا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ والزُّهْدِ
فِي الشَّاءِ والمَدْحِ سَهْلَ عَلَيكَ الاخْتِلاصُ فانِ قُلْتَ : وما الَّذِي يُسَهِّلُ
عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ والزُّهْدِ فِي الشَّاءِ والمَدْحِ قُلْتُ : أما ذَبْحُ الطَّمَعِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبِإِذْنِ اللَّهِ وَحَدَهُ حِزَانَتُهُ لَا
يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى العَبْدُ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ وَأما الزُّهْدُ فِي الشَّاءِ والمَدْحِ
فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيَزِينُ ، وَيَضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ
إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ ، قالَ ذَلِكَ الاعْرَابِيُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انِ
مَدْحِي زِينٌ وَذَمِّي شَيْنٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ .

فاذْهَبْ فِي مَدْحِ مَنْ لَا يَزِينُكَ مَدْحُهُ وَفِي ذَمِّ مَنْ لَا يَشِينُكَ ذَمُّهُ ،
وَارْغَبْ فِي مَدْحِ مَنْ كُلُّ الزَّيْنِ فِي مَدْحِهِ وَكُلُّ الشَّيْنِ فِي ذَمِّهِ ، وَلَنْ يَقْدَرَ
عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ فَمَتَى فَقَدْتَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ كُنْتَ كَمَنْ أَرَادَ
سَفْرًا فِي البَحْرِ فِي غَيْرِ مَرَكَبٍ قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ . وقالَ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

وقد يَعْجِزُ عَنِ عَمَلِ الخَيْرِ الَّذِي يَتَمَنَّى فِعْلُهُ لِضَعْفِ بَدَنِهِ أَوْ قِلَّةِ مَالِهِ
ولكنَّ اللَّهَ المَطْلُوعُ عَلَيَّ السَّرَائِرِ اللطيفُ الخبيرُ يُثِيبُ الحَرِيصَ عَلَيَّ فِعْلَ
الخَيْرِ كما فِي الحَدِيثِ إِذَا مَرَضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ ما كانَ يَعمَلُ
صَحيحًا مُقيمًا .

وفي غزوةِ العُسْرَةِ تَقَدَّمَ إِلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رِجالٌ يُريدُونَ أَنْ يُقاتِلُوا الكُفَّارَ وَأَنْ يَجُودُوا بِأَنفُسِهِمْ فِي سَبيلِ اللَّهِ فَقَالَ

لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لا أُجِدُّ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ فَعَادُوا وَفِي حُلُوقِهِمْ غُصَّةٌ لِيَتَخَلَّفَهُمْ عَنِ مَيْدَانِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِيهِمْ نَزَلَ ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمِ حِزْنَ إِلَّا يُجَادُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾ فَنَوَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيمَانِهِمْ وَإِحْلَاصِهِمْ وَقَالَ لِلْجَيْشِ السَّائِرِ مَعَهُ : (انْ بِالْمَدِينَةِ لِرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ) الْحَدِيثُ وَتَقَدَّمَ قَرِيبًا .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوهُ وَأَصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ فَإِنَّكَ تَمَحُّو مَا تَشَاءُ وَتَثَبُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ .

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفِرْعَانَ الْأَكْبَرَ آمِنِينَ ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِدَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالْتِدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ ، وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل العاشر

وقال ابن القيم رحمه الله : يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ فِي عَمَلِهِ ثَلَاثُ آفَاتٍ رُؤْيَتُهُ وَمَلَا حِظَّتُهُ وَطَلْبُ الْعَوَاضِ عَلَيْهِ وَرِضَاؤُهُ بِهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ . ففِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ . فَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رُؤْيَا عَمَلِهِ مُشَاهَدَتُهُ لِمَنَّةِ اللَّهِ لَا مَشِيئَتِهِ هُوَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَأَنَّهُ آلَةٌ مَحْضَةٌ وَأَنَّهُ لَوْ خَلِيَ وَنَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِهِ الْمَصَالِحِ شَيْءٌ ، فَإِنَّ النَّفْسَ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ طَبَعُهَا الْكَسَلُ وَابْتِئَارُ الشَّهَوَاتِ وَالبَطَالَةُ ، وَهِيَ مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ وَمَأْوَى كُلِّ سُوءٍ ، وَمَا كَانَ هَكَذَا لَمْ يَصُدُرْ

مِنْهُ خَيْرٌ وَلَا هُوَ مِنْ شَأْنِهِ فَالْخَيْرُ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ وَبِهِ ، لَا
مِنَ الْعَبْدِ وَلَا بِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَلَوْ لَا فَضَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتَهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْكُنُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الْآيَةُ .

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ اللَّهِ وَمِنْتَبِهِ وَإِحْسَانِهِ ، هُوَ
الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ فَرُؤِيَةُ الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ كَرُؤِيَتِهِ لِصِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ
مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ ، بَلْ مِنْ صِحَّتِهِ وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ ، فَالْكَلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ فَالَّذِي يُخْلِصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ
الْآفَةِ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ .

وَالَّذِي يُخْلِصُهُ مِنْ طَلِبِ الْعَوَظِ عَلَى الْعَمَلِ عِلْمُهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ
مَحْضٌ ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى خِدْمَتِهِ لِسَيِّدِهِ عَوَظًا وَلَا أَجْرًا ، إِذْ هُوَ
يَخْدِمُهُ بِمُقْتَضَى عُبُودِيَّتِهِ ، فَمَا يَنَالُهُ مِنْ سَيِّدِهِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَالثَّوَابِ تَفَضُّلٌ
مِنْهُ وَاحْسَانٌ إِلَيْهِ وَانْعَامٌ عَلَيْهِ لَا مُعَاوَضَةَ ، إِذِ الْأَجْرَةُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا الْحُرُّ أَوْ
عَبْدٌ الْغَيْرِ فَأَمَّا عَبْدٌ نَفْسُهُ فَلَا . وَالَّذِي يُخْلِصُهُ مِنْ رِضَاةِ بَعْمَلِهِ وَسُكُونِهِ
إِلَيْهِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا مَطَالَعَةُ عُيُوبِهِ وَأَفَاتِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِيهِ وَمَا فِيهِ مِنْ حَظِّ
النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، فَقَلُّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ وَإِنْ
قَلَّ وَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ .

الثَّانِي : عِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ
وَأَدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَشُرُوطِهَا وَأَنَّ الْعَبْدَ أضعفُ وَأعجزُ مِنْ أَنْ يُوفِّيَهَا

حَقًّا وَأَنْ يَرْضَى بِهِ لِرَبِّهِ فَالْعَارِفُ لَا يَرْضَى بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ لِرَبِّهِ وَلَا يَرْضَى نَفْسَهُ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَيَسْتَحِي مِنْ مُقَابَلَةِ اللَّهِ بِعَمَلِهِ . وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعِمِائَةَ رَكْعَةٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهْزُهَا وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : يَا مَا أَوْى كُلِّ سُوءٍ وَهَل رَضِيْتُكَ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا وَمَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ . انتهى .

وختاماً فعلى المسلم المخلص أن يحذر كل الحذر أن يمتزج باخلاص عمله شيء آخر من رياء أو غيره كمن يصوم ليتتفع بالحمية الحاصلة بالصوم ومع قصد التقرب أو يعتق رقيقه ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح بدنه بحركة السفر أو ليتخلص من شر يعرض له ببلده أو يغزو ليمرن على الحرب ويمارسها أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزاً بين أبناء جنسه وعشيرته ، أو ليكون ماله محروساً بعز العلم عن الاطماع ، أو عاد مريضاً ليعاد إن مرض أو شيع جنازة ليشيع جنازة أهله ، أو فعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار أو تصدق ليشي عليه ويقال أنه كريم يذل المال أو قام بمشاريع خيرية ليشي عليه فكل هذه ونحوها من مكدرات صفو الاخلاص نسأل الله العصمة لنا ولاخواننا منها .

وكم من أعمال يتعب الشخص فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ، ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها ، فدقائق الآفات قلما تسلم الأعمال منها .

قال بعض السلف لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عليه

عَمَلُهُ فَلَا غِنَى بِالْعَبْدِ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا أَمَرْنَا بِاتِّقَائِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ وَلَا سِوَمَا
الرِّيَاءِ إِذْ وُصِفَ بِالْخَفَاءِ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ فَمَا خَفِيَ
لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِشِدَّةِ التَّفَقُّدِ وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ بِمَعْرِفَةِ لَهُ حِينَ يَعْزُضُ وَإِلَّا لَمْ
يَنْفَعِ التَّفَقُّدُ لِمَا لَا يُعْرَفُ .

فبالخوف والحذر يتفقد العبد الرياء، وبمعرفة بصره حين يعرض له .
ومن فوائد الاخلاص أنه يمد جاش صاحبه بقوة فلا يتباطأ أن
ينهض للدفاع عن الحق .

ومن فوائده أنه يشرح صدر صاحبه للانفاق في وجوه البر فتجدد
يؤثرها بجانب من ماله وان كان به خصاصة . ومن فوائده أنه يعلم
صاحبه الزهد في عرض الدنيا ، فلا يخشى منه أن يناوىء الحق أو
يلبس به شيء من الباطل ، ولو أعطي الشيء الكثير من المال . ومن
فوائده أنه يحمل القاضي على تحقيق النظر في القضايا فلا يتسرع في
القضية ويفصل فيها إلا بعد أن يتبين ويتبين له الحق . ومن فوائده أنه
يحمل المعلم أن يبذل جهده في إيضاح ما خفي على التلميذ وأن لا
يئخل على الطلاب بما تسعه أفهامهم من المناجحة المفيدة . ومن فوائده
أن الأستاذ يحرص على أن يسلك في طريقة التدريس الأساليب التي
تجدد نشاطهم وتحفزهم إلى التعمق في المسائل .

ومن فوائد الاخلاص أنه يمنع التاجر من الخيانة فلا يخون الذي
يأتمنه في صنف من أصناف البضاعة ، أو قيمتها . ومن فوائد الاخلاص
أنه يحمل صاحبه على إجادة العمل وأن يكون مُحسناً فيه ومن فوائده أنه
يمنع الكاتب أن يقلب بعض الحقائق أو يكسوها لونا غير لونها . ومن
فوائد الاخلاص أنه يحمل صاحبه على تجنب الغش فكل غشاش فهو

ليس بمخلص ، وتقدم حديث من غشنا فليس منا ومن فوائد الاخلاص .
انه يحمله صاحبه على الوفاء بالعهد والوعد ، ومن فوائد الاخلاص انه
يحمله صاحبه على ان يكون عمله للقريب والبعيد سواء .

ومن فوائده انه يحمله صاحبه على تنظيم اعماله . ومن فوائده ان
المتصف به يكون مقدراً مرموقاً بعين الاخترام والاجلال ، ومن فوائده
انه يحمله صاحبه على الابتعاد عن الرشوة ، ومن فوائده انه يحمل
صاحبه اذا كان من اهل الحل والعقد وزيراً او رئيساً او مديراً ان يتحرى
للأعمال الأتقى والأرضى ، الذي توجد فيه المؤهلات حقيقة ، وهي
القوة والأمانة والحفظ والعلم . عاملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : من
استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله
ورسوله والمؤمنين ، ومن فوائده ان العمل الخالص القليل منه يجزي
كما في حديث معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أخلص
العمل يجزيك منه القليل ، قال بعضهم :

أنا الرعيم لمن يخلص لخالقه
آخر : وأحسن وجه في الورى وجه مخلص
وأيمن كف في الورى كف محسن
آخر : وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد
آخر : والله لا يرضى بكثرة فعلنا
فالعارفون مرادهم أحسانه
ويعمل الصالحات أن يحرز الرشد
لمن خلق الأشياء رب البرية
يريد رضى الخلاق نعم الإرادة
ذخراً يكون كصالح الأعمال
لكن بأحسنه مع الإيمان
والجاهلون عموا عن الإحسان

ومن فوائد الاخلاص ان العبد لا يتخلص من الشيطان إلا بالإخلاص ،
قال الله إخباراً عما قاله إبليس لعنه الله : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ، ومن
فوائد الاخلاص انه يميز العمل من العيوب كتمييز نفسه ويجمها للعمل
ليتقوى على العبادة يكون نومه عبادة .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ أَخْلَصُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ
سِوَاءِ أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِخَلْقِ اللَّهِ وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ بَيْنَ
الْخَلْقِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَمْ كُنْتُمْ فِي مَحَلِّ خَفِيٍّ لَا يَرَاكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَالْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ
وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ فِي سِرٍّ أَوْ فِي الْعَمَلِ أَمْ فِي سِرٍّ .

ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا تُرِيدُ جَزَاءً عَلَيْهِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ
يَكُونُ ذَلِكَ قَصْدَكَ قَبْلَ الْعَمَلِ وَحِينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ لَا تَذْكُرُهُ
بِلِسَانِكَ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ أَوْ لِيَقْتَدِيَ بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ ، بِهَذَا
يَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً حَقًّا وَتَكُونُ أَنْتَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَبِهَذَا يَتِمُّ عَمَلُكَ الْقَبُولُ
عِنْدَ رَبِّكَ وَعِنْدَ النَّاسِ ، وَبِهَذَا تَكُونُ أَقْوَى النَّاسِ لِأَنَّ وَلِيَّكَ خَيْرٌ يَكُونُ
مَوْلَاكَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ وَبِهَذَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ
الْجَزَاءِ .

شِعْرًا : لِلَّهِ دَرُّ نَاسٍ أَخْلَصُوا الْعَمَالَ
أَوْ لَا هُمُوا نِعْمًا فَازْدَادَ شُكْرُهُمُ
وَفَوَّاهُ لَهُ ثُمَّ وَافَوْهُ بِمَا عَمِلُوا
آخر : عَلَيْكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّذِي
آخر : إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ فَقُلْ لَهُمْ
عَلَى الْيَقِينِ وَدَانُوا بِالَّذِي أَمَرُوا
ثُمَّ ابْتَلَاهُمْ فَأَرْضَوْهُ بِمَا صَبَرُوا
إِذَا سَيَّوْفِيهِمْ إِذَا نُشِرُوا
لَهُ نِعْمٌ لَا تَنْحَصِي وَفَضَائِلُ
عِبَادًا لِمَوْلَاهُمْ أَنَابُوهُ وَأَخْلَصُوا

أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبَلَ عَلَيْكَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ فَانْتَ إِذَا تَكُونُ مُرَائِيًّا لَا تُخْلِصَ الْعَمَلَ بَلْ تَشْرِكْ مَعَهُ النَّاطِرِينَ
فَتَكُونُ فِي دَعْوَى تَمْجِيسِ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى لَسْتَ بِصَادِقٍ بَلْ مِنَ
الْكَاذِبِينَ .

وَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ يَكْذِبُ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ،

لا في الأرض ولا في السماء ، إن المُرَائِي مَهْمَا أَخْفَى رِيَاءَهُ يُظْهِرُ اللَّهُ
تعالى ما في قلبه لِلْعَالَمِينَ ، رَوَى الامامُ أحمدُ عن أبي سعيدٍ مرفوعاً « لو
أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا مَنْفَذٌ لَأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ
لِلنَّاسِ كَأَنَّ مَا كَانَ » .

ولذلك يكون لأعمال المُرَائِي مِنَ السَّمَاجَةِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ مَا لَا
يُحْكِيهِ اللِّسَانُ ولهذا يكون مَرْدُوداً ثَقِيلاً عِنْدَ النَّاسِ ، وَمِنْ هَذَا تَرَاهُ يَتَوَدَّدُ
إِلَى النَّاسِ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَنُفُورُهُمْ عَنْهُ عِبْرَةٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ ثُمَّ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ
أَسْوَأَ حَالاً خُصُوصاً فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَشِيْبُ فِيهِ الْإِطْفَالُ فَقَدْ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى
النَّارِ وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ لَكِنَّهَا لَمَّا لَمْ يُرْدْ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ خَالِصَةً
صَارَتْ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْهِ نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنَ الرِّيَاءِ .

وَقَدَّمَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ وَنَصَّه
فَإِنْ جَاءَ رَأْيٌ لِلْحَدِيثِ مُعَارِضٌ
فَهَلْ مَعَ وُجُودِ الْبَحْرِ يَكْفِي تَيْمَمٌ
وَهَلْ يُوقَدُ النَّاسُ الْمَصَابِيحَ لِلضِّيَاءِ
سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ
بِهِمْ يَهْتَدِي مَنْ يَقْتَدِي بِعُلُومِهِمْ
وَيَحْيَى بِهِمْ مَنْ مَاتَ بِالْجَهْلِ قَلْبَهُ
لَهُمْ حُلُلٌ قَدْ زَيَّنَتْهُمْ مِنَ الْهُدَى
وَمَنْ يَكُنِ الْوَحْيُ الْمُطَهَّرُ عِلْمَهُ
وَمَا يَسْتَوِي تَالِي الْحَدِيثِ وَمَنْ تَلَا
وَكُنْ رَاغِباً فِي الْوَحْيِ لَا عَنْهُ رَاغِباً
إِذَا شَامَ بَرَقًا فِي سَحَابٍ مَشَى بِهِ
وَمَنْ قَالَ : ذَا حِلٍّ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ

على كل قولٍ قد أتى بإزائه
فِللرأيِ فاطرُحْ ، واسترخ من عنائه
لَمَنْ لَيْسَ مَعْدُوراً لَدَى فُقَهَائِهِ ؟
إِذَا مَا أَتَى رَدًّا الضُّحَى بِضِيَائِهِ
مَصَابِيحُ عِلْمٍ ، بَلْ نُجُومُ سَمَائِهِ
وَيُرْقَى بِهِمْ ذُو الداءِ عِلَّةَ دَائِهِ
فَهُمْ كَالْحَيَا تَحْيَا الْبِقَاعُ بِمَائِهِ
إِذَا مَا تَرَدَّى ذُو الرَّدَى بِرَدَائِهِ
فَلَا رَيْبَ فِي تَوْفِيقِهِ وَأَهْتِدَائِهِ
رَخَارِفَ مِنْ أَهْوَائِهِ وَهَذَائِهِ
كَخَابِطِ لَيْلٍ تَائِهِ فِي دُجَائِهِ
وَإِلَّا بَقِيَ فِي شِكَّةٍ وَأَمْتَرَائِهِ
بِغَيْرِ دَلِيلٍ . فَهُوَ مُحَضُّ افْتَرَائِهِ

وَكُلُّ فَقِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ هُمَا شَاهِدَا عَدْلٍ ، وَلَكِنْ كِلَاهُمَا فَوَاحِرَ قَلْبِي مِنْ جَهْلٍ مُسَوِّدٍ إِذَا قُلْتَ : قَوْلَ الْمُصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِي يَرَى أَنَّهُ دَعَاؤِي اجْتِهَادِي صَرِيحِي فَسَلُهُ : أَقُولُ اللَّهُ : مَاذَا أَجَبْتُمْ ؟ أَيْسَأَلُهُمْ : مَاذَا أَجَبْتُمْ مُلُوكَكُمْ ؟ أَمْ اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَمْتَحِنُ الْوَرَى وَهَلْ يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِ أَحْمَدٍ وَهَلْ قَوْلُهُ : يَا رَبِّ قَدَدْتُ غَيْرَهُ فَهَيْهَاتَ لَا يُغْنِي الْفَتَى يَوْمَ حَشْرِهِ « وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ بَلْ كُلِّ رَسُولِهِ

وَيَثْبُتُ بِالْوَحْيَيْنِ صِدْقُ ادِّعَائِهِ لَدَى الْحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ فِي قَضَائِهِ بِهِ يُقْتَدَى فِي جَهْلِهِ لِشَقَائِهِ مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسِوَائِهِ فَوَاعَجَبْنَا مِنْ جَهْلِهِ وَجَفَائِهِ لَمَنْ هُوَ يَوْمَ الْحَشْرِ عِنْدَ نِدَائِهِ وَمَا عَظَّمَ الْإِنْسَانُ مِنْ رُؤْسَائِهِ بِمَاذَا أَجَابُوا الرُّسُلَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ إِذَا مَا ثَوَى فِي الرَّمْسِ تَحْتَ تَرَابِهِ لَدَى اللَّهِ عُدْرَتُ يَوْمَ فَضْلِ قَضَائِهِ « سِوَى حُبِّهِ رَبِّ الْوَرَى وَاتِقَائِهِ » وَمَنْ يَقْتَفِي آثَارَهُمْ بَاهْتِدَائِهِ »

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجًا وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ . اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنُبْهِنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الحادي عشر

في محاسبة النفس

اعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين أنه يجبُ على الانسان أولاً

ان يعلم أنه عبدٌ مَرْبُوبٌ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَا هَلَاكَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا ثُمَّ يُفَكِّرُ (لَاي شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ وَلَمَّا خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا كَمَا قَالَ اللَّهُ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) وَقَالَ ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ وَأِنَّمَا وُضِعَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلْبَلَاةِ وَالِاخْتِبَارِ هَلْ يَطِيعُ رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى دَارِ نَعِيمٍ أَبَدِيٍّ سَرْمَدِيٍّ أَوْ يَعْصِي رَبَّهُ فَيَنْتَقِلَ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمِهَادِ .

إِذَا فَهِمَ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَأَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ الْعِلْمُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي مَوَاضِعِهِ وَعِلَلِهِ وَأَسْبَابِهِ وَلَنْ يَجِدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ سَبِيلُ النِّجَاةِ وَالْعِلْمُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى السَّبِيلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ ﴾ .

ثُمَّ يَتَأَمَّلُ مَا أَمَامَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ وَالْعَقَبَاتِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي أَوْضَحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ .

- فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُنَاقَشُ فِي الْحِسَابِ عَنْ مِثَاقِيلِ الذُّرِّ فِي يَوْمٍ كَانَ

مقداره خمسين ألف سنة أحوج ما يكون الى الحسنات وغفران السيئات
تحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا اعتمادُه على الله ومعاونته على
مُحاسبة نفسه ومراقبتها ومطالبتها في الأنفاس والحركات ومُحاسبتها في
الخطرات واللحظات فمن حاسب قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه
وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه .

قال ابن القيم : رحمه الله هلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن
موافقتها واتباع هواها وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى « دان نفسه أي حاسبها .

وذكر الامام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا فإنه أهون عليكم
في الحساب غداً أن تُحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية « على الله . وذكر أيضاً عن الحسن لا
تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشربتي ؟
والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه . وقال قتادة في قوله تعالى :
﴿ وكان أمره فرطاً ﴾ ، أضاع نفسه وغبن مع ذلك تراه حافظاً لما له
مضيئاً لدينه .

وقال الحسن : إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه
وكانت المحاسبة من همته وقال ميمون بن مهران : لا يكون العبد تقياً
حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك ، ولهذا قيل النفس كالشريك
الخوان إن لم تُحاسبه ذهب بمالك وقال ميمون أيضاً : إن التقى أشد
محاسبة لنفسه من سلطان قاضٍ ومن شريكٍ شحيح .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَهْبٍ قَالَ مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ دَاوُدَ . حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَصَدُّونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحُلُّ وَيَجْمَلُ ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : الْمُؤْمِنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ وَإِنَّمَا يَخْفَى الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ .

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَفْجُوهُ الشَّيْءُ يُعْجِبُهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَسْتَهْيِكَ وَإِنَّكَ لَمَنْ حَاجَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا مِنْ صِلَةٍ إِلَيْكَ هَيْهَاتَ حَيْلَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَيَقْرُطُ مِنْهُ الشَّيْءُ فَيَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ : مَا أَرَدْتُ إِلَى هَذَا مَا لِي وَلِهَذَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى هَذَا أَبَدًا إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ وَفَقَهُمُ الْقُرْآنُ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَلَكَتِهِمْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ أُسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فَكَاكَ رَقَبَتِهِ لَا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَفِي جَوَارِحِهِ .

اللَّهُمَّ أَيِّقِظْ قُلُوبَنَا وَتَوَرَّهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَالْهَمْمَاتِ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقِّفْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمَنَازِلِ : الْمَحَاسِبَةُ لَهَا ثَلَاثَةٌ أَرْكَانٍ ، أَحَدُهَا أَنْ تُقَاسَ بَيْنَ نِعْمَتِهِ وَجِنَائِكَ يَعْنِي تُقَاسَ بَيْنَ مَا مِنَ اللَّهِ وَمَا مِنْكَ فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ لَكَ التَّفَاوُتُ وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ وَرَحْمَتُهُ أَوْ الْهَلَاكُ وَالْعَطْبُ وَبِهَذِهِ الْمَقَاسَةِ تَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ رَبُّ الْعَبْدِ عَبْدٌ

وَيَتَبَيَّنُ لَكَ حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَصِفَاتُهَا وَعَظَمَةُ جَلَالِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَتَفَرُّدُ الرَّبِّ بِالْكَمَالِ وَالْأَفْضَالِ وَأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ وَأَنَّ قَبْلَ هَذِهِ الْمُقَايَسَةِ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ وَرَبُّوبِيَّةِ فَاطِرِهَا وَخَالِقِهَا .

فَإِذَا قَايَسْتَ ظَهَرَ لَكَ أَنَّهَا مَنبِعُ كُلِّ شَرٍّ وَأَسَاسُ كُلِّ نَقْصٍ وَأَنَّ حَدَّهَا الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ وَأَنَّهُ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِتَرْكِيَّتِهِ لَهَا مَا زَكَتْ أَبَدًا وَلَوْ لَا هُدَاةُ مَا اهْتَدَتْ وَلَوْ لَا إِرْشَادُهُ وَتَوْفِيقُهُ لَمَا كَانَ لَهَا وُصُولٌ إِلَى خَيْرِ الْبَتَّةِ وَإِنَّ حُصُولَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ بَارئِهَا وَفَاطِرِهَا ، ثُمَّ تَقَايَسَ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَتَعَلَّمْ بِهَذِهِ الْمُقَايَسَةِ أَيُّهُمَا أَكْثَرُ وَأَرْجَحُ قَدْرًا وَصِفَةً .

قال : وهذه المُقَايَسَةُ تُشَقُّ عَلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ ، نُورُ الْحِكْمَةِ وَسُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ ، وَتَمْيِيزُ النِّعْمَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْمُقَايَسَةَ وَالْمُحَاسَبَةَ تَتَوَقَّفُ عَلَى نُورِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي نُورَ اللَّهِ بِهِ قُلُوبُ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ فَبِقَدْرِهِ تَرَى التَّفَاوُتَ وَتَتَمَكَّنُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ نُورُ الْحِكْمَةِ هَهُنَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْعَبْدُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ وَالضَّارَّ وَالنَّافِعِ وَالْكَامِلِ وَالنَّاقِصِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَيُبْصِرُ بِهِ مَرَاتِبَ الْأَعْمَالِ رَاجِحِهَا وَمَرْجُوحِهَا وَمَقْبُولِهَا وَمَرْذُودِهَا كَلَّمَا كَانَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا النُّورِ أَقْوَى كَانَ حَظُّهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ .

أما سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ فَإِنَّمَا اِحْتِيَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ يَمْنَعُ مِنْ كَمَالِ التَّفْتِيشِ وَيُلْبَسُ عَلَيْهِ فَيَرَى الْمُسَاوِيءَ مُحَاسِنًا وَالْعُيُوبَ كَمَالًا وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا تَمْيِيزُ النِّعْمَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ فَلْيُفَرِّقْ بَيْنَ النِّعْمَةِ الَّتِي يَرَى بِهَا الْإِحْسَانَ وَاللُّطْفَ وَيُعَانُ بِهَا عَلَى تَحْصِيلِ سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ وَبَيْنَ النِّعْمَةِ الَّتِي يَرَى بِهَا الْاسْتِدْرَاجَ فَكَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالنِّعْمِ وَهُوَ لَا يَدْرِي

مفتون بثناء الجهال عليه مغرور بقضاء الله حوائجه وسره عليه وأكثر
الناس عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح ، ذلك مبلغهم من
العلم وقد مثلت النفس مع صاحبها في المال ، وكما أنه لا يتم مقصود
الشركة من الربح إلا بالمشاركة على ما يفعل الشريك أولاً ثم بمطالعة ما
يعمل والإشراف عليه ومراقبته ثانياً ، ثم بمحاسبته ثالثاً ، ثم بمنعه من
الخيانة أن اطلع عليها رابعاً ، فكذلك النفس يشارطها أولاً على حفظ
الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال والربح بعد ذلك فمن ليس
له رأس مال كيف يطمع في الربح ؟ .

وهذه الجوارح السبعة هي : العين والأذن والفم واللسان والفرج
واليد والرجل هي مركب العطب والنجاة فمنها عطب من عطب باهمالها
وعدم حفظها ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها أساس كل خير
واهمالها أساس كل شر قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولاً ﴾ فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح وانتقل منها إلى مطالعتها
والإشراف عليها ومراقبتها فلا يهملها فإنه إن أهملها لحظة وقعت في
الخيانة ولا بد فإن تمادى على الإهمال تمادت في الخيانة حتى يذهب
رأس المال كله فمتى أحس بالخسران وتيقنه استدرك منها ما يستدركه
الشريك من شريكه من الرجوع عليه بما مضى والقيام بالحفظ والمراقبة
في المستقبل ولا مطمع له في فسح هذه الشركة مع هذا الخائن
فليجتهد في مراقبته ومحاسبته وليحذر من أهماله ، ويعينه على هذه
المراقبة والمحاسبة معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا
صار الحساب إلى غيره وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً ،

وَيُعِينُهُ عَلَيْهَا أَيْضاً مَعْرِفَتُهُ أَنَّ رِيحَ هَذِهِ التِّجَارَةِ سُكْنَى الْفِرْدَوْسِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ وَخَسَارَتَهَا دُخُولُ النَّارِ وَالْحِجَابِ عَنِ الرَّبِّ فَإِذَا تَيَقَّنَ هَذَا هَانَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ الْيَوْمَ .

فَحَقُّ عَلَى الْحَازِمِ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهَا فِي حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَخَطَوَاتِهَا فَكُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْعُمَرِ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا خَطَرَ لَهَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا كُنْزاً مِنَ الْكُنُوزِ لَا يَتَنَاهَى نَعِيمُهُ أَبَدَ الْأَبَادِ .

فِإِضَاعَةُ هَذِهِ الْأَنْفَاسُ أَوْ مُشْتَرَى صَاحِبِهَا بِهَا مَا يَجْلِبُ هَلَاكَهُ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ لَا يَسْمَحُ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ وَأَحْمَقُهُمْ وَأَقْلَهُمْ عَقْلاً وَإِنَّمَا يَظْهَرُ لَهُمْ حَقِيقَةُ هَذَا الْخُسْرَانِ يَوْمَ التَّغَابُنِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تِجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

عَلَيْكَ بِمَنْعِ نَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا	فَمَا شَيْءٌ أَلَدَّ مِنَ الصَّلَاحِ
تَأْتِبُ لِلْمِنِيَّةِ حِينَ تَغْدُو	كَأَنَّكَ لَا تَعِيشُ إِلَى الرَّوَّاحِ
فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِينَا صَحِيحٍ	نَعْتُهُ نِعَاتُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ
وَبَادِرُ بِالْإِنَابَةِ قَبْلَ مَوْتٍ	عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِظَمِ الْجُنَاحِ
وَلَيْسَ أَحْوُ الرِّزَايَةِ مَنْ تَجَافَى	وَلَكِنْ مَنْ تَشَمَّرَ لِلْفَلَاحِ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٣) « مَوْعِظَةٌ »

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَقَدْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْكُمْ الذَّنُوبُ وَأَنْتُمْ فِي غَيْبِكُمْ وَلَهْوِكُمْ

في دُنياكم مُشتغلون أحاطت بكم البَلايا مِن كلِّ جانبٍ ولستم لإصلاحِ
أنفسيكم تجنحون ، كُلِّمًا أوضَحَ لكم الواعظُ طريقَ الهدايةِ تعاميتُم فلا
أنتم بالكُروبِ مُعتَبِرون ولا مِن البَلايا مُنْجِرونَ أما سَمِعْتُم قولَ اللهِ جلَّ
وعلا ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ أَنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾
وقوله تعالى : ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي
الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وقوله ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ ﴾ أيها المُسلمُ انظر في نَفْسِكَ هل تجدُها عامِلةً بمقتضى الدِّينِ
هل أتيتَ بِالصَّلَاةِ على الوجهِ الأكملِ واجْتَنَبْتَ المعاصِيَ المَنَافِيَةَ لِلدِّينِ
هل أدَّيتَ الزَّكَاةَ كاملةً مُكَمَّلةً بَيِّقِينَ فَتَشْ هَلْ تَجِدُ فِيهَا حَيَاءً مِنَ اللهِ بَيِّقِينَ
هل أنتَ سالمٌ مِنَ الكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالْإِحْتِيَالِ هَلْ سَأَلْتَ مِنَ الرِّبَا فِي
أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ الرِّبَا فِي مُعَامَلَاتِكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ
المُدَاهَنَةِ وَالتَّفَاقِي هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ الغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالبُهْتِ وَاللَّعْنِ وَسِيءِ
المَقَالَاتِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ الغِشْرِ فِي بَيْعِكَ وَشِرَائِكَ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِكَ
هل أنتَ صَائِرٌ لِسَانَكَ عَنِ مَا يَضُرُّكَ مِنَ الأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ
مِنَ الكِبْرِ وَالْإِعْجَابِ وَقَطِيعَةِ الرِّحْمِ وَالْعُقُوقِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ أذِيَةِ الجَارِ
هَلْ قَلْبُكَ لَيْنٌ رُحُومٌ تَرْحَمُ المِسْكِينَ وَتُكْرِمُ اليَتِيمَ هَلْ أَنْتَ تَقْضِي حُقُوقَ
النَّاسِ بِدُونِ مِطَالٍ وَلِجَاجٍ هَلْ أَنْتَ تُحِبُّ فِي اللهِ وَتُبْغِضُ فِي اللهِ هَلْ
أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ حَلْقِ اللِّحْيَةِ أَوْ صَبْغِهَا أَوْ الدُّخَانِ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ
الْحَنَافِسِ وَالتَّوَالِيَتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلَاقِ السَّافِلَاتِ هَلْ بَيْتُكَ خَالٍ عَنِ
صُورِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ وَهَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ المِذْيَاعِ وَالتَّلْفِزِيُونِ وَالسَّيْنِمَاتِ
وَهَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنَ بَيْعِ هَذِهِ المَحْرَمَاتِ هَلْ قُمْتَ عَلَى أَوْلَادِكَ لِلصَّلَاةِ

والتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَفَقَّدَ لِنَفْسِكَ بِدَقَّةِ كُلِّ يَوْمٍ وَتُعَالِجَ مَا بِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْمُهْلِكَاتِ فَإِنَّهَا أَشَدُّ ضَرَرًا وَفَتْكًا مِنْ أَمْرَاضِ الْبَدَنِ الَّتِي لَا تُصْبِرُ عَلَيْهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ لَهَا عِلَاجًا ذَهَبْنَا إِلَى الْخَارِجِ رَجَاءً بُرْئِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

قَالَ وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ نَوْعَانِ أَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقِفُ عِنْدَ أَوَّلِ هِمَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَلَا يُبَادِرُ بِالْعَمَلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ عَلَى تَرْكِهِ قَالَ الْحَسَنُ : رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هِمِّهِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ ، النَّوْعُ الثَّانِي مُحَاسَبَةُ بَعْدَ الْعَمَلِ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مُحَاسَبَتُهَا عَلَى طَاعَةٍ قَصَّرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ فَلَمْ تُوقِعْهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي .

وَحَقُّ اللَّهِ فِي الطَّاعَاتِ بِمُرَاعَاتِ سِتَّةِ أُمُورٍ وَهِيَ الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ وَالنَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِيهِ وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَشُهُودُهُ مَشْهَدَ الْإِحْسَانِ فِيهِ وَشُهُودُ مَنَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ وَشُهُودُ تَقْصِيرِهِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ هَلْ وَفِيَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ حَقَّهَا وَهَلْ أَتَى بِهَا فِي هَذِهِ الطَّاعَاتِ ، الثَّانِي أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ كَانَ تَرْكُهُ خَيْرًا لَهُ مِنْ فِعْلِهِ ، الثَّلَاثُ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أَمْرٍ مَبَاحٍ أَوْ مُعْتَادٍ لِمَنْ فَعَلَهُ وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَيَكُونُ رَاجِحًا فِيهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا وَعَاجَلَتَهَا فَيُخْسِرُ ذَلِكَ الرِّيحَ وَيَفُوتُهُ الظَّفَرُ بِهِ قَالَ : وَجَمَاعٌ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَوَّلًا عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِذَا تَذَكَّرَ فِيهَا نَقْصًا تَذَارَكَهُ إِمَّا بِقَضَاءِ أَوْ إِصْلَاحِ ثُمَّ يُحَاسِبُ عَلَى الْمَنَاهِي فَإِنْ عَرَفَ أَنَّهُ ارْتَكَبَ مِنْهَا شَيْئًا تَذَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الْغَفْلَةِ فَإِنْ كَانَ قَدْ غَفَلَ عَمَّا خُلِقَ لَهُ تَذَارَكَهُ بِالذِّكْرِ وَالِاقْبَالِ عَلَى اللَّهِ

ثم يُحاسبُها بما تكلم به لسانه أو مشت به رجلاه أو بطشته يده أو سمعته أذناه ماذا أزدت بهذا ولم فعلت وعلى أي وجه فعلته ، ويعلم أنه لا بد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوان لم فعلته وكيف فعلته فالأول سؤال عن الإخلاص .

والثاني سؤال عن المتابعة : فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال : فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقال : ﴿ لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صديقهم فما الظن بالكاذبين وقال : فتأدة كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين فيسألون عن المعبود وعن العبادة وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ شعرا :

تصاؤون عن الأندال ما عشت واكتسب لنفسيك كسبا من خلال تصونها
وما للفتى بر كمثل عفافه إذا نفسه اختارت لها ما يزينها
إذا النفس لم تقنع بقسم مليكها على ما أتى منه فمائم دينها

قال محمد بن جرير : يقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ أَلْتَسْأَلُنَّكُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ وَمِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ ﴾ وقال فتادة : إن الله سائل كل عبد عما استودعه من نعمته وحقه ، والنعيم المسئول عنه نوعان نوع أخذ من حله وصرف في حقه فيسأل عن شكره ونوع أخذ بغير حله وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه وعن مصرفه وقد دل على وجوب المحاسبة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ الآية .

(١) إعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء عدوة لك مع إبليس لعنه

الله، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها، فهي سلاحه الذي يصيد به وهل أوقع إبليس في كبره ومعصيته إلا نفسه، قال الله جلّ وعلا وتقدس ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾.

فلا تغرّك نفسك بالأمانى والغرور، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل والعجز فدعواها باطل وكل شيء منها غرور وإن رضيت عنا واتبعت أمرها هلكت، وإن غفلت عن محاسبتها غرقت، وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قاذت إلى النار.

(فصل): وفي محاسبة النفس عدة مصالح، أولاً الإطلاع على غيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته ومن ذلك أنه لو لا أن الله وفق العبد لمحاسبتها لشقي في القيامة ومن ذلك أن المحاسبة للنفس من الكياسة ومن ذلك استراحة المحاسب من التعب الطويل يوم القيامة ومن ذلك أنه لا يتحسر المحاسب في القيامة كالذين لم يحاسبوا أنفسهم ومن ذلك تمرين النفس على العبادة والمداومة على ذكر الله ليلاً ونهاراً.

شِعراً: عليك بذكر الله في كل لحظة فما حاب عبد للمُهين يذكر آخر: ثلاثة يُجهل مقدارها الأمن والصحة والدين فلا تثق إلا بمن أمره ما بين كاف وتون يكون

ومن ذلك أن المحاسبة تضعف الأعمال السيئة وتوقفها ومن ذلك أنها تحض الإنسان على الأعمال الصالحة ومن ذلك أنها تخلص النفس من العجب ورؤية العمل ومن ذلك أن المحاسبة تفتح للإنسان باب الدل والانكسار والخضوع لله ومن ذلك أنها تدعو الإنسان إلى أن ينظر في حق الله عليه.

ومن ذلك أنها توجب للإنسان أن يمقت نفسه ويعلم أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ورحمته.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ أَكْثَرِ النَّاسِ وَجَدْتَهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ يَنْظُرُونَ فِي حَقِّهِمْ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَنْظُرُونَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَنْ هُنَا انْقَطَعُوا عَنِ اللَّهِ وَحُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّنَعُّيمِ بِذِكْرِهِ وَهَذَا غَايَةُ جَهْلِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ وَبِنَفْسِهِ فُمَحَاسَبَةُ النَّفْسِ هِيَ نَظَرُ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ أَوَّلًا ثُمَّ نَظَرُهُ هَلْ قَامَ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي ثَانِيًا .

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ إِذَا حَاسَبَ نَفْسَهُ فَرَأَاهَا قَدْ قَارَفَتْ مَعْصِيَةً أَنْ يَتَوَبَّ تَوْبَةً نَصُوحًا وَيَتَّبِعَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُوهَا فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُوهَا) وَإِنْ تَوَانَى عَنْ بَعْضِ الْفَضَائِلِ أَوْ فَاتَتْهُ نِسْيَانًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْرِكَ جَبْرًا مَا نَقَصَ بِالنَّوَافِلِ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي جَمَاعَةٍ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِأَرْضٍ كَانَتْ لَهُ قِيمَتُهَا مِائَتًا أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ شَغَلَهُ أَمْرٌ عَنِ الْمَغْرِبِ حَتَّى طَلَعَ نَجْمَانِ فَلَمَّا صَلَّاهَا أَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ وَفَاتَتْ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ رُكْعَتَا الْفَجْرِ فَاعْتَقَ رَقَبَةً وَوَرَدَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ أَحْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهِ صَوْمٌ سَنَةً أَوْ الْحَجَّ مَاشِيًا أَوْ التَّصَدَّقُ بِالشَّيْءِ الْكَثِيرِ كُلِّ ذَلِكَ مُؤَاخَذَةً لَهَا بِمَا فِيهِ نَجَاتُهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(٤) موعظة

رُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ ويؤخرُ التَّوْبَةَ لِطُولِ الْأَمَلِ وَيَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلِ الرَّاعِبِينَ إِنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَشْبَعْ وَإِنْ مَنَعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِيهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ أَعْمَالَهُمْ وَيُبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ لَهُ الْمَوْتَ

إِنْ سَقِمُ ظَلُّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا يَعْجَبُ مِنْ نَفْسِهِ إِذَا عُوْفِي وَيَقْنَطُ إِذَا تَغَلَّبَهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ وَلَا يَتَّقُ مِنَ الرُّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَهُ وَلَا يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ إِنْ اسْتَغْنَى بَطَرًا وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِطُ وَحَزَنٌ فَهُوَ مِنَ الذَّنْبِ فِي حَالِ النُّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ مُوقِرٌ ، يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ وَلَا يَشْكُرُ وَيَتَكَلَّفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يُؤْمَرُ وَيَضِيعُ الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ يَسْتَكْبِرُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْهَلُ أَكْثَرُهُ مِنْ نَفْسِهِ . مَزَاهِرُ اللَّهِوِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلْيَاءِ أَنْ تُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُبَدِّلَ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَنْ تُدَمِّرَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

شِعْرًا:

تَجْهَرِي بِجَهَازِ تَبْلُغِينَ بِهِ
وَسَابِقِي بَعْتَةَ الْأَجَالِ وَأَنْكَمِشِي
وَلَا تُكْذِبِي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي
وَأُخْشِي حَوْدِثَ صَرَفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ
عَنْ مُدْيَةِ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جِبْهَتَهُ
وَيَأْلُفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ
فِي قَعْرِ مُوَحِّشَةِ غِبْرَاءِ مُقْفِرَةٍ
آخِر: وَنَفْسِكَ فَازْجُرْهَا عَنِ الْغِيِّ وَالْحَنَانِ
وَخَازِرُ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
وَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ حَتْمٌ عَلَى الْفَتَى
فَإِنْ رُمْتَ أَنْ تُحْطَى بِنَيْلِ سَعَادَةٍ
فَبَادِرْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاسْلُكْ سَبِيلَهَا

يَانْفُسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُحْلَقِي عَبْنًا
قَبْلَ اللِّزَامِ فَلَا مَلْجَأَ وَلَا غَوْثًا
إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ الْبَاقِي وَمَا وَرَثًا
وَاسْتَيْقِظِي لَا تَكُونِي كَالَّذِي بَحْنَا
فَوَافَتْ الْحَرْتَ مَحْرُوثًا كَمَا حُرِّثَا
أَوْ الْعُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْنَا
فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنَا
يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبْنَا
وَلَا تَتَّبِعْهَا فَهِيَ أَسُّ الْمَفَاسِدِ
يَصُدُّ عَنِ الطَّاعَاتِ غَيْرَ الْمُجَاهِدِ
وَإِنَّ الثَّقَى حَقًّا لَخَيْرُ الْمَقَاصِدِ
وَتُعْطَى مَقَامَ السَّالِكِينَ الْأُمَاجِدِ
وَلَا تَتَّبِعْ غَيِّ الرَّجِيمِ الْمُعَانِدِ

وَإِيَّاكَ ذُئِبًا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَإِنَّكَ صَاحٍ لَسْتَ فِيهَا بِخَالِدٍ
تَمَسَّكَ بِشَرَعِ اللَّهِ وَالزَّمَّ كِتَابَهُ وَبِالْعِلْمِ فَاعْمَلْ تَحْوِ كُلِّ الْمَحَامِدِ
اللَّهُمَّ أَمُنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتَمَادُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَهْمْنَا
ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنَا حُبَّهُ عِنْدَكَ . اللَّهُمَّ وَمَا رَزَقْتَنَا
مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا فِيمَا نُحِبُّ . اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ
فَرَاغًا لَنَا فِيمَا نُحِبُّ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

الفصل الثالث عشر

(٥) فِي مَوْعِظَةِ جَلِيلَةٍ

قال بعضُ العلماءِ على قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

كشفت لنا هذه الآية الشريفة عن سنة من سنن الله تعالى : وهي
أَنْ مَنْ غَفَلَ عَنْ تَذَكُّرِ اللَّهِ فَنَسِيَهُ وَالْهَيْتَهُ دُنْيَاهُ عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ
أَنسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْهِ فَلَا يَسْعَى لِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي
أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَمَا يَكْمُلُهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلْلِهَا
وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلَّى بِهَا إِلَى الْفَسَادِ وَالذَّمَارِ وَالْهَلَاكِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
الْعُقُوبَةِ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ
وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَصَلَاحِهَا
وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةَ فِي النَّعِيمِ الْمَقِيمِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنفُسَهُمْ
وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا مِنَ اللَّهِ وَبَاعُوهَا رَخِيصَةً بِشَمْنِ بَيْعِ الْمَغْبُورِ

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ، إِنَّهَا لِحَسْرَةٍ عَلَى كُلِّ
ذِي عَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ هَذَا هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهَدْيِ فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ .

وَأَمَّا الرَّابِحُونَ فَهُمْ الَّذِينَ أَنَارَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْحَقِّ فَعَرَفُوا الدُّنْيَا
وَقِيَمَتَهَا وَقَالُوا مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا حَتَّى نَبَّيْعَ حَطْنَا مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى وَالْدَّارِ الْآخِرَةَ بِهَا فَكَيْفَ بِمَا يَنَالُ الْعَبْدَ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ
الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةٍ حُلْمٍ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ الْبَتَّةِ

فَاللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
ضُحَاهَا ﴾ هَذَا هُمُ الْكَيْسُونَ الَّذِينَ عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا كَمَا عَلِمُوا قِلَّةَ
لُبِّهِمْ فِيهَا وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْحَيَوَانِ وَدَارِ الْبَقَاءِ اتَّجَرُوا
تِجَارَةَ الْأَكْيَاسِ وَلَمْ يَغْتَرَوْا بِتِجَارَةِ السُّفْهَاءِ مِنَ النَّاسِ فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابُنِ
رَبْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ
أَدْلَكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ عُمَرُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ
أَيُّ مُنْتَقِضٌ وَبَلَغَ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ فَرَجَمَ
اللَّهُ أَمْرًا أَفْكَرَ فِي أَمْرِهِ وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ وَتَابَ إِلَى
رَبِّهِ إِلَى أَنْ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَانْهَافًا مَكْسَلَةً عَنِ الصَّلَاةِ وَمَقْسَدَةً لِلْجِسْمِ
وَمُؤَدِيَةً لِلسُّقْمِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرْفِ وَأَصْحٌ
لِلْبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثَّرَ شَهْوَتُهُ عَلَى دِينِهِ .

ومن العَجَبِ العُجَابِ أَنَّ العَبْدَ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي هَوَانِ نَفْسِهِ وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهَا لَهَا مُكْرَمٌ وَيَجْتَهِدُ فِي حِرْمَانِهَا مِنْ حُظُوظِهَا وَشَرَفِهَا وَهُوَ يَزْعُمُ
أَنَّهُ يَسْعَى فِي حِفْظِهَا وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا وَتَصْغِيرِهَا وَتَدْنِيْسِهَا وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صِلَاحِهَا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا رَبُّ
مُهَيَّنُّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُكْرَمٌ لَهَا وَمُذَلٌّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ
لِحَقِّهَا وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ لِنَفْسِهِ يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا
يَبْلُغُهُ مِنْهَا عَدُوُّهُ .

شِعْرًا: لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مَنْ مُعْدِمِينَا
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مَنْ كَافِرِينَا
آخِر: مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

فالعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ مُجِدًّا لِأَخِرَتِهِ وَلَا يُنْسِيَهُ نَفْسِيَهُ مِنَ الدُّنْيَا
حَظَّهُ مِنَ الآخِرَةِ عَامِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَفْسِيَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وَلَوْ أَنَّهُ تَأَمَّلَ قَلِيلًا لَوَجَدَ أَنَّ لَدَائِدَ الدُّنْيَا
مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ آلامِهَا فَمثَلًا لَذَّةُ الطَّعَامِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِأَلَمِ الجُوعِ وَلَذَّةُ
الشَّرَابِ لَا يَبْدُ أَنْ يَسْبِقَهَا حُرْقَةُ العَطَشِ وَلَذَّةُ النُّوْمِ لَا يَجِدُ الأِنْسَانُ لَهَا
شَوْقًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُضْنِيَهُ التَّعَبُ الشَّدِيدُ وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الحِكْمَةِ
غَفَلَ عَنْهُ الكَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ أَنَّهَا بِمَثَابَةِ بَرَاطِيلِ تَحْمَلُ الأِنْسَانَ عَلَى
قَوَامِهِ وَبِقَاءِ حَيَاتِهِ فَلَذَّةُ الطَّعَامِ تَدْفَعُهُ إِلَى الأَلَمِ يَهْمِلُ جِسْمَهُ مِنَ العِذَابِ وَلَوْلَا
مَا جَعَلَ اللهُ مِنَ لَذَّةِ النِّكَاحِ لَا نَقْرَضُ النُّوعَ الأِنْسَانِيَّ مِنَ الوُجُودِ وَلَمَا
وَجَدْنَا دَابَّةً تَدْبُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَلَا طَائِرًا يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ
فَرَحَةُ الأُمِّ بِطِفْلِهَا تُنْسِيهَا آلامَ الحَمْلِ وَالوَحْمِ وَالوِلَادَةِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ
وَالرِّضَاعِ وَالسَّهْرِ الطَّوِيلِ فِي التَّمْرِیضِ مِمَّا يَقْضَى مَضْجَعَهَا وَنُسِيَهَا نَفْسَهَا
فَسُبْحَانَ الحَكِيمِ العَلِيمِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ، انْتَهَى

بتصرف يسير . وصلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٦) مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا كِتَابًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ مُقَامٍ وَأَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْهَا آدَمُ عُقُوبَةً فَاخْذِرْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا تَرَكَهَا وَالغِنَى فِيهَا فَقَرَّهَا تُذَلُّ مِنْ أَعْزَاهَا وَتُفْقَرُ مِنْ جَمْعِهَا كَالسُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُهُ فَاخْذِرْ هَذِهِ الدَّارَ الْغَرَارَةَ الْخِتَالَةَ الْخِدَاعَةَ وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا أَحْذِرْ مَا تَكُونُ لَهَا ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزَنِ وَصَفْوُهَا مَشُوبٌ بِالْكَدْرِ فَلَوْ كَانَ الْخَالِقُ لَمْ يُخْبِرْهُ عَنْهَا خَبْرًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَهَا مَثَلًا لَكُنْتُ قَدْ أَيْقَظْتُ النَّائِمَ وَنَبَهْتُ الْغَافِلَ فَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَ مِنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلَّ عَنْهَا زَاجِرٌ وَفِيهَا وَاعِظُ فَمَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَدْرٌ وَلَا وَزَنٌ ، مَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا وَلَقَدْ عَرِضْتُ عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحُهَا وَخَزَائِنُهَا لَا يَنْقُصُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بَعُوضَةٍ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَكَرِهَ أَنْ يُحِبَّ مَا أَبْغَضَهُ خَالَقُهُ أَوْ يَرْفَعَ مَا وَضَعَهُ مَلِيكُهُ زَوَاهَا اللَّهُ عَنِ الصَّالِحِينَ اخْتِيَارًا وَبَسَطَهَا لِأَعْدَائِهِ اغْتِرَارًا أَفِظُنُّ الْمَغْرُورُ بِهَا أَنَّهُ أَكْرَمَ بِهَا وَنَسِيَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ ، وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بَسِطَ لَهُ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ مَكْرًا إِلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عَقْلَهُ وَعَجَزَ رَأْيَهُ وَمَا أَمْسَكَ عَنْ عَبْدٍ فَلَمْ يَظُنَّهُ خَيْرًا لَهُ فِيهَا إِلَّا نَقَصَ عَقْلَهُ وَعَجَزَ رَأْيَهُ .

شِعْرًا: إِلَى دُنْيَاكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءٍ
إِلَى كَمِّ تَحْمِيلِ الْأَوْزَارِ فِيهَا مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَأْمُرَائِي
أَمَا أَنْ أَنْتَبَاهُكَ مِنْ غُرُورٍ بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيِيَاءِ
تَيَقِّظُ وَانْتَبِهْ وَأَقْبَلْ بِقَلْبٍ عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفِرْ بِأَهْتِدَاءِ

وَقَفَّ بِالْبَابِ واطْلُبْ مِنْهُ عَفْوَاً عَسَى تَحْظَى بِصُبْحٍ أَوْ مَسَاءٍ
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمَ فَرَعْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغَلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ،
وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَقَالَ الشَّيْخُ الوَاسِطِيُّ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ : إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعِيدَ خَيْرٍ
أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا مِنْ ذِكْرِ الآخِرَةِ يُرِيدُ فَنَاءَ الدُّنْيَا وَزَوَالَهَا وَبَقَاءَ الآخِرَةِ
وَدَوَامَهَا فَيَزْهَدُهُ فِي الْفَانِي وَيُرْغَبُهُ فِي الْبَاقِي فَيَبْدَأُ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ فِي
طَرِيقِ الآخِرَةِ وَأَوَّلُ السَّيْرِ فِيهَا تَصْحِيحُ التَّوْبَةِ ، وَالتَّوْبَةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا
بِالْمُحَاسَبَةِ وَرِعَايَةِ الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ ، الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ
وَالْيَدُ وَالرَّجْلُ وَكَيْفَهَا عَنْ جَمِيعِ الْمَحَارِمِ وَالْمَكَارِهِ وَالْفُضُولِ هَذَا أَحَدُ
شَطْرِي الدِّينِ وَيَبْقَى الشَّطْرُ الْآخَرُ وَهُوَ الْقِيَامُ بِالْأَوَامِرِ فَتَحْقِيقُ الشَّطْرِ
الْأَوَّلِ وَهُوَ تَرْكُ الْمُنَاهِي مِنْ قَلْبِهِ وَقَالِهِ .

أَمَّا الْقَالِبُ فَلَا يَعِصِي اللَّهَ بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ وَمَتَى زَلَّ أَوْ أَخْطَأَ
تَابَ وَأَمَّا الْقَلْبُ فَتَنْقِي مِنْهُ الْمُؤَبَقَاتُ الْمُهْلِكَاتُ مِثْلُ الرِّيَاءِ وَالْعَجْبِ وَالْكِبْرِ
وَالْحَسَدِ وَالْبُغْضِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَرَدُّ الْحَقِّ وَاسْتِثْقَالِهِ وَالْأَزْدِرَاءِ
بِالْخَلْقِ وَمَقْتَهُمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي مُقَابَلَةِ الْكِبَائِرِ
الْقَالْبِيَّةِ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالزَّوْنِ وَالْقَذْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهَذِهِ كِبَائِرُ ظَاهِرَةٌ وَتِلْكَ
كِبَائِرُ بَاطِنَةٌ . وَكِلَاهُمَا ضَرَرٌ .

قَالَ : فَمَنْ أَنْطَوَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ الْكِبَائِرِ الْبَاطِنِيَّةِ وَلَمْ يَتَّبِ حَيْطَ
عَمَلِهِ بِدَلِيلٍ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَجَاءَ إِنْ
الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ وَجَاءَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿ أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَاشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي
تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

شعرا :

وإنَّ أَحْسَنَ قَوْلٍ أَنْتَ قَائِلُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَنَا
فَمَتَى تَنْقَى الْقَلْبُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ وَالرَّذَائِلِ طَهُرَ وَسَكَنَتْ فِيهِ
الرَّحْمَةُ فِي مَكَانِ الْبُغْضِ وَالتَّوَاضُعِ فِي مَقَابِلَةِ الْكِبَرِ وَالتَّصِيحَةُ فِي مَقَابِلَةِ
الْغِيْثِ وَالاخْلَاصُ فِي مَقَابِلَةِ الرِّيَاءِ وَرُؤْيَةُ الْمَنَةِ فِي مَقَابِلَةِ الْعُجْبِ وَرُؤْيَةُ
النَّفْسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَزَكُوا الْأَعْمَالُ وَتَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْهَرُ الْقَلْبُ
وَيَبْقَى مَحَلًّا لِنَظَرِ الْحَقِّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ فَهَذَا أَحَدُ شَطْرَيْ الدِّينِ وَهُوَ
رِعَايَةُ الْجَوَارِحِ السَّبْعَةِ عَنِ الْمَائِمِ وَالْمَحَارِمِ وَإِنَّمَا تَصْلُحُ وَتَطْهَرُ بِرِعَايَةِ
الْقَلْبِ وَطَهَارَتِهِ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ وَالْجَرَائِمِ وَمَعْنَى الْمُؤَبَقَاتِ الْمَهْلَكَاتِ أَهـ .
أخـر :

خِصَالٌ إِذَا لَمْ يَحْوَهَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْلُ مِنْهَا مِنَ الدَّارَيْنِ يَكْسِبُ بِهِ حَمْدًا
يَكُونُ تَقِيًّا مُخْلِصًا وَمُتَابِعًا لِصَفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ أَعْنِي مُحَمَّدًا
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْقُلُوبُ ثَلَاثَةٌ ، قَلْبٌ خَالٍ مِنَ
الْإِيمَانِ وَجَمِيعِ الْخَيْرِ فَذَلِكَ قَلْبٌ مُظْلَمٌ قَدْ اسْتَرَاخَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِقَاءِ
الْوَسْوَاسِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَهُ بَيْتًا وَوَطَنًا وَتَحَكَّمَ فِيهِ بِمَا يُرِيدُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةَ
التَّمَكُّنِ ، الْقَلْبُ الثَّانِي : قَلْبٌ قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَوْقَدَ فِيهِ مِصْبَاحَهُ
لَكِنْ عَلَيْهِ ظُلْمَةٌ الشَّهَوَاتِ وَعَوَاصِفُ الْأَهْوِيَةِ فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ أَقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وَمَجَالَاتٌ وَمَطَالِعٌ فَالْحَرْبُ دَوْلٌ وَسِجَالٌ وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصَّنْفِ
بِالْقَلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَتِهِ
عَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةٌ وَتَارَةٌ .

الْقَلْبُ الثَّلَاثُ : قَلْبٌ مُحْشَوٌّ بِالْإِيمَانِ قَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ
وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ فِي صَدْرِهِ
إِشْرَاقٌ وَلِذَلِكَ الْإِشْرَاقُ إِيقَادُ نُورِنَا مِنْهُ الْوَسْوَاسُ احْتَرَقَ بِهِ فَهُوَ كَالسَّمَاءِ

التي حُرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رُجمَ فأحترق .

وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَحِرَاسَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أْتَمُّ
مِنْ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءِ مُتَعَبَّدُ الْمَلَائِكَةِ وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ وَفِيهَا أَنْوَارُ
الطَّاعَاتِ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوْحِيدِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ وَفِيهِ
أَنْوَارُهَا فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْفَظَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ فَلَا يَنَالُ مِنْهُ إِلَّا خَطْفَةٌ
تَحْصُلُ لَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ الْعَبْدِ إِذْ هُوَ بَشَرٌ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ
عَلَيْهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالذَّهْوِ وَغَلْبَةِ الطَّبَعِ انْتَهَى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غلُّو صلحنا ما فيها من الغلط الاعتقادي وجعلنا

على ما فيه تُصليح أقواساً:

تَبْقِضْ لِنَفْسِي عَنْ هُدَاهَا تَوَلَّتْ وَبَادِرْ فِي التَّأخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةٍ
فَحْتَامَ لَا تَلْوِي لِرُشْدِ عِنَائِهَا وَقَدْ بَلَعَتْ مِنْ غِيَّهَا كُلَّ بُغْيَةٍ
وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةً
إِذَا أْزَمَعَتْ أَمْرًا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا عَنِ الْفِعْلِ إِخْوَانُ التَّقَى وَالْمَبْرَةِ
وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي بَالِهَا أَنْتَنِي أَبُو مَرَّةٍ يَنْبِيئِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَلَيْسِي قَدَمٌ لَوْ قَدَمْتُ لِظُلَامَةٍ لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعَيْتُ لِقُرْبَةٍ
لَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ لَهَيْبٍ وَزَقَرْتِي
رُوَيْدَكَ لَا تَقْنُطْ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَا وَلَا تَيَأْسَنْ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
مَعَ الْعُسْرِ يُسِّرْ وَالتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ وَلَا فَرَجٌ إِلَّا بِشِدَّةٍ أْزَمَةٌ
«وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهَنَّمَ فَلَمَّا دَعَى الْمَوْلَى أَعْيَدَ لِجَنَّةٍ»
فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيَّتِ خَيْرًا عَلَى الَّذِي مَنَحْتِ مِنَ الْبُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى وَمَا حَيْلَتِي فِي أَنْ تُفَرِّجَ كُرْبَتِي
«فَقَالَتْ فَطَبْ نَفْسًا وَقُمْ مُتَوَجِّهًا لِرَبِّكَ تَسَلَّمْ مِنْ بَوَارٍ وَخَيْبَةٍ»

«فَكَمْ آيِسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَالْتَجَا إِلَيْهِ فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ»
«فَدَيْتُكَ فَأَقْصِدْهُ بِذُلِّ فَإِنَّهُ يُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ»
«إِذَا مَا أَتَوْهُ تَائِبِينَ مِنَ الَّذِي جَنَوْهُ مِنَ الْآثَامِ تَوْبَةً مُحْسِبَتِ»
وَصَلِّ إِلَهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ أَرْكَى الْبَرِيَّةِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمفلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ
لِخِدْمَتِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَّهَا ، وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ
وَأَصْفِيَائِكَ وَاجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

كتاب الصلاة :

الصَّلَاةُ لُغَةً الدَّعَاءُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَنَّ صَلَاتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وَالصَّلَاةُ فِي الشَّرْعِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ مَخْصُوصَةٌ مُفْتَتِحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ
مُخْتَمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ وَسُمِّيَتْ صَلَاةً لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الدَّعَاءِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا ثَانِيَةُ
الشَّهَادَتَيْنِ وَقِيلَ لَأَنَّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ .

وقيل لما تتضمَّن من الدَّعَاءِ وَالخُشُوعِ وَالخَشْيَةِ ، وَقِيلَ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَّ
يَتَّبِعُ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ قَالَ فِي مَرَاوِدِ الصَّلَاةِ لِلْقَسْطَلَانِيِّ
الْحِكْمَةُ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ وَتَخْصِيصِهَا بِالْخَمْسِ ، أَحَدُهَا أَنَّ الْأَنْفُسَ الْبَشَرِيَّةَ
الْمُقْتَضِيَّةَ لِلشَّهْوَةِ وَالغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ وَالشَّرَّ فِي الْعَمَلِ وَالْفِتْرَةَ عَنْهُ
فَأَقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ تَذَكَّرَ نَسْيَانَهَا وَتُوقَظَ غَفْلَتُهَا وَتُقَمَّعَ شَهْوَتُهَا بِقَطْعِهَا عَنْ
عَادَاتِهَا وَمُنَاجَاتِهَا الَّذِي كَفَّلَهَا بِنِعْمِهِ وَعَدَّاهَا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَلَعَلَّمَهُ بِضَعْفِ
قُوَاهَا لَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ الْعِبَادَةَ إِلَّا فِي أَوْقَاتٍ يَكْثُرُ الْفَرَاغُ فِيهَا مِنْ أَشْغَالِ
الْعَادَاتِ وَهَذَا هُوَ الْحِكْمَةُ فِي تَنْقِيصِهَا مِنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْخَمْسِ .

والوجه الثاني : أن العبد في هذه الدار يعمل لنجاته في الدار

الأخرى وهي مُشتملة على أهوالٍ ومَشاقٍ ومَتاعِبٍ وأمام العبدِ دُونُهَا خَمْسُ عَقَبَاتٍ الأُولَى الدُّنْيَا وَشُرُورُهَا وَأَفَاتُهَا وَمَحْدُورَاتُهَا وَشَوَاعِلُهَا وَعَلَائِقُهَا القَاطِعَةُ عَن مَزِيدِ السَّعَادَةِ ، الثَّانِيَةُ المَوْتُ وَمَا يُخْشَى مِن فِتْنَتِهِ وَشِدَّةِ سَكَرَاتِهِ وَمَا يُشَاهَدُ عِنْدَهُ مِنَ الأُمُورِ العِظَامِ والأَلَامِ الجَسَامِ ، الثَّالِثَةُ القَبْرُ وَضِيقَتُهُ وَوَحْشَتُهُ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَذَلِكَ صَعْبٌ خَطِيرٌ ، الرَّابِعَةُ المَحْشَرُ وَهَوْلُهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الخَوْفِ الشَّدِيدِ وَالْفَزَعِ الأَكِيدِ ، الخَامِسَةُ الحِسَابُ وَمَا يُخْشَى فِيهِ بَعْدَ العِتَابِ مِنَ وَقُوعِ العِقَابِ فَكَانَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مُسَهَّلًا لِهَذِهِ العَقَبَاتِ مُحْصَلًا لِنَيْلِ المَسْرَاتِ فِي دَارِ الكَرَامَاتِ وَهِيَ أَجَلُ مَبَانِي الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَمَحَلُّهَا مِنَ الدِّينِ مَحَلُّ الرَأْسِ مِنَ الجَسَدِ فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ .

وَهِيَ خَاتِمَةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِئْنَ حَضْرَتَهُ الوَفَاةُ وَهُوَ يُغْرَغِرُ بِنَفْسِهِ ﴿ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسِبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الحَدِيثُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ » الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَهِيَ أَكْبَرُ عَوْنٍ لِلْعَبْدِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

فَبِمُداوِمَةِ الْعَبْدِ عَلَى الصَّلَاةِ تَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَتَسَهَّلُ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ وَتَهْوَنُ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ وَتَسَهَّلُ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ وَيُسِّرُ اللَّهُ لَهُ أُمُورَهُ وَيُبَارِكُ لَهُ فِي مَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ الصَّلَاةُ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ الآية وفي الصحيح المتفق عليه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا » وَوَرَدَ مِنْ حَدِيثِ ثوبانَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ » وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تَوْتِ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ »

وفي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ قَالَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْجِهَادُ) وَرَوَاهُ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَذُوكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ صَاحِبُ الْقَلْبِ الْعَامِرِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ وَاجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَقَفَ بِقَلْبٍ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ لَهُ قَرِيبٌ مِنْهُ سَلِيمٍ مِنْ مُعَارَضَاتِ السُّوءِ قَدْ امْتَلَأَتْ أَرْجَاؤُهُ بِالْهَيْبَةِ وَسَطَعَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَكُشِفَ عَنْهُ حِجَابُ النَّفْسِ وَدُخَانُ الشَّهَوَاتِ فَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَخَالَطَ قَلْبُهُ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ بِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعُلُوهَا وَجَلَالِهَا الْأَعْظَمِ وَتَفَرَّدَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ بِنُعُوتِ جَلَالِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ .

فاجتمع همُّه على الله وقرت عينه به وأحس بقربه من الله قرباً لا نظير له ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكلية وهذا الاقبال منه بين اقبالين من ربه فانه سبحانه أقبل عليه أولاً فانجذب قلبه باقباله فلما أقبل على ربه حظي منه إقبالا آخر أتم من الأول .

وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن وخَالَطَ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ بِهَا قَلْبُهُ بِحَيْثُ يَرَى لِكُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ مَوْضِعاً مِنْ صَلَاتِهِ وَمَحَلّاً مِنْهَا فَإِذَا انْتَصَبَ قَائِماً بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَاهِدَ بِقَلْبِهِ قِيُومِيَّتَهُ وَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدَ كِبْرِيَاءَهُ .

وإذا قال : سبحانك اللهم وبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ

ولا إله غيرك شاهد بقلبه رباً مُنزهًا عن كلِّ عيبٍ سَالِمًا من كلِّ نقصٍ
مَحْمُودًا بِكُلِّ حَمْدٍ فَحَمْدُهُ يَتَضَمَّنُ وَصْفَهُ بِكُلِّ كَمَالٍ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ
بِرَاءَتَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ تَبَارَكَ اسْمُهُ فَلَا يُذَكَّرُ عَلَى قَلِيلٍ إِلَّا كَثْرَهُ وَلَا عَلَى خَيْرٍ
إِلَّا أَنْمَاءَهُ وَبَارَكَ فِيهِ وَلَا عَلَى آفَةٍ إِلَّا أَذْهَبَهَا وَلَا عَلَى الشَّيْطَانِ إِلَّا طَرَدَهُ
خَاسِبًا دَاجِرًا وَكَمَالَ الْإِسْمِ مِنْ كَمَالِ مُسْمَاهُ فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ اسْمِهِ
الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فَشَأْنُ الْمُسَمَّى أَعْلَى
وَأَجَلٌ وَتَعَالَى جَدُّهُ أَيُّ ارْتَفَعَتْ عَظَمَتُهُ وَجَلَّتْ فَوْقَ كُلِّ عَظَمَةٍ وَعَلَا شَأْنُهُ
عَلَى كُلِّ شَأْنٍ وَقَهَرَ سُلْطَانَهُ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ فَتَعَالَى جَدُّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ
شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي الْهَيْئَةِ أَوْ فِي صِفَاتِهِ كَمَا قَالَ مُؤْمِنُوا الْجِنِّ
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدْرَ بِنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا فَكَمْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ
تَجَلٍّ لِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قَلْبِ الْعَارِفِ بِهَا غَيْرِ الْمُعْطَلِ
لِحَقَائِقِهَا وَإِذَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَدْ آوَى إِلَى رُكْنِهِ
الشَّدِيدِ وَاعْتَصَمَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ رَبِّهِ
وَيُبَاعِدَهُ عَنْ قَرْبِهِ لِيَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا .

فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَفَّ هُنَيْهَةً بَسِيرَةً يَنْتَظِرُ جَوَابَ
رَبِّهِ لَهُ بِقَوْلِهِ حَمْدِنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ انْتَظَرَ الْجَوَابَ
بِقَوْلِهِ : ائْتِنِي عَلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ انْتَظَرَ جَوَابَهُ
بِقَوْلِهِ مَجْدِنِي عَبْدِي .

فِيَا لَذَّةَ قَلْبِهِ وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَسُرُورِ نَفْسِهِ بِقَوْلِ رَبِّهِ : عَبْدِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَا عَلَى الْقُلُوبِ مِنْ دُخَانِ الشَّهَوَاتِ وَغَيْمِ النُّفُوسِ لَأَسْتَطِيرَتْ
فَرَحًا وَسُرُورًا بِقَوْلِ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَعْبُودِهَا حَمْدِنِي عَبْدِي وَائْتِنِي عَلَيَّ
عَبْدِي وَمَجْدِنِي عَبْدِي ثُمَّ يَكُونُ لِقَلْبِهِ مَجَالٌ مِنْ شُهُودِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ

التي هي أَسْوَلُ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى وهي اللهُ والرَّبُّ والرحمنُ فَشَاهَدَ قَلْبُهُ
 مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهَا مَعْبُوداً مَوْجُوداً مَخُوفاً لَا يَسْتَحِقُّ
 العِبَادَةَ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعِي إِلَّا لَهُ قَدْ عَنَتَ لَهُ الوُجُوهُ وَخَضَعَتَ لَهُ المَوْجُودَاتُ
 وَخَشَعَتَ لَهُ الأَصْوَاتِ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَأَنْ
 مَنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ كُلُّ لَه
 قَانِتُونَ ﴾ .

وكذلك خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَخَلَقَ الجِنَّ والانسَ
 والطيْرَ والوحشَ والجنَّةَ والنارَ وكذلك أَرْسَلَ وَأَنْزَلَ الكِتَابَ وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ
 وَأَلَزَمَ العِبَادَ الأَمْرَ والنَّهْيَ .

وَشَاهَدَ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ رَبِّ العَالَمِينَ قِيُوماً قَامَ بِنَفْسِهِ وَقَامَ بِهِ كُلُّ
 شَيْءٍ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا قَدْ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَتَفَرَّدَ
 بِتَدْبِيرِ مُلْكِهِ فَالتَّدْبِيرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ مَصِيرُ الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فَمَرَّاسِيمُ التَّدْبِيرَاتِ
 نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَيْدِي مَلَائِكَتِهِ بِالْعَطَاءِ وَالسَّنْعِ وَالخَفْضِ وَالرَّفْعِ
 وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَانَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالعَزْلِ وَالقَبْضِ وَالبَسْطِ وَكَشْفِ الكُرُوبِ وَإِغَاثَةِ
 المُلْهُوفِ وَاجَابَةِ المُضْطَرِّينَ ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ
 هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ
 وَلَا رَادٌّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ وَتُعْرَضُ
 الأَعْمَالُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ عَلَيْهِ فَيَقْدُرُ المَقَادِيرَ وَيُوقِتُ المَوَاقِيتَ ثُمَّ يَسُوقُ
 المَقَادِيرَ إِلَى مَوَاقِفِهَا قَائِماً بِتَدْبِيرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَحِفْظِهِ وَمَصَالِحِهِ .

ثُمَّ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ رَبّاً مُحْسِناً إِلَى خَلْقِهِ
 بِأَنْوَاعِ الإِحْسَانِ مُتَحِبِّباً إِلَيْهِمْ بِصُنُوفِ النِّعَمِ وَسَعَى كُلِّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً
 وَأَوْسَعَ كُلِّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلاً فَوَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَوَسَّعَتْ نِعْمَتُهُ

كُلُّ حَيٍّ قَبَلَتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ فَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِرَحْمَتِهِ وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَالنَّارَ أَيْضاً بِرَحْمَتِهِ فَإِنَّهَا سَوَاطِئُ الَّذِي يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَنَّتِهِ وَيُطَهِّرُ بِهَا أَذْرَانَ الْمُؤَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ وَسِجْنُهُ الَّذِي يَسْجَنُ فِيهِ أَعْدَاءَهُ مِنْ خَلْقَتِهِ .

فَتَأَمَّلْ مَا فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَصَايَاهُ وَمَوَاعِظِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالنِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَمَا فِي حَشْوِهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ فَالرَّحْمَةُ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُ بِعِبَادِهِ كَمَا أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ هِيَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ مِنْهُمْ بِهِ فَمِنْهُمْ إِلَيْهِ الْعُبُودِيَّةُ وَمِنْهُ إِلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ .

وَمِنْ أَحْصَى مَشَاهِدَ الْأَسْمِ شُهُودَ الْمُصَلِّي نَصِيْبُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَقَامَهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ وَأَهْلَهُ لِعُبُودِيَّتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ وَأَعْطَاهُ وَمَنَعَ غَيْرَهُ وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِ .

فَإِذَا قَالَ ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ فَهَذَا شَهْدُ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِسُورَى الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ فَشَهْدُ مَلِكاً قَاهِراً قَدْ دَانَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ وَعَنْتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَذَلَّتْ لِعَظَمَتِهِ الْجَبَابِرَةُ وَخَضَعَ لِعِزَّتِهِ كُلُّ عَزِيزٍ فَيَشْهَدُ بِقَلْبِهِ مَلِكاً عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمناً لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ وَإِذَا لَمْ تُعْطَلْ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ صِفَةُ الْمَلِكِ أَطْلَعَتْهُ عَلَى شُهُودِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي تَعْطِيْلُهَا تَعْطِيلٌ لِمُلْكِهِ وَجَحْدٌ لَهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ الْحَقَّ التَّامَّ الْحَقُّ لَا يَكُونُ إِلَّا حَيّاً قَيُوماً سَمِيعاً بَصِيراً مُدَبِّراً قَادِراً مُتَكَلِّماً أَمِيراً نَاهِياً مُسْتَوِياً عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ يُرْسِلُ إِلَى أَقَاصِي مَمْلَكَتِهِ بِأَوَامِرِهِ فَيَرْضَى عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الرِّضَا وَيُثِيبُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ وَيَغْضِبُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَضَبَ وَيُعَاقِبُهُ وَيُهَيِّئُهُ وَيُقْصِيهِ وَيَقْصِي مَنْ يَشَاءُ ، لَهُ دَارُ عَذَابٍ وَهِيَ النَّارُ وَلَهُ دَارُ سَعَادَةٍ وَهِيَ

الْجَنَّةُ . فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيُقْرِبُ مَنْ يَشَاءُ .

فَمَنْ أَبْطَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ جَحَدَهُ وَأَنْكَرَ حَقِيقَتَهُ فَقَدْ قَدَحَ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَفَى عَنْهُ كَمَا لَهُ وَتَمَامُهُ .

وكذلك مَنْ أَنْكَرَ عُمُومَ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ عُمُومَ مُلْكِهِ وَكَمَالِهِ فَيَشْهَدُ الْمُصْطَلِيَّ مَجْدَ الرَّبِّ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فإذا قال : ﴿ أَيَاكَ نَعْبُدُ وَأَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فَفِيهَا سِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِأَجْلِ الْغَايَاتِ وَأَفْضَلِ الْوَسَائِلِ .

فَأَجَلُ الْغَايَاتِ عُبُودِيَّتُهُ وَأَفْضَلُ الْوَسَائِلِ إِعَانَتُهُ فَلَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَلَا مُعِينَ عَلَى عِبَادَتِهِ غَيْرُهُ فَعِبَادَتُهُ أَعْلَى الْغَايَاتِ وَاعَانَتُهُ أَجَلُ الْوَسَائِلِ وَقَدْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي أَرْبَعَةٍ وَهِيَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ وَالزَّبُورُ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْمَفْصَلِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهُ فِي الْفَاتِحَةِ وَجَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يُعْبَدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ وَيُسْتَعَانُ بِرَبُّوبِيَّتِهِ وَيَهْدَى إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِرَحْمَتِهِ فَكَانَ أَوَّلُ السُّورَةِ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ وَالرَّبِّ وَالرَّحْمَنِ تَطَابُقًا لِأَجْلِ الْمَطَالِبِ مِنْ عِبَادَتِهِ وَاعَانَتِهِ وَهَدَايَتِهِ وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِاعْطَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يُعِينُ عَلَى عِبَادَتِهِ سِوَاهُ وَلَا يَهْدِي سِوَاهُ ثُمَّ يَشْهَدُ الدَّاعِي بِقَوْلِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ شِدَّةَ فَاقَتِهِ وَضُرُورَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي لَيْسَ هُوَ إِلَى شَيْءٍ أَشَدَّ فَاقَةً وَحَاجَةً مِنْهُ إِلَيْهَا الْبَتَّةُ فَانَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي كُلِّ نَفْسٍ وَطَرَفَةٍ عَيْنٍ وَهَذَا الْمَطْلُوبُ مِنْ

الدُّعَاءِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالْهِدَايَةِ فِيهِ
أَيُّ هِدَايَةِ التَّفْصِيلِ وَخَلَقَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَارَادَتِهِ وَتَكْوِينَهُ وَتَوْفِيقَهُ
لِإِقْبَاعِهِ عَلَى الرَّجْعِ الْمَرَضِيِّ الْمَحْبُوبِ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحِفْظِهِ عَلَيْهِ
مِنْ مُفْسِدَاتِهِ حَالَ فِعْلِهِ وَبَعْدَ فِعْلِهِ .

وَلَمَّا كَانَ الْعَبْدُ مُفْتَقِرًا فِي كُلِّ حَالٍ إِلَى هَذِهِ الْهِدَايَةِ فِي جَمِيعِ مَا
يَأْتِيهِ وَيَذُرُّهُ مِنْ أُمُورٍ قَدْ أَتَاهَا عَلَى غَيْرِ الْهِدَايَةِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهَا .

وَأُمُورٌ هُدِيَ إِلَى أَصْلِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا أَوْ هُدِيَ إِلَيْهَا مِنْ وَجْهِ دُونَ
وَجْهِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامِ الْهِدَايَةِ فِيهَا لِيَزْدَادَ هُدًى .

وَأُمُورٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَحْصَلَ لَهُ مِنَ الْهِدَايَةِ فِيهَا بِالْمُسْتَقْبَلِ مِثْلَ مَا
حَصَلَ لَهُ فِي الْمَاضِي .

وَأُمُورٌ هُوَ خَالٍ عَنِ اعْتِقَادِ فِيهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْهِدَايَةِ فِيهَا .

وَأُمُورٌ لَمْ يَفْعَلْهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى فِعْلِهَا عَلَى وَجْهِ الْهِدَايَةِ .

وَأُمُورٌ قَدْ هُدِيَ إِلَى الْإِعْتِقَادِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ وَالصَّوَابِ فِيهَا فَهُوَ
مُحْتَاجٌ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ .

فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ هَذِهِ الْهِدَايَةَ فِي أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ
مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْهِدَايَةِ هُمُ
الْمُخْتَصُّونَ بِبِنْعَمَتِهِ دُونَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ
يَتَّبِعُوهُ وَدُونَ الظَّالِمِينَ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَالطَّائِفَتَانِ اشْتَرَكَا
فِي الْقَوْلِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَبِيلُ الْمُنْعَمِ
عَلَيْهِمْ مُغَايِرَةٌ لِسَبِيلِ أَهْلِ الْبَاطِلِ كُلِّهَا عِلْمًا وَعَمَلًا فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ هَذَا
الْشَّاءِ وَالْدُّعَاءِ وَالتَّوْحِيدِ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَطْبَعَ عَلَى ذَلِكَ بِطَابَعِ مِنَ التَّامِينِ

يَكُونُ كَالخَاتِمِ لَهُ وَافَقَ فِيهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَهَذَا التَّامِينُ مِنْ زِينَةِ الصَّلَاةِ كَرَفَعِ اليَدَيْنِ الَّذِي هُوَ زِينَةُ الصَّلَاةِ وَاتِّبَاعاً لِللسُّنَّةِ وَتَعْظِيمَ أَمْرِ اللَّهِ وَعُبُودِيَّةَ اليَدَيْنِ وَشِعَارُ الانتقالِ مِنْ رُكْنٍ إِلَى رُكْنٍ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بِكَلَامِهِ وَاسْتِمَاعِهِ مِنَ الامامِ بِالانصَابِ وَحُضُورِ القَلْبِ وَشُهُودِهِ .

وقال رحمه الله والقول الجامع في تفسير الصراط المستقيم أنه الطريق الذي نصبه الله لعباده على السنة رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ، ولا طريق لهم سواه ، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة ، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك ، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ، ولا تكون إرادة إلا متعلقة بمرضاته ، وهذا هو الهدى وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها .

وقال : والطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلاً لمن سلكه إلى الله فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه إلى ربه طريق العلم والتعليم قد وفر عليه زماناً مبتغياً به وجه الله فلا يزال عاكفاً على طريق العلم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له الفتح الخاص ، أو يموت في طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه ، ومنهم من يكون سيد عمله الذكر ، ومنهم من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، ومنهم من يكون طريقه الصوم ، ومنهم من يكون كثرة تلاوة القرآن ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهم من يكون طريقه الحج والاعتبار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق وتجريد الهمة ودوام المراقبة وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم الجامع الفذ السالك إلى الله في كل واد الواصل إليه من كل طريق ،

فهو جعل وظائف عبودية قبله قلبه ونصب عينيه وقد شارك أهل كل عمل وذلك فضل الله .

وقال رَحِمَهُ اللهُ ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرِ الناسِ ناكِبُونَ عنه ، مُرِيدًا لِسُلُوكِ طَرِيقِ مُرَافِقِهِ فِيهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْعِزَّةِ ، وَالنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى وَحْشَةِ التَّفَرُّدِ ، وَعَلَى الْأَنْسِ بِالرَّفِيقِ .

نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الرَّفِيقِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ « أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » .

فَأَضَافَ الصِّرَاطَ إِلَى الرَّفِيقِ السَّالِكِينَ لَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، لِيَزُولَ عَنِ الطَّالِبِ لِلْهُدَايَةِ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ وَحْشَةُ تَفَرُّدِهِ عَنِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَبَنِي جَنَسِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ .

فَلَا يَكْتَرِثُ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ لَهُ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَقْلُونَ قَدْرًا وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ وَلَا تَغْتَرِّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ .

وَكُلَّمَا اسْتَوْحِشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ ، وَاخْرَصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ ، وَغُضِّ الطَّرْفَ عَنِ مَنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ .

قَالَ وَلَمَّا كَانَ سُؤَالَ اللهِ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَجَلَّ الْمَطَالِبِ ، وَنَبَّهَهُ أَشْرَفَ الْمَوَاهِبِ عَلَّمَ اللهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَمْدَهُ وَالشَّانَاءَ عَلَيْهِ وَتَمَجِيدَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ عِبُودِيَّتَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ فَهَاتَانِ وَسِيلَتَانِ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ تَوْسُلٌ

إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِعِبُودِيَّتِهِ وَهَاتَانِ الْوَسِيلَتَانِ لَا يَكَادُ يَرُدُّ مَعَهُمَا الدُّعَاءَ .

وَيُؤَيِّدُهُمَا الْوَسِيلَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ فِي حَدِيثِي الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ اللَّذَيْنِ رَوَاهُمَا ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

أَحَدُهُمَا حَدِيثُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو ، وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

فَهَذَا تَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ ، وَشَهَادَةِ الدَّاعِي لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا بِاسْمِ الصَّمَدِ .

وَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَالِمُ الَّذِي كَمَلَ عِلْمُهُ الْقَادِرُ الَّذِي كَمَلَتْ قُدْرَتُهُ وَفِي رِوَايَةٍ « هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ السُّوَدَّةِ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هُوَ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ .
وَالثَّانِي حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ ذَا الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

فَقَالَ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِ الْأَعْظَمِ فَهَذَا تَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

وَقَدْ جَمَعْتَ الْفَاتِحَةَ الْوَسِيلَتَيْنِ وَهُمَا التَّوَسُّلُ بِالْحَمْدِ وَالشَّانِ عَلَيْهِ وَتَمَجِيدِهِ وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِعِبُودِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ .

ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد
الوسيلتين فالداعي به حقيق بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلى من الليل
رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس .

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك
الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » .

ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار
حق ، والنبيون حق والساعة حق ومحمد حق .

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، و عليك توكلت ، وإليك
أنتبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت .

فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي
لا إله إلا أنت ، فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه ، وبعبوديته ثم
سأله المغفرة .

اللهم يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يعجزها
شيء يحيي العظام وهي رميم ، نسألك أن تهدينا إلى صراطك
المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وأن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين . (فصل)

عباد الله إن الصلاة عماد الدين وأعظم أركان الإسلام بعد
الشهادتين من حافظ عليها فهو السعيد ومن أضاعها وأهملها فهو الشقي
العنيد ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها وأمر باقامتها في آيات كثيرة قال

تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾ وقال : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ وقال : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ .

وقال ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ وقال : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ الآية وقال : ﴿ والمقيم الصلاة ﴾ وقال : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ الآية ، وقال : ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ وقال ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ قال : ابن عباس يقيمون الصلاة بفروضها وقال : الضحاك عن ابن عباس إقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليه فيها وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

وقال مقاتل : اقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها واطتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وحث صلى الله عليه وسلم على المحافظة عليها في أحاديث كثيرة منها ما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن ومواقبيهن وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً وآتى الزكاة طيبة بها نفسه وأدى الأمانة قيل يا رسول الله وما أداء الأمانة قال الغسل من الجنابة إن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها » رواه الطبراني .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث أحلف عليهن لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له وأسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة ولا يتولى الله عبداً

في الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة ولا يحبُّ رجلٌ قوماً إلا جعلَ معهم ،
الحديثَ رواهُ أحمدُ باسنادٍ جيدٍ ورواهُ الطبراني في الكبير من حديثِ ابنِ
مسعودٍ .

وعن عمر بن مرّة الجُهني قال : جاء رجلٌ الى النبي صَلَّى اللهُ
عليه وسلّم فقال : يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إن شهدتُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنك
رسولُ اللهِ وصليتُ الصلواتِ الخمسِ وأدّيتُ الزكاةَ وصُمتُ رمضانَ
وقُمتُهُ فمنَ من أنا ؟ قال : من الصديقينَ والشهداءِ رواه البزارُ وابنُ خزيمةَ
وابنُ حبانَ في صحيحهما واللفظُ لابنِ حبانَ ومن الأدلةِ الدالةِ على
وجوبها مع ما تقدّم من الكتابِ والسنةِ قوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأما السنةُ
فَعَنْ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم أنه قال :
« بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ
اللهِ واقام الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وصيامِ رمضانَ وحجِّ البيتِ من استطاعَ
اليه سبيلاً » .

وأجمعتُ الأمةُ على وجوبِ خمسِ صلواتٍ في اليومِ والليّلةِ
وفُرضتُ الصلاةُ ليلةَ الإسراءِ قبلَ هجرتهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بنحوِ
خمسِ سنينَ وقيلَ قبلَ الهجرةِ بسنةٍ .

اللَّهُمَّ وَفِقْنَا لِلتَّعَدَادِ ، وَاهْدِنَا إِلَى سَبِيلِ الرُّشَادِ ، وَوَفِقْنَا لِلتَّعَمُّلِ
الصَّالِحِ لِيَوْمِ المَعَادِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، الأحياءِ
مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ويحرمُ تأخيرُ الصلاةِ عن وقتها على القادرِ على فعلها

الذَّاكِرِ لَهَا إِلَّا لِنَاوِي الْجَمْعِ لِنَحْوِ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ لِأَنَّهُ يَجِبُ ائْتِاقُهَا فِي
الْوَقْتِ فَإِذَا خَرَجَ وَقْتُهَا وَلَمْ يَأْتِ بِهَا كَانَ تَارِكًا لِلْوَجِبِ مُخَالِفًا لِلْأَمْرِ وَلَثَلَا
تَفُوتَ فَائِدَةُ التَّاقِيَتِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهِ لِلْعُذْرِ وَتَحْرِيمِهِ لغيرِ العُذْرِ فَحَدِيثُ أَبِي
قَتَادَةَ مَرْفُوعًا لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْبِقِطَّةِ أَنْ تُؤَخَّرَ
الصَّلَاةُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ وَقْتُ أُخْرَى وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ
أَنَّهُ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهَا وَسَمَّاهُمْ مُصَلِّينَ لِكُنْهِمْ لَمَّا تَهَاوَنُوا بِهَا وَأَخْرَوْهَا عَنْ
وَقْتِهَا وَعَدَّاهُمْ بَوِيلٌ وَهُوَ شِدَّةُ الْعَذَابِ وَقِيلَ هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سِيرَتْ فِيهِ
جِبَالُ الدُّنْيَا لَذَابَتْ مِنْ حَرِّهِ وَهُوَ مَسْكَنٌ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَاةِ وَيُؤَخِّرُهَا عَنْ
وَقْتِهَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَنْدَمَ وَيَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ فَمَنْ اشْتَغَلَ بِمَالِهِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمَعِيشَتِهِ
وَضَيْعَتِهِ وَأَوْلَادِهِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . وَفِي حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
كَانَتْ عَلَيْكَ أَمْرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ أَوْ قَالَ : يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا »

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ قَالَ ابْنُ
مَسْعُودٍ وَإِبْرَاهِيمُ أَخْرَوْهَا عَنْ وَقْتِهَا وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ : هُوَ أَنْ لَا
يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ الْعَصْرُ وَلَا الْعَصْرَ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَجَاجِدُ
الصَّلَاةَ مَا يَخْلُو أَمَا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا يَجْهَلُ وَجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأَ بِدَارِ الْإِسْلَامِ
فَهَذَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَاجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَيَصِيرُ مُرْتَدًّا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجْهَلُ وَجُوبَهَا كَمَنْ نَشَأُ بِبَادِيَةِ وَكَحَدِيثِ عَهْدِ بِاسْلَامٍ
فَهَذَا يُعْرَفُ وَجُوبَهَا فَإِنْ أَصْرَ عَلَى الْجَحْدِ كَفَرَ .

فَإِنْ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا وَكَسَلًا دَعَاهُ إِمَامٌ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى فِعْلِهَا فَإِنْ أَبَى حَتَّى
تَضَاقِقَ وَقْتُ الَّتِي بَعْدَهَا وَجَبَ قَتْلُهُ وَمُدَّةُ اسْتِثْنَاءِ الْجَاحِدِ لَوْجُوبِهَا وَتَارِكِهَا
تَهَاوُنًا وَكَسَلًا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا كَسَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِمَا وَيُدْعِيَانِ
كُلُّ وَقْتِ صَلَاةِ الْيَوْمِ فَإِنْ تَابَا بِفِعْلِهَا مَعَ إِقْرَارِ الْجَاحِدِ لَوْجُوبِهَا خُلِّيَ
سَبِيلُهُمَا وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُمَا .

وَحَيْثُ كَفَرَ فَانَّهُ يُقْتَلُ بَعْدَ الاسْتِثْنَاءِ وَلَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا
يُذْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُرَقُّ وَلَا يُسَبَّى لَهُ وَلَا أَهْلُ كَسَائِرِ
الْمُرْتَدِّينَ .

اللَّهُمَّ اغْصِنْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ
الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

فِي الْأَدِلَّةِ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ

وَالدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزُّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزُّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ . .
الآيَةُ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » . رواه الجماعة الا
البُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وعن بُرَيْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
(الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) . رواه الخُمَيْسِيُّ
وفي الحديث الآخر « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » رواه أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ عَنْ مَكْحُولٍ وَهُوَ مَرْسَلٌ جَيِّدٌ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ
حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
نُورًا وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي
بَن خَلْفٍ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَقَالَ عُمَرُ لَأَحْظُ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ
وَقَالَ عَلِيٌّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ

وقال ابن حزم وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن
جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرض واحدة
متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد .

وقال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتابه ذهب جملة من
الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج
وقتها منهم عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وابن
عباس وجابر وأبو الدرداء وكذلك روي عن علي ، ومن بعدهم أحمد
بن حنبل وإسحاق وعبد الله ابن المبارك وإبراهيم النخعي والحكم بن

عينة وأيوب السخثياني ، كل هؤلاء ذهبوا إلى تكفير تارك الصلاة حتى يخرج وقتها .

وحكي عنه أنه قال من ترك الصلاة متعمداً من غير علة حتى أدخل وقتاً في وقت فهو كافر .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَنْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقْرَبِينَ
وَالْأَبْرَارِ وَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (٨) موعظة

أيها الناس إن سُبُلَ العَافِيَةِ مُنْدَرِسَةٌ لِقَلْبِ سُلَاكِيهَا وَإِنْ عَلَلَّ الْقُلُوبِ
الْقَاسِيَةِ مُؤَذَنَةٌ بِهَلَاكِيهَا وَإِنْ رُسِلَ الْمُنُونِ قَانِصَةٌ لَا تُفْلِتُ أَحَدًا مِنْ شِبَاكِيهَا
فَمَا لِلْعَيُونِ نَازِرَةٌ وَلَا تُبْصِرُ وَمَا لِلْقُلُوبِ قَاسِيَةٌ وَلَا تُفَكِّرُ وَمَا لِلْعُقُولِ طَائِشَةٌ
لَا هِيَّةَ بِجَمْعِ الدُّنْيَا وَلَا تَشْعُرُ ، وَمَا لِلنَّفُوسِ قَاسِيَةٌ وَلَا تَذَكُرُ أَغْرَهَا إِنْظَارُهَا
وَأَمْهَالُهَا أَمْ بَشَرٌ بِالنَّجَاةِ صَالِحٌ أَعْمَالِهَا أَمْ لَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهَا مِنَ الدُّنْيَا
زَوَالُهَا .

شِعْرًا: أَمَدُ الْحَيَاةِ كَمَا عَلِمْتَ قَصِيرٌ وَعَلَيْكَ نَقَاةٌ بِهَا وَبَصِيرٌ
عَجَبًا لِمُعْتَرِّ بِدَارٍ فَنَائِهِ وَلَهُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ مَصِيرٌ
آخر: وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنِ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقَى مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ
آخر: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مَعْرُورُ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسِ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورُ
تَاللهِ لَقَدْ شَمِلَتْ الْقُلُوبُ الْغَفْلَةَ فَاسْتَحْكَمَ عَلَى الْقُلُوبِ أَقْفَالُهَا ،
فَكَانَ قَدْ كَشَفَ الْمَوْتَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ فَنَاعَهُ وَأَطْلَقَ عَلَى صِحَاحِ الْأَجْسَامِ

أَوْجَاعَهُ وَحَقَّقَ بِكُلِّ الْأَنَامِ إِيقَاعَهُ وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ دِفَاعَهُ فَخَفَقَ
 مِنَ الْمَنْزُولِ بِهِ فُؤَادُهُ وَرَجِمَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحَسَّادُهُ وَقَرَّبَ عَنْ أَهْلِيهِ وَوَطَنِيهِ بَعَادَهُ
 وَالتَّحَقَّقَ بِذَلِكَ الْيُتِمُّ أَوْلَادَهُ فَيَالَهُ مِنْ وَاقِعٍ فِي كُرْبِ الْحَشَارِجِ إِلَى أَنْ أُدْرِجَ
 فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ وَقَدِمَ عَلَى اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ فِي مَنْزِلٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ مَنْ
 نَزَلَهُ حَتَّى يَلْحَقَ آخِرُ الْخَلْقِ أَوَّلَهُ فَانْتَبَهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَصَلَّكُمْ
 الدُّورُ وَاسْتَدْرَكُوا مَا فَاتَكُمْ وَمَا قَصُرْتُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى
 الْفُورِ . أَفِيظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُهْمِلَهُ .

كَلَّا وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّ الْخَلْقَ بَعْدَ مَا أَمَاتَهُ وَلَيَسْأَلُنَّ عَنِ الرُّسُولِ وَمَنْ
 أَرْسَلَهُ وَلَيُوفِينَ كُلَّ عَامِلٍ مَا عَمِلَهُ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا
 لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا
 انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
 مِنَّا، وَامْتِنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

تَبَيَّنَ نَعْرُ الْفَجْرِ لَمَّا تَبَسَّمَا فَسُبْحَانَ مَنْ فِي الذُّكْرِ بِالْفَجْرِ أَقْسَمَا
 فَضَّلَ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً عَسَى شَمَلْتَنَا أَوْ لَعَلَّ وَرُبَّمَا
 كَمَا شَمَلْتَ آلَ الرُّسُولِ وَصَحْبِهِ فَأَكْرِمْ بِهِمُ آلًا وَصَحْبًا وَأَعْظَمَا
 أَتَى بِالْهُدَى نُورًا أَلَيْنَا وَنِعْمَةً وَقَدْ كَانَ وَجْهُ الْكَوْنِ بِالشَّرِّكَ مُظْلَمًا
 فَجَلَّى بِأَنْوَارِ الْهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ وَأَطْلَعَ فِي الْأَفَاقِ لِلدُّيْنِ أَنْجُمًا
 أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ لَفْظُهُ فَكُلُّ بَلِيغٍ عُدْرُهُ صَارَ أَبْنَمًا
 تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهُمْ فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيهَا يُعَارِضُهُ فَمَا
 حَوَى كُلُّ بُرْهَانٍ عَلَى كُلِّ مَطْلَبٍ وَيَعْرِفُ هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ أَفْهَمَا

وَأُخْبِرَ فِيهِ عَنِ عَوَاقِبِ مَنْ عَصَى
 وَعَنْ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَنْ لَهُ غَدَاً
 مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ لِلخَلْقِ رَحْمَةً
 وَأَسْرَى بِهِ نَحْوَ السَّمَوَاتِ رَبُّهُ
 وَقَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا لِصُغُودِهِ
 وَلَاقَى بِهَا قَوْمًا مِنَ الرُّسُلِ كُلُّهُمْ
 وَكَانَ بِهِ فَرَضُ الصَّلَاةِ وَحَبْذَا
 وَصِيْرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً
 وَعَادَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ هَانِيَاءَ مُخْبِرًا
 فَخَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُكَذِّبَهُ الْمَلَا
 فَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأُخْبِرَ أَلْ
 وَكَانَ بِهِ الصَّدِيقُ خَيْرَ مُصَدِّقٍ
 مُحَمَّدًا الْمَبْعُوثُ لِلخَلْقِ رَحْمَةً
 وَقَمَّ حَامِدًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَصَلَّ عَلَى الْمَبْعُوثِ لِلخَلْقِ رَحْمَةً
 سَرَى الْبَرَقُ مِنْ أَرْجَاءِ مَكَّةَ أَوْ سَرَى
 وَرَضِيَّ عَلَى الْأَصْحَابِ أَصْحَابِ أَحْمَدِ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ
 دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النُّعِيمِ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَحَاسِنِ الصَّلَاةِ وَحِكْمِهَا وَحُكْمِ تَأْخِيرِهَا

وَتَرَكِيهَا فاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبَ خَمْسٍ ذَكَرَهَا الامام
المحقق ابن القيم رحمه الله فقال :

أَحَدُهَا مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ المَفْرِطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا
وَمَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا .

الثاني : مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيئِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةَ
وَوُضُوئِهَا لِكِنْ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهِدَةً نَفْسِهِ فِي الوَسْوَاسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الوَسْوَاسِ
وَالْأَفْكَارِ .

الثالث : مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ
الْوَسْوَاسِ وَالْأَفْكَارِ فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهِدَةِ عَدُوِّهِ لَيْلًا يَسْرِقُ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي
صَلَاةٍ وَجِهَادٍ .

والرابع : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا
وَاسْتَفْرَقَ قَلْبَهُ مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا لَيْلًا يَضِيغُ شَيْءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ
مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا قَدْ اسْتَفْرَقَ قَلْبَهُ شَأْنَ
الصَّلَاةِ عُبُودِيَّةً رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا .

الخامس : مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ
أَخَذَ قَلْبَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِكًا
مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ ، وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الوَسْوَاسُ
وَالخَطَرَاتُ وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ
أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ
وَجَلَّ قَرِيرُ الْعَيْنِ .

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُعَاقِبُ وَالثاني مُحَاسِبُ وَالثالثُ مُكَفِّرٌ عَنْهُ وَالرابعُ

مَثَابٌ وَالخَامِسُ مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « اِرْفَعُوا الْحُجْبَ فَإِذَا التَّفَّتْ قَالَ أَرْخُوهَا وَقَدْ فُسرَ هَذَا الْإِتِّفَاتُ بِالْتِفَاتِ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِهِ فَإِذَا التَّفَّتْ إِلَى غَيْرِهِ أَرْخِيَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبْدِ فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُورَ الدُّنْيَا وَأَرَاهُ أَيَّهَا فِي صُورَةِ الْمَرَاةِ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ لَمْ يَقْدِرْ الشَّيْطَانُ عَلَى أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقَلْبِ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ إِذَا وَقَعَ الْحِجَابُ فَإِنْ فَرَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ فَرَّ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ التَّفَّتَ حَضَرَ الشَّيْطَانُ فَهُوَ هَكَذَا شَأْنُهُ وَشَأْنُ عَدُوِّهِ فِي الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَأَذْ بِعِزِّكَ وَالسَّعِيدُ مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالدَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ . اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا مَسَلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ وَأَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ .

الائْتِفَاتُ الْمَنْهِيَّةُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ قِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا التَّفَاتُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَالثَّانِي : التَّفَاتُ الْبَصَرِ وَكِلَاهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَلَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى
عَبْدِهِ مَا دَامَ الْعَبْدُ مُقْبِلًا عَلَى صَلَاتِهِ فَإِذَا التَّفَتْ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّفَاتِ الرَّجُلِ
فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ .

وَفِي أَثَرِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَيْرٍ مِنِّي وَمِثَالُ مَنْ يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ
بِصَرِّهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مِثْلُ رَجُلٍ قَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَقْبَلَ
يُنَادِيهِ وَيُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي جِلَالِ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنِ السُّلْطَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَدْ
انصَرَفَ قَلْبُهُ عَنِ السُّلْطَانِ فَلَا يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ لِأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِرًا
مَعَهُ فَمَا ظَنُّ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ أَفَلَيْسَ أَقْلُ الْمَرَاتِبِ فِي
حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرَفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَمْقُوتًا مُبْعَدًا قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنَيْهِ .

فَهَذَا الْمُصَلِّي لَا يَسْتَوِي وَالْحَاضِرُ الْقَلْبِ الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
فِي صَلَاتِهِ الَّذِي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاْمْتَلَأْ
قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَذَلَّتْ عُنُقُهُ لَهُ وَاسْتَحَى مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْبَلَ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ
يَلْتَفِتَ عَنْهُ .

وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ : إِنْ الرَّجُلَيْنِ لِيَكُونَانِ فِي
الصَّلَاةِ الرَّاجِدَةَ وَإِنْ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ
أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ فَإِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ
عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالًا وَلَا تَقْرِيْبًا فَمَا الظَّنُّ
بِالْمَخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ
الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ ، وَالنَّفْسُ مَشْغُوفَةٌ بِهَا مَلَأَى مِنْهَا فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ

اقبالاً ، وَقَدْ أَلْهَتْهُ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ بِهَا .

قِصَّةٌ تُنَاسِبُ الْمَوْضُوعَ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ وَحَضَرَ قَلْبَكَ ، قِيلَ إِنَّ السَّفَاحَ كَانَ يُحَدِّثُ أَبَا بَكْرٍ الْهَدَلِيَّ يَوْمًا ، فَعَصَفَتْ رِيحٌ فَأَسْقَطَتْ طَشْتًا مِنَ السُّطْحِ عَلَى الْمَجْلِسِ ، فَازْتَاعَ الْحَاضِرُونَ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ الْهَدَلِيُّ ، وَلَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ مُطَابِقَةً لِعَيْنِ السَّفَاحِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ فَقَالَ السَّفَاحُ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ يَا هَدَلِي ، أَيُّ لَمْ تَرْتَاعَ وَلَمْ تَلْتَفِتْ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وَأَنَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ فَلَمَّا شُغِلَ بِمُحَادَثَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمُحَادَثَةِ غَيْرِهِ مَجَالٌ فَلَوْ انْقَلَبَتِ الْحَضْرَاءُ عَلَى الْعَبْرَاءِ مَا حَسَسْتُ بِهَا وَلَا وَجَّهْتُ لَهَا قَلْبِي ، فَقَالَ السَّفَاحُ : لَيْسَ بِقِيَّتٍ لَأَرْفَعَنَّ مَكَانَكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَصِلَةً كَبِيرَةً ، فَانْظُرْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَاعْتَبِرْ فِي اسْتِعْرَاقِ قَلْبِ الْهَدَلِيِّ وَانْعِمَارِهِ بِمُحَادَثَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ، وَزِنْ حَالَهُ بِحَالِكَ فِي قُوفِكَ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَرَفَعَ مِنْ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ الْحُجُبَ ، فَهَلْ تَجِدُ قَلْبَكَ إِذَا دَخَلْتَ فِي الصَّلَاةِ حَاضِرًا وَمُنْعَمِرًا وَمُسْتَعْرِقًا فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

اللَّهُمَّ اغْمُرْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ . وَوَقِّفْنَا لِامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَأَمْنًا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْعَبْدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ فَإِنَّهُ قَدْ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ وَأَقْرَبِهِ وَأَعْظَمُهُ لِلشَّيْطَانِ وَأَشَدَّهُ عَلَيْهِ . فَهُوَ يَحْرَسُ وَيَجْتَهِدُ كُلَّ الْجِتْهَادَاتِ أَنْ لَا يُقِيمَهُ فِيهِ ، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ يَعِدُّهُ

وَيُؤْمِنِيهِ وَيُنْسِيهِ وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ حَتَّى يَهْوَنَ عَلَيْهِ شَأَنَ الصَّلَاةِ فَيَتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُهَا . فَإِنَّ عَجِزَ عَن ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ الْعَبْدُ وَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ أَقْبَلَ عَدُوَّ اللَّهِ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَهُ وَيَبِينَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيُذَكِّرُهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ وَالْحَاجَةَ وَأَيْسَ مِنْهَا ، فَيُذَكِّرُهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلَاةِ لِيَسْغَلَ قَلْبُهُ بِهَا ، وَيَأْخُذَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُومُ فِيهَا بِلا قَلْبٍ فَلَا يَنَالُ مِنَ إِقْبَالِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَكَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ مَا يَنَالُهُ الْمُقْبِلُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْحَاضِرُ الْقَلْبَ فِي صَلَاتِهِ فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَأَثْقَالِهِ لَمْ تَخَفْ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ .

فَالصَّلَاةُ أَمَّا تُكْفِرُ سَيِّئَاتٍ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ ، فَهَذَا إِذَا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِفَّةً فِي نَفْسِهِ ، وَأَحْسَ بِاثْقَالِ وَضِيعَتِ عَنْهُ ، فَوَجَدَ نَشَاطًا وَرَاحَةً وَرُوحًا حَتَّى أَنَّهُ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا لِأَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِهِ وَنَعِيمُ رُوحِهِ وَجَنَّةُ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاخُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَزَالُ كَانَهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ بِهَا لَا مِنْهَا .

الْمُجِيبُونَ يَقُولُونَ : نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحُ بِصَلَاتِنَا كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ وَقَدَّوْتُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ كَيْفَ تَقْرُ عَيْنُهُ بِدُونِهَا وَكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنْهَا فَصَلَاةُ هَذَا الْحَاضِرِ بِقَلْبِهِ الَّذِي قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ هِيَ الَّتِي تَصْعَدُ وَلَهَا نُورٌ وَبُرْهَانٌ حَتَّى يُسْتَقْبَلَ بِهَا الرَّحْمَنُ فَتَقُولُ حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا حَفِظْتَنِي وَأَمَّا صَلَاةُ الْمُفْرَطِ الْمُضْيعِ لِحُقُوقِهَا وَحُدُودِهَا وَخُشُوعِهَا فَإِنَّهَا

تَلَفُ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلِيقُ وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا وَتَقُولُ ضَيِّعَكَ اللَّهُ
كَمَا ضَيَّعْتَنِي .

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ
أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُّ الْوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِهِ ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي
وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ وَقْتِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَعَالِمِهَا
شَيْئاً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيِّضَاءُ مُسْفِرَةٌ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ
الْخَافِقَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَمَنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءَهَا وَأَخْرَجَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَاسْتَرْقَ
رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَمَعَالِمِهَا رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ ثُمَّ لَا تُجَاوِزُ شَعْرَ
رَأْسِهِ تَقُولُ ضَيِّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي وَلِلَّهِ دَرُّ اسْمَاعِيلَ الْمُقْرِي رَجِمَهُ اللَّهُ
حَيْثُ قَالَ :

تُصَلِّي بِإِلَّا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ

تَظَلُّ وَقَدْ أَتَمَّتْهَا غَيْرَ عَالِمٍ
تَزِيدُ إِحْتِيَاطاً رَكْعَةً بَعْدَ رَكْعَةٍ
فَوَيْلَكَ تَذْرِي مَنْ تَنَاجَيْهِ مُعْرِضاً
وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنَحَى غَيْرَ مُخْبِتٍ
تَخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ مَالِكِ الْمَلِكِ أَنْ يَرَى
صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُورَةِ

إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا
إِلَى الْحَقِّ نَهْجاً فِي طَرِيقِ السُّوِيَّةِ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ واجْعَلْنَا من عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا . اللَّهُمَّ قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا
بِالْيَسِيرِ وَسَهَّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَقِّفْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجُوتُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ
كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ اخْوَانِنَا
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

فائدة جليلة

قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح وقد جعل الله سبحانه
لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ومفتاح الحج
الإحرام ومفتاح البر الصدقة ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن
السؤال وحسن الاضغاء ومفتاح النصر والظفر الصبر ومفتاح المزيد
الشكر ومفتاح الولاية المحبة ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا .

ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده الى التفكير فيه ومفتاح
الدخول على الله اسلام القلب وسلامته له والاخلاص له في الحب
والبغض له والفعل والتترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع
بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الاحسان في عبادة الخالق
والسعى في نفع عبده ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى
ومفتاح العز طاعة الله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ومفتاح كل

خَيْرِ الرَّغْبَةِ فِي اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةَ وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرِّ حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولُ
الْأَمَلِ .

وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَلَا يُوفَّقُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ وَتَوَفَّقَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ مِفْتَاحاً وَبَاباً يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَيْهِ كَمَا جَعَلَ
الشَّرْكَ وَالْكَبْرَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِهِ وَالْقِيَامَ
بِحَقِّهِ مِفْتَاحاً لِلنَّارِ وَكَمَا جَعَلَ الْخَمْرَ مِفْتَاحَ كُلِّ إِثْمٍ وَجَعَلَ الْغِنَاءَ مِفْتَاحَ
الزَّيْنِ وَجَعَلَ إِطْلَاقَ النَّظَرِ فِي الصُّورِ مِفْتَاحَ الْخِيْبَةِ وَالْجِرْمَانِ وَجَعَلَ
الْمَعَاصِي مِفْتَاحَ الْكُفْرِ وَجَعَلَ الْكَيْدَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ وَجَعَلَ الشُّحَّ وَالْجِرْصَ
مِفْتَاحَ الْبُخْلِ وَقَطِيعَةَ الرَّجْمِ وَأَخَذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَجَعَلَ الْإِعْرَاضَ
عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بَدْعَةٍ وَضَلَالٍ وَهَذِهِ
أُمُورٌ لَا يُصَدِّقُ بِهَا إِلَّا كُلُّ مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ صَحِيحَةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي
نَفْسِهِ أَنْتَهَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلَامَةٌ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي رِعَايَةَ
أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا وَالتَّفْتِيضُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَأَجِبَاتِهَا وَكَمَالِهَا وَالْجِرْصُ عَلَى
تَحْيِينِهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَالْمُسَارَعَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ وُجُوبِهَا وَالْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ وَالْأَسْفُ
عِنْدَ فَوَاتِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوَاتِ الْجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ
تُقْبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ مُنْفَرِداً فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفاً .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا يُعَانِي الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ يَفُوتُهُ فِي صَفْقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَلَدِهِ
مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَشَقَّةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَاراً لِأَكْلِ يَدِيهِ نَدْمًا وَأَسْفًا فَكَيْفَ
وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفِ أَلْفٍ وَمَا
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فإذا فَوَّتَ العَبْدُ على نَفْسِهِ هَذَا الرِّبْحَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ يَقُولُ لَا صَلَاةَ لَهُ . وَهُوَ بَارِدُ القَلْبِ فَارِعٌ مِنْ هَذِهِ المُصِيبَةِ غَيْرُ مُرْتَاعٍ لَهَا فَهَذَا مِنْ عَدَمِ تَعْظِيمِ أَمْرِ اللّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ إِذَا فَاتَهُ أَوَّلُ الوَقْتِ الَّذِي هُوَ رِضْوَانُ اللّهِ تَعَالَى ، أَوْ فَاتَهُ الصَّفُّ الَّذِي يُصَلِّي اللّهُ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى مِيَامِنِهِ وَلَوْ يَعْلَمُ العَبْدُ فَضِيلَتَهُ لَجَالَدَ عَلَيْهِ وَلَكَانَتْ قُرْعَةً .

وكذلك لو فَوَّتَ الجَمْعَ الكَثِيرَ الَّذِي تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ بِكَثْرَتِهِ وَكُلَّمَا كَثُرَ الجَمْعُ كَانَ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُلَّمَا بَعُدَتْ الخَطَا كَانَ كُلُّ خُطْوَةٍ تَحُطُّ خَطِيئَةً وَأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً وَكَذَلِكَ لَوْ فَوَّتَ الخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ وَحُضُورَ القَلْبِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلِبَّهَا فَصَلَاةٌ بِلا خُشُوعٍ وَلَا خُضُوعٍ كَبَدْنٍ مَيِّتٍ لَا رُوحَ فِيهِ أَفَلَا يَسْتَجِ العَبْدُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْدًا مَيِّتًا أَوْ جَارِيَةً مَيِّتَةً ، فَمَا ظَنُّ هَذَا العَبْدِ أَنْ تَقَعَ الهِدْيَةُ مِنْ قَصْدِهِ بِهَا مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَهَكَذَا سُوءُ الصَّلَاةِ الخَالِيَةِ مِنَ الخُشُوعِ وَالحُضُورِ وَجَمْعِ الهِمَّةِ عَلَى اللّهِ تَعَالَى فِيهَا بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الأَمَةِ أَوْ العَبْدِ المَيِّتِ الَّذِي يُرِيدُ إِهْدَاءَهُ إِلَى بَعْضِ المُلُوكِ .

ولَهِذَا لَا يَقْبَلُهَا اللّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَإِنْ اسْقَطْتَ الفَرَضَ فِي احكامِ الدُّنْيَا وَلَا يُثَبِّتُهُ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ، كَمَا فِي السُّنَنِ وَمَسْنَدِ الامامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ العَبْدُ لِيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَمَا كَتَبَ لَهُ إِلَّا نَصَفَهَا إِلَّا ثُلُثَهَا إِلَّا رُبُعَهَا إِلَّا خُمُسَهَا حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سَائِرَ الأَعْمَالِ تَجْرِي هَذَا المَجْرَى فَتَفَاضُلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِخْلَاصِ وَالمَحَبَّةِ وَتَوَابِعِهَا .

وَتَفَاضَلَ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقُورُ
 مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ
 حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانَ كِلَاهُمَا
 فِي رُتَبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ
 هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ فِي رُجْحَانِ
 وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
 رُتَبَ مُضَاعَفَةً بِلا حُسْبَانِ
 هَذَا عِطَاءُ الرَّبِّ جَلُّ جَلَالُهُ
 وَبِذَاكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

فَاَلْمَدَارُ عَلَى أَعْمَالِ الْقُلُوبِ فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ حَاضِرًا وَمُلْقِيَ سَمْعُهُ
 لِمَا يَسْمَعُ وَلَمَّا يَنْطِقُ هُوَ بِهِ مِنْ قِرَاءَةٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَسْبِيحٍ وَقَوْلِ رَبِّي اغْفِرْ لِي
 وَقَوْلِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَمَعَانِي الْفَاتِحَةِ وَالتَّحِيَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
 صَلَاتِهِ وَأَمَّا الْغَافِلُ الَّذِي لَا يَتَدَبَّرُ وَلَا يَتَفَهَّمُ وَيَعْبَثُ وَلَا يَهْتَمُّ لَهَا فَهَذَا
 مَحْضُوْلُهُ ضَيِّلُ جِدًّا أَوْ مَعْدُومٌ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد
 خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن
 تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .
 شِعْرًا:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
 تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
 إِلَهِي وَخَلْقِي وَسُوْلِي وَمَوْتِلِي
 إِلَيْكَ لَدَى الْأَعْسَارِ وَالْيَسْرِ أَفْرَعُ

إِلَهِي لَيْتَ خَيْبَتِي وَطَرَدْتَنِي
 فَمَنْ ذَا الَّذِي عَمَّا أَحَازِرُ يَنْفَعُ
 إِلَهِي لَيْتَ جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي
 فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
 إِلَهِي لَيْتَ أُعْطِيتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
 فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
 إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
 وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
 إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِعْ
 فُؤَادِي قَلْبِي فِي سَبَبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
 إِلَهِي أَجْرَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
 أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَحْضَعُ
 إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ
 إِلَهِي لَيْتَ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حَجَّةً
 فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
 إِلَهِي أَذْقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
 بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
 إِلَهِي لَيْتَ لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعاً
 وَإِنْ كُنْتُ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيْعُ
 إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَن غَيْرِ مُحْسِنٍ
 فَمَنْ لِمَسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
 إِلَهِي لَيْتَ قَصَّرْتُ فِي طَلْبِ التَّقَى

فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
 إِلَهِي أَقْلِنِي عَشْرَتِي وَأَمَحْ زَلَّتِي
 فَإِنِّي مُقِرُّ خَائِفٍ مُتَضَرِّعُ
 إِلَهِي لَيْسَ خَيْبَتَنِي وَطَرَدَتَنِي
 فَمَا جِئْتِي يَا رَبُّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَهِي حَلِيفُ الْحَبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرُ
 يُنَاجِي وَيَبْكِي وَالغَفُولُ يُهْجَعُ
 إِلَهِي لَيْسَ تَعْفُو فَعَفْوُكَ مُنْقِذِي
 وَإِنِّي يَا رَبُّ الْوَرَى لَكَ أُخْضَعُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنُبِّهْنَا
 لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا
 أَنْطَوْتُ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمُهَا
 مِنَّا، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عِبَادًا غَرُّهُمْ طُولُ إِمَهَالِكَ وَأُطْمَعَهُمْ دَوَامُ إِفْضَالِكَ
 وَمَدُّوْا أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَا غِنَى لَهُمْ عَنْ سُؤَالِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(٩) موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَغَيَّرَ النَّاسُ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغْيِيرًا يُدْهِسُ النَّاطِرِينَ فِي
 زَمَنِ قَلِيلٍ ، هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ آكُذُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ
 وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ قَدْ أَعْرَضَ عَنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ غَيْرَ مُبَالِيْنَ بِذَلِكَ
 جَهَلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنَزَلَتُهَا بَيْنَ الطَّاعَاتِ ، وَمَا

علموا أنها الصلوة بين العبد وبين ربه ولذلك هي تطهر المصلي من جميع ذنوبه إذا اجتنبت الكبائر كالزنا واللواط وأكل الربا .

ويزيدك معرفة بها أن تعرف مالها من متعلقات . ذلك أنه إذا توضأ لها ذهب ذنوب أعضاء وضوئه مع ذهاب الماء فإذا تشهد بعد الوضوء فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء فإذا مشى إلى المسجد كان له بكل خطوة يخطوها تحط عنه خطيئة ورفع له درجة فإذا انتظر الصلاة فإنه لا يزال في صلاة .

وأما المؤذنون فهم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ويشهد لهم كل ما يسمعون حتى الأشجار والأحجار .

ومن قال مثل ما يقول المؤذن ثم دعا عقبه وجبت له شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وأما قم المسجد وتنظيفه فهو مهر الحور العين في الجنات ومن بنى له مسجداً ولو كمفحص قطعة بنى الله له بيتاً في الجنة .

والخلاصة أن المؤمن بصلاته أبعده الناس من المحرمات والفواحش والزنا واللواط وشرب الخمر والدخان والميسر وقول الزور والسرقه والقتل والقذف وحضور آلات اللهو المذيع والتلفزيون والسينما والبكات وأبعده الناس عن الغش والربا والبخس والمكر والخداع وغيرهما مما يخل بالدين أو ينقص المرأة والشرف ، إذ من غير المعقول أن من بلغ به حبه في الاستقامة أن يقف أمام سيده ومولاه الذي رباه وربى جميع العالمين بنعمه ويستهديه طريق الهداية وقد قدر ربه وركع له وسجد وحمده وأثنى عليه بما هو أهله وشكر له أن يرى بعد ذلك جوالاً في طرق الغواية والمآثم التي يتتابها الفساق الذين مردوا على الفجور وتفنونوا فيه . . صدق الله العظيم .

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ: هَذِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِعٌ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : فِي ذِكْرِ بَعْضِ فَوَائِدِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَبَيَانِ حُكْمِهَا وَأَدْلَةٍ وَجُوبِهَا
وَذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ فَوَائِدِ صَلَاةِ الرُّوَاتِبِ وَالتَّوَابِلِ

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ شُرِعَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْاجْتِمَاعُ لِلْعِبَادَةِ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِلْمَكْتُوبَاتِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْأُسْبُوعِ وَهُوَ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي السَّنَةِ مُتَكَرِّرٌ وَهُوَ صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ لِجَمَاعَةٍ كُلِّ بَلَدٍ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌ فِي السَّنَةِ وَهُوَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ التَّوَابِلِ وَالتَّوَادُدِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّخَيُّمِ وَالتَّلَافِ وَالتَّعَارُفِ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّسْرَاحِمِ ، وَقُوَّةِ لِلرَّابِطَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ بِالْاجْتِمَاعِ ، وَكَثْرَةِ الْخَطِيئِ ، وَلِتَعْلِيمِ الْجَاهِلِ لِأَحْكَامِ الصَّلَاةِ .

فَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ هِيَ الْمَتَكَرِّرُ يَوْمِيًّا الْاجْتِمَاعُ لَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ وَجُوبٌ عَيْنٌ عَلَى الرِّجَالِ الْقَادِرِينَ حَضْرًا وَسَفْرًا حَتَّى فِي شِدَّةِ الْخَوْفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اثْقُلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا

فِيهِمَا لِأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًا . وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا
فِيصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حِزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا
يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَاحْرَقَ عَلَيْهِمُ بُيُوتَهُمْ فِي النَّارِ ، متفق عليه .

وعن أبي هريرة أَنَّ رَجُلًا أَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي قَائِدٌ
يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ
فِيصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخِّصَ لَهُ فَلَمَّا وُلِيَ دَعَاهُ فَقَالَ هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ قَالَ :
نَعَمْ قَالَ : فَأَجِبْ . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِ وَالسِّبَاعِ وَأَنَا
ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يَلَائِمُنِي فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً
أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَسْمَعُ
النِّدَاءَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَجِبْ فَإِنِّي لَا أُجِدُ لَكَ رُخْصَةً فَهَذَا رَجُلٌ ضَرِيرٌ شَكَا
مَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَجِيئِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ لَهُ قَائِدٌ يَقُودُهُ إِلَيْهِ وَمَعَ
هَذَا لَمْ يُرَخِّصْ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ فَكَيْفَ
يَمُنُّ يَكُونُ صَاحِبُ الْبَصَرِ مُتَوَفِّرًا الْأَنْوَارَ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ
وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ .

ومَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَأَعْطَاهُ وَأَقْنَاهُ
وَوَعَدَهُ إِنْ أَطَاعَهُ بِجَمِيعِ مَا تَطَلَّبُهُ نَفْسُهُ وَتَمَنَّاهُ ، وَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاهُ
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ » .
وأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا

وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَرَزُوجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ عَلَى
الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ « وَحَدِيثٌ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ
إِلَّا بِالْمَسْجِدِ رُوي مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ
سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرٌ قَالُوا وَمَا الْعُدْرُ قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ
لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى » .
شعرا :

وَأَحْسَنُ صَوْتٍ لَدَّ عِنْدِي سَمَاعُهُ سَمَاعُ أَذَانٍ مِنْ مَنَارَةِ مَسْجِدِ
يُنَادِي بِتَوْحِيدِ الَّذِي جَلَّ شَأْنُهُ فَيَا نَفْسُ صَلِّي لِلْمُهَيِّمِينَ وَاعْبُدِي
آخِر :

وَأَحْسَنُ صَوْتٍ فِي الْوَرَى صَوْتُ دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ لِلْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ تُشْهَدُ
وعن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ :
« الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ وَالْكَفْرُ وَالنِّفَاقُ مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَّ اللَّهَ يُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ
فَلَا يُجِيبُهُ » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تَقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ » . رواه أحمد وأبو
داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَا بَالُ
أَقْوَامٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فَيَتَخَلَّفُ لِتَخَلْفِهِمْ آخَرُونَ لِأَنَّهُمْ يَحْضُرُونَ الصَّلَاةَ
أَوْ لَا يُبْعَثُونَ عَلَيْهِمْ مَنْ يُجَابِي رِقَابِهِمْ . وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ

الْخُمْسِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لظَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « لَأَنْ تَمْتَلِيءَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رِصَاصًا مُدَابًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَجُلٍ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ وَهُوَ لَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَقَالَ هُوَ فِي النَّارِ وَلَمَّا كَانَ عَتَابُ بِنِ أَسِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْيَأَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَمِعَ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ جَمَاعَةً فَقَالَ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ إِلَّا ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ فَعَلِمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فَزَادَهُ رِفْعَةً عِنْدَهُمْ وَارْتَفَعَتْ قَدْرُهُ .

وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ أَشَدُّ تَأْكِيدًا لِمَا وَرَدَ عَنْ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن شهد العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا متفق عليه . وعنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا متفق عليه .

وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر . رواه الطبراني في الكبير .

وعن جندب القسري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم رواه مسلم .

فهذا نهي منه صلى الله عليه وسلم عن التعرض لمن هو في ذمة الله بشيء من السوء وقد قيل إن الحجاج مع جوره وظلمه وتعديه لحدود الله كان يسأل كل من يؤتى به نهراً صليت الصبح في جماعة فإن قال نعم خلى سبيله مخافة أن يطلبه الله شيء من ذمته .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أساءنا به الظن رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا وَأَنْ تَضَعَ زُرْرَنَا وَتُصْلِحَ أَمْرَنَا وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُبُورَنَا وَتَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل): وصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة

كَمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضَلُ صَلَاةَ الْفِدَى بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَضَعُفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سَوْقٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لِمَ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مِنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحُهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَأَتْمَامِ الصُّفُوفِ مَا يَلِي فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأَوَّلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهَمُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مُنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا »

فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَحْلَامَ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ « رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَوُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْخَلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

اللَّهُمَّ رَعْبْنَا فِيمَا بَقِيَ ، وَزَهْدْنَا فِيمَا بَقِيَ ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ يَسْتَفْتِحُ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ ، قَالَ أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ .

وَكَانَ يَتَعَوَّذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْاسْتِفْتَاكِ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَفْتَحَ ثُمَّ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً وَفِي الْآخِرَتَيْنِ قَدْرَ خَمْسَةِ عَشَرَ آيَةً ، أَوْ قَالَ يَنْصَفُ ذَلِكَ ، وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ خَمْسِ عَشْرَةَ آيَةً ، وَفِي الْآخِرَتَيْنِ قَدْرَ نِصْفِ ذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيَّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَقَالَتْ يَا بُنِي لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَائَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لِأَجْرٌ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَةَ .

وَقَالَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي

الصُّبْحَ فَيُنْصَرِفُ الرَّجُلُ فَيَعْرِفُ جَلِيسَهُ ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى الْمِائَةِ مُتَّفِقٌ عَلَى صِحَّتِهِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرُ عِيسَى أَخَذَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْلَةً فَرَكَعَ .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالذُّخَانِ .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ تَقَامُ فَيَنْطَلِقُ أَحَدُنَا إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَأْتِي أَهْلَهُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدَرِ « آلِمِ تَنْزِيلِ السُّجْدَةِ » .

وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرِيَيْنِ قَدَرِ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلُ قَوْلِهِ تَنْزِيلُ السُّجْدَةِ قَدَرِ ثَلَاثِينَ آيَةً ، وَفِي الْآخِرِيَيْنِ قَدَرِ خَمْسَةِ عَشَرَ آيَةً وَفِي الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدَرِ خَمْسَةِ عَشْرَةٍ وَفِي الْآخِرِيَيْنِ قَدَرِ نِصْفِ ذَلِكَ .

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا الظَّهَرَ فَتَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ وَالذَّارِيَاتِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ الصَّلَاةِ فِيهِ طَوِيلَةٌ وَالْخُطْبَةُ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَعِلْمَاؤُهُ كَثِيرٌ وَخُطْبَاؤُهُ قَلِيلٌ وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الصَّلَاةِ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَالْخُطْبَةُ فِيهِ طَوِيلَةٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِطَوَلَى الطُّوَلِيِّينَ .
زَادَ أَبُو دَاوُدَ قَلْتُ وَمَا طَوَلَى الطُّوَلِيِّينَ قَالَ الْأَعْرَافُ قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ إِنَّهُ حَصَلَ الْإِتْفَاقُ عَلَى تَفْسِيرِ الطُّوَلَى بِالْأَعْرَافِ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَمَلَأَ الْأَرْضَ ، وَمَلَأَ مَا بَيْنَهُمَا وَمَلَأَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ أَهْلِ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أُوْفَى وَزَادَ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ

اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالْمَاءِ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَإِخْرَجَتِنَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوَارِثَنَا وَأَمِنْ رُوعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمَنْ فَوْقِنَا وَتَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَاكْشِفْ كُرُوبَنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلِّفْ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ قَالَ لَا يَتَمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا ، أَوْ قَالَ لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَصَرَخَ بِأَنَّهُ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ سَارِقِ الْأَمْوَالِ .

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ سَلْمَانَ هُوَ الْفَارِسِيُّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ مَكْيَالٌ فَمَنْ وَفَى وَفَى لَهُ وَمَنْ طَفَفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمُطَفِّفِينَ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْإِيْجَازُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا الْإِيْجَازُ الَّذِي كَانَ يَطَّلِنُهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى مِقْدَارِ صَلَاتِهِ فَإِنَّ الْإِيْجَازَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ إِضَافِيٌّ رَاجِعٌ إِلَى السُّنَّةِ لَا إِلَى شَهْوَةِ الْإِمَامِ وَمَنْ خَلَفَهُ .

فَلَمَّا كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِالسُّتَيْنِ إِلَى الْمِائَةِ كَانَ هَذَا الْإِيْجَازُ بِالنِّسْبَةِ

إلى ستمائة إلى ألف ولما قرأ في المغرب بالأعراف كان هذا الأيجاز
بالنسبة إلى البقرة .

ويُدلُّ على هذا أن أنساً نفسه قال في الحديث الذي رواه أبو داود
والنسائي من حديث عبد الله بن إبراهيم بن كيسان حدثني أبي عن وهب
بن مأنوس سمعت سعيد بن جبيرة يقول سمعت أنس بن مالك يقول ما
صليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة
برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز
فحزرتنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات .

وأنس أيضاً هو القائل في الحديث المتفق عليه اني لا ألو أن
أصلي بكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي بنا .

قال ثابت : كان أنس يصنع شيئاً لا أراكم تصنعونه كان إذا رفع
رأسه من الركوع انتصب قائماً حتى يقول القائل قد نسي .

وإذا رفع رأسه من السجدة مكث حتى يقول القائل قد نسي .

وأنس هو القائل هذا وهو القائل ما صليت وراء امام أخف صلاة
ولا أتم صلاة من النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه لا يكذب بعضه
بعضاً .

ومما يبين ما ذكرناه ما رواه أبو داود في سننه من حديث حماد بن
سلمة أخبرنا ثابت وحميد عن أنس بن مالك قال ما صليت خلف رجل
أجز صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال سمع الله لمن
حمده ، قام حتى نقول قد أوهم فجمع أنس رضي الله عنه في هذا

الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بَيْنَ الْأَخْبَارِ بِإِجَازِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ
وَأَتَمَّامِهَا وَبَيَّنَّ فِيهِ أَنْ مِنْ أَتَمَّامِهَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ أَطَالَهُ الْاِعْتِدَالِينَ حَتَّى يَظُنُّ
الظَّانُّ أَنَّهُ قَدْ أَوْهَمَ أَوْ نَسِيَ مِنْ شِدَّةِ الطُّولِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكَعْتَهُ فَأَعْتَدَلَهُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَسَجَدْتَهُ
فَجَلَسْتَهُ بَيْنَ السُّجُودَيْنِ ، فَسَجَدْتَهُ ، فَجَلَسْتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالْإِنْصِرَافِ
قَرِيبًا مِنَ السُّوَاءِ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَكَثُرَ الْاَلْنِينُ وَأَيْسَ مِنَّا الْقَرِيبُ وَالطَّيِّبُ
وَبَكَى عَلَيْنَا الصَّدِيقُ وَالْحَبِيبُ وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا وَارَانَا التُّرَابُ وَوَدَّعْنَا
الْأَحْبَابُ وَفَارَقْنَا النِّعَمَ وَانْقَطَعَ عَنَا النَّسِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ ثُبِّ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَتُبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْعَقَلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا
فَمِنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمُسْرِعِينَ فِيهَا الَّذِينَ يَمُرُونَ فِيهَا مَرَّ
السَّهْمِ : وَهَذَا كُلُّهُ تَلَاعُبٌ بِالصَّلَاةِ ، وَتَعْطِيلٌ لَهَا وَجِدَاعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَخِلَافٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ ﴾ فَأَمَرْنَا بِأَقَامَتِهَا وَهُوَ الْاِتْيَانُ بِهَا قَائِمَةً تَامَةً الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ وَالْاِذْكَارِ .

وَقَدْ عُلِقَ سُبْحَانَهُ الْفَلَاحُ بِخُشُوعِ الْمَصْلِيِّ فِي صَلَاتِهِ فَمَنْ فَاتَهُ
خُشُوعُ الصَّلَاةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَيَسْتَحِيلُ حُصُولُ الْخُشُوعِ مَعَ
الْعَجَلَةِ وَالنَّقْرِ قَطْعًا بَلْ لَا يَحْصُلُ الْخُشُوعُ إِلَّا مَعَ الطَّمَانِينَةِ وَكُلَّمَا زَادَتْ
الطَّمَانِينَةُ اِزْدَادَ خُشُوعًا وَكُلَّمَا قَلَّ خُشُوعُهُ اِشْتَدَّتْ عَجَلَتُهُ حَتَّى تَصِيرَ حَرَكَةً

يديه بمنزلة العَبَث الذي لا يَصْحَبُه خُشُوعٌ ولا إقبالٌ على العُبودية ولا معرفة حَقِيقَةِ العبودية .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ ﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ » ، وَقَالَ لِمُوسَى ﴿ فَاغْبُذْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ فَلَنْ تُكَادُ تَجِدُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي مَوْضِعٍ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَّا مَقْرُونًا بِأَقَامَتِهَا .

فَالْمُصَلُّونَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ وَمُقِيمُ الصَّلَاةِ مِنْهُمْ أَقَلُّ الْقَلِيلِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَاجُّ قَلِيلٌ وَالرَّاكِبُ كَثِيرٌ ، فَالْعَامِلُونَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الْمَأْمُورَ بِهَا عَلَى التَّرْوِيجِ تَجَلَّةَ الْقَسَمِ وَيَقُولُونَ يَكْفِينَا أَدْنَى مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ وَلَيْتَنَا نَأْتِي بِهِ .

وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِصَلَاتِهِمْ فَتَعْرُضُهَا عَلَى الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا النَّاسُ إِلَى مُلُوكِهِمْ وَكُبْرَائِهِمْ ، فَلَيْسَ مَنْ عَمِدَ إِلَى أَفْضَلِ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَيُزَيِّنُهُ ، وَيُحَسِّنُهُ ، مَا اسْتَطَاعَ ثُمَّ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى مَنْ يَرْجُوهُ ، وَيَخَافُهُ ، كَمَنْ يَعْمِدُ إِلَى أَسْقَطِ مَا عِنْدَهُ ، وَأَهْوَيْهِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ تَرِيحَ مِنْهُ ، وَيَبْتَغِيهِ إِلَى مَنْ لَا يَقَعُ عِنْدَهُ بِمَوْقِعٍ .

وَلَيْسَ مَنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ ، وَحَيَاةً لَهُ ، وَرَاحَةً وَقُرَّةً لِعَيْنِهِ وَجَلَاءً لِحُزْنِهِ وَذَهَابًا لِهَمِّهِ ، وَغَمٍّ وَمَفْرَعًا لَهُ فِي نَوَائِبِهِ ، وَنَوَازِلِهِ ، كَمَنْ هِيَ سِجْنٌ لِقَلْبِهِ ، وَقَيْدٌ لِحَوَارِجِهِ ، وَتَكْلِيفٌ لَهُ ، وَثَقْلٌ عَلَيْهِ ، فَهِيَ كَبِيرَةٌ عَلَى هَذَا وَقُرَّةٌ عَيْنٍ وَرَاحَةٌ لِذَلِكَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فَإِنَّمَا كَبُرَتْ عَلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ لِخُلُوقِ قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْبِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ

وَالْخُشُوعَ لَهُ وَقَلَّةَ رَغَبَتِهِمْ فِيهِ فَإِنَّ حُضُورَ الْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ وَخُشُوعَهُ فِيهَا وَتَكْمِيلُهُ لَهَا وَاسْتِفْرَاغُهُ وَسَعَهُ فِي إِقَامَتِهَا وَاتِّمَامِهَا عَلَى قَدْرِ رَغَبَتِهِ فِي اللَّهِ .

قال الامامُ أحمدُ في رواية مُهَنَّأ بنِ يَحْيَى ، إِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَرَغَبَتِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ رَغَبَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ فَاعْرِفْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَاحْذَرْ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا قَدْرَ لِلْإِسْلَامِ عِنْدَكَ فَإِنَّ قَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي قَلْبِكَ كَقَدْرِ الصَّلَاةِ فِي قَلْبِكَ .

(فصل)

فَأَمَّا صُورَتُهَا الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الْقِيَامُ وَالْقِرَاءَةُ وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الصَّلَاةِ الظَّاهِرَةِ .
وَأَمَّا حَقِيقَتُهَا الْبَاطِنَةُ فَمِثْلُ الْخُشُوعِ وَالْإِخْبَاتِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ وَكَمَالِ الْإِخْلَاصِ .

مَنْ لَمْ يَكُنْ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ
والتدبر والتفهم لمعاني القراءة ومعاني التسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حفظ القلب .
ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها كمال الطهارة والإحتياط في البدن والثوب والمكان .

قال عليه الصلاة والسلام « الطهور شرط الإيمان » وفي الحديث الآخر « الطهور مفتاح الصلاة وإسباغ الوضوء وتثليثه من غير وسوسة ولا إسراف » .

فإن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان يُلبسُ بها على مَنْ ضَعُفَ عَقْلُهُ وَقَلَّ عِلْمُهُ .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة « أن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياها من أعضائه ودخل في الصلاة نقياً من الذنوب » .
ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها المبادرة بها في أول مَوَاقِيتِها وفي ذلك فضلٌ وأجر عظيم .

وهو دليل على محبة العبد لربه وعلى المسارعة في مرضاته ومحابه قال صلى الله عليه وسلم « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » .

وقبيح بالمؤمن العاقل أن يدخل عليه وقت الصلاة وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم إلى فريضة الله التي كتبها الله عليه فيؤديها .
وما يفعل ذلك إلا من عظمت غفلته وقلت معرفته بالله وعظمته وضعفت رغبته فيما أعده الله لأولياته في الدار الآخرة .
وأما تأخيرها عن وقتها فلا يجوز وفيه إثم عظيم .

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها الخشوع وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الخُضُوع والتواضع لله عند الركوع والسجود .
وامتلاء القلب بتعظيم الله وإجلاله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وجميع أجزاء الصلاة .

والحرص والاجتهاد في دفع الخواطر والهواجيس في شؤون الدنيا والإعراض عند حديث النفس في ذلك .
ويكون همه في الصلاة وحسن تأديتها كما أمر الله . فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور قليلة الجدوى .

فاجتهد في تدبر ما تقول من كلام ربك واحرص على الطمأنينة فيها .
فإن الذي لا يتم الركوع والسجود في الصلاة سارق لها كما ورد في الحديث وورد أن من حافظ عليها وأتمها تخرج بيضاء تقول حفظك الله كما حفظني . والذي لا يتم الصلاة تخرج سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني ثم تُلَفُّ كما تُلَفُّ الثوبُ الحَلَقُ فيضربُ بها وجهه .

رَأَى رَجُلٌ حَاتِمَ الْأَصْمِ واقفاً يَعِظُ النَّاسَ فَقَالَ : يَا حَاتِمُ أَرَأَيْكَ تَعْظُمُ النَّاسَ
 أَفْتَحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ تُصَلِّيَ ؟ قَالَ : أَقُومُ بِالْأَمْرِ وَأَمْشِي
 بِالسُّكِينَةِ وَأَدْخُلُ بِالْهَيْبَةِ وَأَكْبِرُ بِالْعِظْمَةِ وَأَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ وَأَجْلِسُ لِلتَّشْهَدِ بِالتَّمَامِ
 وَأَسْلَمَ عَلَى السَّنَةِ وَأَسْلِمُهَا إِلَى رَبِّي وَأَحْفَظُهَا أَيَّامَ حَيَاتِي وَأَرْجِعُ بِاللَّوْمِ عَلَى
 نَفْسِي وَأَخَافُ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنِّي وَأَرْجُو أَنْ تُقْبَلَ مِنِّي وَأَنَا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ
 وَأَشْكُرُ مَنْ عَلَّمَنِي وَأَعْلَمُ مَنْ سَأَلَنِي وَأُحْمَدُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ
 وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ اسْأَلُكَ بِنَا
 سَبِيلِ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ
 وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فصل) : يُسَنُّ ذِكْرَ اللَّهِ وَالِدُعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَقَبَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَا وَرَدَ
 فِي الْإِخْبَارِ فَيَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ
 السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ كَمَا وَرَدَ عَنْ ثِيَابَانَ قَالَ : كَانَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ
 اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . رَوَاهُ
 الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنَ الذِّكْرِ : مَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
 فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ
 الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
 الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا آيَاهُ لَهُ الْبِنِعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ : قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِهِنْ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ . رواه أحمد ومسلم .

وَمِمَّا وَرَدَ مَا رَوَى الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَمَامُ الْمِائَةِ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَيَعْقِدُهُ بِيَدِهِ وَيَعْقِدُ الْاسْتِغْفَارَ بِيَدِهِ « أَيُّ يَضْبِطُ عَدَدَهُ بِأَصَابِعِهِ .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصَلْتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا وَيُحَمِّدُهُ عَشْرًا قَالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ فِتْلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفُؤَادِ وَخَمْسُمِائَةً فِي الْمِيزَانِ وَإِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمِدَ وَكَبَّرَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِتْلِكَ مِائَةً بِاللِّسَانِ وَالْفُؤَادِ بِالْمِيزَانِ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وعن سعد بن أبي وقاصٍ أنه كان يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنْ دُبْرَ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

وعن أمِّ سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا صلى

الصَّبْحَ جِئِنِ يُسَلِّمِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
رواه أحمد وابن ماجه .

وعن أبي أمامة قال قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف
الليل الآخر وذُبر الصلوات المكتوبات .

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لم
يُقَعِّدْ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه .

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ سَبَّحَ
ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ
فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ
الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ
زَبَدِ الْبَحْرِ . رواه مسلم .

وفي رواية أخرى أن التكبير أربعة وثلاثون . .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
أَوْصِيكَ يَا مَعَاذُ لَا تَدْعُنْ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِزِّي عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ . رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوى .

وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ قَرَأَ آيَةَ
الْكَرْسِيِّ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ .
رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيه الطبراني وقل هو الله أحد .

وعنه قال ما ذنوب من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذُبُرِ
مَكْتُوبَةٍ وَلَا تَطْوَعُ إِلَّا سَمِعْتَهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا
اللَّهُمَّ انْعَشِنِي وَأَجْبِرْنِي وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْإِخْلَاقِ إِنَّهُ لَا يَهْدِي
لِصَالِحِهَا وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئِهَا إِلَّا أَنْتَ .

وعن أبي سعيد الخُدري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من صلاته لا أدري قبل أن يسلم أو بعد أن يسلم يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .
وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم اجعل خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ الْقَاكِ .

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دُبُرِ الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَامَةً تَامَةً تَامَةً .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رَجُلِيهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُجِيءٍ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي جَرِّ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرْسٍ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ صَحِيحٌ .

وعن الحارث بن مسلم التميمي رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إن مت من يومك كتب الله لك جواراً من النار وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم اللهم أجرني من النار سبع مرات

فَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جِوَاراً مِنَ النَّارِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَهَذَا لَفْظُهُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا بِهِنَّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ عِدْلُ عِتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ وَكُنَّ لَهُ حَرَساً حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبَّرَ صَلَاتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَهَذَا لَفْظُهُ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ دُبَّرَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَفْتَنِي رِجْلِيهِ كَانَ يَوْمئِذٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ عَمَلًا إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيَّ مَا قَالَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَرَوَى عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ . رَوَاهُ ابْنُ السَّنِيِّ فِي كِتَابِهِ وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ بْنِ مَاجَةَ وَكِتَابِ ابْنِ السَّنِيِّ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ نِ الْوَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبِلاً وَرِزْقاً طَيِّباً .

وَعَنْ صَهْبِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي

تَقُولُ قَالَ اللَّهُمَّ بِكَ أَحَاوِلُ وَبِكَ أَصَاوِلُ وَبِكَ أَقَاتِلُ وَبِاسْتِحْبَابِ الْجَهْرُ
بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا
انصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ وَفِي رِوَايَةٍ كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّكْبِيرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ
خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَقْنَا لِبَطَاعَتِكَ وَامْتَنَّا بِأَمْرِكَ
وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَفْلُحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفُ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَمِنْ تَمَامِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ حُسْنُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الرُّوَاتِبِ
وَالنَّوَابِلِ وَهَذِهِ الْمُطْلَقَةُ فِيهَا فَوَائِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَتَكْثِيرُ
الْحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَجَعْلُ الْقُلُوبِ مُتَّصِلَةً بِاللَّهِ مُعَظَّمَةً لَهُ وَأَنَّهَا
سَبَبٌ لِتَقْوِيَةِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْهَا التَّلَذُّذُ بِالْمَنَاجَاةِ . . وَمِنْهَا الْحَصُولُ فِي
مَنْزِلَةِ الْمُبَاهَاةِ فَيَمُنُّ أَقِيمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ . وَمِنْهَا الشُّكْرُ
وَالنَّعْمُ الْمُتَجَدِّدُ وَالْمَوَاهِبُ الْمُتَعَدِّدَةُ وَعِمَارَةُ لِلْقُلُوبِ الَّتِي خُلِقَتْ لِذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى . وَمِنْهَا حِفْظُ الزَّمَنِ عَنْ ضَيَاعِهِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

وَمِنْهَا تَكْمِيلُ مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرَائِضِ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ
رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ
فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ
مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا فَإِنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ أَنْظِرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ
تَطَوُّعٍ فَيُكْمَلُ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ﴾ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ

أخرجه الترمذي : وَمَنْهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أُحِبَّتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ومنها أنها سَبَبٌ لِتَسْهِيلِ عُسْرِ الْمَوْقِفِ فِي الْحَشْرِ وَتَخْفِيفِ الْحِسَابِ فِي دَارِ الْمَابِ لِأَنَّهُ يَكْثُرُ ثَوَابُهُ إِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلتَّقَرُّبِ بِالنَّوَافِلِ وَمِنْهَا نَضَارَةُ الْوَجْهِ وَتَنْشِيطُ الْجَوَارِحِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوقِظُ الضَّمِيرَ وَمِنْهَا الْاِقْتِدَاءُ بِالصَّالِحِينَ وَمِنْهَا غَرَسُ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ فِي النُّفُوسِ وَمِنْهَا أَنَّ النَّوَافِلَ تُقْوِي شَجَرَةَ الْإِيمَانِ وَتَنْمِي الْإِيمَانَ وَمِنْهَا السُّمُوءُ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا قَطَعَهُ عَنْهَا مَرَضٌ أَوْ سَفَرٌ كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةٌ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِحًا مُقِيمًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ومنها مَحَبَّةُ أَهْلِ السَّمَاءِ لِمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى : إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ وَمِنْهَا اسْتِعْمَالُ نِعْمَةِ الْمُنْعَمِ فِي طَاعَتِهِ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَلَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ أَنْصَفٍ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْهَا مُخَالَفَةُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا قَامُوا إِلَى صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ قَامُوا كَسَالِي يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . وَمِنْهَا الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ لِلْحَدِيثِ الْمَتَّقِمْ وَلِلْحَدِيثِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ . وَمِنْهَا مُخَالَفَةُ الْمُشْرِكِينَ الْعَابِدِينَ لِمَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي شَيْئًا وَأَنْتَ تَعْبُدُ مَنْ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَعْلَمُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَمِنْهَا قِيَامُ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ مَقَامَ الْمُتَضَرِّعِ الْمَتَدَلِّلِ الْمُسْكِينِ الضَّعِيفِ وَاضْعًا يَدَهُ

الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى مُظْهِراً الْعَجْزَ وَالضُّعْفَ وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ وَخَالِصَ وِدْكَ يَا مَنْ عَمَّ الْخَلَائِقُ كَرَمُهُ وَجُودُهُ يَا أَوَّلَ بِلَا بَدَايَةٍ وَيَا آخِرَ بِلَا نِهَايَةٍ، يَا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفَنَا وَتَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُرَافَ بِنَا يَا رُوُوفَ يَا رَحِيمَ وَلَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ . اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَنَجْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ، وَأَمَّنَا مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وقال ابن القيم رحمه الله وأما فوائد الصلاة فكثيرة أولاً إمتثال أوامر الله وموافقته الله ملائكتيه وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفعته الدرجات .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء ولشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والقرب منه ولكفاية الهم والغم وقضاء الحوائج وسبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكتيه وهي زكاة للمصلي وطهارة له وسبب للتبشير بالجنة والنجاة من النار وسبب ليرد النبي صلى الله عليه وسلم السلام ولتذكير العبد ما نسيه ولطيب المجلس وأن لا يعود على أهله حسرة ولنفي الفقر والبخل وللنجاة من تنن المجلس الذي لا يذكر الله فيه ولا رسوله ولتمام الكلام وبركته ولوقور نور العبد على الصراط وللخروج من الجفاء ولإبقاء الشاء الحسن للمصلي عليه بين السماء والأرض وللبركة في ذات المصلي عمره وعمله وأسباب مصلحه ولنيل رحمة الله ولدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب لإحياء القلب وهدايته وسبب عرض اسم

المُصَلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم وسببُ لِتَثْبِيْتِ القَدَمِ على الصِّرَاطِ والجَوَازِ عليه ومُتَضَمِّنَةٌ لِذِكْرِ اللهِ وشُكْرِه ومَعْرِفَةِ إِنْعَامِ اللهِ على عِبِيدِهِ بِإِرسَالِهِ ولِإِدَاءِ قَلِيلٍ مِنْ حَقِّهِ . وهي دَعَاءٌ مِنْ العَبْدِ وَسؤالُهُ نَوْعَانِ :

أحدهما سؤال مَطَالِبِهِ وَمَا يَنْوِيهِ .

والثاني : سؤالُهُ أَنْ يُثْنِيَ على حَبِيبِهِ وِخَلِيلِهِ وَيَزِيدَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَكْرِيمِهِ وَرَفَعِهِ ذِكْرَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ يُحِبُّهُ فَالمُصَلِّي قَدْ صَرَفَ سُؤالَهُ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَأَثَرَ ذَلِكَ على طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَحَابِبِهِ هُوَ ، بَلْ كَانَ هَذَا المَطْلُوبُ مِنْ أَحَبِّ الأُمُورِ إِلَيْهِ وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ فَمَنْ أَثَرَ اللهُ على غَيْرِهِ آثَرَهُ اللهُ على غَيْرِهِ .

وَههنا نُكْتَةُ حَسَنَةٌ لِمَنْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ دِينَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَصَبَرَ على ذَلِكَ وَهِيَ : أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ الزَّائِدِ على أَجْرِ أُمَّتِهِ مِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ فَالِدَاعِي إلى سُنَّتِهِ وَدِينِهِ وَالمُعَلِّمُ الحَخيرَ لِلأُمَّةِ إِذَا قَصَدَ تَوْفِيرَ هَذَا الحِظِّ لِرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ وَكَانَ مَقْفُصُودُهُ بِدَعَاءِ الخَلْقِ إلى اللهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِإِرشادِ عِبَادِهِ وَتَوْفِيرَ أَجُورِ المُطِيعِينَ لَهُ على رِسولِهِ مَعَ تَوْفِيَّتِهِمْ أَجُورَهُمْ كَامِلَةً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ بِدَعْوَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ بِحَسَبِ هَذِهِ النِّيَّةِ وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

اللَّهُمَّ إِرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَارِنَا الباطِلَ باطلاً وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمُرٌ سَاعَةً مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلءِ السَّمَاءِ والأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةً

مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَهِيمَةِ
 وَجَوْهَرَةَ يَبْعَثُ بِأَبْحَسِ قِيمَةٍ
 وَسُحْطاً بِرِضْوَانٍ وَتَاراً بِجَنَّةِ
 فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
 فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
 وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
 تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا فِي الْحَدِيثَةِ
 فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
 يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ
 عَلَى غَيْرَةٍ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
 تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
 وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُحِبَّتٍ
 فَجَرَّبَهُ تَمْرِيناً بِحَرِّ الظُّهَيْرَةِ
 عَلَى نَهْشِ حَيَاتٍ هُنَاكَ عَظِيمَةٍ
 دَعَاكَ إِلَى اسْحَاطِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
 وَتُصْبِحُ فِي أَثْوَابِ نُسُكِ وَعِيفَةٍ
 عَلَى حَسْبِ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ
 بِمَا فِيكَ مِنْ جَهْلٍ وَحُبِّ طَوِيَّةِ
 صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ
 فَلِمَ لَا تُصَدِّقُ فِيهِمَا بِالسُّوِيَّةِ
 وَلَسْتَ تُرْجِي الرُّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
 وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْإِنَامِ بِجَنَّتِي
 وَتُهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
 وَلَا تُحْزِنُنَا وَانْظُرْ إِلَيْنَا بِرَحْمَةٍ

أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةِ
 فَبَادِرَةً بَيْنَ الْمَزَابِلِ الْقَيْثِ
 أَفَإِنْ يَبَاقِ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً
 أَلَيْتَ صَدِيقُ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
 وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
 لَقَدْ بَعَثَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً
 كَلَّفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرٍ عُرُورَهَا
 عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى
 تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا
 تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
 وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَةً
 فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مَعْرِضاً
 أَيُّهَا عَامِلُ النَّارِ جِسْمُكَ لَيْنٌ
 وَدَرَبُهُ فِي لَسَعِ الزَّنَابِيرِ تَجْتَرِي
 فَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى فَوَيْلَكَ مَا الَّذِي
 تُبَارِزُهُ بِالْمُنْكَرَاتِ عَشِيَّةً
 نَسِيءٌ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً
 فَأَنْتَ عَلَيْهِ أَجْرَى مِنْكَ عَلَى الْوَرَى
 تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
 وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ
 فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
 عَلَى أَنَّهُ بِالرُّزْقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ
 وَمَا زِلْتَ تَسْعَى بِالَّذِي قَدْ كُفِّتَهُ
 إِلَهِي أَجْرْنَا مِنْ عَظِيمِ ذُنُوبِنَا

وَأُخِذَ بِنَوَاصِيئِنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا
 إِلَهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَأُخِذْ بِنَا
 وَكُنْ شُعْلَانَا عَنْ كُلِّ شُعْلٍ وَهَمَّانَا
 وَصَلِّ صَلَاةً لَا تَنَاهِي عَلَى الَّذِي
 يَمِينًا يَمِينًا كُلُّ شَكِّ وَرَيْسَةٍ
 إِلَى الْحَقِّ نَهَجًا فِي سَوَاءِ الطَّرِيقَةِ
 وَبُعَيْتِنَا عَنْ كُلِّ هَمٍّ وَبُعَيْتِنَا
 جَعَلْتَ بِهِ مِسْكَاً خِتَامَ النَّبُوَّةِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسِنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينَ وَخُصَّنَا مِنْكَ
 بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا
 مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِثْ بِنَا عَدُوًّا
 وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ
 كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣١ كتاب الزكاة

ويبحث في :

- ١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة .
- ٢ - نصاب الزكاة .
- ٣ - مصارف الزكاة .
- ٤ - تعريف أهل الزكاة وبيان مقدار ما يعطاه كل صنف .

١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إِعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنْ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الزُّكُوفِيَّةِ زَكَاةً لِمَنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ
 وَرَتَّبَ الثَّوَابَ عَلَى أَدَائِهَا ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَنَعِهَا ، وَقَرَنَهَا بِالصَّلَاةِ فِي
 مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، تَعْظِيمًا لِشَانِهَا ، وَتَنْبِيْهُاً بِذِكْرِهَا ، وَحَثًّا عَلَى
 أَدَائِهَا لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ ، وَدَفْعِ النَّفْسِ إِلَى

الجُودِ ، والتَّصَدُّقِ والانْفَاقِ في مَراضِي اللّهِ تَعَالَى : لِتَحْصِيلِ النَّمَاءِ
والزِّيَادَةِ والبَرَكَةِ والفَلَاحِ والطَّهَارَةِ ، قال تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

فالزَّكَاةُ تُطَهِّرُ الْمُزَكِّيَّ مِنَ أَنْجَاسِ الذُّنُوبِ ، وَتُنَقِّيهِ مِنْ أَوْسَاجِهَا
وَتُزَكِّي أَخْلَاقَهُ بِالتَّحَلِّيِّ بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَتُمَرِّنُهُ عَلَى السَّخَاءِ الَّذِي يُجِبُهُ
كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَتُبَعِدُهُ عَنِ الشُّحِّ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَتُطَهِّرُ
الْقَلْبَ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَذْلِ الْيَسِيرِ . فَالْيَسِيرُ هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ بِذَلِكَ الْقَلِيلِ
مِنَ الْكَثِيرِ قال تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيُخْفِكُمْ
تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَانَكُمْ ﴾ وقال تَعَالَى ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ وقال
﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

فالشَّارِعُ الْحَكِيمُ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ أَوْجَبَ شَيْئاً يَسِيراً بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ
إِذَا اعْتَادَ الْإِنْسَانُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ طَبْعاً امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللّهِ
وَرَسُولِهِ اسْتِفَادَ حُبِّ خَالِقِهِ الَّذِي رَزَقَهُ آيَاهُ وَوَعَدَهُ أَنْ يَخْلِفَ عَلَيْهِ مَا
أَنْفَقَهُ . قال تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (مَا مِنْ يَوْمٍ يُضَيِّحُ الْعِبَادَ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا
اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقاً خَلِيفاً وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ اعْطِ مُمَسِكاً تَلَفاً) وَعنه أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قال تَعَالَى : ﴿ أَنْفِقْ يَا بَنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ ﴾ متفقٌ
عليه . واللّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الزَّكَاةَ هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ

وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ الْمَشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ » ذَكَرَ مِنْهَا
إِيْتَاءَ الزَّكَاةِ . وَتَجَبُّ الزَّكَاةِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ :

- ١ - بهيمة الأنعام وهي الأبل والبقر والغنم
- ٢ - الخارج من الأرض وما في معناه كالعسل الخارج من النحل .
- ٣ - عروض التجارة .
- ٤ - الأثمان .
- ٥ - الثمار .

ولا زكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصاباً، ولا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول، إلا في الخارج من الأرض لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وإلا إنتاج السائمة، وربح التجارة فإن حولهما حول أصلهما إن كان نصاباً، والا فابتداء الحول من حين كمل نصاباً .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَإِنْ كَانَ بِمَقْدَارِ مَا عِنْدَهُ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ عَشْرَةُ آلَافٍ فَأَصْبَحَ مَا يَمْلِكُ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عِشْرُونَ أَلْفاً وَعَلَيْهِ عَشْرَةُ زَكَاةٍ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِشْرُونَ وَعِنْدَهُ عَشْرَةٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَهُ الْأَخْذُ مِنَ الزَّكَاةِ لِأَنَّهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَلِأَنَّهُ غَارِمٌ .

وَيُضَمُّ الْمُسْتَفَادُ إِلَى نِصَابِ بِيَدِهِ مِنْ جَنْبِهِ ، أَوْ فِي حُكْمِهِ فِي وُجُوبِ الزَّكَاةِ لَا فِي الْحَوْلِ ، فَيُرَكَّبُ كُلُّ وَاحِدٍ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .
وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب بحسابه إلا في السائمة فلا زكاة في وقصها لما روى أبو عبيدة في غريبه : (وليس في الأوقاص صدقة) ، وقال : « الوقص ما بين الفرضين » .

أما عَرُوضُ التِّجَارَةِ ، فهو كُلُّ ما أُعِدَّ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ لِأَجْلِ الرَّبْحِ وَالتَّكْسِبِ مِنْ جَمِيعِ السُّلَعِ التِّجَارِيَّةِ : كالمُجَوَّهَرَاتِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَقْمِشَةِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ ، وَالثَّابِتَاتِ : كالعَقَارَاتِ مِنْ أَرْضٍ وَيُوبٍ وَنحوها ، إِذَا تَمَلَّكَهَا بِفِعْلِهِ بِنِيَّةِ التِّجَارَةِ وَبَلَغَتْ قِيَمَتُهَا نِصَاباً ، لِمَا وَرَدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَمَرَنَا أَنْ نُخْرِجَ الصَّدَقَةَ مِمَّا نُعِدُّهُ لِلْبَيْعِ » رواه أبو داود .

فَتَقْوَمُ العُرُوضُ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الحَوْلُ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ حِينِ بُلُوغِ القِيَمَةِ نِصَاباً بِالْأَحْضِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ ، وَيُخْرَجُ رُبْعُ عَشْرِ قِيَمَتِهَا . وَمَنْ اسْتَفَادَ مَالاً خَارِجاً عَنْ رِبْحِ التِّجَارَةِ كالأَجْرَةَ وَالرَّاتِبَ وَنحوهما ، فَانهُ يَتَّيَدِي حَوْلًا مِنْ حِينِ الاسْتِفَادَةِ إِنْ كَانَ نِصَاباً ، وَالْأَقْلُ مِنْ كَمَالِهِ وَيُزَكِّيهِ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .

وَأما الأَثْمَانُ ، وَهِيَ النُّقُودُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا مِنْ فُلُوسٍ أَوْ أَوْراقٍ نَقْدِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ حُلِيِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِذَا بَلَغَ نِصَاباً بِنَفْسِهِ ، أَوْ بِمَا يَضُمُّ إِلَيْهِ مِنْ جَنْبِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُعَدًّا لِلِاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلِإِعَارَةِ ، فَإِنَّهُ أُعِدَّ لِلِاسْتِعْمَالِ أَوْ لِلِإِعَارَةِ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ .

وَأَقْلُ نِصَابِ الذَّهَبِ عِشْرُونَ مِثْقَالاً ، وَفِيهَا نِصْفُ مِثْقَالٍ وَهُوَ رُبْعُ العُشْرِ ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - مَرْفُوعاً : « أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ مِثْقَالاً نِصْفَ مِثْقَالٍ » رواه ابنُ ماجه . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلٌ : وَالنِّصَابُ مِنَ الذَّهَبِ بِالْجَنْبِ السُّعُودِيِّ أَحَدَ عَشَرَ جُنَيْهًا وَنِصْفُ جُنَيْهِ تَقْرِيْبًا ، وَكَذَلِكَ بِالْجَنْبِ الْإِفْرَنْجِيِّ أَحَدَ عَشَرَ جُنَيْهًا وَنِصْفُ جُنَيْهِ تَقْرِيْبًا وَأَقْلُ نِصَابِ الفِضَّةِ مائَتَا دِرْهَمٍ ، وَبِالرِّيَّالِ العَرَبِيِّ

سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ رِيَالًا تَقْرِيْبًا ، وَبِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رِيَالًا تَقْرِيْبًا .
وَأَمَّا الْأُورَاقُ الْمَوْجُودَةُ فَإِذَا مَلَكَ مِنْهَا مَا يُقَابِلُ نِصَابًا مِنَ الْفِضَّةِ وَحَالَ
عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْهَا رُبْعَ الْعُشْرِ .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فِضَّةٌ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهَا مِنَ الْأُورَاقِ الْمَوْجُودَةِ
الْمُتَعَامِلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الْفِضَّةِ مِنَ الْأُورَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ الْمُقَابِلِ
لَهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَلْفُ رِيَالٍ مِنَ الْفِضَّةِ يُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ
الْأُورَاقِ أَخْرَجَ عَنِ الْفِضَّةِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ رِيَالًا هِيَ مُقَابِلُ زَكَاةِ الْآلِفِ مِنَ
الْفِضَّةِ وَهِيَ خَمْسُ وَعِشْرُونَ .

وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهُ مِنَ الْأُورَاقِ الْمُتَعَامِلِ
فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الذَّهَبِ مِنَ الْأُورَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ الْمُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا
إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ جُنْيَةٍ وَكَانَ الْجُنْيَةُ يُسَاوِي خَمْسِينَ رِيَالًا (٥٠) فَتَكُونُ
الْمِائَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ رِيَالٍ فَزَكَاتُهَا مِنَ الْأُورَاقِ مِائَةٌ وَخَمْسُ وَعِشْرُونَ
رِيَالًا هُوَ مُقَابِلُ زَكَاةِ مِائَةِ الْجُنْيَةِ وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفُ جُنْيَةٍ مِنَ زَكَاةِ الْمِائَةِ
وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفُ .

وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي مَالِ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ لِعُمُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ لَمَّا
بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُمَا وَلِيَّهُمَا فِي مَالِهِمَا
مِنْ مَالِهِمَا .

اللَّهُمَّ إلهمنا ذكركَ ووفقنا للقيام بحقك ، وخلصنا من حقوقِ خلقك ،
وبارك لنا في الحلالِ من رزقك ، ولا تفضحنا بين خلقك ، يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ
وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا
سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ

السَّمَوَاتِ نَسَأَلُكَ أَنْ تُؤَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ
مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣ - وأما زكاة الخارج من الأرض فتجب في كل مكيل مدخر من
الحب كالقمح والشعير والذرة ومن الثمر كالتمر والزبيب قال الله تعالى
﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من
الأرض ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء والعيون أو كان
عشراً العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر) رواه البخاري .

وإنما تجب فيه بشرطين الأول : أن يبلغ نصاباً وقدره بعد تصفية
الحب وجفاف الثمر خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً نبوياً فتكون خمسة
الأوسق (٣٠٠) ثلاثمائة صاع بالصاع النبوي وبالصاع الحالي مائتين
وثمانية وعشرين صاعاً ووزن الصاع النبوي بالريال الفرنسي ثمانون ريالاً
(٨٠) ووزن الصاع الحالي بالريال الفرنسي مائة وأربعة (١٠٤) فيكون
زائداً على الصاع النبوي بخمس وخمسة الخمس تقريباً .

والشرط الثاني : أن يكون مالكا للنصاب وقت وجوبها فوقت
الوجوب في الحب إذا اشتد وفي الثمر إذا بدا صلاحها لأنه حينئذ يقصد
للأكل والإقتيات به فأشبهه اليابس وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى يهود فيخرص عليهم النخل حين
يطيب قبل أن يؤكل منه . رواه أبو داود .

ويجب فيما سقي بلا مؤنة العشر وفيما سقي بكلفة نصف العشر

لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ مَرْفُوعاً فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالِيٍّ وَابْنُ دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْأَنْهَارُ وَالْعَيُونُ أَوْ كَانَ بَعْلًا الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّوَانِي وَالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ .

وَيَجِبُ اخْرَاجُ زَكَاةِ الْحَبِّ مُصَفًى مِنْ قَشْرِهِ وَالثَّمَرِ يَابِساً لِمَا وَرَدَ عَنْ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ يُخْرِصَ الْعَنْبُ زَبِيباً كَمَا يُخْرِصُ التَّمْرُ وَلَا يُسَمَّى زَبِيباً وَلَا تَمراً حَقِيقَةً إِلَّا الْيَابِسُ وَقِيَسَ الْبَاقِي عَلَيْهِمَا . وَلَا يَسْتَقَرُّ وَجُوبُهَا إِلَّا بِجَعْلِهَا فِي الْجَرِينِ أَوْ فِي الْبَيْدْرِ أَوْ فِي الْمِسْطَاحِ وَنَحْوِهِ .

فَإِنْ تَلَفَتِ الْحُبُوبُ وَالثَّمَارُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ قَبْلَ الْوَضْعِ بِالْجَرِينِ وَنَحْوِهِ بِغَيْرِ تَعَدٍّ مِنْهُ سَقَطَتْ خَرَصَتْ أَوْ لَمْ تُخْرِصْ وَإِنْ تَلَفَ الْبَعْضُ مِنَ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ قَبْلَ الْاسْتِقْرَارِ زَكَى الْبَاقِي إِنْ كَانَ نِصَاباً وَالْآخَرُ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ) .

وَلَا تَتَكَرَّرُ زَكَاةُ الْمُعَشْرِ إِذَا لَمْ يَقْضَ بِهِ التِّجَارَةُ فَإِنْ كَانَتْ مُعَدَّةً لِلتِّجَارَةِ كَالَّذِي يَشْتَرِي الْبُرَّ أَوْ الْأُرْزَ أَوْ الزَّيْتَ يَتَرَبَّصُ بِهِ أَوْ يَقَطِّعُهُ فَهَذِهِ تُعْتَبَرُ عَرُوضاً إِذَا كَانَتْ تَبْلُغُ نِصَاباً كُلَّمَا دَارَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ قَوْمَهَا بِالْأَنْفَعِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرَقٍ وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ بَعَثُ خَارِصٍ لِثَمَرِ النَّخْلِ وَالكَرْمِ إِذَا بَدَأَ صَلَاحُهَا . وَشُرْطُ كَوْنِهِ مُسْلِماً أَمِيناً خَبِيراً لِحَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى الْيَهُودِ يَخْرِصُ عَلَيْهِمُ النَّخِيلَ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وفي حديث عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَلَى النَّاسِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَيْهِمْ كُرُومَهُمْ وَثِمَارَهُمْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَرَصَ عَلَى امْرَأَةٍ بِوَادِي الْقُرَى حَدِيثًا لَهَا وَحَدِيثًا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ .

وَيَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ الْخَارِصُ لِرَبِّ الْمَالِ الثُّلْثَ أَوِ الرَّبْعَ فَيَجْتَهِدُ السَّاعِي بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَخْرَصْتُمْ فَخُذُوا وَدَعُوا الثُّلْثَ فَإِنْ لَمْ تَدْعُوا الثُّلْثَ فَدَعُوا الرَّبْعَ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(١٠) موعظة

أَيُّهَا الْغَافِلُ رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّرْ سِرِّكَ فَهَوَ عَلِيمٌ بِمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، إِلَى مَتَى تَمِيلُ مَعَ الزَّخَارِفِ وَإِلَى كَمْ تَرَعْبُ لِسَمَاعِ الْمَلَاهِي وَالْمَعَارِفِ وَالْمُحَرَّمَاتِ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ الْعَاكِفِ عَلَى عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهَارَهُ بِالصِّيَامِ لَا يَمِيلُ وَلَا يَتَوَانَى رَجَاءَ الْفَوْزِ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْتَ فِي غَمْرَةٍ هَوَاكَ مَفْتُونًا فِي الْأَنْهَمَاكِ بِدُنْيَاكَ وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ مَا بَدَدَ شَمْلَكَ وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَخْلَاثِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ خَلِيلُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا فَانْتَبِهْ مَا دَامَ جِسْمُكَ صَاحِحًا وَالْعَمَلُ مِنْكَ فِي إِمْكَانٍ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَأَمِنَّا مِنَ الْفَزَعِ وَالرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٣ - فصل في بيان مصارف الزكاة :

وَيُشْتَرَطُ لِإِحْرَاجِهَا نِيَّةٌ مِنْ مُكَلَّفٍ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى » ، فَيَنْوِي الزَّكَاةَ ، أَوِ الصَّدَقَةَ الرَّاجِبَةَ ، أَوْ صَدَقَةَ الْمَالِ .

وَيُسْنُ أَنْ يُفَرِّقَ زَكَاتَهُ عَلَى أَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا تَلْزَمُهُ مَوَؤُنَتُهُمْ لِمَا وَرَدَ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّجْمِ اثْنَتَانِ : صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارِمِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُخْرِجُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا ، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا . وَيَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِإِدَائِهَا ، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتُمُ الزَّكَاةَ فَلَا تَنْسُوا ثَوَابَهَا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَيَقُولُ الْآخِذُ وَهُوَ الْفَقِيرُ أَوِ الْمِسْكِينُ أَوْ أَحَدُ الْأَصْنَافِ آجَرَكَ اللَّهُ فِيمَا أُعْطِيتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُورًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ أَيِ ادْعُ لَهُمْ ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّى عَلَيْهِمْ . فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » .

وَاللَّمْزَكِيُّ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ وَإِلَى السَّاعِي ، وَيَبْرَأُ بِذَلِكَ ، وَلَا

يُجْزِي دَفْعَهَا إِلَى كَافِرٍ غَيْرِ مُؤَلَّفٍ ، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ .
 مُكْتَسِبٍ لَمَّا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ
 أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِيهِ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَلَّبَ فِيهِمَا
 الْبَصَرَ وَرَأَاهُمَا جَلْدَيْنِ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا وَلَا حَظَّ لِغَنِيِّ وَلَا
 لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ فَالْوَاجِبُ تَأْمُلُ حَالَ السَّائِلِ وَالتَّفَرُّسُ فِيهِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَدْعِي الْفَقْرَ وَهُوَ غَنِيٌّ .
 وَكَمْ مِنْ مُتَعَارِجٍ وَمَا بِهِ عَرَجٌ وَلَكِنْ لِأَمْرٍ مَا تَعَارَجُهُ .

وَكَمَّ مِنْ حَامِلٍ وَرَقَةٍ يَأْكُلُ بِهَا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا وَلَوْ بَرَقَتْ وَسَبَّرَتْ
 بِدَقَّةٍ لَوَجَدَتْ الْعَجَائِبَ ، لِأَنَّ الْوَازِعَ الدِّينِيَّ قَدْ ضَعُفَ جَدًّا وَاخْتَلَطَ
 الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ فَلَا يُمَيِّزُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْتَحِقَّ لِلزَّكَاةِ إِلَّا إِنْسَانٌ مُتَبَصِّرٌ بَعْدَ
 التَّأْمُلِ وَالبَحْثِ التَّامِ وَالحَرِيصُ عَلَى إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ وَايْصَالِ زَكَاتِهِ إِلَى
 الْمُسْتَحِقِّ لَهَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَجِدُ مَوْضِعَهَا تَمَامًا مِمَّنْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
 إِلْحَافًا الْمُحْتَاجِينَ الْمُخْتَفِينَ الْحَيِّينَ الْأَرَامِلَ ذَوِي الْعَوَائِلِ وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ سَائِلًا يَسْأَلُ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ عَشْرَ
 السَّائِلِ فَعَشَاهُ ثُمَّ سَمِعَهُ ثَانِيًا يَسْأَلُ فَقَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ عَشْرَ السَّائِلِ قَالَ قَدْ
 عَشَيْتُهُ فَنَظَرَ عُمَرُ لَهُ فَإِذَا تَحْتَ يَدِهِ مِخْلَاةٌ مَمْلُوءَةٌ خُبْرًا فَقَالَ لَسْتَ سَائِلًا
 لَكِنَّكَ تَاجِرٌ ثُمَّ أَخَذَ الْمِخْلَاةَ وَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَضْرَبَهُ بِالدَّرَّةِ
 وَقَالَ لَا تَعُدْ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ
 سَوِيٍّ » . رواه أحمدُ وأبو داود .

ولا يَدْفَعُ بِالزَّكَاةِ مَدْمَةً ، وَلَا يَقْبِي بِهَا مَالَهُ ، وَلَا يَسْتَعْدِمُ بِهَا ،
 وَيَلْزَمُ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُرِيدُ إِبْرَاءَ ذِمَّتِهِ صَحِيحًا أَنْ يُفْتِشَ عَلَى أَهْلِ الْعَوَائِدِ

وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ بِدِقَّةٍ مِمَّنْ يَعْرِفُ حَالَهُمْ مِنْ جِيرَانٍ وَأَقَارِبٍ حَتَّى يَتَأَكَّدَ هَلْ هُمْ
أَغْنِيَاءُ فَلَا يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ لِأَنَّ دَفْعَهَا لَهُمْ مَعَ الْغِنَى وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ فَلَا تَبْرَأَ
ذِمَّتُهُ وَتَبْقَى الزُّكَاةُ فِي ذِمَّتِهِ وَلَا يَحْمِلُهُ الْحَيَاءُ فَيُعْطِي صَاحِبَ الْغِنَى قَبْلَ أَنْ
يُنْحَثَ عَنْهُ هَلْ هُوَ عَلَى فَقْرِهِ .

لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ فِي وَقْتِنَا انْفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابُ الرِّزْقِ مِنْ أَوْلَادٍ أَوْ
بَنَاتٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ سُؤُونٍَ وَلَا يُبَالِي بِغَضَبٍ مَنْ مَنَعَهُ عَادَتُهُ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ
وَيَلْتَمِسُ رِضَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَسَوَاءٌ كَانُوا أَقْرَبَاءَ أَوْ غَيْرَ أَقْرَبَاءَ .

وَلَا يَجُوزُ صَرْفُ الزُّكَاةِ لِغَيْرِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي
الْآيَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ
عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا فِي بِنَاءِ الْمَدَارِسِ أَوْ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا وَقْفِ
مَصَاحِفَ ، وَلَا كُتُبِ عِلْمٍ . وَلَا تَكْفِينِ مَوْتَى ، وَلَا تَوْقِيفِ مَقَابِرَ وَلَا
غَيْرَهَا مِنْ جِهَاتِ الْخَيْرِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى الْحُكْمَ فِيهَا بِنَفْسِهِ ، فَقَدْ
وَرَدَ عَنْ زِيَادِ ابْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْتُهُ ، فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ :
اعْطِنِي مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنْ اللَّهُ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ ، حَتَّى حَكَّمَ
فِيهَا فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ اعْطَيْتُكَ » .

فَيَأْخُذُ الْفَقِيرُ وَهُوَ مَنْ لَا يَجِدُ شَيْئًا أَوْ بَعْضَ الْكِفَايَةِ مِنَ الزُّكَاةِ تَمَامَ
كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ سَنَةً لِأَنَّ وُجُوبَ الزُّكَاةِ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ الْحَوْلِ .

وَيَأْخُذُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ مَنْ يَجِدُ الْكِفَايَةَ أَوْ يَنْصَفُهَا تَمَامَ كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ سَنَةً لِأَنَّ وُجُوبَ الزَّكَاةِ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ الْحَوْلِ .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْعَامِلُ وَهُوَ كَجَابٍ وَحَافِظٍ . وَكَاتِبٍ وَقَاسِمٍ وَجَامِعِ الْمَوَاشِي وَعَدْدِهَا وَكَيْالٍ وَوِزَانٍ وَسَاعٍ وَرَاعٍ وَحَمَالٍ وَجَمَالٍ قَدَّرَ أَجْرَتَهُ وَأَنْ تَلَفَتْ فِي يَدِهِ بِلَا تَفْرِيطٍ مِنْهُ فَيُعْطَى أَجْرَتُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِأَنَّ لِلْإِمَامِ رِزْقُهُ عَلَى عَمَلِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْمُؤَلَّفُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ فِي عَشِيرَتِهِ مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّالِيفُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ .

٥ - وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الرِّقَابُ وَهُمْ الْمَكَاتِبُونَ وَفَاءَ ذَيْنِ الْكِتَابَةِ وَنَجُوزُ أَنْ يُفِيدِي مِنَ الزَّكَاةِ أَسِيرًا مُسْلِمًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ .

٦ - وَيُعْطَى الْغَارِمُ مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ مَنْ تَدَيَّنَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْتِهِ أَوْ تَحْمَلِ بِسَبَبِ اتِّلَافِ نَفْسِهِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَهْبًا أَوْ مَالًا لِتَسْكِينِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ وَيَتَوَقَّفُ صَلُحُهُمَا عَلَى مَنْ يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَوْ تَدَيَّنَ لِشِرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ كُفَّارٍ أَوْ لِنَفْسِهِ فِي مُبَاحٍ وَأَعْسَرَ وَفَاءَ ذَيْنِهِ كَمَكَاتِبٍ ، وَذَيْنِ اللَّهِ كَذَيْنِ الْأَدْمِيِّ .

٧ - وَيُعْطَى الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَحْتَاجُ لِعَزْوِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَإِقَامَةً فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ثَمَنِ سِلَاحٍ وَدِرْعٍ وَفَرَسٍ لِفَارِسٍ وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ ابْنُ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ بِغَيْرِ بَلَدِهِ مَا يُبَلِّغُهُ بَلَدَهُ أَوْ مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ سَفَرُهُ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١١) مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ وُجُودَ الْمَوْتِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ

فانه بِلِسَانِ الْحَالِ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا : سَأَنْزِلُ بِكَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَمَا تَرَى
النَّاسَ بِعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وَقَدْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَالجَاهِ وَالقُوَّةِ
وَالجَمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْمَرْكَزِ الدُّنْيَوِيِّ مَا يَدْهَشُ النَّاطِرِينَ لَهُ ،
وَقَدْ يَكُونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَطَالَ أَمَلُهُ حَتَّى مَلَّ وَمُلَّ مِنْهُ . وَبَيْنَ مَا هُوَ فِي
حَالٍ مِنَ النُّشَاطِ قَوِيٍّ مُشْدُودٍ أَسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضَيِّقُ بِهَا الدُّنْيَا ، قَدْ أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَزَهَتْ لَهُ ، إِذَا تَرَاهُ جُثَّةً هَامِدَةً أَشْبَهَ بِأَعْجَازِ
النُّخْلِ الخَاوِيَةِ لَا جِسَّ لَهُ وَلَا حَرَكَةَ وَلَا أَقْوَالَ وَلَا أفعالَ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى
مَنْ حَوْلَهُ وَإِذَا لَمْ يُسْرِعُوا بِهِ إِلَى الدَّفْنِ يَكُونُ جِنْفَةً مِنَ الجِنْفِ تُؤْذِي
رَائِحَتُهَا الكَرِيهَةَ كُلَّ مَنْ قَرَّبَ مِنْهَا ، هَذَا كُلُّهُ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ النُّشَاطِ
وَالقُوَّةِ لِأَنَّ هَادِمَ اللُّذَاتِ نَزَلَ بِهِ .

وَبَعْدَ نُزُولِهِ لَا تَسْأَلُ كَانَ لَهُ مَا كَانَ ، وَفِي الْحَالِ تُصْبِحُ زَوْجَتُهُ
أَرْمَلَةً وَيُصْبِحُ أَوْلَادُهُ أَيْتَامًا . وَفِي الْحَالِ تُقَسِّمُ أَمْوَالَهُ الَّتِي جَمَعَهَا وَقَاسَى
عَلَى جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأَنَّ المَوْتَ يُزِيلُ مُلْكَهُ وَيَنْقُلُهُ إِلَى مُلْكِ وَرَثَتِهِ نَقْلًا
تَعْجِزُ عَنْ نَقْضِهِ الأَيَّامُ ، نَعَمْ إِنَّهُ بِالمَوْتِ يَزُولُ مَالُهُ كُلُّهُ وَهِيَ أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ
مَالِيَّةٍ .

وَأَكْبَرُ مِنْهَا أَنَّهُ يُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ دَاخِلًا وَخَارِجًا مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ
وَبَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ يُنْسَى هُوَ وَيُنْسَى مَالُهُ وَيُنْسَى جَاهُهُ وَيُنْسَى مَرْكَزُهُ وَمَكَانَتُهُ
وَلَوْ كَانَ مَلِكًا أَوْ وَزِيرًا وَمَا كَانَ رَأَتْهُ العُيُونُ وَلَا سَمِعَتْ كَلِمَةَ الأَذَانِ ، كَمَا
شِعْرًا لِمَنْ يَا أَيُّهَا المَعْرُورُ تَحْوِي مِنْ المَالِ المَوْفِرِ وَالأَثَابِ
سَتَمُضِي غَيْرَ مَحْمُودٍ فَرِيدًا وَيَخْلُو بَعْلُ عَرْسِكَ بِالثَّرَاثِ
وَيَحْذُلُكَ الوَصِيُّ بِلَا وَفَاءٍ وَلَا اصْطِلَاحِ أَمْرِ ذِي التِّيَابِ
لَقَدْ وَفَّرْتَ وَزْرًا مَرًّا جِينًا يَسُدُّ عَلَيْكَ سَبِيلَ الأَنْبِعَاطِ
فَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ جِرْزٌ وَلَا وَزْرٌ وَمَا لَكَ مِنْ غِيَابِ

إن الناس يرون الموت كل يوم باعينهم في يسوتهم أو في
المستشفيات ، ويرون ماله من آثار ومع ذلك فإنهم بمجرد أن يموت
بينهم ميت يكون منهم مع موته هذا ما يدهش الأفكار فترى من أقاربه من
يتسابقون إلى البحث عما خلف وانتهاج ما اتصلت إليه أيديهم من
ماله ، وربما شبت بين ورثته الحروب من أجل أن يتميز كل واحد منهم
في التركة عن سواه وقد تشتد بهم تلك العداوة تعمل عملها ما بقيت
تلك .

يفعلون هذا كله عقب من يموت بدل أن يعتبروا ويتعظوا به
فيزهدهم هذا التفكير والاعتبار في ذلك المال الفاني الذاهب عن أيديهم
عن قريب كما ذهب عنه من وصل إليهم من طريقه لقد سبق أقوام كانوا
يؤمنون بالموت حق الإيمان فكانوا يقدرُونَ الدنيا حق التقدير كانوا
يعرفون أنها فانية وأنها غرارة خداعة وأنهم تاركوها يوماً رغم أنوفهم لا
رجوع بعده لقليل منها ولا كثير قرؤوا قوله تعالى : كل نفس ذائقة
الموت فاستعدوا وافرؤوا قوله تعالى : ما عندكم ينفذ وما عند الله باق
فكانوا إذا حصل لهم شيء من الدنيا صرفوا ذلك لما ينفعهم في الدار
الآخرة . وإذا سمعت أنهم كانوا يطلبون الدنيا فلما ذكرنا .

قال ابن مسعود لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء
رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرأي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن
الله لغني عن صاع هذا فنزلت الآية : ﴿الذين يلزمون المطوعين من
المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ،
سخر الله منهم ولهم عذاب أليم .﴾

ومن طريق آخر حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة

يَعْنِي فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي ثَمَانِيَّةُ آلَافٍ جِئْتُكَ بِبِضْفِهَا وَأَمْسَكْتُ بِبِضْفِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ وَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٍ أَقْرَضْتُهُ لِرَبِّي وَصَاعٍ لِغِيَالِي قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا أَعْطَى ابْنُ عَوْفٍ إِلَّا رِيَاءً وَقَالُوا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَيْنِ عَنْ صَاعٍ هَذَا وَهَكَذَا كَانَ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْعَلُونَ مَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا وَسِيلَةً إِلَى الآخِرَةِ .

شعرا: أَلَا إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَيْسَ يَفُوتُ فلا تُرْعَنَنَّ إِنَّ الْقَلِيلَ يَقُوتُ
رَضِيْتُ بِقِسْمِ اللَّهِ حَظًّا لِأَنَّهُ تَكْفَلُ رِزْقِي مَنْ لَهُ الْمَلَكُوتُ
سَأْتَعُ بِالْمَالِ الْقَلِيلَ لِأَنِّي رَأَيْتُ أَخَا الْمَالِ الْكَثِيرِ يَمُوتُ

آخر :

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالِ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ
وَإِحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي انْفَاقِهِ بَيْنَ مُصْلِحٍ
مَعِيشَتِهِ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِغْ
بِهِ الذُّخْرَ زَادًا لِتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَلِكَ الْفَتَى لَا جَامِعَ الْمَالِ ذَاخِرًا
لِأَوْلَادٍ سُوءِ حَيْثُ حَلُّوا وَأَوْضَعُوا

آخر: فَكَّرْتُ فِي الْمَالِ فِي جَمْعِهِ فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي
وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجِهِ الـ بَرًّا بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ
هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْرَى بِهِ يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانِ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

أَعَدَدَتْ لَهُمْ فَسَيَحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافَنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزَلُ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣٤ - فِيمَا وَرَدَ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى تَرْكِ الزُّكَاةِ :

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِمَّا تَجِبُ فِيهِ الزُّكَاةُ وَبَيَانَ نِصَابِ الزُّكَاةِ وَمُضْرَفِهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ الدَّافِعُ وَالْمَدْفُوعُ إِلَيْهِ . فَاعْلَمْ أَنَّهَا مَا خَالَطَتْ مَالًا إِلَّا أَفْسَدَتْهُ وَمَحَقَّتْ بَرَكَتَهُ وَأَيُّ خَيْرٍ وَنَفْعٍ فِي مَالٍ مَمْحُوقِ الْبَرَكَةِ بَاقِي شَرُّهُ وَفِتْنَتُهُ وَشُغْلُ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَإِنْعَابُهُمَا ؟

وَالْمَحْقُوقُ : مِنْهُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ ، وَهُوَ ذَهَابُ صُورَةِ الْمَالِ وَرُجُوعُهُ إِلَى الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ فَقِيرًا ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِخَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَتَسَاهِلِينَ بِأَمْرِ الزُّكَاةِ .

وَمِنَ الْمَحْقُوقِ : مَحْقُوقٌ بَاطِنٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي الصُّورَةِ مُوجُودًا وَكَثِيرًا وَلَكِنْ لَا يَنْتَفِعُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا فِي دِينِهِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ وَالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ وَبِذَلِكَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا يَنْتَفِعُ فِيهِ فِي نَفْسِهِ وَمَرُوءَتِهِ بِالسُّتْرِ وَالصِّيَانَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَضَرَّرُ بِهِ تَضَرُّرًا كَثِيرًا بِأَمْسَاكِهِ عَنْ حَقِّهِ وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ جِهَتِهِ إِمَّا بِإِنْفَاقِهِ بِالْمَعَاصِي وَالْعِبَادَاتِ بِاللَّهِ . وَإِمَّا فِي الشَّهَوَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ الَّتِي لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا حَاصِلَ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَعِ الزُّكَاةِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَشْدِيدَاتٌ هَائِلَةٌ وَتَهْدِيدَاتٌ

عظيمة ويُخشى على مانع الزكاة من سوء الخاتمة والتعرض لوعيد الله وغضبه والخروج من الدنيا على غير ملة الاسلام ومما جاء من الوعيد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ .

شعرا : فإن تجمع الآفات فالكفر شرها

وشر مع الكفر النفاق مع البخل

شعرا: ثلاث مهلكات لا محالة غوى نفس يعود إلى البطالة وشح لا يزال يطاغ دأبا وعجب ظاهر في كل حالة وقال تعالى : ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فنبئهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها - ومن حقها حلبها يوم وريها - إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع

فَرَقِرَ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا : تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ
بَأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَالْبَقْرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : « وَلَا صَاحِبُ بَقْرٍ وَلَا
غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطْحَ لَهَا بِقَاعٍ فَرَقِرَ لَا
يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا خَلْجَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا
وَتَطَوُّهُ بِأُظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ فَرَقِرَ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا ،
وَلَا صَاحِبِ بَقْرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ
وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ فَرَقِرَ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَوُّهُ بِأُظْلَافِهَا ، لَيْسَ فِيهَا جَمَاءٌ
وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا وَلَا صَاحِبٌ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
شُجَاعًا ، أَقْرَعَ يَتَّبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ قَرْمِنُهُ ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي
خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضِمُهَا
قَضْمَ الْفَحْلِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي
زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا مِنْ نَارٍ فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ .
اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ

مَنَا وَاجْعَلْنَا يَا مُوَلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَرَأَيْتَ أَنْ أَدَى الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَدَى زَكَاةَ مَالِهِ
فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شُرُّهُ » .

وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلَأٍ
مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشَنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ
ثُمَّ قَالَ : بَشَّرَ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ
عَلَى حَلْمَةِ نَذَى أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نَعْضِ كَتِفِهِ وَيُوضَعُ عَلَى نَعْضِ
كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ نَذِيهِ فَيَتْرَلُزُلُ .

ثُمَّ وُلِّي ، فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةِ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أُدْرِي
مَنْ هُوَ ، فَقُلْتُ : لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ ، قَالَ إِنَّهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئًا ، قَالَ لِي خَلِيلِي ، قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَبْصِرُ أَحَدًا ؟ قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ
وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ :
نَعَمْ ، قَالَ : مَا أُحِبُّ أَنْ لِي مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ ،
وَإِنْ هُوَ لَأَنْ لَا يَعْقِلُونَ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ ، لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلَا
اسْتَفْتِيَهُمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ ، أَنَّهُ قَالَ : « بَشَّرَ الْكَانِزِينَ بِكَيْ فِي ظُهُورِهِمْ
فَيَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، وَبِكَيْ مِنْ قَبْلِ أَفْئَانِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جِبَاهِهِمْ
قَالَ : ثُمَّ تَنَحَّى فَقَعَدَ ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا قَالُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ :

فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئاً
قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ قَالَ
خُذْهُ . فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةٌ فَإِذَا كَانَ ثَمناً لِدِينِكَ فَدَعُهُ .

وروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ، وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ لُزُوماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَ عُمَرُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ
وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ - أَوْ قَالَ الزَّكَاةُ - مَالاً إِلَّا أَفْسَدَتْهُ » .

وعن الحسن بن : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حَصِنُوا
أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَالَ الْبَلَاءِ
بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ » .

فَتَأْمَلْ يَا أُخِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ . .

وَانظُرْ كَيْفَ يُؤْتَى بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُجِبُهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ حُباً شَدِيداً
وَيُعْزُهُ الْعِزُّ الَّذِي يَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْ يُمَسِّكُهُ وَيَجْمَعُهُ وَيُوعِيهِ وَلَا يُفْرِطُ فِي
شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى مَا كَانَ مِنْهُ حَقّاً لِلْفُقَرَاءِ الْبُؤْسَاءِ الْمَسَاكِينِ يُؤْتَى بِهِ بِعَيْنِهِ
وَيُجْعَلُ صَفَائِحَ وَمَعَ أَنْ هَذِهِ الصَّفَائِحُ مِنْ نَارٍ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
لِتَشْتَدَّ حَرَارَاتُهَا وَتَزْدَادَ لِيَكُونَ الْمُهْمَا الْوَاقِعُ عَلَى بَدَنِ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِالْغَا
النِّهَايَةِ فِي الشِّدَّةِ حِينَ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ .

وَتَخْصِيصُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ الْمُعَذَّبَ

وهو مانع الزكاة اذا جاءه الفقير يسأله شيئاً من حقه عبس وجهه وعقد جبينه عبوساً وتعقيداً يدل على كراهته لهذا السؤال .

فإذا ألح الفقير عليه زاد في عبوسه أن يضن بمواجهة ذلك الفقير فينتقل من المواجهة إلى الانحراف عنه ويجعل جنبه في وجه المسكين السائل مبالغاً في إظهار الكراهية لسؤاله .

شعرا :

فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين فأشفعا
فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

فإذا ازداد الفقير واشتد في الطلب والإلحاح بالغ المسؤول في الغضب فانصرف عنه وولاه ظهره ماشياً من مكانه وتاركاً له هوي في هوات احتياجه بدون أي اكتراث فلما كان هذا حال تلك الأعضاء الثلاثة في الدنيا خصت في الآخرة بالكي بتلك الصفائح التي هي ماله وبذلك يعرف أنه يهان بالمال الذي كان يعزه في دنياه .

ولو كان يهينه بالدنيا بمفارقة ما كان يجب عليه منه لكان سبياً لإكرامه في ذلك اليوم الرهيب المفزع .

وانظر كيف تأتي نعمه إبله وبقرة وغنمه التي لم يؤد حق الله فيها أقوى ما كانت وأوفره فتطوه الإبل بأخفافها وتعصه بأنيابها الحادة وتطوه البقر والغنم باظلافها وتنطحه بقرونها السليمة ليكون النطح بها أوجع وآلم ولا تجيء بقرة ولا نعجة إلا ولها قرناها ليس بهما أي مانع يمنع من توجيههما إليه وطعن المانع بهما الطعن الأليم . وإنما كانت أقوى ما كانت ليكون وطؤها ونطحها وعصها بمنتهى القوة . وإذا كان مبطوحاً لها وهي تتردد عليه بالوطء كان أمكن لها في فعل ما تعذبه به وهذا العذاب لا يكون زمنه قليلاً ولكنه يدوم ما دام الموقف .

وَمَقْدَارُ الْمَوْقِفِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَنَوْعٌ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ خَاصٌّ
بِمَانِعِ الزَّكَاةِ وَهُوَ أَنْ يُوَضَعَ حَجَرٌ مُخَمَى عَلَيْهِ وَقَدْ زِيدَ فِي حَرَارَتِهِ فَأُحْمِيَ
عَلَيْهِ كَذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَلَا يَتَحَمَّلُ اللَّحْمُ شِدَّةَ حَرَارَتِهِ فَيَذُوبُ ذَوَابَانًا
فَيَدْخُلُ الْحَجَرُ الْجِسْمَ وَاللَّحْمُ يَذُوبُ أَمَامَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ
الَّتِي فِي طَرَفِ الْكِتْفِ .

ثُمَّ يُوَضَعُ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ وَقَدْ عَادَ الْجِسْمُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
فَيُفْعَلُ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ يَخْرُجُ مِنْ حَلْمَةٍ تَذِيهِ وَيَزِيدُ فِي الْأَلَمِ حَالَ التَّعْذِيبِ
أَنَّ الْحَجَرَ يَنْزَلُ لَا يَمُرُّ فِي الْبَدَنِ مُسْتَقِيمًا وَقَدْ نُفُوذِهِ .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ لَا يَكُونُ هَذَا
الْعَذَابُ كَافِيًا فَيَكُونُ سَبِيلُهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ
زُقُومٍ وَحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَضَرِيْعٍ وَوَيْلٍ وَغَسَلِينَ .

وَلَمَنْعِ الزَّكَاةِ شَكْلُ آخَرَ مِنَ الشُّؤْمِ الدُّنْيَوِيِّ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ كَمَا فِي
حَدِيثِ مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ أَيُّ مَالٍ يَضِيْعُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ سَبَبُ تَلْفِهِ تَرْكُ الزَّكَاةِ .
وَهِيَ عُقُوبَةٌ تَعَكِّسُ عَلَى الْمَانِعِ قَضْدَهُ ، إِذْ هُوَ يَقْصِدُ بِمَنْعِهِ لَهَا تَكْثِيرُ
الْمَالِ وَالْهَرُوبِ مِنْ نَقْصِهِ بِأَخْرَاجِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ مِنْهُ . وَلَوْ أَخْرَجَ الْقَدْرَ
الْوَاجِبَ وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، لَحَفِظَ مَالَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ
هُوَ ثَوَابُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكَانَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْمُعْطَى مَا
لَا يَنْسَاهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ .

أَمَّا الْعُقُوبَةُ الْآخَرُوتِيَّةُ فَالنَّارُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا
لَظَى نَزَاعَةٌ لِلشُّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ بِدِقَّةٍ وَتُقَوِّمَ مَا أَعْدَدْتَهُ لِلْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ وَأَنْ تُبْرِيَءَ ذِمَّتَكَ بِبَيِّنٍ ، بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّهَا إِذَا تَمَّ الْحَوْلُ ،
وَأَنْ لَا تُدْفَعَهَا إِلَّا لِمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا بَيِّنًا أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ
أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا .
شِعْرًا :

أَيَا جَامِعَ الْمَالِ الْكَثِيرِ بِجَهْلِهِ سَتَجِنِّي جَنَى الْخُسْرَانِ مِنْ حَيْثُ تَرْبِحُ
أَلَمْ تَنْظُرِ الطَّائِفِينَ مِنْ أَجْلِ رِيئِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ شِبْهِ الدَّنَائِيرِ يُذْبَحُ

آخِرُ: وَمَا الْمَالُ إِلَّا حَسْرَةٌ إِنْ تَرَكْتَهُ وَغَنَمٌ إِذَا قَدَّمْتَهُ مُتَعَجِّلٌ
آخِرُ: وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ كُفُورٍ عَصَى الرَّحْمَنِ وَاتَّبَعَ الْمَلَاهِي
تَرَاهُ دَائِمًا فِي جَمْعِ مَالٍ مَخَافَةَ فَقْرِهِ أَوْ لِلتَّبَاهِي
آخِرُ: وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْيَى وَفُورُهُ إِذَا لَمْ أَقْدَمْهُ لِيَوْمِ التَّقَابِنِ

وَاحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ التَّسْوِيفِ بِهَا أَوْ
سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُتَوَيَّةِ لِلتَّخْلُصِ مِنْ أَدَائِهَا أَوْ التَّحَايِلِ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا
فَكُلُّ حِيلَةٍ تُسْتَعْمَلُ لِتَضْيِيعِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ أَوْ تَبِيحِ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْجِيلِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي سَيَجَازِي
عَلَيْهَا أَشَدُّ الْجَزَاءِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

وَيَجُوزُ تَعْجِيلُ الزَّكَاةِ لِحَوْلَيْنِ فَأَقْلُ إِذَا كَمَلَ النِّصَابُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ
إِلَّا النَّسَائِي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ
عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْقُمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ

ورسوله وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد حَسَبَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ حَقٌّ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا ثُمَّ قَالَ يَا عُمَرُ أَمَا شَعِرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعْنَا قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدَمْنَا لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَن سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظُنَّا مِن غَفْلَاتِنَا وَاللَّهِمَّ نَا رُشِدُنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

* في بعض آداب الزكاة :

قال في منهاج القاصدين إعلم أن على مُريد الزكاة وظائفها :

الوظيفة الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء :
إبتلاء مدعي محبة الله تعالى ، باخراج محبوبه والتنزه عن صفة البخل .
المهلك ، وشكر نعمة المال .

الوظيفة الثانية : الأسرار باخراجها لقوله تعالى : ﴿ إن تبدؤا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها ، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾
وحديث السبعة وعد منهم رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه لكونه أبعد عن الرياء والسُمعة ، وفي الإظهار إذلال للفقير أيضاً ، فإن خاف أن يتهم بعدم الإخراج أعطى من لا يبالي من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية وأعطى غيره سراً .

الوظيفة الثالثة : أن لا يُفسدَها بالَمَنِ والأذى . وذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه مُحسِنًا إلى الفقير مُنعمًا عليه بالاعطاء ، رُبَّمَا حَصَلَ منه ذلك ، ولو حَقَّقَ النظرَ لَرَأَى الفقيرَ مُحسِنًا إليه ، بِقَبُولِ حَقِّ اللّهِ الَّذِي هُوَ طَهَّرَ له ، وإذا اسْتَحْضَرَ مَعَ ذلكَ أن إخراجَهُ لِلزَّكَاةِ شُكْرًا لِنِعْمَةِ المَالِ ، فلا يَبْقَى بَيْنَهُ وبينَ الفقيرِ مُعامَلَةٌ ، ولا يَنْبَغِي أن يَحْتَقِرَ الفقيرَ بِفَقْرِهِ لِأَنَّ الفَضْلَ لَيْسَ بِالمَالِ ولا النقصَ بعَدَمِهِ .

شِعْرًا: أَكْرِمْ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤَالِ فَإِنَّمَا
 آخِرُ: وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَحَشِّعًا
 آخِرُ: يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الكَسْبِ عَارٌ
 آخِرُ: إِذَا كَفَّفَكَ المَيْسُورُ والعَرِضُ وَافِرٌ
 آخِرُ: وَمَا هِيَ إِلَّا جَوْعَةٌ إِنْ سَدَدْتَهَا
 قَدْرُ الحَيَاةِ أَقَلُّ مِنْ أن تَسْأَلَا
 تَرْجُو الفَضَائِلَ عِنْدَ غَيْرِ اللّهِ
 فَقُلْتُ العَارُ فِي ذَلِّ السُّؤَالِ
 فَكُلِ الَّذِي فَوْقَ الكَفَافِ فَضُولُ
 فَكُلْ طَعَامًا بَيْنَ جَنبَيْكَ وَاحِدُ

الوظيفة الرابعة : أن يَسْتَصْغِرَ العَطِيَّةَ ، فَإِنَّ المُسْتَعْظِمَ لِلْفِعْلِ مُعْجَبٌ بِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : لَا يَتِمُّ المَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثٍ : بِتَصْغِيرِهِ وَتَعْجِيلِهِ وَسْتِرِهِ .

الوظيفة الخامسة : أن يَنْتَهِي مِنْ مَالِهِ أَحْلَهُ وَأجودَهُ وَأَحَبَّهُ إِلَيْهِ ، أما الجَلُّ فَإِنَّ اللّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَأَمَّا الأجودُ فَقَدْ قال اللّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أصابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْرٍ ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنفُسُ عِنْدِي مِنْهُ ، فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا عُمَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَبِيعُ أَصْلَهَا وَلَا يُورِثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا عُمَرُ فِي الفُقَرَاءِ وَذَوِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ .

والضئيف ، لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ ، وَفِي لَفْظٍ غَيْرِ مُتَأْتِلٍ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كان أبو طلحة - رضي الله عنه - أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله تعالى أنزل عليك ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب مالي إلي بئرحاء وأنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعتها يا رسول الله حيث أمرك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَخِ بَخِ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُلَاحِظَ فِي ذَلِكَ أَمْرَيْنِ :

أحدهما : حَقُّ اللَّهِ سبحانه وتعالى بالتعظيم له ، فإنه أحق من إختير له ، ولو أن الإنسان قدم إلى ضيفه طعاماً رديئاً لأوغر صدره .

والثاني : حَقُّ نَفْسِهِ فَإِنَّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَلْقَاهُ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَجْوَدَ لِنَفْسِهِ ، وَأَمَّا أَحَبُّهُ إِلَيْهِ ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا اشتد حبه لشيء من ماله قرَّبَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَرُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ الْجُحْفَةَ وَهُوَ شَاكٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَشْتَهِي حَيْثَانًا فَالْتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا حُونَثًا فَأَخَذَتْهُ امْرَأَتُهُ فَصَنَعَتْهُ ،

ثم قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ فَاتَى مَسْكِينٌ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - خُذْهُ ،
فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ عَنَيْتَنَا وَمَعَنَا زَادَ نُعْطِيهِ ، فَقَالَ : إِنْ عَبْدَ
اللَّهِ يُحِبُّهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ سَائِلًا وَقَفَ بِبَابِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ :
أَطْعِمُوهُ سُكْرًا ، فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكْرَ .

الوظيفة السادسة : أَنْ يَطْلُبَ لِصَدَقَتِهِ مَنْ تَزَكُو بِهِ ، وَهُمْ خُصُوصٌ
مِنْ عُمُومِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ ، وَلَهُمْ صِفَاتٌ :

الأولى : التَّقْوَى ، فَلْيُخَصَّ بِصَدَقَتِهِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ يَرُدُّ بِهَا هَمَّهُمْ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعِمُوا الْأَتَقِيَاءَ وَأَوْلُوا
مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ يَتَخَيَّرُ الْعُبَادَ
وَهُمْ سُجُودٌ فَيَأْتِيهِمْ بِالصُّرَّةِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَالدِّرَاهِمُ فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ
بَحَيْثُ يُحْسِنُونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُرْسِلَ
بِهَا إِلَيْهِمْ ؟ فَيَقُولُ أَكْرَهُ أَنْ يَتَمَعَّرَ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِي .

الصفة الثانية : الْعِلْمُ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْعَالِمِ إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرَ
الدين ، وَذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ .

الصفة الثالثة : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرَى الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَلَا يَلْتَفِتُ
إِلَى الْأَسْبَابِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا نُدِبَ إِلَيْهِ مِنْ شُكْرِهَا ، فَأَمَّا الَّذِي عَادَتُهُ الْمَدْحُ
عِنْدَ الْعَطَاءِ فَانَّهُ سَيَذُمُّ عِنْدَ الْمَنْعِ .

الصفة الرابعة : أَنْ يَكُونَ صَائِنًا لِفَقْرِهِ ، سَاتِرًا لِحَاجَتِهِ ، كَاتِمًا
لِلشُّكْرِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

شعرا: كَمْ فَاقَةَ مَسْتَوْرَةٍ بِمُرُورَةٍ وَضُرُورَةٍ قَدْ غُطِّيَتْ بِتَجْمُلِ
وَمِنْ ابْتِسَامٍ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجَّ قَدْ حَامَرْتُهُ لَوْعَةً مَا تَنْجَلِي

وَمِنْ آدَابِ الْمُزَكِّيِّ الَّتِي تَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا بِقَبُولِ الْفَقِيرِ الْمُسْتَحِقِّ لِرِزْقَاتِهِ ، وَلِيَحْذَرَ مَنْ أَنْ يَكُونَ كَارِهًا لِإِخْرَاجِهَا فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُصَلِّي وَلَكِنْ لَا يَأْتِيهَا إِلَّا وَهُوَ كَسِلَانٌ وَقَدْ يَزِيكِي وَلَكِنْ مَعَ الْكِرَاهَةِ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » فِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ تَشَبَهَ بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

اللَّهُمَّ تَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَتَّهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمَلَنَا ، وَتَلْمُ بِهَا شَعْنَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتُلْهِمُنَا بِهَا رُشْدَنَا ، وَتَعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ يَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ وَيَارَاحِمَ الْمُذْنِبِينَ ، وَمُقِيلَ عَثَرَاتِ الْعَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَارِ وَأَدِيمُوا شُكْرَهُ يَدِيمَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ وَيَزِدْهَا ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ . وَمِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ تَنْسُخُوا مِنَ الزَّكَاةِ بِإِخْرَاجِهَا كَامِلَةً إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفُوزُوا بِالْخَلْفِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَرَاعُوا عِنْدَ الْإِحْسَانِ الْأَدَبَ فَلَا تَمْنُوا عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحِيطٌ لِلْأَعْمَالِ وَاسْتُرُوا عَطَاءَكُمْ مُخْلِصِينَ مُتَّقِينَ أَنْ حَاجَتَكُمْ إِلَى الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَةِ الْفَقِيرِ إِلَى مَا تُخْرِجُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ إِحْسَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِكُمْ وَاعْصُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَى عَنِ

العَظْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخِيفُكُمْ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَصِيحَةَ الْعَدُوِّ مَهْلِكَةٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكًا تَلْفًا . رواه البخاري ومسلم .

اللَّهُمَّ اعصمنا عن المخالفة والعصيان وألهمنا ذكرك وشكرك يا كريم يا منان واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين

اللَّهُمَّ اعصمنا عن المخالفة والعصيان وألهمنا ذكرك وشكرك يا كريم يا منان واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين . اللَّهُمَّ انهج بنا مناهج المفلحين والبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووقفنا لقول الحق واتباعه وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيدا ولا تجعل لفاجر علينا يدا واجعل لنا عيشا رغدا ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا ، وارزقنا علما نافعا وعملا مقبلا ، وفهما ذكيا وطبعا صفييا وشفا من كل داء ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل): فِيمَنْ تَجِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ: إِعْلَمَ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ مِمَّا يَتَّعِينَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْهُ ، مَسْأَلَةَ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا وَلَا غِنَى لَهُ عَنْهَا ، وَذَلِكَ لِمَا وَرَدَ عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مَخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَءَ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَأَمْرٌ لَكَ بِهَا» ، ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَجِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَءَ فَخَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، أَوْ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّى مَالَهُ فَخَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٌ

أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ، مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ
 فَلَانًا فَاقَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ: سَدَادًا مِنْ
 عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سَحَتْ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا وَاللَّهِ
 أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَصْلٌ فِي التَّحْدِيرِ مِنْ أَخْذِ الصَّدَقَةِ لِمَكْنِ لَا تَحِلُّ لَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قَبْلِلِ
 أَوْ لَيْسَتْ كَثِيرًا » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ
 فِي وَجْهِهِ مَرْعَةٌ لَحْمٍ » .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: « لَا تُلْجِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ . فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا
 فَتُخْرِجُ لَهُ مَسْأَلَتَهُ مِنِّي شَيْئًا أَنَا كَارِهِ لَهُ، فَيُبَارِكُ لَهُ فِي مَا أُعْطِيَتْهُ » .

وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لِأَنَّ يَأْخُذَ أَحَدَكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ
 فَيَبِيغُهَا - يَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ: أَعْطُوهُ أَوْ
 مَنَعُوهُ » . فَالْعَاقِلُ يَعْمَلُ جِهْدَهُ وَلَا يَمِيلُ إِلَى الْكَسَلِ وَالْمَلَلِ وَحُبِّ الرَّاحَةِ
 وَقَدِيمًا قِيلَ:

إِنَّ التَّوَانِي زَوْجَ الْعَجْزِ بِنْتُهُ وَسَاقَ إِلَيْهَا حِينَ زَوْجَهَا مَهْرًا
 فِرَاشًا وَطِيئًا ثُمَّ قَالَ لَهَا إِتَكِينِي قُصَارَا كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدَا الْفَقْرَا
 آخِرُ: كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَدَمٍ جَمٌّ تَوَلَّدَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلِ

آخر: دَعِيَ نَفْسِي التَّكَاسُلَ وَالتَّوَانِ وَإِلَّا فَالْبِسْنِي ثَوَابَ الْهَوَانِ
فَلَمْ تَرَى لِلْكُسَالَى الْحَظَّ يَجْنِي ثَمَاراً غَيْرَ حِرْمَانِ الْأَمَانِي

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْمَسَائِلُ كدُوحٍ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ،
فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ ، إِلَّا أَنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا
سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدَّ .

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ : جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَمَسَأَلَتَهُ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ » ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يُغْنِيهِ ؟
قال : « خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ » .

ولأبي داودَ عن سهلِ بنِ الحَنْظَلِيَّةِ ، قيل : وما الغنى الذي لا
يُنْبَغِي معه المسألة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « قَدْرٌ مَا يُغْدِيهِ أَوْ
يُعْشِيهِ » .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأنصارِ أتى النبيَّ صلى
الله عليه وسلم يسأله ، فقال : « ما في بيتك شيءٌ . قال : بلى ، جِلْسٌ
نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، قال : اثْنَيْبِهِمَا ،
فأتاه بهما ، فأخذهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : مَنْ
يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قال رجلٌ :

أَنَا أَخْذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قال صلى الله عليه وسلم مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ
دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟ قال رجلٌ : أنا أَخْذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ! فَأَعْطَاهُمَا
إِيَّاهُ ، فَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا
فَاتْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ، فَأَتَى بِهِ فَشَدَّ فِيهِ صَلَّى
الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ ، وَبِعْ وَلَا أَرِيَنَّكَ

خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنْ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُقْطِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مَوْجِعٍ » .

شعرا :

يَا نَفْسُ جُدِّي تَذُوقِي لَذَّةَ الْعَمَلِ وَوَاطِئِي لَذَّةَ الْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ
فَكُلِّي ذِي عَمَلٍ بِالْخَيْرِ مُعْتَبِطٌ وَفِي بَلَاءٍ وَلُؤْمٍ كُلُّ ذِي كَسَلٍ
وَلِلتَّرْمِذِيِّ نَحْوُهُ عَنْ حَبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ، وَفِيهِ : « وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِي بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَرَضْفًا يَأْكُلُهُ فِي جَهَنَّمَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقِلِّلْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ » .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَتْ فَاقَةٌ بِهِ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرَزُقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » .

شعرا : لَمَّا افْتَقَرْتُ لِصَحْبِي مَا وَجَدْتُهُمْوَا بَجَأْتُ لِلَّهِ لَبَّانٍ وَأَعْنَانِي
وَاهَا عَلَى بَدَلٍ وَجْهِي لِلْوَرَى سَفَهَا وَلَوْ بَدَلْتُ إِلَى مَوْلَائِي وَالْإِنْسِي

آخر: وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَا كَيْفَهَا الْأَرْزَاقُ يَقْسِمُهَا رَبِّي
وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحَوَهَا .

شِعْرًا : صُنِ الْوَجْهَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَصْنُهُ بَقِيَتْ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلٌ
وَعِشْ حُرًّا وَلَا يَحْمِلْكَ ضُرٌّ عَلَى مَرْعَى لَهُ غِيبٌ وَيَنْبُلُ

فَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يُدِيلَ الْيُسْرَ مَوْلَاكَ الْجَلِيلُ
 وَعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « مَنْ يَتَكْفَلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلُ لَهُ الْجَنَّةَ ؟
 فَقُلْتُ : أَنَا ! فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ
 خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ
 نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ
 مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ
 بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بِعَدِّكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا » .

شِعْرًا: وَلَيْسَ بَزِينٍ لِأَمْرِيءٍ بِذُلٍّ وَجْهِهِ
 آخِر: إِنَّ الْغِنَى هُوَ الْغِنَى بِرَبِّهِ
 آخِر: وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً
 فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
 وَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ
 إِنْ الْعِبَادَ وَشَأْنُهُمْ وَأُمُورُهُمْ
 آخِر: أَيَا مَنْ لَا يَخِيبُ لَدَيْهِ رَاجٍ
 وَيَا ثِقْتِي عَلَى ظُلْمِي وَجُرْمِي
 أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَتَلَافِ أَمْرِي
 فَمَا لِي غَيْرَ إِقْرَارِي بِذَنْبِي

إِلَى غَيْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
 وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَنَاكِبِ حَافِي
 فَادْعُ الْإِلَهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فِعَالًا
 لَهْجًا تَضَعُّعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
 يَبْدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
 وَلَمْ يُبْرِئْهُ الْحَاحُ الْمُنَاجِي
 وَإِثَارِي التَّمَادِي فِي اللَّجَاجِ
 وَهَبْ لِي مِنْكَ عَفْوًا وَاقْضِ حَاجِ
 لِنَفْسِي دُونَ عُذْرِي وَاحْتِجَاجِ

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ قَانِعًا بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 فَلَا يَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إِلَى سَلْبِ حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ
 ظُلْمِهِمْ وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمِ جَسَامٍ فَإِنَّ الْقَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحْسِنُ

بِسْكِينَةٍ وَطُمَأَيْنَةً كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ كُلِّ الْخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتُ فِي الدُّنْيَا قَنُوعًا فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءً
آخِرُ : وَإِنَّ إِقْتِنَاعَ النَّفْسِ مِنْ أَحْسَنِ الْغِنَى كَمَا أَنَّ سُوءَ الْحِرْصِ مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْرِ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا رَاضِيَةً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيْهَا الْجَشَعُ
وَالطَّمَعُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ
أَحَدَهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبِأَقْبَحِ الصِّفَاتِ مَوْسُومٌ لَا تَعْرُضُ لَهُ الْقَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتْ
الدُّنْيَا بِإِسْرَافِهَا لَهُ . قَدْ مَلَأَ حُبُّهَا قَلْبَهُ وَغَمَّرَ مَحَبَّتُهَا وَالتَّفَانِي فِي طَلْبِ قَلْبِهِ وَصَارَ لَا
يَرْضَى مِنْهَا بِالْيَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ بِالْكَثِيرِ وَقَلَّمَا تَجِدُ مُتَّصِفًا بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ
مُتَشَتِّتُ الْفِكْرِ قَلِيلُ الرَّاحَةِ عِنْدَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْهَلَعِ وَضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الشَّيْءِ
الْكَثِيرِ الَّذِي يُحْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوءِ الْحَاتِمَةِ .

شِعْرًا : فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفْسِيَّةً فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَبْلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ حِظًّا وَقِسْمَةً فَقَلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لَتْرِكٍ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءِ يَبْخُلُ
آخِرُ : دَعِ الضَّرَاعَةَ لِلْمُحْتَاجِ مِثْلَكَ إِذْ
وَاضْرَعْ إِلَى سَيِّدِ تُغْنِي مَوَاهِبُهُ
وَكَيْفَ تَرْجُو سِوَى الْمَوْلَى وَأَنْتَ تَرَى
آخِرُ : فِإِطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
آخِرُ : أَرَى الْيَأْسَ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً
فَمَا فِي الْخَلَائِقِ طُرًّا غَيْرَ مُحْتَاجِ
عَنْ غَيْرِهِ وَهُوَ كَثُرَ الْقَاصِدِ الرَّاجِي
مَا فِي الْبَرِيَّةِ طُرًّا غَيْرَ مُحْتَاجِ
بَادِي الضَّرَاعَةِ طَالِبًا مِنْ طَالِبِ
تَمِيثُ بِهَا عُسْرًا وَتُحْيِي بِهَا يُسْرًا

أَمَّا الْقَانِعُ ذُو النَّفْسِ الْأَيِّبَةِ الرَّاضِيَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللَّهِ فَيَرْجَى لَهَا
أَنْ تَنَالَهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً ﴾ الْآيَةُ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ مَعَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا
حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُتَادِي فِيهِ مَلَكٌ مِنْ
تَحْتِ الْعَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ .

شِعْرًا: لَا تَجْزَعَنَّ لِعُسْرَةٍ مِنْ بَعْدِهَا يَسْرَانِ وَعَدُّ لَيْسَ فِيهِ خِلَافٌ
كَمْ عُسْرَةٌ ضَاقَ الْفَتَى بِنُزُولِهَا لِلَّهِ فِي أَعْقَابِهَا الطَّافُ
آخِر: كَمْ كَافِرٍ بِاللَّهِ أُمُوالُهُ تَزْدَادُ أَضْعَافًا عَلَى كُفْرِهِ
وَمُؤْمِنٌ لَيْسَ لَهُ دِرْهَمٌ يَزْدَادُ إِيمَانًا عَلَى فَقْرِهِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا يَمُدُّ رِجْلَيْهِ عَلَى قَدْرِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَطِيبُ الْعَيْشِ الْقَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ الْعَيْشِ الْجَشَعُ وَمِنْ
الْإِخْلَاقِ الدَّمِيمَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَخِيلًا بِمَا فِي يَدِهِ مُتَطَلِّعًا لِمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ الْحَرِصُ وَالْأَفْرَاطُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى اهْتِدَارِ
الْكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ فَالْحَذَرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْحَرِصِ عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا
رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ .

شِعْرًا: إِنْ رُمْتَ عِزًّا عَلَى فَقْرٍ تُكَابِدُ فَاسْتَعْنِ عَنِ مَالِ أَهْلِ الْبَدَخِ وَالْبَطْرِ
فَإِنَّمَا النَّفْسُ مَا لَمْ تَتَأَنَّ عَنْ طَمَعٍ فَرِيسَةٌ بَيْنَ ذُلِّ النَّفْسِ وَالظُّفْرِ
آخِر: أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَطِيئَةٌ رَاكِبٍ تَسِيرُ بِهِ فِي مَهْمَةٍ وَسَبَاسِبِ
فَأَمَّا إِلَى خَيْرٍ يَسُرُّ نَوَالُهُ وَأَمَّا إِلَى شَرٍّ وَسُوءٍ مَعَاطِبِ
فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ أَفْضَلُ مَقْصِدِ لَمَّا كُنْتُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ بَرَاغِبِ
مُلَازِمَةٌ خَيْرِ اعْتِقَادٍ مُنْزَهًا عَنِ النَّقْصِ وَالتَّشْبِيهِ رَبِّ الْمَوَاهِبِ
وَنَشْرُ عُلُومٍ لِلشَّرِيعَةِ نَاطِمًا عُقُودَ مَعَانِيهَا لِتَفْهِيمِ طَالِبِ
وَصَوْنِي نَفْسِي عَنِ مُزَاحِمَةِ عَلِيٍّ دَنِيَّ حُطَامٍ أَوْ عَلِيٍّ مَنَاصِبِ
فَفِي ذَاكَ عِزٌّ بِالْقُنُوعِ وَرَاحَةٌ مُعْجَلَةٌ مِنْ خَوْفِ ضِدِّ مُعَالِبِ
وَحَسْبُكَ فِي ذَا قَوْلٍ عَالِمٍ عَصْرِهِ مَقَالٌ مُحَقِّقٌ صَادِقٍ غَيْرِ كَاذِبِ
كَمَالُ الْفَتَى بِالْعِلْمِ لَا بِالْمَنَاصِبِ وَرُتْبَةٌ أَهْلِ الْعِلْمِ أَسْنَى الْمَرَاتِبِ

آخر: إذا ما حذرت الأمر فاجعل إزاءه رجوعاً إلى ربّ يقبلك المحاذراً
 ولا تحشأ أمراً أنت فيه مفوضٌ إلى الله غايات له ومصادراً
 وكن للذي يقضي به الله وحده وإن لم توافقه الأمانى شاكراً
 ولا تفخرن إلا بشوب صيانة إذا كنت يوماً بالفضيلة فآخراً
 وإني كفيلاً بالنجاة من الأذى لمن لم يبت يدعو سوى الله ناصراً

قال بعضهم في مناجاته لربه إلهي وسيدي ومولاي وعزتك وجلالك ما أردت
 بمعصيتك مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك جاهل، ولا بعقوبتكم
 مستخف، ولكن سؤلت لي نفسي، وغلبت علي شقوتي، واغتررت بسيرك
 المرخي علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بسفهي واسوأته من الوقوف بين يديك
 واخجلاه من العرض عليك، فكم أثوب وأعود، وأعاهد وأنقض العهود.

آخر: وإني امرؤ بالطبع الغني مطامعي وأزجر نفسي طابعاً لا تطبعاً

وعندي غنى نفسٍ وفضل قناعة
 ولست كمن إن ضاق ذرعاً تضرعاً
 وإن مد نحو الزاد قوم أكفها
 تأخرت بآعاً إن دنا القوم أصبعا
 ومذ كانت الدنيا لدى دينية
 تعرضت للإغراض عنها ترفعا
 وذاك لعلمي إنما الله رازق
 فمن غيره أرجو وأخشى وأجزعا
 فلا الضعف يقصي الرزق إن كان دانياً
 ولا الحول يذنيه إذا ما تجزعا
 فلا تبطرن إن نلت من دهرك الغنى
 وكن شامخاً بالأنف إن كنت مدقعا

فَقَدَّرَ الْفَتَى مَا حَازَهُ وَأَفَادَهُ
 مِنْ الْعِلْمِ لَا مَالَ حَوَاهُ وَجَمَعَا
 فَكُنْ عَالِمًا فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّمًا
 وَإِنْ فَاتَكَ الْقِسْمَانِ أَصْغِرْ لِتَسْمَعَا
 وَلَا تَكُ لِلْأَقْسَامِ مَا اسْتَطَعْتَ رَابِعًا
 فَتُدْرَأَ عَنْ وُزْرِ النِّجَاةِ وَتُدْفَعَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا
 لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَنَبَهْنَا لِأَغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
 تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَآكَنَّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
 تِسْعَةَ أَوْ ثِنَايَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : « أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ » وَكُنَّا حَدِيثِي
 عَهْدٍ بَبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ
 اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَلَّامٌ نُبَايِعُكَ ؟
 قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَتُطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَسْرَ كَلِمَةَ خَفِيَّةً ، وَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفْرِ
 يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

شعرا: مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ فَإِنَّ نَاصِرَهُ وَعَجْزُ وَتُحْذَلَانُ
 آخِر: مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ أَجَابَ كُلُّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمْ

آخر : فَحَسَنِ الْوَعْدَ بِالْإِنْجَازِ تُتْبِعُهُ إِذَا مَوَاعِيْدُ قَوْمٍ شَانَهَا الْخُلْفُ
إِنِّي لِأَكْرَمُ وَجْهِي أَنْ أُوجِّهَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ الْقَنَاعَةِ وَالْإِيْتَانُ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَانَةِ النَّكَدِ
رَضِيْتُ بِاللَّهِ فِي يَوْمِي وَفِي غَدِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

آخر: إِسْتَرْزِقِ اللَّهَ فَالْأَرْزَاقُ فِي يَدِهِ وَلَا تَمُدُّ إِلَى غَيْرِ الْإِلَهِ يَدَا
آخر: مَا شِقْوَةُ الْمَرْءِ فِي فَقْرٍ يَعِيشُ بِهِ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِاِكْتِسَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزَ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَبَنًا
فَأَعَجَبَهُ ، فَسَأَلَ الَّذِي سَقَاهُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ - قَدْ
سَمَّاهُ - فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ ، فَحَلَبُوا مِنَ الْبَانِهَا فَجَعَلْتُهُ فِي
سِقَائِي فَهُوَ هَذَا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فِي فَمِهِ فَاسْتَقَاءَ . أَي أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرِ مِنِّي ، فَقَالَ : خُذْهُ
فَتَمَوْلُهُ وَتَصَدِّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا
سَائِلٍ ، فَخُذْهُ ، وَمَالًا فَلَا تُتْبِعُهُ نَفْسَكَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ السَّاعِدِيِّ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا
فَرَعْتُ مِنْهَا وَأَدَيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعَمَالَةٍ . فَقُلْتُ أَنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ ، قَالَ :
خُذْ مَا أُعْطَيْتَ فَإِنِّي قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَعَمَلْنِي ، فَقُلْتُ : مِثْلَ قَوْلِكَ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصَدِّقْ » رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ : أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثَانِ الْأَخِيرَانِ عَلَى جُمَلِ جَامِعَةِ نَافِعَةٍ :

الأولى : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفُ اللَّهُ » فِيهَا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى انْصِرَافِهَا عَنِ التَّلَوُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِعْفَافِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا لَا يَلْسَانَ الْحَالِ وَلَا يَلْسَانَ الْمَقَالِ بَلْ يَكُونُ مُعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ .

شعرا : أَحْسَنُ الظَّنِّ بَرَبَ عَوْدِكَ حَسَنًا أَمْسَى وَسَوَى أَوْدِكَ
 إِنَّ رَبًّا يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ
 آخر : إِذَا مَا شِئْتَ طَيْبَ الْعَيْشِ فَانظُرْ إِلَى مَنْ بَاتَ أَسْوَأَ مِنْكَ حَالًا
 وَأَخْفَضَ رُتْبَةً وَأَقَلَّ قَدْرًا وَأَنْكَدَ عَيْشَةً وَأَقَلَّ مَالًا
 آخر : لَا تَسْأَلَنَّ إِلَى صَدِيقِ حَاجَةٍ فَيَحْوُلُ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحْوُلُ
 وَاسْتَعْنِ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّهُ مَا صَانَ عِرْضَكَ لَا يُقَالُ قَلِيلٌ
 مَنْ عَفَّ حَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخْوَكُ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ
 آخر : وَتَمَّتْ عِلْقَتُ بِهِ فَأَنْتَ تَقِيْلُ

نَصَحْتِكَ لَا تَأْتِي لِمَخْلُوقٍ سَائِلًا وَتَتْرُكُ بَابَ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ جَانِبًا
 وَفِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ : وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ

يَسْتَفْنِ يَغْنِيهِ اللَّهُ « الْحَثُّ عَلَى الْاِسْتِغْنَاءِ بِاللَّهِ وَالثَّقَّةُ بِهِ وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ .

وَالثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ » فَفِيهَا أَيْضاً الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا لِلَّهِ ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ فَلَا يَتَسَخَّطُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ . . . الخ » بَيَّانٌ أَنَّ الْغِنَى لَيْسَ بِسَعَةِ الثَّرْوَةِ وَوَفَرَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْمَتَاعِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، فَمَنْ اسْتَفْنَى بِمَا فِي يَدِهِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ تَشْرُفْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَمْ تَتَطَّلِعْ إِلَيْهِ فَهُوَ الْغِنَى الْجَدِيدُ يَلْقَبُ الْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ مُقْلًا ، إِذْ رِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَعِظْتُهُ وَزُهْدُهُ وَقِنَاعَتُهُ جَعَلَتْهُ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْغِنَى دُونَهَا بِطَبَقَاتِ أَهْلِ الثَّرَاءِ الَّذِينَ حُرْمُوا الزُّهَادَةَ وَالْقِنَاعَةَ وَالرِّضَا بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ، الَّذِينَ تَذَهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً إِذَا فَاتَتْهُمْ صَفْقَةٌ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ فُرْصَةٌ . بَلْ مَا جَاءَهُ رِضَا بِهِ وَقِنَعٌ بِخِلَافٍ مِنْ كَثْرِ مَالِهِ وَتَشَعَّبَتْ أَمْلاكُهُ وَصَارَ قَلْبُهُ مُوزَعًا بَيْنَ ضَيْعَتِهِ وَعِمَارَاتِهِ وَذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ وَأُورَاقِهِ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا جَمْعُ الْمَالِ فَهُوَ مَعْشُوقُهُ يَحْرِصُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحِرْصِ ، وَأَسْمَعُ إِلَى مَنْ يَصْرِفُ الْمُبَالَغَةَ فِي الْمَدْحِ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَيُنْسِي الْخَالِقَ .

مَنْ زَارَ بَابَكَ لَمْ تَبْرُحْ جَوَارِحُهُ تَرْوِي أَحَادِيثَ مَا أُوتِيَتْ مِنْ مَنْنِ
فَالْقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ وَالْكَفُّ عَنْ صِلَةِ وَالْعَيْنُ عَنْ قُرَّةٍ وَالسَّمْعُ عَنْ حَسَنِ
آخِرُ : وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ جَهَوْلِ عَصَى رَبِّ الْعِبَادِ مَدَى الْحَيَاةِ
يُضَيِّعُ عُمْرَهُ فِي جَمْعِ مَالٍ مَخَافَةَ فَقْرِهِ أَوْ لِلتَّبَاهِي

وَيَتَمَيَّزُ غَيْظًا إِذَا فَاتَهُ مِنْهُ الْقَلِيلُ وَبُودَهُ لَوْ ضَمَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ إِلَى مَا فِي يَدِهِ لَا يَتَلَذُّ بِمَا كَلَّ وَلَا بِمَشْرَبٍ وَلَا يَرْتَاحُ لِمَنَادِمَةِ جَلِيْسٍ لِاشْتِعَالِ قَلْبِهِ بِهِ فَهَذَا هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا الْمَحْرُومُ صِدْقًا وَصَدَقَ مَنْ قَالَ :

آخر: وذو حرصٍ تراه يلمُّ وفراً لوارثه ويدفع عن حمائه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواه
آخر: أصبحت الدنيا لنا عبرة والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها وما أرى منهم لها تاركاً
آخر:

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدْوَدَةِ الْقَرْ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالذِّي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ
آخر:

إِذَا زَادَكَ الْمَالُ إِفْتِقَارًا وَحَاجَةً إِلَى جَامِعِيهِ فَالثَّرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ
آخر:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالذِّي فَعَلَ الْفَقْرُ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَأَعِصْمْنَا مِنَ الْحِرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلْبِهِ وَمَنْ
شَغَلَ الْقَلْبَ وَتَعَلَّقَ الِهْمَّ بِهِ ، وَمَنْ الدَّلَّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمَنْ التَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ
فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمَنْ الشُّحَّ وَالْحِرْصَ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادِ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ الْحَيِّ
الْقَيُّومِ الَّذِي لَا يَنَامُ وَأَوْصِيكُمْ فِي مُعَامَلَتِهِ بِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَاهُ فِي الْأَقْدَامِ
وَالْأَحْجَامِ وَالْفَرْعِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الشَّدَائِدِ وَاشْتِبَاهِ الْأَحْكَامِ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ
فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي النُّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيهَا لَدَيْهِ فَبِيَدَيْهِ

الْحَيِّرُ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ، وَمَقَابِلَةَ قَضَائِهِ بِحَقِيقَةِ الرِّضَى وَالِاسْتِسْلَامِ ، أَمَا شَرَفِكُمْ وَفَضْلَكُمْ بِجَزِيلِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، أَمَا أَوْضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا بَعَثَ إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ لِتَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ، أَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَوَدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، أَمَا دَعَاكُمْ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِصَامِ ، أَمَا حَثَّكُمْ إِلَى الْعَمَلِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا حَذَّرَكُمْ عَوَاقِبَ مَعَاصِيهِ وَنَهَاكُمْ عَنِ الْإِثَامِ ، أَمَا أَنْذَرَكُمْ هَوْلَ يَوْمٍ أَطْوَلَ الْأَيَّامِ ، الْيَوْمَ الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْوُلْدَانَ ، وَتَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ ، وَتَنْكَدِرُ فِيهِ النُّجُومُ ، وَتَنْظَهُرُ فِيهِ أُمُورٌ عِظَامٌ ، أَمَا خَوَّفَكُمْ مَوَارِدَ الْحِمَامِ ، أَمَا ذَكَرَكُمْ مَصَارِعَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْإِنَامِ ، أَمَا أَمَدَّكُمْ بِالْأَبْصَارِ وَالِاسْتِمَاعِ وَصِحَّحَةَ الْأَجْسَامِ ، أَمَا وَعَدَّكُمْ بِقَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ رَحْمَةً مِنْهُ جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، فَوَاللَّهِ لَحَقَّ لِهَذَا الرَّبِّ الْعَظِيمِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى عَلَى الدَّوَامِ ، فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوخُ بَادِرُوا فَمَا لِلزَّرْعِ إِذَا أَحْصَدَ الْأَصْرَامُ ، وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جُدُّوا فِي الْعَمَلِ فَرُبَّ أَمْرٍ مَا بَلَغَ التَّمَامَ ، وَاحْذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، يَوْمَ مَا أَطْوَلَ الْوُقُوفَ فِيهِ وَأَثْقَلَهُ عَلَى كُلِّ مُجْرِمٍ جَبَارٍ يَوْمَ الْمُنَاقَشَةِ فِيهِ عَنِ الْفَيْتِيلِ وَالنَّبِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَصَغَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْكَبَائِرِ ، فَتَاهَبُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَاسْتَعِدُّوا لَهُ أُنْتُمْ اسْتَعِدَادًا .

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا وَاصِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ ، وَهَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

لَكَ الْحَمْدُ وَالنُّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَّجْدًا

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنُ
لِعِزَّتِهِ تَعَنُّوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدُرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تَنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكُهُ
وَإِنْ لَمْ تَقْرُدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
مَلِيكَ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنِ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
إِمَاءٌ لَهُ طَوْعاً جَمِيعاً وَأَعْبُدُ
وَأَنْتَ يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
يُمَيِّتُ وَيُحْيِي دَائِباً لَيْسَ يَهْمِدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَا
وَإِذَا هِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تُصَعَّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
وَسَبَّحَهُ النَّيْنَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِراً
وَمَا ظَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقَلِّدُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
إِلَى أَيِّ جَنِّ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُمِيطُ عَنِ الْهُدَى
وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا مُفَنِّدُ
وَحَالَاتُ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا

فَبَيْنَ الْفَتَى فِيهَا مَهَيْبٌ مُسَوِّدٌ
إِذْ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا
وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوسِّدُ
وَفَارَقَ رُوحاً كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
وَجَاوَزَ مَوْتِي مَا لَهُمْ مُتَرَدِّدُ
فَأَيُّ فَتَى قَبْلِي رَأَيْتَ مُخَلِّدًا
لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ
فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا
بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ
أَلَسْتَ تَرَى فِيمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً
فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَى يُلْدُدُ
فَكُنْ خَائِضًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَهُ
وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهَ الْيَوْمُ أَوْ غَدُ
فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا
وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَ أُمَّتِهَا الْبُعْدَ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ
بِالنَّوَالِ وَحَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ
جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا .

٢ - أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِيلٍ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفِي الْحَرَمَيْنِ .

٤ - الْأَوْلَوِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا :

تُسَنُّ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . الْآيَةُ ﴾ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كِتْفُهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ .

ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَهُ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَهَذَا الْكَلَامُ الْبَلِيغُ دَعْوَةٌ إِلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ وَالتَّسَابُقِ فِي افْتِتَاحِ مَشْرُوعَاتِهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ . فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ .

وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ تُطْفِئُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

وَعَنْ مِرْتَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُولُ : « إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَصَدَقَةُ السَّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ

فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا .

وَفِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَكُنَّا فِي صُفَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَنَاهُ مَلَكَ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَجَاءَ بِهِ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلَكَ الْمَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ فَجَاءَهُ وَضَوْؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَدَ الشَّيَاطِينُ عَنْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهِبُ وَفِي رِوَايَةٍ يَلْهَثُ عَطَشًا كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطَرِدَ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرْوَاهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا جَلْقًا جَلْقًا كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلْقَةِ طَرِدَ فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا فَجَاءَهُ حُجَّةُ وَعُمْرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بَوَاجِهِ وَهَجَ النَّارِ وَشَرَّرَهُ فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَصَارَتْ سُرَّةَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ النَّارِ

وَوَضَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يُكَلِّمُونَهُ
فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَجْمِهِ فَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرَجْمِهِ
فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ
اِحْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ
أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ
وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى
اللَّهِ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ
خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ
أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا
عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ فِي اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ
وَمَضَى .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَهْوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمْعَتُهُ الَّتِي بَكَى
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصَّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ
فِي رِيحٍ عَاصِفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى ،
وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا
فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةُ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو
مُوسَى الْمَدِينِيُّ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَجِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يُعْظَمُ شَأْنُ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَلَّغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
شَوَاهِدُ الصَّحِيحَةِ عَلَيْهِ انْتَهَى .

وَبِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِهِ هُنَا قَوْلُهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ
 وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ : قَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِي تَمْثِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لِلصَّدَقَةِ بِمَنْ قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عَنْقُهُ فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِمَالِهِ كِفَايَةً فَإِنَّ
 الصَّدَقَةَ تُفْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي
 هَلَاكَهُ فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تُفْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَتَفُكُّهُ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ : « يَا
 مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وَكَأَنَّهُ
 حَضَهُنَّ وَرَغَبَهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِيَنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَبِالْقَدْرِ
 خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا
 مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ ، وَالسِّنِّتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ ، وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ ، وَأَمْنَا مِنْ سَطْوَتِكَ
 وَمَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ
 عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رُوعَاتِنَا ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا
 وَمِنْ فَوْقِنَا ، وَتَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : وَصَدَقَةُ التَّطَوُّعِ بِطَيِّبِ نَفْسِي أَفْضَلُ مِنْهَا بِدُونِهِ لِمَا فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ
 الْغَاضِرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ : مَنْ
 عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
 وَالصَّدَقَةُ فِي الصَّحَّةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ
 صَحِيحٌ شَجِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْغِنَى ، وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ
 الْحُلُقُومُ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُسَابِقُ فِي مَيْدَانِ الْخَيْرَاتِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالْإِحْسَانِ لِإِخْوَانِهِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَنَاخَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَعَضُّهُمْ الْبُؤْسُ بِنَابِهِ
وَأَوْجَعَهُمْ بِكَلَابِهِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ الَّذِينَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ
لظننتهم من الأغنياء وأهل الثروة والمال والله أعلم بما يقاسونه من
الدُّيُونِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ وَمَا يُقَاسُونَ مِنَ أَلَمِ الْجُوعِ
وَالْفَقْرِ وَالشَّدَةِ وَالْعُسْرِ لَكِنْ يَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ
لِلسُّوَالِ وَأَنْ يَطْلُبُوا الرِّزْقَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى الرَّزَاقِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ
الَّذِينَ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِمْ وَالْبَحْثُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ جِرَانِهِمْ
وَأَقْرَبَائِهِمْ حَتَّى تَقَعَ الصَّدَقَةُ مَوْقِعَهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُهُمْ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَأَوْصَى بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي
يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ
الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ
فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

وَلَمَّا كَانَ الصُّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ حَرِيصِينَ جِدًّا عَلَى
مَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ سَأَلَ أَحَدُهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « أَنْ تَصَدَّقَ
وَأَنْتَ صَحِيحٌ » أَيِ الْجِسْمِ مُعَافَاً فِي الْبَدَنِ تَتَمَتَّعُ بِقَوَاكِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْجِسْمِيَّةِ
شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْغِنَى أَيِ تَطْمَعُ فِيهِ لِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْمَكَايِبِ
وَالْأَرْبَاحِ وَتَخْشَى الْفَقْرَ » وَإِنَّمَا كَانَتْ الصَّدَقَةُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَفْضَلُ لِمَا
تَسْتَدْعِيهِ مِنْ شِدَّةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَالِ مَعَ قِيَامِ الْمَانِعِ
وَهُوَ الشُّحُّ فَأَخْرَاجُهُ جَبْنٌ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ

وَصِحَّةِ الْقَصْدِ وَشِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِيمَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ
 الْحُلُقُومَ « أَي بَلَغْتَ الرُّوحَ مَجْرَى النَّفْسِ وَذَلِكَ عِنْدَ الْغُرْغُرَةِ » قُلْتَ لِفُلَانٍ
 كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا « وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْمُوصِي وَالْمُوصَى لَهُ فَالْحَدِيثُ يُرْشِدُنَا
 إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤَخَّرَ الصَّدَقَةَ إِلَى وَقْتِ مُعَايِنَةِ الْمَوْتِ وَالْإِيذَانِ
 بِالْإِنْصِرَافِ عَنِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَةِ نَعِيمِهَا وَقَدْ نَبَّهَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى هَذَا
 حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
 فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ
 يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

شَعْرًا: فَعَقَّبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ
 وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ
 وَفِي مَنْ لَمْ تُؤْهِلْهُمْ بِفَلْسٍ وَفِي مَنْ لَمْ تُؤْهِلْهُمْ بِفَلْسٍ
 وَتَسَانَا الْأَحْبَةَ بَعْدَ عَشْرِ وَقِيمَةَ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
 كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ بُوْدٌ وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَاتِ
 وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حُلٌّ مُوَاتِ

آخر: وَمَا طَرَبْتُ لِمَشْرُوبٍ أَلَذُّ بِهِ وَلَا لِعِشْقِ ظَبَاءِ الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ
 لَكِنْ طَرَبْتُ إِلَى وَقْتِ أَنْأَلُ بِهِ غِنَى فَأَبْدُلُهُ فِي طَاعَةِ الصَّمَدِ

آخر: وَمَا ضَرَّنِي إِثْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا كَانَ وَقْتِي فِي رِضَا خَالِقِي يَجْرِي

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَتَوَّرِ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ،
 اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهَمْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنًا مِنْ
 سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ، اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
 الْمُخْلِصِينَ وَأَمْنًا يَوْمَ الْفَرَزِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُقِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فَضْلٌ)

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا مَالُهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَقْنَى ، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَقْنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِنَاسٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٢ - وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مِقْلِ :

وَكَانَ السَّلْفُ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَقْدُمُونَ الْمَحَاوِجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ وَيَبْدُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ اِحْتِيَاجِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وَبَيَّنَتْ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ » وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُجِبُونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ وَهَؤُلَاءِ آثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خَصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ ، وَمَنْ هَذَا الْمَقَامِ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْتُ لِأَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَهَكَذَا الْمَاءُ الَّذِي عُرِضَ عَلَى عِكْرَمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَكُلُّ مَنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى

صَاحِبِهِ وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أُخْرِجَ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ فَرَدَّ الْآخِرُ إِلَى الثَّالِثِ
فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْحَرَمَيْنِ :

وَالصَّدَقَةُ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ -
وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ
رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ
جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » .

وَلِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي رَمَضَانَ إِعَانَةٌ عَلَى أَدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ ، وَفِي
أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ .

وَالصَّدَقَةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَاضِلٌ كَالْعَشْرِ ، أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا
لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ
إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ
بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » .

وَالصَّدَقَةُ فِي الْحَرَمَيْنِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمَا لِتَضَاعُفِ الْحَسَنَاتِ
بِالْإِمْكِنَةِ الْفَاضِلَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي
مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » . وَزَادَ فِي

رَوَايَةٌ: «فَإِنِّي خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ مَسْجِدِي خَيْرُ الْمَسَاجِدِ». وَزَادَ: «صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» ٤ - الْأَوْلِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَالْجَارِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ:

وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّجْمِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِهِ لَا سِيْمَا مَعَ عَدَاوَةٍ، أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهَا فِي الْقَرَابَةِ فَلِحَدِيثِ سَلْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّجْمِ بُتَانٍ: صَدَقَةٌ، وَصَلَةٌ».

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ:

«وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى التَّأَكُّدِ مَعَ الْعَدَاوَةِ فَلِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِخُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنْ رَجُلًا سَأَلَ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟ قَالَ :
« عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِحِ » .

ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَى الْجَارِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى
وَالْجَارِ الْجُنْبِ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيئِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ
سَيُورَّثُهُ » .

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْصَّ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ، وَكَوْنُهَا عَلَى عَالِمٍ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِ
إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرِ الدِّينِ وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَوْنُهَا عَلَى صَاحِبِ
دِينٍ أَفْضَلُ ، وَكَذَا عَلَى ذِي عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَالْمَنْ بِالصَّدَقَةِ كَبِيرَةٌ ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ .

وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ ، أَوْ وَكَّلَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ لَا
يَتَصَدَّقَ بِهِ اسْتَحَبُّ أَنْ يُمَضِّيه ، وَلَا يَجِبُ ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخْرَجَ طَعَامًا لِسَائِلٍ فَلَمْ
يَجِدْهُ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخَرُ . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَيَتَصَدَّقُ بِالْجَيِّدِ وَلَا يَقْصِدُ
الْخَيْثُ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾

وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقْبِلِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
مَرْفُوعاً « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ
جُهْدُ الْمُقْبِلِ » .

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ
آخِرُ : إِنِّي لِأَعْسِرُ أَحْيَاناً فَيُدْرِكُنِي بُشْرَى مِنَ اللَّهِ إِنَّ الْعُسْرَ قَدْ زَالَ
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سَنَةِ ثَبَتَتْ أَنْفِقْ وَلَا تَحْشَ مَنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً

مَوْعِظَةٌ اخْوَانِي إِنَّكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ
وَالطَّرِيقُ كَثِيرَةٌ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَذَارَكُوا
هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخَلَوَاتِ ،
وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ،
وَاسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِي بِكُمْ مُنَادِ
الشُّنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْإِنِينُ
وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ
مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الْقُصُورِ إِلَى بُطُونِ
الْفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ
تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

أَيَا لَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَرِيحاً عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
تَأْمَلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَا تَمَّ وَأَنْتَبَهُ
فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يُرْكَبُ
وَتَرْكِيئُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِنْ تَفَتَّ

فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَيِّتَةِ مَطْلَبُ
 فَيَا عَجَباً مِنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِهِ
 وَعَنْ حَظِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
 وَلَوْ عَلِمَ الْمَحْرُومُ أَيُّ بِضَاعَةٍ
 أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
 فَإِنْ كَانَ لَا يَذْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
 وَإِنْ كَانَ يَذْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَضْعَبُ
 بَلَى سَوْفَ يَذْرِي حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
 وَيُضْبِحُ مَسْلُوباً يَنْسُوحُ وَيَنْدِبُ
 وَتَعْجَبُ مِمَّنْ بَاعَ شَيْئاً بِدُونِ مَا
 يُسَاوِي بِلَا عِلْمٍ وَأَمْرُكَ أُعْجَبُ
 لِأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا
 بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيَذْهَبُ
 فَهَلَّا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِماً
 وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ وَالْحُكْمَ يَغْلِبُ
 تَصُدُّ وَتَنَأَى عَنْ حَبِيبِكَ دَائِماً
 فَأَيْنَ عَنِ الْأَحْبَابِ وَيَحْكُ تَذْهَبُ
 سَتَعْلَمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيُّ تِجَارَةٍ
 أَضَعْتَ إِذَا تِلْكَ الْمَوَازِينُ تُنْضَبُ

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
 الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَنْخَلُ

والحليم الذي لا يتعجل لا راد لا مترك ولا معقب لحكمك نسألك أن تغفر
دونوبنا وتثور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتُسكننا دار كرامتك إنك على
كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

«فصل»: في ذكر طرف من الفوائد المترتبة على أداء الزكاة

وبذل صدقة التطوع والمضار المترتبة على منع الزكاة :-

أولاً : ١ - امتثال أمر الله ورَسُولِهِ .

٢ - تقديم ما يوجب الله على محبة المال .

٣ - أن الصدقة برهان على إيمان صاحبها كما في الحديث
والصدقة برهان .

٤ - شكر نعمة الله المتفضل على المخرج بما أعطاه من
المال .

٥ - السلامة من وبال المال في الآخرة .

٦ - تنمية الأخلاق الحسنة والأعمال الفاضلة الصالحة .

٧ - التطهير من دنس الذنوب والأخلاق الرذيلة قال الله تعالى :
﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ﴾ .

٨ - إضعاف مادة الحسد والحقد والبغض أو قطعها كلياً .

٩ - تحصين المال وحفظه لحديث حصنوا أموالكم بالزكاة .

١٠ - أن الصدقة دواء من الأمراض لحديث « داووا مرضاكم
بالصدقة » .

١١ - الْأَتْصَافِ بِأَوْصَافِ الْكِرْمَاءِ .

١٢ - إِنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ الْبَلَاءِ .

١٣ - التَّمَرُّنِ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ .

١٤ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِحَدِيثِ « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا » .

١٥ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِحُلْبِ الْمَوَدَّةِ لِأَنَّهَا أَحْسَانٌ ، وَالنَّفُوسُ مَجْبُودَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

١٦ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلدُّعَاءِ مِنَ الْقَائِضِ لِلدَّفَاعِ وَتَقَدَّمَتِ الْأَدِلَّةُ .

١٧ - أَنَّ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبٌ لِمَنَعِ الْقَطْرِ لِحَدِيثِ « وَلَا مَنَعُوا الزُّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ » .

١٩ - الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَقَدْ فَسَّرَ الْفَلَاحَ بِأَنَّهُ الْفَوْزُ
بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ .

٢٠ - أَنَّهَا تَدْفَعُ مِثَّةَ السُّوءِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّثِّ وَتَدْفَعُ مِثَّةَ السُّوءِ » .

٢١ - أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ يَكُونُ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ
« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى
لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » الْحَدِيثِ وَتَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ « وَأَمَّا
يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ » .

٢٢ - الْفَوْزُ بِالشَّيْءِ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ .

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ - الْفَوْزُ بِالْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ وَالْأَمْنُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وَنَفَى
الْحَزْنَ عَنْهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٢٦ - أَنْ أَدَاءَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْقَطْرِ كَمَا أَنْ مَنَعَهَا سَبَبٌ لِحَبْسِهِ .

٢٧ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ
عَلَيْهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَادِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) : ٢٨ - السَّلَامَةُ مِنْ كُفْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ .

٢٩ - الْخُرُوجُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الضُّعْفَاءِ .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَالنُّصْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَكَثْرَةُ
الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرَزَقُوا وَتُنصَرُوا وَتُجَبَّرُوا » .

٣٣ - أَنَّهَا تُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « إِنْ
الصَّدَقَةُ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ » .

٣٤ - أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ
تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ » .

٣٥ - السَّلَامَةُ مِنَ اللَّعْنِ الْوَارِدِ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ لِمَا رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ

الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ وَالْمُحَلَّلَ
وَالْمُحَلَّلَ لَهُ .

٣٦ - الفَوْزُ بِالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةَ ﴾ الآية .

٣٧ - الوَعْدُ بِالْخَلْفِ لِلْمُنْفِقِ لِحَدِيثِ « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا » .

٣٨ - الظَّفَرُ بِدَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُنْفِقِ .

٣٩ - أَنْ فِي اخْرَاجِ الزُّكَاةِ حُلٌّ لِلْأَزْمَاتِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ وَسُوءِ الْحَالَةِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَمْوَالِ الزُّكُوَّةِ تَنَسَّخُوا مِنْهَا وَوَضَعُوهَا فِي
مَوَاضِعِهَا لَقَامَتْ الْمَصَالِحُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ وَزَالَتِ الضَّرُورَاتُ وَانْدَفَعَتْ
شُرُورُ الْفُقَرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ حَاجِزٍ وَسَدٍّ يَمْنَعُ عِبَثَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَفِي الْحَدِيثِ « وَاتَّقُوا الشُّعْ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ .

٤٠ - أَنَّ اللَّهَ يُعَيِّنُ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُهَيِّئُ لَهُ طَرِيقَ السُّدَادِ
وَالرُّشَادِ وَيُذَلِّلُ لَهُ سُبُلَ السُّعَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .

٤١ - أَنَّ مَنْعَ الزُّكَاةِ يُخَبِّثُ الْمَالَ الطَّيِّبَ لِحَدِيثِ « مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا
خَبِثَهُ مَنْعَ الزُّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا لَمْ تُطَيِّبْهُ الزُّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
الْكَبِيرِ مَوْقُوفًا بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

٤٢ - أَنَّ مَنْعَ الزُّكَاةِ سَبَبٌ لِتَلْفِ الْمَالِ لِحَدِيثِ « مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ

وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزُّكَاةِ « رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

٤٣ - أَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ سَبَبٌ لِلْإِبْتِلَاءِ بِالسُّنَيْنِ لِمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَ قَوْمَ الزُّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمْ اللَّهُ بِالسُّنَيْنِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

٤٤ - أَنْ مَنْ لَمْ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسَلِّطٌ وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَفَقِيرٌ فَخُورٌ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ جِبَانَ مُفْرَقًا فِي مَوْضِعَيْنِ .

٤٥ ، ٤٦ - أَنْ الصَّدَقَةَ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبَرَ وَالْفَخْرَ لِحَدِيثِ « إِنْ صَدَقَ الْمُسْلِمُ تَزِيدَ فِي الْعُمْرِ وَتَمَنَعَ مِئَةَ السُّوءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الْكِبَرُ وَالْفَخْرُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٤٧ - السَّلَامَةُ مِنَ التَّطَوُّيقِ بِالشُّجَاعِ الْأَقْرَعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَطْلُوقُ بِهِ عُنُقَهُ » .

٤٨ - السَّلَامَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ لِمَا فِي الْحَدِيثِ « ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزُّكَاةُ فَأَكَلُوهَا أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ » رَوَاهُ الْبَزَّازُ .

٤٩ ، ٥٠ - إِنْ الْبَلَاءُ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ وَأَنَّهَا تُسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ

السوء . رواه الطبراني في الكبير ، وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها رواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً على أنس ولعله أشبه .

٥١ - أن الصدقة حجاب من النار لمن احتسبها لما روي عن ميمونة بنت سعد أنها قالت يا رسول الله أفتنا عن الصدقة فقال إنها حجاب من النار لمن احتسبها يتبغى بها وجه الله عز وجل . رواه الطبراني .

٥٢ - أن اخراج الصدقة يؤلم سبعين شيطاناً لما ورد عن بريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً رواه أحمد والبخاري والطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

٥٣ - أن الله يسخر للمتصدق ما يكون سبباً لنمو ماله كبركة في ظمأ نهر وسقي أرض كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان فتحنى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للإسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم سألتني عن اسمي قال سمعت في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه رواه مسلم .

٥٤ - أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تُنْقِصُ الْمَالَ خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ .
لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ - أَنَّ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا
بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا
يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي
أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ مُتَفَقُّ عَلَيْهِ .

٥٦ - أَنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ
مُحْسِنٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ ﴾ .

٥٧ - أَنَّ الْمُصَدِّقِينَ يُضَاعَفُ لَهُمْ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ
أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ﴾ .

٥٨ - أَنَّ الصَّدَقَةَ لِتُطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِثَّةَ السُّوءِ « رَوَاهُ
الترمذي وابن جبان في صحيحه ، وقال الترمذي حسن غريب .

٥٩ - أَنَّ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّ سَنَةٍ يَرَى الْفُقَرَاءُ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ لَهُمْ فَضْلٌ
عَلَيْهِمْ فَيَدَافِعُونَ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَمَا كَفَّ الْيَدَ عَنْهُمْ وَمَنَعَ مَعْرُوفِهِمْ أَنْ
يَصِلَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ يُؤْغِرُ صُدُورَهُمْ وَيَمَلُؤُهَا حَقْدًا عَلَيْهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ فِي
سَلْبِ حَيَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى أَمْوَالِهِمُ الْمَخُوزَنَةِ فَتَكُونُ الْحَيَاةُ مُهَدَّدَةً وَالْأَمْوَالُ
مَفْقُودَةً .

٦٠ - أَنْ مَنَعَ الصَّدَقَاتِ يُزِيلُ النِّعَمَ وَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ الْعَامِرَةَ وَتَأْمَلْ
 قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ قَالَ
 تَعَالَى ﴿ فَتَنَادُوا مُصِيبِينَ أَنْ ائْتُوا عَلَيْنَا خَالِدِينَ اللَّهُ يَبْغِي لَكُمُ الْعَذَابَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَإِنْ تَلَقَوْا
 وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
 ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ .
 وَتَأْمَلْ قِصَّةَ ثَعْلَبَةَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
 آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا
 بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
 اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

(١٣) مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَقًّا يَتَّبِعُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَتَّبِعُ عَنِ
 النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنْ الْمَرَاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابُهُ
 نَدَمٌ عَظِيمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ أَحْمَرَ وَجْهُهُ خَجَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ
 وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مِنْكِبِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ
 الدُّنْيَا وَيُوَارَى فِي التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرَفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ
 لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ تَمَامًا أَنَّهُمْ إِنْ عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازَقَهُمْ أَنَّهُمْ سَيِّئِدْمُونَ
 وَيُعَاقَبُونَ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ
 وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَانظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مِنْ
 الْجُرْأَةِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُمْ بِحَالَةِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَصْرُوا عَلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ إِلَّا
 النَّوَادِرَ مِنْهُمْ تَرَاهُمْ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلْنَا

وَيَحْلِقُونَ اللَّحَا كَذَلِكَ وَيَغُشُّونَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ تَرَاهُمْ أَمَامَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، تَرَاهُمْ يُؤَاوِنُ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُعْظَمُونَهُمْ تَرَاهُمْ لَمْ
يَكْتَفُوا بِالْمَعَاصِي فِي بِلَادِهِمْ بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى ، بِلَادِ الْفِسْقِ
وَالْفُجُورِ وَالْحَرَبِ وَيُنْفِقُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الَّذِي
أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ
السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ لَا
هَذِهِ وَلَا هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُونَ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَكَانِ
كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْحَفِظَةُ الَّذِينَ
يَتَعَاقَبُونَ عَلَى حِفْظِهِمْ تَعَاقَبَ الْحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمُ الَّتِي
بَاشَرَتْ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرٌ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُمْ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي
تَسْتَرِي الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ وَالْغُيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي
كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ فِي حِسَابٍ فَرِغُوا وَقَالُوا يَا وَبَلَّتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، كُلُّ
هَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْمَعَاصِي فَيَسْجَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْهُ
أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَبِيحَةٌ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَّا غَضِبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ ،
وَالْقَاوِمُ فِي دَارِ الْمُجْرِمِينَ الْجَانِينَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَ إِذَا
يَفْرَحُ الْعَصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ . الَّتِي تَرْمِي
بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ .

شِعْرًا: وَلَمْ يَمُرَّرْ بِهِ يَوْمَ فَطِنِعَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْجَمَامِ
وَيَوْمِ الْحَشْرِ أَفْطَعُ مِنْهُ هَوْلًا إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشْمَرُ لِلْخِصَامِ
وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوَّأَ مَنْزِلَ الثُّجْبِ الْكِرَامِ

وَعَفُوَ اللهُ أَوْسَعَ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللهُ خَلْقَ الْأَنْعَامِ

آخِرُ :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ أَوْ اسْتَلَدُوا لِذَيْدِ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنذِرُهُمْ جَهْرًا عِلَانِيَةً لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
آخِرُ :

وَكَيْفَ يَلدُّ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ الْمَنَائِمَا بَغْتَةً سَتَعَاجِلُهُ
وَكَيْفَ يَلدُّ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النُّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوقِنَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمُؤَهِّلَةِ لِذَارِ
الْخُلْدِ وَأَنْ يُوقِفَ وُلَاتِنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَوْلَاءِ الْمَجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمْ وَالزَّامِيهِمْ
سُلُوكَ طَرِيقِ الْحَقِّ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ
حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ - وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

شَهْرُ رَمَضَانَ

١ - دَرَسُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَآمِراً لَهُمْ بِالصِّيَامِ وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَالْوِقَاعِ ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ ، وَطَهَارَتِهَا وَتَنْقِيَّتِهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَمَا أُوجِبَهُ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أُوجِبَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِهِمْ ، فَلَهُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ، وَلِيَجْتَهِدَ هَؤُلَاءِ فِي آدَاءِ هَذَا الْفَرَضِ أَكْمَلَ مِمَّا فَعَلَهُ أَوْلَئِكَ « انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ » .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ :

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ
فَيَقُولُ :

« جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ فِيهِ
تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ ،
وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : « هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي تَهْنِئَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ رَمَضَانَ السَّنَةَ
كُلَّهَا » .

وَعَنْ عُبَادَةَ مَرْفُوعاً :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ ، يَغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ ، فَيُنزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَيَحُطُّ
الْخَطَايَا ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِيهِ ، وَيُبَاهِي
بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ
اللَّهِ » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ : إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ
وَسُلِسَتْ الشَّيَاطِينُ .

وَمُسْلِمٌ فَتَحَتْ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ
وَفِي رَوَايَةٍ فَازًا دَخَلُوا أُغْلِقَ الْبَابُ وَفِي رَوَايَةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ
لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

وَمُسْلِمٌ أَيْضًا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِذَا
جَاءَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتْ
الشَّيَاطِينُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ
صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا
بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ
الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ . وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ
لَيْلَةٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ،
وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبَتْ
الْكَبَائِرُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ » ، وَيَقُولُ : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْنَا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - لِأَضْيَى اللَّهِ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُعْطِطْتُ أُمَّتِي خَمْسَ يَحْصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ . خُلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحَيَاتَانُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيْنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمُتَوَنَّةَ ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ » .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟

قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَى أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمُنْبَرَ ، فَقَالَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ صَعَدْتَ الْمُنْبَرِ فَقُلْتَ : آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ » فَقَالَ : « إِنَّ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلَّ آمِينَ ، فَقُلْتُ آمِينَ الْحَدِيثِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَظَلَلْتُكُمْ شَهْرَكُمْ هَذَا ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلَا مَرٌّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَيَكْتُبُ أَصْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعَدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ ، وَيَعُدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ اتِّبَاعَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، فَغَنِمَ يَغْنَمُهُ الْمُؤْمِنُ » .

وَقَالَ بِنْدَارٌ فِي حَدِيثِهِ : « فَهُوَ غَنِمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ » رَوَاهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرِهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلَّغْنَا رَمَضَانَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ : « كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ عِنْدَ حُضُورِ شَهْرِ رَمَضَانَ اللَّهُمَّ قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَضَرَ فَسَلِّمْهُ لَنَا وَسَلِّمْنا لَهُ ، وَأَرْزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَأَرْزُقْنَا فِيهِ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ وَالنَّشَاطَ ، وَأَعِدْنَا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ » .

وَقَالَ مُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ : كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ ثُمَّ يَدْعُوهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : « اللَّهُمَّ سَلِّمْني إِلَى رَمَضَانَ وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانَ وَسَلِّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلًا » .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِبِينَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَسَلِّكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِينَ ، وَأَنْ تَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا بِأَمَانَتِهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَيَّ

عِبَادِهِ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بُلْطَفِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ
 عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَآءَكَ، مِنْ نَعِيمِ قُرْبِكَ،
 وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ، وَصِدْقِ حُبِّكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ.

وَحُدِّ فِي بَيَانِ الصُّومِ غَيْرَ مُقْصِرٍ
 عِبَادَةَ سِرِّ ضِدِّ طِبْعِ مُعَوِّدٍ
 وَصَبْرُ لِفَقْدِ الْإِلْفِ مِنْ حَالَةِ الصَّبَا
 وَفَطْمُ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَالْمُتَعَوِّدِ
 فِتْنِ فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الَّذِي
 لَهُ الصُّومُ يُجْزِي غَيْرَ مُخْلِيفِ مَوْعِدِ
 وَحَافِظِ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ
 لَخَامِسُ أَرْكَانِ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
 تُغْلَقُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ إِذَا أَتَى
 وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ لِعَبْدِ
 تُزْخَرُفُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا
 لِأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبُّدِ
 وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ
 عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَلَّتْ فَلْتَرْصِدِ
 فَارْغَمِ بِأَنْفِ الْقَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلًا
 وَأَعْظَمِ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ
 فَقُمْ لَيْلَهُ وَاطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا
 وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُؤَةٍ وَمُفْسِدِ

اللَّهُمَّ أَهْلُ شَهْرِنَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَاعْفِرْ
لَنَا كُلَّ قَبِيحٍ سَلَفَ وَكَانَ ، وَاعْتِقْنَا فِيهِ مِنْ لَفْحَاتِ النَّيرانِ وَأَعِنَّا عَلَى
الْخَيْرِ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ
لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ، عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى
إِيجَازِهِ لَيَحْتَوِي عَلَى وَصِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الْوَصَايَا وَأَقِيمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا
فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى الْأَمْرِ بِحِفْظِ عَضْوَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ عَظِيمٍ حَقِيقَتَيْنِ
يَتَعَاهَدُهُمَا بِالرَّعَايَةِ وَالْاسْتِقَامَةِ وَالرَّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلَا وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الْغِيِّ
وَالْفَسَادِ كَانَا أَضْلًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلِقَهُ فَقَدْ
وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَالْقَبْقَبُ الْبَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّقَلَقُ اللِّسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَالَ الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبْصِرُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُضُولِ
وَالْهَذْيَانِ وَلَا يَتَعَدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ .

شعرا :

إذا ما أردتَ النطقَ فأنطقَ بحِكْمَةٍ وزنٌ قبلَ نطقٍ ما تقولُ وقومٌ

فَمَنْ لَمْ يَزِنْ مَا قَالَ لَا عَقْلَ عِنْدَهُ وَنُطِقَ بِوَزْنِ كَالْبِنَاءِ الْمُحَكَّمِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ طَرَقَ الْمَقَالِ حَمِيدَةً تَجَمَّلَ بِحُسْنِ الصَّمْتِ تَحْمُداً وَتَسْلَمَ
فَكَمْ صَامِتاً يَلْقَى الْمَحَامِدَ دَائِماً وَكَمْ نَاطِقٍ يَجْنِي ثِمَارَ التَّسْلَمِ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ عَظِيمَةٌ
فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوعاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانَ أَيُّ تَقُولُ
اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوي أَنَّ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ
يَمُدُّ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : هَذَا أُرَدَّنِي الْمَوَارِدَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانَ عَلَى حَدِيثِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصُّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانَ قُلِّ خَيْرًا
تَغْنَمُ وَاسْكُتْ عَنْ شَرِّ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا
شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنْ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ
سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَدَرَ إِلَى اللَّهِ قَبِيلَ
اللَّهُ عُدْرَهُ .

شعرا :

وَإِذَا حَشِيَتْ مَلَامَةٌ مِنْ مَنْطِقِي فَأَخْرَجْتُ لِسَانَكَ فِي اللَّهَاءِ وَأَطْرَقِ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْرَجْتُ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ
تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا
وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ خَلَادٍ بَلَفَظَ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ
زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِرًا عَلَى الصُّمْتِ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ الكَلَامِ
بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ
اللِّسَانَ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ الْمَرْءُ وَقَذْفِهِ فِي الْمِعْدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ
وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِيَصْنَعَهُ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّا حِفْظُ الْفَرْجِ فَيَبْتَكَ التَّعَدِّيَ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرْمَاتِهِمْ
وَوَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ فِي الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ وَكَفِّهِ عَنِ الزَّنَا وَالْحَرَامِ وَالزَّنَا
آفَةٌ وَبَيْلَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَدْ بَيَّنَّا مَضَارَّهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

شعرا :

عَجِبْتُ لِذِي التَّجَارِبِ كَيْفَ يَسْهُو وَيَتَلَوُّ اللُّهُوَ بَعْدَ الْاِحْتِيَاكِ
وَمُرْتَهَنُ الْفَضَائِحِ وَالخَطَايَا يُقْصِرُ بِاجْتِهَادِ لِفِكَاكَ
وَمُؤَبِّقُ نَفْسِهِ كَسَلًا وَجَهْلًا وَمُؤَرِّدُهَا مَخُوفَاتِ الْهَلَاكِ
بِتَجْدِيدِ الْمَآثِمِ كُلِّ يَوْمٍ وَقَصْدِ لِلْمُحَرَّمِ بَاثِثَاكِ
سَيَعْلَمُ حِينَ تَفْجُوهُ الْمَنَايَا وَيَكْتَفُ حَوْلَهُ جَمْعُ الْبَوَاكِي
اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَاغْضُ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ ،

وعاملنا برأفتك، ووقفنا لخدمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. اللهم مكن حُبك في قلوبنا والهمنا ذكرك وشكرك ووقفنا لامثال طاعتك وأمرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

٥ - لا يصح صوم رمضان ولا غيره من الصيام الواجب إلا بينة من الليل لكل يوم .

١ - حكم صوم رمضان :

صوم رمضان فريضة : والأصل في فريضته : الكتاب والسنة ، والإجماع .

أما الدليل من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
وأما السنة ، فعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » .

وأما الإجماع ، فأجمع المسلمون على فريضة صوم شهر رمضان .

٢ - بيان من يجب عليه الصوم :

ويُفترض على كل مسلم عاقل بالغ قادر أداء وقضاء ، ولا يجب على كافر - سواء كان أصلياً أو مرتداً - لأن الصوم عبادة لا تصح منه في حال كفره ، ولا يجب عليه قضاءها لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

وَلَا فِي إِجَابِ قَضَاءِ مَا فَاتَ فِي حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ
وَلَوْ أَسْلَمَ فِي أَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمَهُ مَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ وَيَصُومُ مَا بَقِيَ مِنَ
الشُّهُرِ .

وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ : قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ ،
فَضْرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً بِالْمَسْجِدِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا ، صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ
الشُّهُرِ ، أَدْ أَنْ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ .

وَلَا يَجِبُ الصُّومُ عَلَى مَجْنُونٍ ، وَلَا صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ
الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » .

وَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْقُدْرَةِ عَلَى الصُّومِ فَلَا أَنْ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ وَهُوَ
الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ - إِذَا كَانَ الصُّومُ يُجْهِدُهُمَا وَيَشُقُّ عَلَيْهِمَا مَشَقَّةً شَدِيدَةً -
فَلَهُمَا أَنْ يَفْطَرَا وَيُطْعِمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ : لَيْسَتْ
بِمَنْسُوخَةٍ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ اللَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصُّومَ
فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا .

وَرُوِيَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ضَعُفَ عَنِ
الصُّومِ فَصَنَعَ جَفَنَةً مِنْ ثَرِيدٍ ، فَذَعَا ثَلَاثِينَ مَسْكِينًا فَأَطْعَمَهُمْ .
وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَا يُرْجَى بُرُؤُهُ ، حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، يُطْعَمُ
لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

٣ - مَا يَثْبُتُ بِهِ الشُّهُرُ :

وَيَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ بِرُؤْيَا هِلَالِهِ ، أَوْ اكْتِمَالِ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ

يَوْمًا وَتَثَبَتْ رَوْيَةُ هِلَالَ رَمَضَانَ بِخَبْرِ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ عَدْلٍ وَلَوْ عَبْدًا أَوْ
أَنْثَى .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ
فَأَفْطِرُوا ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدُرُوا لَهُ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « تَرَى النَّاسَ الْهِلَالَ
فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنْ اغْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَ الْهِلَالَ ، فَقَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : « فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا بِلَالُ أَنْ يَصُومُوا غَدًا » .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى
الْهِلَالَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ
وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى » .

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ
وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ » .
وَأِنْ حَالَ دُونَ مَطْلَعِ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ غَيْمٌ أَوْ قَتَرٌ أَوْ
غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ صَوْمُهُ وَلَا يُسْتَحَبُّ ، بَلِ الْمَشْرُوعُ فِطْرُهُ لِمَا وَرَدَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ . وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ » .

وَعَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمِّلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا » .

وَيُسْتَنَى الْقِضَاءُ ، وَالنَّذْرُ وَالْعَادَةُ ، فَيَجُوزُ صَوْمُهَا فِيهِ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقْدُمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

٤ - فِيهَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ :

وَإِذَا ثَبَتَ رُؤْيَةُ هِلَالِ رَمَضَانَ بَبَلَدٍ لَزِمَ النَّاسَ كُلَّهُمُ الصَّوْمُ إِذَا اتَّفَقَتِ الْمَطَالِعُ لِمَا رَوَى « كَرِيبٌ » قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ ، وَاسْتَهَلَّ عَلَيَّ رَمَضَانَ وَأَنَا بِالشَّامِ ، فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ : مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ وَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَصَامُوا ، وَصَامَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالَ نَصُومَ حَتَّى نَكْمِلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ . فَقُلْتُ : أَفَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ لَا ، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ رَمَضَانَ وَرَدَّ قَوْلُهُ لَزِمَهُ الصُّومُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِ
الشَّهْرِ مِنْ طَلَاقٍ وَعِتْقٍ ، وَغَيْرِهِمَا مُعَلَّقِينَ بِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ ، وَلِأَنَّهُ تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ
فَلَزِمَهُ صَوْمُهُ وَأَحْكَامُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ
شَوَّالٍ لَمْ يُفْطِرْ لِحَدِيثِ « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحِي
النَّاسُ » .

وَحَدِيثِ : « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُونَ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحُونَ » .

وَرَوَى أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ :

أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَقَدْ رَأَيَا الْهِلَالَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ صِيَامًا
فَأَتَيَا عُمَرَ ، فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : أَصَائِمُ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَلَى
مُفْطِرٌ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِالصُّومِ وَقَدْ رَأَيْتُ الْهِلَالَ
وَقَالَ لِلْآخِرِ ، قَالَ : أَنِي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : لَمْ
أَكُنْ لِإِفْطَرِ وَالنَّاسِ صِيَامًا . فَقَالَ لِلَّذِي أَفْطَرَ : لَوْلَا مَكَانُ هَذَا لَأَوْجَعْتُ
رَأْسَكَ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ أَنْ أُخْرَجُوا .

وَإِنَّمَا أَرَادَ ضَرْبَهُ لِإِفْطَارِهِ بِرُؤْيَيْهِ وَحْدَهُ ، وَدَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبَ لِكَمَالِ
الشَّهَادَةِ بِهِ ، وَلَوْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ لَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَعَّدَهُ ، وَإِنْ صَامَ النَّاسُ
بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ : ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَرَوْا الْهِلَالَ أَفْطَرُوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطَرُوا » .

وَإِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ أثنَاءَ النَّهَارِ لَزِمَ أَهْلَ وَجُوبِ الصُّومِ الْإِمْسَاكَ وَلَوْ
بَعْدَ أَكْلِهِمْ لِتَعَدُّرِ امْسَاكِ الْجَمِيعِ فَوَجَبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » وَحَدِيثِ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ
مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

٥ - لَا يَصِحُّ صِيَامُ رَمَضَانَ إِلَّا بَيِّنَةً مِنَ اللَّيْلِ :

وَلَا يَصِحُّ صَوْمَ رَمَضَانَ ، وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الصِّيَامِ الْوَاجِبِ إِلَّا بِنِيَّةٍ
 مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ ، رَوَتْ حَفْصَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ
 لَهُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعاً : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ
 طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » .

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ النِّيَّةِ فِي اللَّيْلِ بِمَا يُبْطِلُ
 الصِّيَامَ كَالْأَكْلِ لَمْ تَبْطُلِ النِّيَّةُ لِظَاهِرِ الْخَبَرِ وَلِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ إِلَى آخِرِ
 اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّهُ صَائِمٌ عَدَا فَقَدْ
 نَوَى ، لِأَنَّ النِّيَّةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ ، وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بِنِيَّةِ الصَّوْمِ نِيَّةٌ قَالَ
 الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ هُوَ جَيِّنٌ يَتَعَشَى عِشَاءً مَنْ يُرِيدُ الصَّوْمَ ، وَلَوْ نَوَتْ
 حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءُ صَوْمَ غَدٍ وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تَطْهَرُ لَيْلًا صَحَّ لِمَشَقَّةِ الْمُقَارَنَةِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذُّبُّ فِي رَجَبٍ	حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ
لَقَدْ أَظْلَمَكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا	فَلَا تُصَيِّرُهُ أَيْضاً شَهْرَ عِصْيَانٍ
وَإِثْلَ الْقُرْآنِ وَسَبَّحَ فِيهِ مُجْتَهِداً	فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحٍ وَقُرْآنٍ
كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ فِي سَلَفٍ	مِنْ بَيْنِ أَهْلِ وَجِيرَانٍ وَإِخْوَانٍ
أَفْنَاهُمْ الْمَوْتُ وَاسْتَبْقَاكَ بَعْدَهُمْ	حَيّاً فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنَ الدَّانِ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
 الَّذِينَ أُعِدِدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
 وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاقِبِ
 فَضْلِكَ وَهَبَانِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنُّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُقِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ

المُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)
وَبَيَّحْتُ فِي :

١ - حُكْمِ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ .

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ .

١ - حُكْمِ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ :

وَيَصِحُّ صَوْمُ التَّطَوُّعِ بَيْنَةَ مِنَ النَّهَارِ قَبْلَ الزُّوَالِ وَبَعْدَهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ فَقُلْنَا لَا ، فَقَالَ : فَإِنِّي إِذْ
صَائِمٌ ، ثُمَّ أَنَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْسٌ ،
فَقَالَ : « أَرِنِي ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلْتُ » .

وَرَادَ النَّسَائِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ ، مَثَلُ الرَّجُلِ
يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا ، وَبِئْسَ لَفْظٌ
لَهُ أَيْضًا قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنزِلَةٌ مِنْ صَامٍ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي
التَّطَوُّعِ بِمَنزِلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ ،
وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَهُ » .

شِعْرًا : فِي النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ الْجَمِيلَ بَدِيهَةً وَظَنَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ لَمَّا تَفَكَّرَا
آخِرًا : وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَمَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ

قَالَ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : عِنْدَكُمْ
طَعَامٌ ؟ فَإِنْ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي . قَالَ وَفَعَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ

وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَحَدِيثُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَيُحَكَّمُ بِالصَّوْمِ الْمَثَابُ عَلَيْهِ ، مِنْ وَقْتِ النِّيَّةِ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، وَمَا قَبْلَهُ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ قَضْدُ الْقُرْبَةِ ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُوجَدَ مُنَافٍ غَيْرَ نِيَّةِ الْإِفْطَارِ ، اِقْتِصَاراً عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ ، وَنظراً إِلَى أَنَّ الْإِمْسَاكَ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، فَلَا يُعْفَى عَنْهُ أَصلاً ، فَإِنْ فَعَلَ قَبْلَ النِّيَّةِ مَا يُفْطِرُهُ لَمْ يَجْزِ الصِّيَامُ ، فَلَا يَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ أَكَلَ ثُمَّ نَوَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ لِعَدَمِ حُصُولِ حِكْمَةِ الصَّوْمِ ، وَيَصِحُّ تَطَوُّعُ حَائِضٍ وَنَفْسَاءٍ طَهَّرَتْ فِي يَوْمٍ بِصَوْمِ بَقِيَّتِهِ وَتَطَوُّعُ كَافِرٍ أَسْلَمَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ بِمُفْسِدٍ مِنْ أَكْلِ أَوْ شَرْبٍ وَتَحْوِيهِمَا وَإِنْ بَلَغَ صَبِيٌّ ، أَوْ أَسْلَمَ كَافِرٌ ، أَوْ أَفَاقَ مَجْنُونٌ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَهُمْ مُفْطَرُونَ ، لَزِمَهُمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ ، لِحُرْمَةِ الْوَقْتِ وَلِزَوَالِ الْمُبِيحِ ، وَإِنْ طَهَّرَتْ حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءٌ ، أَوْ قَدِمَ مُسَافِرٌ مُفْطِرٌ .

فَعَلَيْهِمُ الْإِمْسَاكَ وَالْقَضَاءُ وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كُنَّا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَكَذَا الْحُكْمُ فِي الْمَرِيضِ إِذَا صَحَّ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَكَانَ مُفْطِرًا .

وَيُسْنَى الْفِطْرُ لِمَسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ الْقَصْرُ ، وَلِمَرِيضٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَلِحَدِيثِ « لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ... عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّتِي رَخَّصَ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا » وَإِنْ صَامَ أَجْزَأُهُ .
 وَلِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ
 أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَصُومُ فِي السَّفَرِ؟
 قَالَ : « إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَافْطِرْ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

(فصل)

٢ - فَيَمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ :

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ ، لِحَاضِرٍ سَافِرٍ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ . لِحَدِيثِ أَبِي بَصْرَةَ
 الْغِفَارِيِّ : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْفِسْطَاطِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَدَفَعَ ، ثُمَّ
 قَرَّبَ عَدَاءَهُ ، فَلَمْ يُجَاوِزِ الْبُيُوتَ حَتَّى دَعَا بِالسُّفْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتَرَبْ !
 قِيلَ : أَلَسْتَ تَرَى الْبُيُوتَ ؟ قَالَ أَتَرَعْبُ عَنْ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَكَلَ .

وَأَنْ صَامَ أَجْزَأَهُ ، لِحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا
 فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِلْحَامِلِ ، وَمَرْضِعٍ ، إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، فَيُفْطِرَانُ
 وَيَقْضِيَانِ كَالْمَرِيضِ الْخَائِفِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرَتَا
 وَقَضَتَا ، وَلَزِمَ وَلِيُّ الْوَالِدِ أَطْعَامَ مَسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى
 الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَانَتْ رُخْصَةٌ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ
 وَالْمَرْأَةِ وَهُمَا يُطِيقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا
 وَالْحُبْلَى وَالْمَرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلَى أَوْلَادِهِمَا أَفْطَرَتَا وَأَطْعَمَتَا » . رَوَاهُ أَبُو
 دَاوُدَ .

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَلَا مُخَالَفَ لَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَيْسَ لِمَنْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ بِرَمَضَانَ أَنْ يَصُومَ غَيْرَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ غَيْرَ مَا فُرِضَ فِيهِ وَلَا يَصْلُحُ لِسِوَاهُ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى مَنْ أَحْتَاَجَهُ لِإِنْفَادِ مَعْصُومٍ مِنْ مَهْلَكَةٍ. كَفَرَقِي لِأَنَّهُ يُمَكِّنُهُ تَدَارُكَ الصَّوْمِ بِالْقَضَاءِ بِخِلَافِ الْغَرِيبِ وَنَحْوِهِ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى الْحَائِضِ وَالنَّفْسَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ :

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ ثُمَّ جُنَّ أَوْ اِغْمِيَ عَلَيْهِ جَمِيعَ النَّهَارِ، وَلَمْ يُفِقْ جُزْءًا مِنْهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لِأَنَّ الصَّوْمَ: الْإِمْسَاكُ مَعَ النَّيَّةِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي... »، فَأُضَافَ التَّرْكَ إِلَيْهِ، وَهُوَ لَا يُضَافُ إِلَى الْمَجْنُونِ وَالْمَغْمَى عَلَيْهِ، فَلَمْ يَجْزِ وَالنِّيَّةُ وَحْدَهَا لَا تُجْزِي، وَيَصِحُّ الصَّوْمُ مِمَّنْ أَفَاقَ جُزْءًا مِنْهُ حَيْثُ نَوَى لَيْلًا لِصِحَّةِ إِضَافَةِ التَّرْكَ إِلَيْهِ إِذَا، وَيُفَارِقُ الْجُنُونُ الْحَيْضَ بِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْوُجُوبَ بَلْ يَمْنَعُ الصَّحَّةَ وَيَحْرُمُ فِعْلَهُ، وَيَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ نَامَ جَمِيعَ النَّهَارِ لِأَنَّ النَّوْمَ عَادَةٌ لَا يَزُولُ الْاِحْتِسَاسُ بِهِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ مَتَى نَبَّهَ انْتَبَهَ. وَيَقْضِي مَغْمَى عَلَيْهِ زَمَنَ إِغْمَائِهِ لِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ، وَلِأَنَّ مُدَّةَ الْاِغْمَاءِ لَا تَطُولُ غَالِبًا، وَلَا تُبْتِغَى الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْضِي مَجْنُونٌ زَمَنَ جُنُونِهِ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ.

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيِّقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ،

وَتَجَاوَزَ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(١٤) مَوْعِظَةٌ

أَخَوَانِي إِنَّ الْعَقْلَةَ عَنِ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهَيْئَةِ الدُّنْيَا
عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا
فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِلُهَا وَيُنْسِي
كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَالْأَمَةَ فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ مُعَالَجَتَهَا وَلَا السَّعْيَ فِي
إِزَالَةِ عِلْلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلُّ إِلَى الْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
الْعُقُوبَاتِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ
مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي
النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ
نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوهَا بِشَيْءٍ بَخْسٍ يَبِيعُ الْمَغْبُورِينَ
وَيَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّغَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ » الْآيَةُ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ أَنَّهَا لَحَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ ، هَؤُلَاءِ
هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شِعْرًا :

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ مَا غَيْرُ دَاءِ الذَّنْبِ مِنْ أَدْوَائِهِ
وَالذَّنْبُ أَوْلَى مَا بَكَاهُ أَخُو التَّقَى وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

فَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِينَ عَوَازِلِي
 مِنْ ذَا يَلُومُ أَخَا الذُّنُوبِ إِذَا بَكَى
 فَوَحِقُّ مَنْ خَافَ الْفُؤَادَ وَعَيْدَهُ
 مَا كُنْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي حُسْنَ الثَّنَا
 مَنْ ذَا الَّذِي بَسَطَ الْبَسِيطَةَ لِلْوَرَى
 مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ ثَوَاقِبًا
 مَنْ ذَا أَتَى بِالشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
 أَسْوَاهُ سَوَاهَا ضِيَاءً نَافِعًا
 مَنْ أَطْلَعَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ إِذَا دَجَى
 مَنْ طَوَّلَ الْأَيَّامَ عِنْدَ مَضِيْفِهَا
 مَنْ ذَا الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
 وَأَدْرَأَ لِلطُّفْلِ الرُّضِيعِ مَعَاشَهُ
 يَا وَبِحَ مَنْ يَعْصِي الْإِلَهَ وَقَدْ رَأَى
 وَرَأَى مَسَاكِينَ مَنْ عَصَى مِمَّنْ خَلَا
 وَدَعَّ الْجَبَابِرَةَ الْأَكَاسِرَةَ الْأَلَى
 كَمْ شَاهَدْتُ عَيْنَاكَ مِنْ مَلِكٍ غَدَا
 مَلَأَتْ لَهُ الدُّنْيَا كُؤُوسًا حُلُوءًا
 مَا طَلَقَ الدُّنْيَا إِخْتِيَارًا إِنَّمَا
 جَعَلَتْ لَهُ الْأَكْفَانَ كَسُوءَ عُدَّةٍ
 وَيَضُمُّهُ لَا مُشْفِقًا فِي ضَمِّهِ
 وَهُنَاكَ يُغْلَقُ لِحْدُهُ عَنْ أَهْلِهِ
 وَيَزُورُهُ الْمَلَكَانَ قَصْدَ سُؤَالِهِ
 فَإِذَا أَجَابَ بِـ «لَسْتُ» أَدْرِي أَقْبَلًا
 وَيَرَى مَنَازِلَهُ بِقَعْرِ جَهَنَّمَ

قَسَمًا بِهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
 إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
 وَرَجَا مَثُوبَتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
 بِيَدِيْعِ نَظْمِي فِي مَدِيْحِ سَوَائِهِ
 فَرُشًا وَتَوَجَّهًا بِسَقْفِ سَمَائِهِ
 يَهْدِي بِهَا السَّارِينَ فِي ظِلْمَائِهِ
 تَجْرِي بِتَقْدِيرِ عَلِيٍّ أَرْجَائِهِ
 لَا وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بَيْنَائِهِ
 لَيْلُ فِشَابِهِ صُبْحُهُ - بِضِيَائِهِ
 وَأَتَتْ قِصَارًا عِنْدَ فَضْلِ شِتَائِهِ
 وَكَفَى الْجَمِيعَ بِبِرِّهِ وَعَطَائِهِ
 مِنْ أُمَّهِ يَمْتَصُّ طِيبَ غَدَائِهِ
 إِحْسَانَهُ بِنَوَالِهِ وَنِدَائِهِ
 خَلَوْا تَصِيْحُ الْبُومِ فِي أَرْجَائِهِ
 وَأَنْظُرْ لِمَنْ شَاهَدْتَ فِي عِلْوَائِهِ
 يَحْتَالُ بَيْنَ جِيُوشِهِ وَلِوَائِهِ
 وَسَقَتَهُ مَرَّ السُّمِّ فِي حَلْوَائِهِ
 هِيَ طَلَّقَتْهُ وَمَتَّعَتْهُ بِدَائِهِ
 وَاللَّحْدَ سُكْنَاهُ وَبَيْتَ بَلَائِهِ
 حَتَّى تَكُونَ حَشَاهُ فِي أَحْشَائِهِ
 بِحِجَارَةٍ وَبِطِينَةٍ وَبِمَائِهِ
 عَنْ دِينِهِ لَا عَنْ سُؤَالِ سَوَائِهِ
 ضَرْبًا لَهُ فِي وَجْهِهِ وَقَفَائِهِ
 وَيُقِيمُ فِي ضَيْقِ لَطُولِ عَنَائِهِ

يا ربِّ ثَبِّتْنَا بِقَوْلٍ ثَابِتٍ عِنْدَ امْتِحَانِ الْعَبْدِ تَحْتَ ثَرَائِهِ
 أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِبَعْثِهِ وَلِقَائِهِ
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالْأَلِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَهْلِ كِسَائِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهَنَا
 لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا
 انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
 مِنَّا، وَآمِنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمُوحُ بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

إِخْوَانِي أَيُّنَ أَحْبَابِكُمْ الَّذِينَ سَلَفُوا أَيُّنَ أَثْرَابِكُمْ الَّذِينَ رَحَلُوا وَانْصَرَفُوا ،
 أَيُّنَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ وَمَا خَلَفُوا .

ندموا والله على التفريط يا ليتهم عَرَفُوا هَوْلَ مَقَامِ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ ، إِذَا
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

فَوَاعَجِبًا لَكَ كُلَّمَا دُعِيتَ إِلَى اللَّهِ تَوَانَيْتَ ، وَكُلَّمَا حَرَّكَتَكَ الْمَوَاعِظُ إِلَى
 الْخَيْرَاتِ أُبَيْتَ ، وَعَلَى غَيْبِكَ وَجْهَلِكَ تَمَادَيْتَ ، وَكَمْ حُدِّرتَ مِنَ الْمُنُونِ فَمَا
 التَّفَتَ إِلَى قَوْلِ النَّاصِحِ وَتَرَكْتَهُ وَمَا بَالَيْتَ .

يَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَيِّتٌ ، سَتَعَيْنَ عِنْدَ قُدُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا
 لَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

كَمْ أَرْعَجَ الْمَوْتُ نُفُوسًا مِنْ دِيَارِهَا ، وَكَمْ أَتْلَفَ الْبِلَى مِنْ أَجْسَادٍ مُنْعَمَةٍ لَمْ
 يَدَارِهَا ، وَكَمْ أَذَلَّ فِي الثَّرَابِ وَجُوهًا نَاعِمَةً بَعْدَ رِفْعَتِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا .

إنتبه يا أخي فالدنيا أضغاث أحلام ، ودار فناء ليست بدار مقام ،
ستعرف وتفهم نصحي لك بعد أيام .

وما غاب عنك ستره على التمام إذ اكشف الغطاء عنك وصار بصرك
حديد ، وهناك تندم ولات ساعة ندم .

شعرا :

قُلْ لِلَّذِي أَلْفَ الذُّنُوبِ وَأَجْرَمَا وَعَدَا عَلَيَّ زَلَاتِهِ مُتَبَدِّمَا
لَا تِيَّاسُنْ وَاطْلُبْ كَرِيْمًا دَائِمًا يُؤَلِّي الْجَمِيلَ تَفْضُلًا وَتَكْرُمًا
يَا مَعْشَرَ الْعَاصِيْنَ جُودٌ وَاسِعٌ عِنْدَ الْإِلَهِ لِمَنْ يُتُوبُ وَيَتَدَمَّا
يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ إِلَى مَتَى تُفْنِي زَمَانِكَ فِي عَسَى وَلَرَبَّمَا
بَادِرْ إِلَيَّ مَوْلَاكَ يَا مَنْ عُمُرُهُ قَدْ ضَاعَ فِي عَصِيَانِهِ وَتَصَرَّمَا
وَاسْأَلْهُ عَوْفِيْقًا وَعَفْوًا ثُمَّ قُلْ يَا رَبِّ بَصُرْنِي وَزَلَّ عَنِّي الْعَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ أَجَلٌ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالتَّقْرِيْبِ مِنْ رَبِّ السَّمَا
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْأَفْضَلِ كُلِّهِمْ مَا سَبَّحَ الدَّاعِي الْإِلَهَ وَعَظَّمَا

الهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيْلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِيْنَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِيْنَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مَنْ
التَّيْبِيْنَ وَالصَّادِقِيْنَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِيْنَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصَل) يَحْرُمُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ تَنَاوُلُ مُفْطَرٍ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ ، لِمَا
وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَنْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ ، لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ
الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بَضْبِعِي فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرَا فَقَالَا اصْعَدْ فَقُلْتُ إِنِّي لَا أُطِيقُهُ فَقَالَا إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ فَصَعَدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَرَاةِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ قُلْتُ مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ قَالَا هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ مُشَقَّقَةً أَشْدَقَهُمْ تَسِيلُ أَشْدَقَهُمْ دَمًا قَالَ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ » الْحَدِيثِ رَوَاهُ ابْنُ حُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا .

وَمِمَّا يَحْرَمُ عَلَى الصَّائِمِ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْفَجْرِ الثَّانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُخْتَارًا ذَاكِرًا لِصَوْمِهِ أَبْطَلَهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا يُنَافِي الصَّوْمَ لِغَيْرِ عُدْرٍ .

٢ - حُكْمُ مَا إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا :

وَلَا يُفْطِرُ مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » .

وَرَوَى الْحَاكِمُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَسَدَ صَوْمُهُ ، وَعَلَيْهِ قَضَاءٌ » .

وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ » .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : الْحِجَامَةُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَى عَلَى رَجُلٍ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » .

وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ ، وَيَبْطُلُ صِيَامُهُ الْجَمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ ، وَهِيَ عِتْقُ رَقَبَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَهْلَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : اجْلِسْ . وَمَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ الضَّخْمُ ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ أَنَا قَالَ : خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ « أَطْعِمَهُ أَهْلَكَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَتَحْرُمُ الْمُبَاشَرَةُ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ إِنْ ظَنَّ إِنْزَالًا ، فَإِنْ بَاشَرَ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ ، فَأَنْزَلَ مَنِيًّا فَسَدَ صَوْمُهُ ، لِأَنَّهُ إِنْزَالٌ عَنْ مُبَاشَرَةٍ ، فَأُشْبِهَ الْجَمَاعُ .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : (الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا) قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿ لَيْتُنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزُّمَرِ

. ٦٥

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٥ .

وَمَا يُفْطَرُ : إِيصَالُ الْأَغْذِيَةِ بِالْأَبْرَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ
لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا الْحُبُوبُ الْغِذَائِيَّةُ وَالِدَوَائِيَّةُ
وَالْمُشْتَرَكَةُ فَيُفْطَرُ مَنْ أَكَلَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ قَوَارِعَ الْأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذِنَ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنْ
فَجَائِعِ الْمَوْتِ صَائِيَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنْ مَطَالِغَ الْأَمَالِ
إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلَا فَانظُرُوا بِثَوَاقِبِ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ فِي
نَوَاحِي الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ فِي حُشُودِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إِلَّا الشَّتَاتِ
وَلَا تَسْمَعُوا فِي رُبُوعِكُمْ إِلَّا فُلَانٌ مَرِيضٌ وَفُلَانٌ مَاتَ أَيْنَ الْأَبَاءِ الْأَكَابِرُ أَيْنَ
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لِأَنَّهُمُ الْمُنَاصِحُونَ
لِوَلَاتِيهِمْ وَأَمَّتِهِمُ الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَيْنَ الْكِرَمَاءِ الْأَفْضَلِ
الَّذِينَ يَغَارُونَ إِذَا انْتَهَكَتِ الْمَحَارِمُ أَيْنَ الْهَاجِرُونَ الْمُصَارِمُونَ لِلْفَاسِقِ
وَالْفَاجِرِ أَيْنَ الْمُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ
الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْمُحِبُّونَ فِي اللَّهِ الْمُبْغِضُونَ لِأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ الْمُنْقُونَ لِمَا كَلِمِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهِ وَهُوَ
مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُحَاطَرَةِ

مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .
أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُخَاطَرَةِ
فِي صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْتَبِهِمْ فِي الْأَمْلَاقِ الْمَسْكُونَةِ قَهْرًا
وَعَضْبًا .

أَيْنَ الْمُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدٌ .
عَثَرَتْ وَاللَّهِ بِهِمُ الْعَوَائِرُ وَأَبَادَتَهُمُ السَّنِينُ الْغَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُمُ
الْحَادِثَاتُ الْبَوَائِرُ وَاخْتَطَفَهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِرٍ . وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَشَاهِدُ
وَالْمَحَاضِرُ وَعَدِمَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ وَطَفَيْتْ مِنْ وُجُوهِهِمُ الْأَنْوَارُ
الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الْحُفْرُ وَالْمَقَابِرُ إِلَى يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ
أَعْطِيَةُ الْقُبُورِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتِ الْأَحْدَاقَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً
وَالْأَوْصَالَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيدَانَ الْأَرْضِ فِي نَوَاعِمِ تِلْكَ
الْأَبْدَانِ جَائِلَةً وَالرُّؤُوسَ الْمَوْسَدَةَ عَلَى الْإِيمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفًا
بِهَا وَيَنْفِرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ أَلْفًا بِهَا .

فَلَا يُعْرِفُ السَّيِّدُ مِنَ الْمَسُودِ وَلَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَلَا الذِّكِيُّ مِنَ
الْبَلِيدِ وَلَا الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ فَرَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالْأَقْلَاعِ عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَوَاصَلَ الْإِسْرَاعَ وَالْمَبَادِرَةَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ
الْأَوْقَاتِ وَطَيَّ صَحَائِفِ الْمُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشَرَ فِصَائِحِ الْاِقْتِرَافَاتِ وَالْجَنَائِيَّاتِ
فَلَا تَغْتَرُّوا بِحَيَاةِ تَقُودُ إِلَى الْمَمَاتِ فَوَزِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَا تِ فَالْبِدَارِ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوْا الْمُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنِ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَنَقِّ قُلُوبَنَا
مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِحْنِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتِي الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ
الدَّاءِ وَخَبِيئَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النُّعْمَةِ . اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ

حَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: نَمُضِي عَلَى سُبُلِ كَانُوا لَهَا سَلَكَوا

أَسْلَفْنَا وَهُمْ لِلدِّينِ قَدْ شَادُوا

لَنَا بِهِمْ أَسْوَةٌ إِذْ هُمْ أَثْمُنَا
وَنَحْنُ لِقَوْمِ أَبْنَاءِ وَأَحْفَادِ
وَالصَّبْرِ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبُ كُلُّهَا نَجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكٌ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلْنَ آمَادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَن مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
دُنْيَا تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدْرٌ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدْنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُدَّتُهُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ الْحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَامًا بِهَا حَشْرٌ وَمِيعَادُ
وَجَنَّةٌ أُرْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْ
لِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالُ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَهَادُ

لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الْفَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ تَضْطَادِ
وَالْمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَابِ تُخَفِّتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ الَّذِي يَبْغِي وَيَرْتَادُ
لِقَا الْكَرِيمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي مَا فِيهِ أَنْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
فَالْفَضْلُ لِلَّهِ كَالْأَزَالِ أَبَادُ
فَالظَّنُّ بِاللَّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا
ظَنُّ جَمِيلٌ مَعَ الْأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَشْتُرُنَا
فَمِنْهُ لِكُلِّ إِمْدَادٍ وَإِنْجَادُ
نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً
مَعَ حُسْنِ خَاتِمَةِ فَالْعَمْرُ نَفَادُ
وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ اللَّهِ كَيْفَ قَضَا
وَاللُّطْفُ نَرْجُو وَحُسْنَ الصَّبْرِ إِرْشَادُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِحِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ،
وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : ٣ - بَعْضُ فَوَائِدِ الصِّيَامِ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِيْشَهْرَ رَمَضَانَ شَرْقَهُ اللَّهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةً وَمَنَافِعُ جَمَّةً وَأَثَارُ

حَسَنَةٌ فَهُوَ يَضِيبُ النَّفْسَ وَيُطْفِئُ شَهْوَتَهَا فَإِنَّمَا إِذَا شَبِعَتْ تَمَرَدَتْ فِي
 الْغَالِبِ وَسَعَتْ فِي شَهَوَاتِهَا ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَتَتْ وَخَضَعَتْ وَامْتَنَعَتْ
 عَنْ مَا تَهْوَى ، فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ
 فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْبِرُ مِنَ شَهْوَةِ الشَّبَابِ حَتَّى لَا تَطْفِئُ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ ،
 فَكَانَ الصَّوْمُ وَسِيلَةً إِلَى كَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ
 حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، فَالصِّيَامُ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ الْفَضَائِلَ وَالْإِخْلَاصَ وَالْأَمَانَةَ
 وَالصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، لِأَنَّهَا إِذَا انْقَادَتْ لِلْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَلَالِ مِنَ الْغِذَاءِ
 الَّذِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهُ طَلِبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَوْفًا مِنَ أَلِيمِ عِقَابِهِ .

فَالْآخَرَى بِهَا أَنْ تَتَمَرَّنَ عَلَى الْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَرَامِ الَّذِي هِيَ غَنِيَّةٌ
 عَنْهُ وَتُبْعِدَ عَنْهُ كُلُّ الْبُعْدِ فَلَا يَغْلُرُ وَلَا يَخُونُ وَلَا يُخْلِفُ وَعَدًّا وَلَا يَكْذِبُ
 وَلَا يَرَائِي .

فَإِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِصَوْمِ صِيَامِهِ عَنِ الْمُنْقَصَاتِ وَالْمُنْقَصَاتِ فَالصَّوْمُ
 لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سَبَبٌ فِي اتِّقَاءِ الْمَحَارِمِ وَقُوَّةَ الْعَزِيمَةِ وَالتَّحَلِّيَ بِالْفَضَائِلِ
 وَالتَّحَلِّيَ عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَالْإِشَارَةَ جَلُّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴾ فَالصَّوْمُ يَدْعُو إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ ، إِذْ هُوَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُبَاشَرَةِ النِّسَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ جَلَائِلِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَى
 خَلْقِهِ .

وَالْامْتِنَاعِ عَنِ هَذِهِ النُّعْمِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى آخِرِهِ
 يُعَرِّفُ الْإِنْسَانَ قَدْرَهَا ، إِذْ لَا يُعْرَفُ فَضْلُ النُّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا فَيَبْتَعُ
 ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا وَشُكْرُ النُّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ ، وَالْإِشَارَةُ هَذَا

أَشَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَيْضاً فَالصَّيَامُ يَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْعَطْفِ
عَلَى الْبَائِسِينَ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَاقَ أَلَمَ الْجُوعِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَذَكَّرَ
الْفَقِيرَ الْجَائِعَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فَيَسَارِعُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . قِيلَ
لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْجُوعِ : لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشْبِعَ فَأَنْسِيَ الْجَائِعَ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ يُنْقِي الْجِسْمَ مِنَ الْفَضَلَاتِ
الرَّدِيئَةِ وَرَطُوبَاتِ الْأَمْعَاءِ ، وَيَشْفِي كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَفِيهِ مِنَ الْمَزَايَا الصَّحِيَّةِ مَا شَهِدَ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصُّلْحِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ
عَلِيمٍ حَكِيمٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ أَنَّهُ يُقْوِي النَّفْسَ عَلَى الْبِرِّ وَالْجَلْمِ وَهَمَا تَجَنَّبَ
كُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ اثَارَةُ الْغَضَبِ لِأَنَّ الصُّومَ يَنْصِفُ الصَّبْرَ ، وَالصَّبْرُ يَنْصِفُ
الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُعَاذِ ابْنِ
جَبَلٍ فِي حَدِيثِهِ الطُّوَيْلِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : (أَلَا
أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الصُّومُ جُنَّةٌ
فَالصُّومُ جُنَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ) .

وَمَنْ يَلَاحِظُ حَالَ الصَّائِمِينَ الْمُؤَفَّقِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحَرُّيِ
الطَّاعَةِ وَتَحَرُّيِ سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرُّغْبَةِ فِي
الْإِحْسَانِ يُدْرِكُ أَنَّ الصُّومَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ ، وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصُّومُ جُنَّةٌ » وَيُدْرِكُ مَا فِيهِ مِنْ تَهْدِيبِ النَّفْسِ .

وَتَطْهِيرِهَا مِنْ الْأَخْلَاقِ الْمَوْثُوقَةِ وَتَرْوِضِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِعْدَابِهَا
لِلسَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ ، فِي فَضْلِ الصَّيَامِ قَوْلُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّيْلِ نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْدُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي
وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وُجُودِ هَذِهِ
الرَّائِحَةِ مِنَ الصَّائِمِ هَلْ هِيَ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ وَقَفَّضُ
النُّزَاعِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ حَيْثُ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ
الطُّيْبُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ
وَمُوجِبَاتُهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَظْهَرُ لِلخَلْقِ طِيبُ ذَلِكَ الْخُلُوفِ عَلَى الْمِسْكِ
كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ دَمُ الْمَكْلُومِ فِي سَبِيلِهِ كَرَائِحَةُ الْمِسْكِ وَكَمَا تَظْهَرُ فِي
السَّرَائِرِ وَتَبْدُو عَلَى الْوُجُوهِ وَتَصِيرُ عَلَانِيَةً وَيَظْهَرُ فِيهِ قُبْحُ رَائِحَةِ الْكُفَّارِ
وَسَوَادُ وُجُوهِهِمْ وَحَيْثُ أَخْبَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ حِينَ يَخْلُفُ وَحِينَ يُمَسُونَ فَلِأَنَّهُ
وَقْتُ ظُهُورِ أَثَرِ الْعِبَادَةِ وَيَكُونُ حِينَئِذٍ طَيْبُهَا عَلَى رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَعِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيهَةً لِلْعِبَادِ .

قَرُبُ مَكْرُوهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْعَكْسِ فَإِنَّ
النَّاسَ يَكْرَهُونَهُ لِمَنَافَرَتِهِ لِطَبَاعِهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَطِيبُهُ وَيُحِبُّهُ لِمُوَافَقَتِهِ
لِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ فَيَكُونُ عِنْدَهُ أَطِيبٌ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَنَا فَإِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهَرَ هَذَا الطُّيْبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عَلَانِيَةً .

وَهَكَذَا سَائِرُ آثَارِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَإِنَّمَا يَكْمُلُ ظُهُورُهَا
وَيَصِيرُ عَلَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ .

شعرا :
لِلَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ فَكَسَا وَجُوهُهُمْ الْوَسِيمَةَ نُورًا

دَكَّرُوا النَّعِيمَ فَطَلَّقُوا دُئِيَاهُمُوا
 قَامُوا يُنَاجُونَ الْإِلَهَ بِأُدْمَعٍ
 سَتَرُوا وَجُوهَهُمُوا بِأَسْتَارِ الدُّجَى
 عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَجَادُوا بِالذِّي
 وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعَتْ حَنِينَهُمْ
 تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ
 صَبَرُوا عَلَى بَلَوَاهُمُوا فَجَزَاهُمُوا
 يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْحَزِينُ إِلَى مَتَى
 بَادِرْ زَمَانِكَ وَاغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ
 وَاضْرَعْ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ وَنَادِهِ
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهَذَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلَى الْوَجْهِ
 الْمَطْلُوبِ يَا كَرِيمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُمَّتِكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَغُفْرٍ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) يَجُوزُ لِمَنْ جَامَعَ بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَغْتَسِلَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ،
 وَصَوْمُهُ صَحِيحٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَجُلًا قَالَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُومُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَاصُومُ » فَقَالَ : لَسْتُ مِثْلَنَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ « وَاللَّهِ ،
 إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْسَبَكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَصُومُ فِي
 رَمَضَانَ » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ لَا حُلْمَ ، ثُمَّ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَقْضِي .

لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَزِمَهُ الْغُسْلُ لَيْلًا مِنْ جُنْبٍ وَحَائِضٍ وَنُفْسَاءٍ انْقَطَعَ دَمُهَا ، وَكَافِرٍ أَسْلَمَ ، أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي .

وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْكَلَ أَوْ يَشْرَبَ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا وَجِبَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ اِعْلَامُهُ . لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِ .

وَمَنْ أَكَلَ شَاكًا فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَدَامَ شَكُّهُ ، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ ، وَإِنْ أَفْطَرَ يَظُنُّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ ، وَلَمْ تَغِبْ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ ، لِمَا رَوَى هِشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ » قِيلَ لِهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ - وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ - أَمَرُوا بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ قَضَاءٍ .

وَلَا يَفْسُدُ صَوْمٌ مَنْ طَارَ إِلَى حَلْقِهِ دُبَابٌ ، أَوْ غَبَارٌ مِنْ طَرِيقِي ، أَوْ دَقِيقٌ أَوْ دُخَانٌ ، لِعَدَمِ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ وَأَمَّا الدُّخَانُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمُحْرَمٌ وَيُفْطِرُ مَنْ شَرِبَهُ .

وَلَا يُفْطِرُ إِنْ فَكَّرَ فَأَنْزَلَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُفِيَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ » .

وَلَا يُفْطِرُ إِنْ احْتَلَمَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِ .
وَمَنْ اغْتَسَلَ ، أَوْ تَمَضَّضَ ، أَوْ اسْتَنْشَقَ فَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى حَلْقِهِ بِلَا

قَصِيدٍ ، لَمْ يَفْسُدْ صَوْمِهِ ، لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَتَا : « نَشَهُدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ لَيُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ » .

وَتُكْرَهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنشَاقِ لِلصَّائِمِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُسْبِغِ الْوُضُوءَ ، وَخَلَّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ ، وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّنِّتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مَطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَرْزُقْنَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ » : ٢ - ذِكْرُ أَشْيَاءَ تَحْرُمُ وَيَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهَا فِي حَقِّ الصَّائِمِ :

يَجِبُ اجْتِنَابُ كُلِّ كَذِبٍ مُحْرَمٍ ، أَمَا الْكَذِبُ لِتَخْلِيصِ مَعْصُومٍ مِنْ قَتْلِ فَوَاجِبٍ ، قُلْتُ وَيَتَرَجَّحُ عِنْدِي مِثْلُهُ أَيْضًا لِتَخْلِيصِ مَالِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ قَاطِعِ طَرِيقٍ أَوْ غَاصِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَالْمَالُ مُثْمَنٌ وَالْأَحْسَنُ يَتَأَوَّلُ ، وَلَا صَلَاحَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَمُبَاحٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ يَنْمِي خَيْرًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْكَذِبِ مَحَبَّةُ النِّفَعِ الدُّنْيَوِيِّ وَحُبُّ التَّرَاثِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُخْبِرَ يَرَى أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى الْمُخْبَرِ بِمَا عَلَّمَهُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِالْعَالِمِ الْفَاضِلِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ يَجْلِبُ بِمَا يَقُولُهُ فَضْلًا وَمَسْرَةً وَهُوَ يَجْلِبُ بِهِ نَقْصًا وَفَضِيحَةً فَالْكَذِبُ رَذِيلَةٌ مَحْضَةٌ مِنْ أَرْدَلِ الرِّذَائِلِ يُنْبِئُ عَنْ تَغْلُغْلِ الْفَسَادِ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا وَعَنْ سُلوِكِ يُنْبِئُ الشَّرَّ انْشَاءً فَالْكَذِبُ يَتَصَدَّعُ

به بُنْيَانُ الْمَجْتَمَعِ وَبِهِ يَخْتَلُ سَيْرُ الْأُمُورِ ، وَتُسْقَطُ صَاحِبَهُ مِنَ الْعِيُونِ وَلَا يُوثَقُ فِي قَوْلِهِ ، وَلَا يُوثَقُ بِهِ فِي عَمَلٍ ، وَلَا يُرْعَبُ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَأَحَادِيثُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوكَةٌ ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا وَبِئْسَ لِلَّذِي يُحَدِّثُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَبِئْسَ لَهُ وَبِئْسَ لَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقُ أَبِي بَغَضٍ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذِبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنْهَا تَوْنَةً رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا قَالَ لَا الْحَدِيثِ رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَهَا وَتَعْلِيمَهَا لِلنَّاسِ فَإِنَّ الْكَاذِبَ يُصَوِّرُ الْمَعْدُومَ مَوْجُودًا وَالْمَوْجُودَ مَعْدُومًا وَالْحَقَّ بَاطِلًا وَالْبَاطِلَ حَقًّا وَالْخَيْرَ شَرًّا فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ عُقُوبَةً لَهُ ثُمَّ يُصَوِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ الْمُغْتَرِّ بِه الرَّاكِنُ إِلَيْهِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ وَنَفْسُ الْكَاذِبِ مُعْرِضَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَوْجُودَةِ تَرَاعَةً إِلَى الْعَدَمِ مُؤَثِّرَةٌ لِلْبَاطِلِ . وَلِهَذَا كَانَ الْكَذِبُ أَسَاسُ الْفُجُورِ .

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْرِي الْكَذِبُ مِنَ النَّفْسِ
إِلَى اللِّسَانِ فَيُفْسِدُهُ ثُمَّ يَسْرِي إِلَى الْجَوَارِحِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا كَمَا
أَفْسَدَ عَلَى اللِّسَانِ أَقْوَالَهُ فَيَعْمُ الْكَذِبُ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَيَسْتَحْكِمُ
عَلَيْهِ الْفَسَادَ وَيَتْرَامِي دَاوَاهُ إِلَى الْهَلَكَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ بِدَوَاءِ الصُّدُقِ
بِقَلْعِ تِلْكَ الْمَادَّةِ مِنْ أَصْلِهَا .

وَلِهَذَا كَانَ أَصْلُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا الصُّدُقَ وَأَضْدَادُهَا مِنَ الرِّيَاءِ
وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْأَشْرَ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ
وَالْمَهَانَةِ وَغَيْرِهَا أَصْلُهَا الْكَذِبُ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ
الصُّدُقُ وَكُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الْكَذِبُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يُعَاقِبُ الْكُذَّابَ بِأَنْ يُقْعِدَهُ وَيُسَبِّطَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ وَيُثِيبُ الصَّادِقَ بِأَنْ
يُوفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ

وكان الصدق في صدر الإسلام أساساً في القول والعلم والمعاملة ،
وخصوصاً فيما يتعلق بالدين وحفظ الحديث .

فقد ورثت عن العلماء الأوائل علوم الدين مضبوطة كاملة كما أنزلت
على رسول الله ﷺ وحدث عنها .

وكان علماء الدين وجامعوا أحاديث النبي ﷺ يتحرون صدق
المحدث بشكل عجيب .

يُدْرُسُونَ حَيَاتَهُ وَيَتَحَقَّقُونَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ
وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى سُلْطَانٍ فِي صُحْبَةٍ أَوْ وَظِيفَةٍ .

وأنه يطبق تعاليم الدين كاملة ولم تعهد عليه كذبة في حياته . فعندها
يؤخذ عنه الحديث النبوي .

ومثال على ما ذكّر عن الامام أحمد رحمه الله أنه سمع بوجود حديث عند عالم بدمشق فسافر إليه من بغداد حتى وصل دمشق فمكث مدة يسأل عن العالم وعن أخلاقه ومعاملته وكلامه .

حتى إذا وثق من صدقه أتاه مبكراً بعد أن اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه إجلالاً للحديث ولمن يحمله .

ولما اقترب من بيته وجد العالم خارجاً من بيته يقود حماره وقد كان حمالاً يكتسب رزقه .

فرفض الحمار أن يسير معه فحاول أن يجره أو يسوقه بمختلف الوسائل وبأبى الحمار .

فجمع له طرف جيبته وقدمه للحمار ليؤهمه أن في الجبّة شعير أو نحوه فتبعه الحمار .

فنظر الإمام أحمد إلى الجبّة فوجدها خالية ما فيها شيء .
فترك أحمد العالم والأخذ عنه حيث تبين له كذبه على الحمار .
فلا يؤتمن على الحديث الشريف أه .

سَلَامِي عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ فَإِنِّي
هُمُوا بَدَلُوا فِي حِفْظِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
وَأَعْنِي بِهِ أَسْلَافَ أُمَّةِ أَحْمَدِ
أُولَئِكَ أَمْثَالُ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمِ
بُحُورٌ وَحَاشَاهُمْ عَنِ الْجَزْرِ إِنَّمَا
رَوَوْا وَارْتَوَوْا مِنْ بَحْرِ عِلْمِ مُحَمَّدٍ
كَفَاهُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَالسُّنَّةُ الَّتِي
فَمُقْتَدِيًا بِالْحَقِّ كُنْ لَا مُقَلِّدًا
فَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْمُقَلِّدِ فِي الْهُدَى
نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الْأَحَادِيثِ مِنْ مَهْدِي
وَتَنْقِيحِهَا مِنْ جُهْدِهِمْ غَايَةَ الْجُهْدِ
أُولَئِكَ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ هُمُوا قَصْدِي
وَأَحْمَدُ أَهْلُ الْجَدِّ فِي الْعِلْمِ وَالْجَدُّ
لَهُمْ مَدَدٌ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ بِالْمَدِّ
وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَذَاهِبُ مِنْ وَرْدِ
كَفَتْ قَبْلَهُمْ صَحْبَ الرَّسُولِ ذَوِي الْمَجْدِ
وَحَلَّ أَخَا التَّقْلِيدِ فِي الْأَسْرِ بِالْقَدِّ
وَمَنْ يَقْتَدِي وَالضِّدُّ يُعْرِفُ بِالضِّدِّ

فَمَنْ يَقْتَدِي أَصْحَى إِمَامَ مَعَارِفٍ وَكَانَ أَوْسَى فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ
فَمَا اسْتُجِلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصَّدَقِ وَلَا مَفَاسِدُهُمَا
وَمَضَارُهُمَا بِمِثْلِ الكَذِبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَإِذَا
عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ .

شعرا :

عَلَيْكَ بِالصُّدُقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصَّدَقُ بِنَارِ الوَعِيدِ
وَاطْلُبْ رِضَى المَوْلَى فَاشْقَى الوَرَى مَنْ أَسْحَطَ المَوْلَى وَأَرْضَى العَيْدِ
أخبر :

عَوْدُ لِسَانِكَ قَوْلَ الصَّدَقِ تَحْظُ بِهِ

إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَدَتْ يَعْتَادُ

مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَّتْ لَهُ

فِي الصَّدَقِ وَالكِذْبِ فَانظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ) فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الكَذِبِ

وَيَتَنَوَّعُ الكَذِبُ إِلَى أَنْوَاعٍ ، فَمَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأَمْوَالِ النَّاسِ
وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ هُوَ مِنْ أَشَدِّ الكَبَائِرِ وَأَقْبَحِ الجَرَائِمِ الَّتِي تُضِرُّ
بِالمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَتَقْضِي عَلَى العَدْلِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَقُولُ الزُّورَ
لَيَقْتَطِعُ حُقُوقَ عِبَادِ اللَّهِ أَوْ يَثْلِمُهُمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ الْإِنْسَانِيَّةَ
وَيُؤْلِمُهَا .

وَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِعُضْبِ اللَّهِ وَكَانَ سَبِيًّا فِي بَثِّ الْفَوْضَى وَإِعْرَاءِ
 الْمُجْرِمِينَ عَلَى اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ فَيَنَالُونَ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا
 يَشْتَهُونَ وَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ شَاهِدَ الزُّورِ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى
 الْإِفْلَاقِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَكْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَرَ قَوْلِ الزُّورِ وَأَعْظَمَ
 جُرْمَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ : « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ
 مُتَكِبًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ
 سَكَتَ ، فَجَلُوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اتِّكَائِهِ إِهْتِمَامًا بِشَأْنِهِ ،
 وَصَدَرَ قَوْلُهُ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ وَكُرِّرَ كَلِمَتُهُ حَتَّى شَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَبَدَأَ الْغَضَبُ فِي
 وَجْهِهِ ، وَتَمَنَّى أَصْحَابُهُ لَوْ سَكَتَ .
 وَقَوْلُ الزُّورِ يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ بِالْبَاطِلِ وَالْحُكْمَ الْجَائِرَ وَرَمَى الْأَبْرِيَاءِ
 وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ .

وَعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ عَدِلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ
 بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَرَأَ : « فَاجْتَنِبُوا الرُّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
 الزُّورِ حُنْفَاءً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَشَاهِدُ الزُّورِ يُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ إِذْ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَيُسِيءُ
 إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي
 إِضَاعَةِ حَقِّهِ وَيُسِيءُ إِلَى الْقَاضِيِ الَّذِي جَلَسَ يَتَحَرَّى الْعَدْلَ لِيُحْكَمَ بِهِ
 وَيُنْصَفَ الضَّعْفَاءُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ وَيَنْتَرِعَ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ بَأَنَّهُ بِشَهَادَتِهِ
 بِالزُّورِ يُظَلُّهُ وَيَسُدُّ أَمَامَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيَفْتَحُ بَابَ الْبَاطِلِ .

وَبِهَذَا يَشُلُّ يَدَ الْعَدَالَةِ أَنْ تَقْتَصِرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَيُسِيءُ
 شَاهِدُ الزُّورِ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَسْرَتِهِ لِأَنَّهُ يُلَوِّثُهَا بِهَذِهِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَالْفَائِئَةِ

الْقَيْحَةِ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلَةُ الْمُزُورِ ، وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ
أَذْيَةِ لِلْمُسْتَقِيمِينَ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الصُّدْقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبُرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصُدَّقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ
اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ
الْكَذِبَ مِنْ صِفَاتِ النِّفَاقِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَمِنَ
شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ ،
اللَّهُمَّ أْتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصُّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا
وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

في التحذير من الغيبة

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ الْغَيْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾
أَيُّ لَا يَتَنَاوَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوؤُهُ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى لِلْغَيْبَةِ
مَثَلًا فَقَالَ : « أَيَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » ، وَعَنْ
الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ أُرِي
الرَّبِّيَ اسْتِطَالَهُ الرَّجُلُ فِي عِرْضِ أَخِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فَإِنْ دِمَاءُكُمْ
وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَهُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ
مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَلَّلَ كَلَامَهُ إِلَّا فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَلاَهُ لِيَسْلَمَ وَيَعْتَمَ .

أَسْنَى كَلَامِكَ مَا أَرَدْتَ بِفِعْلِهِ رُشْدًا وَخَيْرَ كَلَامِكَ التَّسْبِيحُ
شِعْرًا: أَقْبَلُ كَلَامَكَ وَاسْتَعِذُّ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ يَبْغِضُهُ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ عَيْهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكَفَّ فُؤَادَكَ بِاللِّسَانِ وَقَلَّ لَهُ إِنَّ الْكَلَامَ عَلَيْكُمَا مَوْزُونُ

آخر :

إِنْ صُمْتُ عَنْ مَأْكَلِ الْعَادِي وَمَشْرِبِهِ فَلَا تُحَاوَلْ عَلَى الْأَعْرَاضِ إِفْطَارًا
يَعُدُّ عَلَى كَسْبِ دِينَارٍ أَخُو عَمَلٍ لَوْ يُوزَنُ الْإِثْمُ فِيهِ كَانَ قِنطَارًا

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ مِنْ
أَرْبَى الرُّبَا الْأَسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَإِنْ قِيلَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قِيلَ قَدْ حَدَّثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ ، قَالَ (أحدهم) : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟
قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ »
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ الْغَيْبَةِ التَّمَثِيلِيَّاتِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْهَيْئَاتِ وَمُحَاكَاتِهِمْ فِي اللَّبَاسِ
عَلَى وَجْهِ التَّنْقِصِ وَالْأَسْتِهْتَارِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَهَمُوكُونَ فِي أَكْلِ لُحُومِ
الْغَوَافِلِ . فَتَكُونُ الْغَيْبَةُ بِالتَّعْرِيفِ وَبِالْكِنَايَةِ وَبِالْحَرَكَةِ وَبِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ
بِالْيَدِ وَكُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمَقْصُودُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَيْبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَلَمَّا
وَلَّتْ أَوْمَأَتْ بِيَدِي أَيْ قَصِيرَةً فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اغْتَبْتَهَا وَقَدْ رَوَى
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ قَوْلُ عَائِشَةَ عَنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ وَأَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَنَظَرَ فِي الْبَابِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيفَ ،

قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا إِخِي يَا جَبْرِئِيلُ » ؟ قَالَ : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ »

شِعْرًا : عَلَامَ رَغِبْتَ بِالْأَوْزَارِ حَتَّى
بِضْرٍ النَّاسِ كَمْ تَعْدُو وَلُوعًا
فَوَا عَجَبًا لِمُعْتَابِ زَيْنِمِ
وَلَمْ يَخْتَرْ سُلُوكًا غَيْرَ غَدْرِ
رَغِبْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِكُلِّ فَرَضٍ
بِأَثَابِ تُمَزُّقِ كُلِّ عِرْضٍ
بُرُورِ الْقَوْلِ وَالْبُهْتَانِ يَمْضِي
بِهِ قَرَضَ الْأَكَارِمِ شَرَّ فَرَضٍ

يَظُلُّ عَلَى الْفَسَادِ وَلَيْسَ يَدْرِي
آخِرُ : بَلَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءُ
عَدَاوَةِ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبِيحُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنَعْهُ
بِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ النَّاسِ يَقْضِي
بِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ النَّاسِ يَقْضِي
عَدَاوَةِ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
وَيُرْتَعِ مَنْكَ فِي عِرْضِ مَصُونٍ
يُقَالُ وَإِنْ تَرَادَفَهُ الْمَلَامُ
آخِرُ : إِذَا لَوَّمُ الْفَتَى لَمْ يَخْشَ مِمَّا

مَكَانِي وَيُثْنِي صَالِحًا حَيْثُ أَسْمَعُ
تَوَرَّعْتُ أَنْ أُغْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ
بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَتَوَرَّعُ
وَذِي حَسَبٍ يَغْتَابُنِي حَيْثُ لَا يَرَى

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كَسَبَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ فِي
جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِبَاةٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِبَاةٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَالْغِيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ ، كَثِيرًا مَا تَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتُبَيِّرُ
الْأَحْقَادَ ، وَتُسْتَتِ السُّمْلَ ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مُضِيْعَةٌ لِلْوَقْتِ بِالْإِسْتِغَالِ بِمَا
يَضُرُّ الْإِنْسَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ . وَمِمَّا نَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ تَحْرِيْمُ الْغِيْبَةِ وَخَطَرُهَا وَشَرُّهَا
فَإِذَا يَجِبُ الْأَنْكَارُ عَلَى الْمُغْتَابِ وَرَدُّعُهُ .

وَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَدُلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَدَلَّهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ : لَا يُعْجِبُنْكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَفَظَتُهُ وَلَكِنْ مَنْ أَدَى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ وَقَالَ أَيْضًا كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَسْتَيْبِنَ لَهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَيَمْتَقُتُ النَّاسَ عَلَى مَا يَأْتِي .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِعْلَمُ أَنَّ الْعَيْبَةَ مَعَ تَحْرِيمِهَا شَرْعًا وَعَقْلًا هِيَ عَيْنُ الْعَجْزِ وَنَفْسُ اللُّؤْمِ وَدَلِيلُ النُّقْصِ تَأْبَاهَا الْعُقُولُ الْكَامِلَةُ وَالنُّفُوسُ الْفَاضِلَةُ لِمَا فِيهَا مِنَ انْحِطَاطِ الرَّثِيَّةِ وَانْخِفَاضِ الْمُنْزَلَةِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : الْعَيْبَةُ إِدَامُ كِلَابِ النَّاسِ

وَقَالَ الْحَسَنُ يَا ابْنَ آدَمَ لَنْ تَنَالَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعْيِبَ النَّاسَ بِعَيْبٍ هُوَ فِيكَ وَتَبْدَأَ بِذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتُصْلِحَهُ فَمَا تُصْلِحُ عَيْبًا إِلَّا تَرَى عَيْبًا آخَرَ فَيَكُونُ سُمْغُكَ فِي خَاصَةِ نَفْسِكَ وَقِيلَ لِرُبَيْعِ بْنِ خَيْثَمٍ مَا نَرَاكَ تَعْيِبُ أَحَدًا وَلَا تَذُمَّهُ فَقَالَ مَا أَنَا عَلَى نَفْسِي بِرَاضٍ فَاتْفَرَّغْ مِنْ عَيْبِهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

شَرُّ الْوَرَى مَنْ بَعَيْبِ النَّاسِ مُشْتَغِلًا مِثْلُ الذُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعِلَالِ
آخَرُ : وَأَكْرَرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغِيئَةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَ لَا لَهُ جُهْدُ

آخر: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أُعْرَضَ الرِّجَالِ فَإِنْ
 آخر: إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَأَثْرُكَ عُيُوبُهُمْ
 فَإِنْ عَيْتَ قَوْمًا بِالَّذِي هُوَ فِيهِمْ
 آخر: يَمْنَعُنِي مِنْ عَيْبِ غَيْرِي الَّذِي
 عَيْبِي لَهُمْ بِالظَّنِّ مِنِّي بَدَا
 إِنْ كَانَ عَيْبِي غَابَ عَنْهُمْ فَقَدْ
 رَأَتْ بِفِيكَ فَإِنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
 فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
 فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ
 أَعْرِفُهُ عِنْدِي مِنَ الْعَيْبِ
 وَلَسْتُ مِنْ عَيْبِي فِي رَبِّ
 أَحْصَى عُيُوبِي عَالَمَ الْعَيْبِ

وَبِالتَّالِي فَحَطَّرُ اللِّسَانَ عَظِيمٌ لَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ فَإِنَّ الْعَيْنَ لَا
 تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ وَالْأَذُنُ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَصْوَاتِ وَالْيَدُ لَا
 تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَجْسَامِ وَاللِّسَانُ يَجُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَبِهِ يَبِينُ الْإِيمَانُ مِنَ
 الْكُفْرِ .

لَعُمْرِكَ مَا لِلْمَرْءِ كَالرَّبِّ حَافِظُ وَلَيْسَ سِوَى الْقُرْآنِ لِلْمَرْءِ وَاعِظُ
 لِسَانِكَ لَا يُلْقِيكَ فِي الْغِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مَا أُخُوذُ بِمَا أَنْتَ لَافِظُ

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
 حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ .

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلْوِينِهِ
 إِنِّي لِأَكْثَرُ مِمَّا سُمْتَنِي عَجَبًا
 تَعْتَابِنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدُحْنِي
 هَذَا أَمْرَانِ شَتَى الْبُؤْسُ بَيْنَهُمَا
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ الْوَدَّ هَانَ إِذَا
 لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ
 أَرْضَى عَنِ الْمَرْءِ مَا أَصْفَى مَوَدَّتَهُ
 وَاللَّهُ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُصَاحِبَتِي
 أَنْصَرِحْ أُمَّ عَلَى غِشٍّ يُدَاجِنِي
 يَدٌ تَشُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
 فِي آخِرِينَ ، وَكُلُّ عَنَّاكَ يَا تَبْنِي
 فَكَفَّفْ لِسَانَكَ عَنِ ذَمِّي وَتَرْبِنِي
 عَلَيَّ بَعْضُ الَّذِي أَصْبَحْتَ تُؤَلِّينِي
 مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَكْفِينِي
 وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَعْضَاءِ يُرْضِينِي
 لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرَى لَهَا يَبْنِي

ثم اثبتت على الأخرى فقلت لها :
 لا أبتغي ود من يبغي مقاطعتي
 إتي كذاك إذا أمرت تعرض لي
 خرجت منه وعرضني ما أدتسه
 رب أمرى أجنبي عن ملاحظتي
 ومضطرب بي مدار ذبي مكاشرة
 ليس الصديق الذي تحشى بواده
 يلومني الناس فيما لو أخبرهم
 أن تسنديني والأ مثلها كوني
 ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
 خشيت منه على دنيائي أو ديني
 ولم أقم غرضاً للنذل يرمني
 محض المودة في البلوى يواسيني
 مفض على وغر في الصدر مكنون
 ولا العدو على حال بما مؤن
 بالعدر مني فيه لم يلوموني

اللهم وفقنا لإصلاح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»: وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» وأخرج الترمذي ولفظه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها عليه سخطه إلى يوم القيامة» رواه في شرح السنة ورواه مالك والترمذي وابن ماجه نحوه.

فالغيبه من آفات اللسان ومن الذنوب التي قل من يسلم منها كالكذب والرياء والربا والمداهنة.

وإذا فهمت ما سبق فاعلم أن الذنوب المتعلقة بحقوق العباد لا تمحى إلا أن عفوا عنها أو ردت لهم مظالمهم، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبا الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله».

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى :
 ﴿ أَنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ .
 وَأَمَّا الَّذِي لَا يَغْبَأُ اللَّهَ بِهِ شَيْئاً فَظَلَّمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ
 مِنْ صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ أَنْ شَاءَ وَأَمَّا
 الدُّيُونُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً فَظَلَّمَ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ لَا
 مَحَالَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فَظَلَّمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ أَخْفُ الدُّوَابِّ وَأَسْرَعُهَا مَحْوًا فَانَّهُ يُمَحَى بِالتَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ
 وَالْحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكْفَرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَا رَبَّ أَنْ الْغِيْبَةَ جَنَابَةً عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَهُمْ غَافِلُونَ
 فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَتَحَلَّلَ مِمَّنْ اغْتَابَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَفْوَ أَنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ
 وَيَتُوبُ وَيَتَنَدَّمُ وَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اغْتَابَهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ
 عِنْدَ مَنْ اغْتَابَهُ عِنْدَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةٍ
 الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَابَهُ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَى الْغِيْبَةِ مَصْلَحَةٌ أَوْ دَرَّةٌ مَفْسَدَةٌ كَانَتْ لِأَزْمَةٍ
 وَإِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهَا أَمْرٌ جَائِزٌ فَجَائِزَةٌ ، وَيُمْكِنُ ضَبْطُ الْأَوَّلِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَوْ
 سِتَّةِ أُمُورٍ .

الأوَّلُ : الْمَظْلُومُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَشْكُوَ لِمَنْ يَرْفَعُ مَظْلَمَتَهُ ، فَلَهُ أَنْ
 يَذْكُرَ عَيْبَ ظَالِمِهِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ حَقِّهِ .

الثَّانِي : الْأَسْتِعَانَةُ بِأَيِّ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّ لَهُ قُدْرَةَ عَلَى
 إِزَالَتِهِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فَلَانًا ارْتَكَبَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا .

الثالث : الاستفتاء فإنه يجوز للمستفتي أن يقول للمفتي : إن فلاناً ظلمني في كذا وكذا ، فهل يجوز له ذلك مثلاً ؟

الرابع : التحذير فيحذر المسلم من شر من يتصدى للزعامة في أمورهم العامة ، أو من يتوقف عليه القضاء في مصالحهم ؛ أو من يتصدى لإفتائهم وتعليمهم ، كالزعماء في الشؤون الدينية والدنيوية والشهود والمدرسين ونحو ذلك ممن يشترط فيهم الأمانة والإنصاف بمكارم الأخلاق ، فيصح أن يبين ما فيهم من النقائص والعيوب ويرفع بامرهم ليعتدوا .

الخامس : أن يتجاهر بفسقه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : كل أمتي معافى إلا المجاهرُونَ .

حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ شَيْطَانِ إِنْسٍ	به لعب الهوى مع شر رهط
يُرِيكَ تَمَلُّقاً مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ	ويؤدي للخداع لسان بسط
رُرْبِكَ لَا تُعْرَبُ بِهِ وَحَاذِرٍ	وقوعك في حضيض هوان سخط
فَلَا تَصْحَبْ سِوَى حِلٍّ تَحَلَّى	بإيمان قويم ليس يخطي
تَلَّ عِزًّا وَمَجْدًا وَاعْتَبَارًا	وربك خير فضل منه يعطي

اللهم وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك إنك على كل شيء قدير ولله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصل) وأسباب الغيبة أحد عشر :

١ - تشفي العيظ بذكر مساوي الموقوف في عرضه بالغيبة قولاً أو فعلاً .
موافقة الأقران والزملاء ومساعدتهم ويرى ذلك في حسن المعاشرة ،
وأنه لو أنكر عليهم استقلوه فيساعدتهم على ذلك .

٣ - أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيَقْصِدُهُ وَيَطْوُلُ لِسَانَهُ عَلَيْهِ أَوْ يُقَبِّحَ حَالَهُ
عِنْدَ مُحْتَشِمٍ فَيُيَادِرُهُ فَيَطْعَنُ فِيهِ لِيُسْقِطَ شَهَادَتَهُ أَوْ يَبْتَدِيءَ بِذِكْرِ مَا فِيهِ صَادِقًا
عَلَيْهِ لِيَكْذِبَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ فَيَرُوجُ كَذِبُهُ بِالصِّدْقِ الْأَوَّلِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .
وَالْيَحْذَرُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذِي الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءَ وَهُوَ لَاءَ وَهُوَ لَاءَ بِوَجْهِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ .

يَسْعَى عَلَيْكَ كَمَا يَسْعَى إِلَيْكَ فَلَا تَأْمَنُ غَوَائِلَ ذِي وَجْهَيْنِ كَذَّابٍ

٤ - أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيَذْكَرُ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فَلَانٌ وَيَتَبَرَّأُ مِنْهُ مَعَ أَنَّ
التُّبْرَانَ يَحْضُلُ بِدُونِ أَنْ يَذْكَرَ الْغَيْرَ بِشَخْصِهِ .

٥ - أَنْ يَنْطَوِي عَلَى عِدَاوَةِ شَخْصٍ وَيَحْسِدُهُ فَيَرْمِيهِ بِمَسَاوِيءٍ
وَمَعَائِبَ يَنْسِبُهَا إِلَيْهِ لِيَصْرِفَ وَجْهَ النَّاسِ عَنْهُ وَيُسْقِطَ مَهَابَتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنْ
النُّفُوسِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ اثْبَاتُ فَضْلِ نَفْسِهِ وَلَكِنْ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ يَعْرِفُ أَنَّهُ
مَا أَضْرُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَلَا أَشَدُّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِعْتِرَافِ
بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ كَمَا قِيلَ :

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ بِمِثْلِ إِعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ
وَلَيْسَ مِنَ الْأَنْصَافِ أَنْ يَدْفَعَ الْفَتَى يَدَ النَّقْصِ عَنْهُ بِإِنْتِقَاصِ الْأَفْضَلِ
آخِرُ :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مَنْ تَخْفَى عَلَيْهِ عُيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي بِأَخِيهِ
وَكَيْفَ أَرَى عَيْبًا وَعَيْبِي ظَاهِرًا وَمَا يَعْرِفُ السُّوَأَاتِ غَيْرَ سَفِيهِ

فَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا مُبْتَلَى بِسَبِّ الْعَوَاقِلِ وَأَكْلِ لُحُومِهِمْ يُرِيدُ بِذَلِكَ رِفْعَةَ
نَفْسِهِ وَخَفْضَ الْغَيْرِ كَانَ يَقُولُ فَلَانٌ جَاهِلٌ أَوْ فَهْمُهُ ضَعِيفٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ
التَّعْلِيمَ أَوْ عِبَارَتُهُ رَكِيكَةٌ أَوْ لَا يُحْسِنُ الْخُطَابَةَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَدَرَّجُ بِهِ إِلَى إِظْهَارِ
فَضْلِ لِنَفْسِهِ بِسَلَامَتِهِ مِنْ تِلْكَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ فَقُلْ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ هَذَا لَا يَرْفَعُكَ

ولا يزيل ما فيك من النقائص اقتصر على تأمل عيوبك فهو أولى بك بامغرور .

٦ - أن يقدح عند من يحب الشخص حسداً لأكرامهم ومحبتهم له .

٧ - أن يقصد اللعب واهزل والمزاح والمطايبة ويضحك الناس .

٨ - السخرية والاستهزاء بالشخص استحقاقاً له وهو يجري في

الحضور والغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزاء به وزدراءه . وهذا غالب

على كل من نزلت همته وركت حالته وصار يضحك الناس .

شعر :

إن صمت عن مأكلي العادي ومشربه فلا تحاول على الأعرض إفتاراً

٩ - أن يتعجب من فعل الغائب للمنكر وهذا من الدين لكن أدى

إلى الغيبة بذكر اسمه فصار مغتاباً من حيث لا يدري .

١٠ - أن يفتن لسبب ما يتلى به فيقول مسكين فلان قد عمي أمره

وما أتلي به من المعصية وعمه ورحمته خير لكن ساقه إلى شر وهو الغيبة

من حيث لا يدري أنه صاعها بصيغة الترحم والتوجع .

١١ - أظهار الغضب لله على منكر قارقه إنسان فيذكر الإنسان

باسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه على فاعله ولا يظهر عليه غيره بل

يستر اسمه وهذه الثلاثة ربما تخفى على العلماء وطلبة العلم فضلاً عن

العوام ولذلك تسمع منهم كثيراً ما يقولون فلان ونعم لولا أنه يفعل كذا

وكذا يعامل بالربا مثلاً وكان الواجب نصحته بدل الغيبة ولكن يا أخي بشير

الموقوع في عرضه بغيبة أو قذف أو سب أو تم أو نحو ذلك بأنه سيفرح ويستتر

حين ما يأخذ حسنات ما تعب بها في ليل ولا نهار ولا صيف ولا شتاء وهل

أحلى وألذ من حسنات تأتيك ما تعبت بها .

شعر :

بشارك المغتاب في حسناته

ويعطيك أجرى صومه وصلاته

وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنُّ بِحَمَلِهِ
عَنْ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَهَيْتُ عَدُوَّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْتِعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاحِطًا
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَتْتَصِفُ يَنْفَعُ ضِرَامًا قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزِي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُثْنِي بِهِ فِي حَيَاتِهِ
يَنْظُلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالِ مَمَاتِهِ
وَلَا يَسْتَجِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدْعِي

بِأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
 وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمِ مَيْتٍ كِلَاهُمَا
 وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبَ اضْطِرَارًا أَقْبَاتِهِ
 تَسَاوَيْتُمَا أَكْلًا فَأَشَقَّاكُمَا بِهِ
 غَدًا مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبَعَاتِهِ
 وَمَا لِكَلَامٍ مَرًّا كَالرَّيْحِ مَوْقِعُ
 فَيَنْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنِ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنَ
 الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِجْنِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ
 وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النُّعْمَةِ . اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ
 خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ
 وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا
 سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَلَا يَتَمُّ الصِّيَامُ لِمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُ النَّظَرُ إِلَى
 الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالرَّجُلِ الْأَمْرَدِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا
 عَوْرَةٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَى مَنْ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِهَا وَلَا شَعْرَهَا
 الْمُتَّصِلِ بِهَا وَمَا تَفَعَّلُهُ بَعْضُ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالتَّجَمُّلِ فِي الْأَسْوَاقِ
 مَا هُوَ مُجَاهِرَةٌ بِالْمَعَاصِي وَتَشْبَهُ بِنِسَاءِ الْأَفْرُجِ .

فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَفْظَعِهَا خُرُوجُ الْمَرْأَةِ كَاشِفَةً رَأْسِهَا أَوْ عُقْفَهَا
 أَوْ نَحْرَهَا أَوْ ذِرَاعَيْهَا أَوْ سَاقَيْهَا أَوْ وَجْهَهَا أَوْ الْجَمِيعَ أَوْ الثِّيَابِ الْمُظْهِرَةَ

لِلْمَقَاتِينِ أَوْ اللَّبَاسِ الشُّفَافِ الَّذِي وُجُوْدُهُ كَعَدَمِهِ لَا يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ فَهَذَا دَاخِلٌ فِي التَّبْرُجِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ وَمَنْ لَهُ عَلَيْهِنَّ وِلَايَةٌ وَيَقْبَلَنَّ مِنْهُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيُلْزِمُهُنَّ السُّتْرَ وَالتَّحْفُظَ وَيَنْصَحَ إِخْوَانَهُ الْمُهْمِلِينَ لِلْمُتَّصِفَاتِ بِذَلِكَ .

وَمِنْ الْأَدَابِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُنَّ الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعِفَافِ وَالتَّقَى وَالتَّسْتُرِ وَالحَيَاءِ وَالاِيْمَانِ وَمَعَ حَيَاءِ النَّاسِ مِنْهُنَّ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُنَّ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ .

قَالَ مُقَاتِلٌ : التَّبْرُجُ أَنَّهَا تَلْقَى الخِمَارَ عَلَى رَاسِهَا وَلَا تَشُدُّهُ فَيُوَارِي فَلَا يَدَّهَا وَقُرْطَهَا وَعُنُقَهَا وَيَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا وَذَلِكَ التَّبْرُجُ .

وَقَالَ تَعَالَى أَمْرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَّا لِمَا أَبَاحَ لَهُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِهِ : قُدِّمَ غَضُّ البَصْرِ عَلَى جَفْظِ الفُرُوجِ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزِّنَا وَرَائِدُ الفُجُورِ وَالبَلْوَى فِيهِ أَشَدُّ وَآكْثَرُ لَا يَكَادُ يَقْدُرُ عَلَى الاِخْتِرَازِ مِنْهُ ، وَهُوَ البَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى القَلْبِ وَأَعْمَرُ طُرُقِ الحَوَاسِّ إِلَيْهِ وَيَكْثُرُ السَّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ قَالَ البَغْوِيُّ : أَي خِيَانَتِهَا ، وَهِيَ اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ نَظَرُ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال : « كَتَبَ عَلَيَّ ابْنُ آدَمَ نَصِيئَهُ مِنَ الزُّنَا ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ،
الْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا السَّمْعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ ،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شعرا: تَخَيَّرَ مِنَ الطُّرُقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنِ الْجَانِبِ الْمُشْتَبِهَةِ
وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ التُّطْقِ بِهِ
فَأِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَاتَّبِعْهُ
وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ
مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبَدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ .

وَرَوَى الْأَضْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ
وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَيْنًا خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جِبَانَ فِي حَيْجِهِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ
وَاعْتَرَضَهُ الْمُنْذِرِيُّ .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوا
لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اضْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا
وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اتَّيَمَنْتُمْ واحفظوا فُرُوجَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكَفُّوا
أَيْدِيَكُمْ . وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالنَّظْرُ أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي
تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَإِنَّ النَّظْرَةَ تُؤَلِّدُ خَطْرَةَ ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْخَطْرَةَ فِكْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ
الْفِكْرَةَ شَهْوَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الشَّهْوَةَ إِرَادَةً ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَازِمَةً فَيَقَعُ
الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ .

وَفِي هَذَا قِيلَ : الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ النَّظْرِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلْمِ بَعْدِهِ .

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ
وَالْعَيْنُ أَصْلُ عَنَاهَا فِتْنَةُ النَّظْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ تَقَشَّتْ فِي الْقَلْبِ صُورَةً مِنْ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
يَسْرٌ مُقَلَّتَهُ مَاضِرٌ مُهَجَّتَهُ
فَالْقَلْبُ يَحْسُدُ نُورَ الْعَيْنِ إِذْ نَظَرَتْ
يَقُولُ قَلْبِي لِعَيْنِي كُلَّمَا نَظَرَتْ
فَالْعَيْنُ تُورِثُهُ هَمًّا فَتَشْغُلُهُ
هَذَا نِ حَصْمَانِ لَا أَرْضَى بِحُكْمِهِمَا

وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْعَرِ الشَّرِّ
وَالْقَلْبُ كُلُّ أَذَاهُ الشُّغْلُ بِالْفِكْرِ
رَاحَ الْفُؤَادُ بِهَا فِي الْأَسْرِ وَالْحَذَرِ
فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَطَرِ
لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرْرِ
وَالْعَيْنُ تَحْسُدُهُ حَقًّا عَلَى الْفِكْرِ
كَمْ تَنْظُرِينَ رَمَاكَ اللَّهُ بِالسَّهْرِ
وَالْقَلْبُ بِالدمعِ يَنْهَاهَا عَنِ النَّظْرِ
فَاحْكُمْ فَدَيْتِكَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا
الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يُحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تُحْرِمْنَا
بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ
النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ فَقَالَ: اصْرِفْ بَصْرَكَ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ
تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ

مَا يُعْجِبُهُ فَلَيَاتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ
فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا
فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ
فِي النِّسَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَا مِنْ
مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمَّةٍ ثُمَّ يَغْضُ بِبَصَرِهِ إِلَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَهُ
عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوتَهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْرًا :

لَا تَخُلْ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيَّةَ
لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَاكِ مِثْلَ بَنَانِ
وَإِغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مَلَا حِظَةِ النِّسَاءِ
وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصُّبْيَانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ
مِثْلَ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللَّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسُودَهَا
أَكَلَتْ بِلا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

آخِر :

لَيْسَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي فَرِيْسَتَهُ عِنْدَ النَّزَالِ وَنَارَ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا عَنِ الْحَرَامِ فَذَاكَ الدِّرَاعُ الْبَطْلُ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَعْوَى وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمَجِيبَ
الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ
السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ» : قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُقَالُ إِنَّ غَضَّ الْبَصْرِ عَنِ الصُّورَةِ
الَّتِي يُنْهَى عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا كَالْمَرْأَةِ وَالْأَمْرِدِ الْحَسَنِ يُورِثُ ثَلَاثَ فَوَائِدَ :

أَحَدَاهَا : حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ ، وَلَدَّتُهُ الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ
لِلَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ : أَنَّ غَضَّ الْبَصْرِ يُورِثُ نُورَ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةَ .

الْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانَ
الْبَصِيرَةَ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ ، فَإِنَّ فِي الْأَثَرِ « الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ
الشُّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ » .

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى مَنْ لَا يَجِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مُحَرَّمًا فَالْخَلْوَةُ بِمَنْ لَا
تَجِلُّ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى لِأَنَّ الْوَسَاوِسَ الشُّيْطَانِيَّةَ تَجِدُ لَهَا مَجَالًا
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَتُورَانِ الشُّهُوَةِ يَجِدُ لَهُ مَبْرَرًا فَيَضْعُفُ الْعَقْلُ عِنْدَ هَذَا ، وَلَا
يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى زَجْرِ الشُّهُوَةِ فَتَسْوِقُهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ إِلَى
الْفَاحِشَةِ ، لِهَذَا نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَلْوَةِ فَقَدْ
رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا
يَخْلُونُ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْمُو؟
قَالَ : الْحَمْمُو الْمَوْتُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْحَمْمُو : قَرِيبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ وَابْنِ أُخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ .

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا لَا يَخْلُو رَجُلٌ بامرأة إِلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ إمام أحمد في مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بامرأة لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مُحْرَمٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَيْضاً عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكَ وَالْمَخْلُوءَةَ بِالنِّسَاءِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بامرأة إِلَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَأَلَانَ يَزْحَمَ الرَّجُلُ خِنْزِيراً مُتَلِطِّحاً بِطِينٍ أَوْ حَمَاءَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مِنْكِبُهُ مِنْكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ .

وَمِنْ أخطَرَ مَا يَكُونُ عَلَى النِّسَاءِ خِدْمَةُ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ اخْتِلَاطٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعْدِمُ مِنَ الشُّبَّانِ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَسْمَةٌ جَمَالٍ فَأَقْرَبُ إِلَى الْخَطَرِ وَقَدْ يَكُونُ أَشْبُ مِنْ صَاحِبِ الْبَيْتِ وَأَجْمَلُ وَهُوَ مَلَازِمٌ لِلْبَيْتِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَهُوَ تَحْتَ أَمْرِ الزَّوْجَةِ أَوْ نَحْوِهَا وَفِي إِمكانِهَا إِنْقاؤُهُ أَوْ طَرْدُهُ فَالْخَطَرُ عَظِيمٌ ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَا شَرَفٍ وَمَكَانَةٍ وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ وَكَيْدِهِمْ فَعَصَمَهُ اللَّهُ عِصْمَةً عَظِيمَةً وَحَمَاهُ فَامْتَنَعَ أَشَدَّ الْإِمْتِنَاعِ عَنْهَا وَاخْتَارَ السَّجْنَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا فِي غَايَةِ

مَقَامَاتِ الْكَمَالِ أَنَّهُ مَعَ شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ وَهِيَ امْرَأَةٌ
عَزِيزٌ بِمَضْرٍ وَهِيَ مَعَ هَذَا فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ
ذَلِكَ وَيَخْتَارُ السُّجْنَ عَلَى ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءً ثَوَابِهِ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي
الصُّحُفِ أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا : مَا مِنْ جَمِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنٍ إِلَّا وَمِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْمِنَنِ
أَعْظَمَ بِهَا مِنْهُ لَكِنْ يُخَفِّفُهَا شُكْرِي لِرَبِّي فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ
مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ كُلِّهِ عَجَائِبٌ يُعْجِبُ الْعَاقِلَ اللَّيِّبُ وَمِنْ
أَعْجَبٍ مَا فِيهِ أَنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا النَّادِرَ الْقَلِيلَ ، نَعَمْ
أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ لِلنِّسَاءِ فِيهِ جَبْرُوتُ أَمَامَةِ الرِّجَالِ فِي حَالِ ضَعْفٍ انْعَكَسَ الْأَمْرُ
فَصَارَ الْقَوِيُّ ضَعِيفًا وَالضَّعِيفُ قَوِيًّا فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وَانظُرْ فِي
الشُّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُولُ فِي الشُّوَارِعِ ذَاهِبَاتٍ أَيْسَاتٍ وَيَتَشَنَّيْنَ فِي تَبْحَثُرِهِنَّ
عَلَيْهِنَّ مِنَ الزَّيْنَةِ مَا يُرْغَمُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرِ فِي نَفُوسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ
تَرَاهُ إِذَا لَمَحَهَا أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرَى وَرَاءَهَا لِأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَشَنِئَهَا
وَتَلْفُتِهَا فَهَمًّا لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غَلْطَانٌ ، إِنَّهُ يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ مِنْهُ
مَا تُرِيدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِي الشَّارِعِ بِذَلِكَ التَّهْتِكِ وَذَلِكَ الْأَزْدِيَانِ وَهِيَ
فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَمَّلَ لَهُ تَكُونَ بِحَالَةٍ تَسْمِيْرٌ مِنْ

رُؤْيَتِهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى الْمَلَابِسِ وَلَا تَمَسُّ طَبِيباً وَلَا تَعْتَنِي
لَهُ ، فَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ بَدَلَتْ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي تَجْمِيلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهَبُ نَارَ
الشُّوقِ إِلَيْهَا فِي نَفُوسِ النَّاطِرِينَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ الْعُيُونَ وَقَفاً عَلَى النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْسَامِ وَتَشْغَلُ
الْقُلُوبَ شُغْلاً بِهِ تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبِّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ
وَاجِبَاتٍ ، وَتُوجِّهُ الْأَفْكَارَ إِلَى أُمُورٍ دُنْيَايَةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ
النُّفُوسِ الدُّنْيَايَاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النُّفُوسَ دَفْعاً تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ وَيَغْضَبُ
لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسْوِدَهَا أَكَلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

إِنَّ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ زَوْجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِمْ فِي
الشُّوَارِعِ بِتِلْكَ الْحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُفْهَمُ أَنَّهُمْ مِنْ
صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرِينَ الزَّيْنَةَ الَّتِي يَخْرُجْنَ بِهَا إِلَى تِلْكَ
الْمِيَادِينِ الْمَلَأَى بِالْأَنْدَالِ ، وَيَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً فِي
الشُّوَارِعِ وَرُبَّمَا فَهَمَ بَعْضُ الْفُسَاقِ أَنَّهُ يَتَّصِدُّ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلَى السِّنَةِ
كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الْأَخُ عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً
وَأَقْوَى دِيناً مِنَ الْمَرْأَةِ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْصِمَكَ اللَّهُ تَتَمَنَّى أَنْ
يَكُونَ مِنْكَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَا يَكُونُ إِذَا وَقَعَ نَظْرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ
فَتَأْكُذُ كُلَّ التَّأْكُذِ أَنْ تَمَنَّى الْمَرْأَةَ أَقْوَى مِنْ تَمَنَّى الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظْرُهَا
عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهَا بَعْدَ رُؤْيَتِهَا الْجَمِيلِ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ
إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ فِي جَوْ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ

له أصابه من ذلك الوباء ما يضيّعه في دنياه وفي الدين .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعَافِيَةَ وَالْأَفْلَ تَلْمُ الْإِ
نَفْسِكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الضَّائِعِينَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا
يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ لِنِسَاءٍ غَيْرِكَ فَلَا تَشْكُ أَنْ نِسَاءَكَ يُبْلِقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدُّ مِنْهُ
وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِمْ وَشَرَفِهِمْ مَنْ لَا دِينَ لَهُ
وَلَا شَرَفَ وَلَا أَحْلَاقَ ، إِنَّ الْبَهِيمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُورِ الْبَهَائِمِ عَلَى إِنَائِهَا
مَعْرُوفَةٌ ، فَلَا تَكُنْ أَقْلَ غَيْرَةٍ مِنَ الْبَهِيمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ
ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً
رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْأَلُكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلِنَا بِلُطْفِكَ
وَإِحْسَانِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثِّبْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا
وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: أَيُّهَا الْأَخُ أَنْتَ الَّذِي تَلْقَى الْمَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ
مَشْغُولٌ بِالْكَدِّ لِأَجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتَطْعِمَ الْمَرْأَةَ وَتَكْسُوَهَا
وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَبِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى
النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَأَنْتَ
أَرْجَحُ مِنْهَا عَقْلاً وَأَكْمَلُ دِيناً ، فَمِنْ الْعَلَطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ
يُصْرَفُهُ مَوْلَاهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوَّاماً عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ
عَنْهَا لِأَنَّكَ رَاعِيهَا وَالرَّاعِي مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُثَابٌّ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى
عَمَلِ الْخَيْرِ وَإِثْمٌ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانظُرْ مَاذَا
عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرِيئَةٍ وَغَيْرِ

مَرِيَّةً، فَحُلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلَّ عَمَلٍ يُغْضِبُ رَبَّكَ،
وَالَا فَأَنْتَ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارٍ. أ.هـ.

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الاستِعْمَارِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلْدُوهُ فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ، وَقَلْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى ﷺ حَيْثُ يَقُولُ:
«لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ
حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»، فَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أ.هـ.

كَفَى بِالْمَرْءِ عَارًا أَنْ تَرَاهُ	مِنْ الشَّانِ الرَّفِيعِ إِلَى انْحِطَاطِ
عَلَى الْمَذْمُومِ مِنْ فِعْلِ حَرِيصًا	عَلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعِ النَّشَاطِ
يُشِيرُ بِكَفِّهِ أَمْرًا وَنَهْيًا	إِلَى الْإِحْدَامِ مِنْ صَدْرِ الْبِسَاطِ
يَرَى أَنَّ الْمَعَارِفَ وَالْمَلَاهِي	مُسْبِيَةَ الْجَوَازِ عَلَى الصَّرَاطِ
لَقَدْ حَابَ الشَّقِيُّ وَضَلَّ عَجْزًا	وَزَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ عَنِ النَّيَاطِ
آخِرُ: وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمِيدَةٌ	وَأَفْضَلُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ التَّدِينُ
وَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ	وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّدِينُ

اللَّهُمَّ اغْمُرْ قُلُوبَنَا وَاسْتِنَّا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَقِّفْنَا لِلْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِكَ وَأَمَّا مِنْ
سَطَوَاتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَاءِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، اللَّهُمَّ الْحَقْنَا
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: فِيمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ:

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَسَحَّرَ لِلصُّومِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً».

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فَضَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السُّحْرِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وَعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ فَقَالَ : « هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارِكِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ » .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَفَّفَ عِشَاءُهُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ لِيَهْضِمَ طَعَامَهُ قَبْلَ السُّحُورِ وَإِلَّا لَامْتَلَأَ مِنَ الطَّعَامِ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِلتُّخَمِ .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقِيمَن صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتُ طَعَامًا وَتَلْتُ شَرَابًا وَتَلْتُ نَفْسًا » .
شعرا :

تَوَقَّ إِذَا مَا اسْطَعْتَ إِذْخَالَ مَطْعِمٍ عَلَى مَطْعِمٍ مِنْ قَبْلِ فِعْلِ الْهَوَاضِمِ
وَكَلَّ طَعَامٍ يَعْجِزُ السِّنُّ مَضَعُهُ فَلَا تَبْتَلِغُهُ فَهَوَ شَرُّ الْمَطَاعِمِ

وَالشَّبَعُ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُوجِبُ تَكَاسُلَ الْبَدَنِ وَكَثْرَةَ النَّوْمِ وَبِلَادَةِ الدَّهْنِ وَذَلِكَ يُكَثِّرُ الْبُخَارَ فِي الرَّأْسِ حَتَّى يُغْطِيَ مَوْضِعَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ ، وَالْبَطْنَةَ تَذْهَبُ الْفِطْنَةَ وَتَجْلِبُ أَمْرَاضاً عَسِيراً ، وَمَقَامُ الْعَدْلِ أَنْ لَا يَأْكُلَ حَتَّى تَصْدُقَ شَهْوَتُهُ وَأَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ وَهُوَ يَشْتَهِي وَنِهَائِيَّةُ مَقَامِ الْحُسْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَلْتُ طَعَامًا وَتَلْتُ شَرَابًا وَتَلْتُ نَفْسًا » .

وَالْأَكْلُ عَلَى مَقَامِ الْعَدْلِ يُصِحُّ الْبَدَنَ وَيُبْعِدُ الْمَرَضَ بِأَذْنِ اللَّهِ
وَيُقَلِّلُ النَّوْمَ وَيُخَفِّفُ الْمَوْتَةَ وَيُرْفِقُ الْقَلْبَ وَيُصَفِّيهِ فَتَحْسُنُ فِكْرَتُهُ وَتُسَهِّلُ
الْحَرَكَاتِ وَالتَّعْيِيرَاتِ ، وَالشَّبَعُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَمِنْهُ يَكُونُ الْفَرْحُ وَالْمَرْحُ
وَالضُّحْكُ .

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ
ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسٌ : قُلْتُ لِزَيْدٍ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ
وَالسُّحُورِ ؟ قَالَ : قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي ثُمَّ تَكُونُ
سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ وَأَخْرَوْا
السُّحُورَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَطِيَّةَ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْنَا : يَا
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ
وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْإِفْطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمَا
يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ ؟ قُلْنَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَتْ :
هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ أَبُو مُوسَى .

وَلَأَنَّ السُّحُورَ يُرَادُ بِهِ التَّقْوَى عَلَى الصُّومِ . فَكَانَ التَّأْخِيرُ أَبْلَغَ فِي
ذَلِكَ وَأَوْلَى ، وَيُسْنُ تَعْجِيلُ فِطْرٍ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبُ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعَجَلَهُمْ فِطْرًا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَلَ النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخَّرُونَ » وَلِحَدِيثِ سَهْلٍ وَحَدِيثِ أَبِي عَطِيَّةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا .

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارَ وَامْتِنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَعْمَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ » : وَيُسْنُ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى رُطْبٍ ، فَإِنْ عَدِمَ فَتَمْرٌ فَإِنْ عَدِمَ فَمَاءٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطْبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطْبَاتٍ فَتَمْرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ ، وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » .

وَالْفِطْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَفْضَلُ ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَلَوْ شَرِبَ مَاءً » .

إِذَا رُمِتَ أَنْ تَشْرَبَ فَكُنْ قَاعِدًا تَفْرُ بِسِنَّةِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَعْنِي مُحَمَّدًا فَقَدْ صَحَّحُوا شَرِبًا لَهُ وَهُوَ قَائِمٌ وَلَكِنْ بَيَانًا لِلْجَوَازِ فَسَدَّدًا

وَيُسْتَحَبُّ قَوْلُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ :

اللَّهُمَّ لَكَ صُمتٌ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي ، أَنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « ذَهَبَ الظُّلْمُ وَأَبْتَلَتِ الْعُرُوقُ ، وَتَبَّتِ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَتَبَّتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تَرُدُّ » وَلِحَدِيثِي ابْنِ

عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُومُنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ » .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ ، وَأَنْ يَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَرَامٍ ، فَإِنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مِنْ جُمْلَةِ مَوَائِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ طَيَّبَ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : يَا رَبُّ يَا رَبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَعُذِي بِالْحَرَامِ . فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ » .

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الرَّبَا فَلَدِرْهُمْ أَشَدُّ عِقَابًا مِنْ زِنَاكَ بِنُهْدِ
وَتُمَحَّقُ أَمْوَالُ الرَّبَا وَإِنْ نَمَتْ وَيُرْبُو قَلِيلُ الْحِلِّ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ
آخِرُ : الْمَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ يَوْمًا وَتَبْقَى فِي غَدِ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقَى بُمَثَقٌ لِإِلَهِهِ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

وَفِي الْحَدِيثِ أَلَّا إِنْ أَوْلَ مَا يُتَيْنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ
أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلِ الْحَدِيثِ .

وَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْعُوا اللَّهَ

وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لِأِهِ
وَأَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ فِي السَّرِّ وَالضَّرِّ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ بِالتَّضَرُّعِ بِالرُّغْبَةِ وَالرُّهْبَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ فِي حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَحَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ
عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ
فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ قَالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ
آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجِبُ .

وَعَنْ عُمَرَ قَالَ إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ
شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُخْفِيَ الدُّعَاءَ ،
قَالَ الْحَسَنُ بَيْنَ دَعْوَةِ السَّرِّ وَدَعْوَةِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ
لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَهَمَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ
وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ
الرُّؤَاةُ مَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ
يَقْدُرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السَّرِّ فَيَكُونُ عِلَانِيَةً أَبَدًا وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ

يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ صَوْتٌ إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ
عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلُهُ فَقَالَ ﴿ اذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ .
شِعْرًا :

إِلَى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرَّقَادُ
أَمَا آنَ أَنْ تَكْتَجِلِي بِالسُّهَادِ
تَنْبُهِي مِنْ رَقْدَةٍ وَأَنْظُرِي
مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَى ذِي الرَّقَادِ
يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ فِي نَوْمِهِ
قُمْ لِتَرَى لُطْفَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
مَوْلَاكَ يَدْعُوكَ إِلَى بَابِهِ
وَأَنْتَ فِي النَّوْمِ شَبِيهُ الْجَمَادِ
وَيَبْسُطُ الْكُفَّيْنَ هَلْ تَائِبٌ
مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادِ
وَأَنْتَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَانِبٍ
تَدُورُ فِي الْفُرْشِ وَلَيْلِ الْمِهَادِ
يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ إِلَى قُرْبِهِ
وَأَنْتَ تَخْتَارُ الْجَفَا وَالْبِعَادِ
كَمْ هَكَذَا التُّسْوِيفُ فِي غَفْلَةٍ
لَيْسَ عَلَى الْعُمْرِ الْعَزِيزِ اعْتِمَادِ
لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصَّبَا مُسْرِعًا
وَنَبْرُ صُبْحِ الشُّبِّ فَوْقَ الْفُؤَادِ
أَفِئَّةً فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

رَحْمَتُهُ غَمَّتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ
الْهَمْنَا شُكْرَكَ آناً لَالِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: فِي أَحْكَامِ الْقَضَاءِ

وَيُسْتَحَبُّ قَضَاءُ رَمَضَانَ فَوْرًا مَعَ سَعَةٍ وَقَبِ مُسَارَعَةً لِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ
وَيُسَنُّ التَّتَابُعُ فِي قَضَائِهِ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْأَدَاءِ وَأَبْعَدُ عَنِ الْخِلَافِ . وَيَجُوزُ
تَفْرِيقُهُ لِمَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « قَضَاءُ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ فَرَّقَ وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ » .

وَرَوَى الْأَثَرُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ تَقْطِيعِ قَضَاءِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ : « لَوْ
كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَيْنٌ فَقَضَاهُ مِنَ الدَّرْهِمِ وَالدَّرْهِمَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ
مِنَ الدِّينِ ، هَلْ كَانَ قَاضِيًا دَيْنَهُ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ
بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْكُمْ » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَا بَأْسَ أَنْ
يُفَرَّقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » مُتَتَابِعَاتٍ ، فَسَقَطَتْ
مُتَتَابِعَاتٍ .

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرَ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ آخَرَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا
أَخْرَجَهُ الشُّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ
الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إِنْ كَانَتْ إِحْدَانَا لَتَنْفِطِرُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ : قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا كُنْتُ أَقْضِي مَا يَكُونُ عَلَيَّ مِنْ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْبَانَ لَا قَدْرُ مَا عَلَيْهِ ، وَجَبَ الْقَضَاءُ فَوْرًا مُتَابِعًا لِضَيْقِ الْوَقْتِ ، كَأَدَاءِ رَمَضَانَ فِي حَقِّ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ .

وَلَا يُكْرَهُ الْقَضَاءُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَإِنْ أَخَّرَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ أَخَّرَ فَعَلَيْهِ مَعَ الْقَضَاءِ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ : وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَمْ يَرَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافَهُ . قَالَ فِي الشَّرْحِ .

وَمَنْ فَاتَهُ رَمَضَانُ قَضَا عَدَدَ أَيَّامِهِ تَامًا كَانَ أَوْ نَاقِصًا لِأَنَّ الْقَضَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ مَا فَاتَهُ كَالْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ صَيْفٍ عَنْ يَوْمٍ شِتَاءٍ وَأَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ شِتَاءٍ عَنْ يَوْمٍ صَيْفٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

« فَصَلِّ » : ثُمَّ اعْلَمْ وَفَقْنَا وَأَيَّاكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنَّ لِلصَّيَامِ مَحَاسِنَ كَثِيرَةً وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ثَبَّتَنَا اللَّهُ وَأَيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ انْدَفَعَ جُوعٌ كَثِيرٌ مِنْ حَوَاسِهِ فَإِذَا شَبِعَ بَطْنُهُ جَاعَ عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ وَفَرْجُهُ فَكَانَ تَشْبِيعُ النَّفْسِ تَجْوِيعًا لِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَفِي تَجْوِيعِ النَّفْسِ تَشْبِيعُهَا فَكَانَ هَذَا التَّجْوِيعُ أَوْلَى وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ عَلِمَ حَالَ الْفُقَرَاءِ فِي جُوعِهِمْ فَيَرْحَمُهُمْ

وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جَوْعَهُمْ إِذْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايِنَةِ لَا يَعْلَمُ الرَّائِبُ مَشَقَّةَ الرَّاجِلِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّلَ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصِّيَامِ فِي فَرْضِهِ وَشَرْعِهِ أَنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ فِي كُلِّ الْعُمُرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ بَلْ فُرِضَ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرُخِصَ فِي الْإِفْطَارِ عِنْدَمَا يَحْضُلُ لِمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ عُدْرٌ وَأَيْضًا أَمْرٌ بِالصَّوْمِ فِي النَّهَارِ وَأُبِيحَ فِي اللَّيْلِ الْإِفْطَارُ وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَمْرٌ بِعِبَادَتِهِ عَلَى وَجْهِ يُمْكِنُ لَهُمْ فِيهِ احْتِرَازُ الْفَضِيلَةِ وَاجْتِنَابُ الْوَسِيلَةِ وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ خَصَّ الصِّيَامَ بِالنَّهَارِ لِأَنَّ الْأَكْلَ فِيهِ مُعْتَادٌ ، وَالنَّوْمُ فِي اللَّيْلِ مُعْتَادٌ وَمِنْ مَحَاسِنِ الصَّوْمِ اجْتِنَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ .

وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْمَدَ أَحَدٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَيُحْمَدُ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ يَحْمَدُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ فِي كُلِّ جَيْبٍ وَلَمْ يَرَوْا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةَ الْأَكْلِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصِّيَامِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ لَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ مَا فِي الْأَدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ طُولَ الْيَوْمِ بِالْيَوْمِ وَلَا حَرَارَتَهُ وَلَا بُرُودَتَهُ فَإِذَا أَفْطَرَ فِي أُطُولِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجَزَاهُ وَكَفَاهُ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّوْمِ أَنَّهُ لَمْ يُشْتَرِطْ فِيهِ قِرَانَ النِّيَّةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ كَمَا فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتِ وَقْتُ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ فَلَمَّا يَقِفُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَلَوْ شَرِطَ لَصَاقَ الْأَمْرَ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الْأَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ حَتَّى أَجَازَ الصَّوْمَ بِنِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَقَعُ بِجُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالرَّفْتُ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا .

اللَّهُمَّ اسئلكَ بنا سبيلَ عِبَادِكَ الأبرارِ، وَنَجِّنَا مِن عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنْنَا
الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى القُرَظِيِّ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ
تَعْظِي وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ لِي حَظٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الأَجْرِ
أَنَّ المَوْعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَبْقَى نَفْعًا وَأَحْسَنُ ذُخْرًا
وَأَوْجِبُ عَلَى المُؤْمِنِ حَقًّا ، لِكَلِمَةِ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزِدَادَ بِهَا فِي
هُدَى رَغْبَةِ خَيْرٍ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَّا يُدْرِكُ
أُخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَآنَ يَنْجُو
رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْجُو بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقِضَاءِ حَقِّكَ وَعَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِينَ تَعِظُ
وَكُنْ كَالطَّيِّبِ المُجْرَبِ العَالِمِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا
يَنْبَغِي أُعِنَتْ نَفْسُهُ وَإِذَا أَمَسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهَلَ وَأَيْمٌ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يُدَاوِيَ مَجْنُونًا لَمْ يَدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشِيَّةً أَنْ لَا
يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الخَيْرِ مَا يَتَّقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجَرِبَتُهُ مِفْتَاحَ عَمَلِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ المِفْتَاحُ عَلَى البَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقَ فَلَا يُفْتَحُ أَوْ لِيُفْتَحَ فَلَا
يُغْلَقَ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِهِ وَيُفْتَحَ فِي حِينِهِ .

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِأَرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ

وَمُرَّهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ
عَنِ السُّوِّءِ وَأَزْجُرْ ذَا الخَنَا عَنِ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ

فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعظِكَ وَاحِدًا
تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَالْأَفْقَدُ أُذِيَّتَ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مُلَكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أُذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسَأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى
صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .
- ٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ التَّرَاوِيحِ .
- ٣ - مَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ رَجَمَهُمُ اللَّهُ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
- ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

التَّارِوِيحُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى الثَّانِيَةَ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَتْ : « كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ فِي رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَوْزَاعًا مَعَ الرَّجُلِ الشَّيْءَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ النُّفْرُ الْخَمْسَةَ ، أَوْ السَّبْعَةَ ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ حَصِيرًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي ، فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِهِمْ . وَذَكَرْتُ الْقِصَّةَ بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ الثَّانِيَةِ » .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنْ الشَّهْرِ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ نَفَلْتَنَا بِقِيَّةِ لَيْلَتِنَا هَذِهِ : فَقَالَ « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ » ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشَّهْرِ فَصَلَّى بِنَا فِي الثَّلَاثَةِ ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ حَتَّى تَخَوْفْنَا الْفَلَاحَ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا الْفَلَاحُ ؟ قَالَ السُّحُورُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ » ،

فَيَقُولُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حُجْرَةً
فِي حَصِيرٍ ، فَصَلَّى فِيهَا لَيَالٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَاسٌ ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً
فَظَنُوا أَنَّهُ نَامَ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّحُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا زَالَ بِكُمْ
الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
مَا قُمْتُمْ بِهِ ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ
إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ » .

٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِجَمَاعَةٍ أَفْضَلُ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : « كَانَ عَلِيٌّ
وَجَابِرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُصَلُّونَهَا جَمَاعَةً » ، وَرَوَى عَنْ
عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ لِلرِّجَالِ إِمَامًا وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ : إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى
يُنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلِهِ » .

وَيَجْهَرُ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ لِنَقْلِ الْخَلْفِ عَنِ السُّلْفِ . وَيُسَلَّمُ مِنْ كُلِّ
رَكَعَتَيْنِ ، وَوَقْتُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، قَبْلَ الْوُتْرِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَفَعْلُهَا
فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ثَلَاثَ
لَيَالٍ مُتَوَالِيَةً ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَمَرَّةً ثَلَاثَ لَيَالٍ

مُتَّفَرِّقَةً كَمَا رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حُسْبَ لَه قِيَامُ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَفْعَلُونَهَا فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا فِي جَمَاعَاتٍ مُتَّفَرِّقَةٍ فِي عَهْدِهِ .

شِعْرًا: وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا لِلْمُنِيبِ مَطِيَّةٌ وَمَيْدَانُ سَبَقَ لِلَّذِي يَتَهَجَّدُ
 آخِرُ: يَهْوَى الدِّيَاجِي إِذَا الْمَرْوَرُ أَغْفَلَهَا كَانَ شَهْبَ الدِّيَاجِي أُعِينُ نُجْلُ
 آخِرُ: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِسِي فَأَهْوَنُ فَائِتِ طِيبُ الرَّقَادِ

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَارِيءِ قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَّفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيءٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلُ . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيئِهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : « نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ » يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ . فَذَلَّتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ وَغَيْرُهَا عَلَى أَنَّ فِعْلَ التَّرَاوِيحِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَكَذَا أَجْمَاعُ الصُّحَابَةِ وَأَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى ذَلِكَ .

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجُوزُ فُرَادَى وَاخْتَلَفَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلْقَارِيءِ ، قَالَ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ : الْخِلَافُ يَمْنُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَخَافُ الْكَسَلَ عَنْهَا لَوْ انْفَرَدَ ، وَلَا تَخْتَلُ الْجَمَاعَةُ بِتَخَلُّفِهِ ، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدٌ هَذِهِ الْأُمُورِ فَالْجَمَاعَةُ أَفْضَلُ بِلا خِلَافٍ وَأَمَّا عِدَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَقَالَ الْقَاضِي : لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ حَدٌّ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ .

فَاخْتَارَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً : لِمَا رَوَى مَالِكٌ فِي « الْمَوْطِئِ » عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ : كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُمَرَ يَقُومُونَ فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : لَمَّا جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عِشْرِينَ رَكْعَةً : وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِهِ « الشَّافِي » عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : لَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا عِشْرِينَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِي ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا سِتًّا وَثَلَاثِينَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَكُلَّهُ حَسَنٌ ، فَيَكُونُ تَكْثِيرُ الرُّكْعَاتِ أَوْ تَقْلِيلُهَا بِحَسَبِ طُولِ الْقِيَامِ وَقَصْرِهِ : وَقَالَ : الْأَفْضَلُ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُصَلِّينَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ أَحْتِمَالٌ بِعَشْرِ رَكْعَاتٍ وَثَلَاثَ بَعْدَهَا ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْأَفْضَلُ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَهُ ، فَالْقِيَامُ بِعِشْرِينَ هُوَ الْأَفْضَلُ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ . وَإِنْ قَامَ بِأَرْبَعِينَ وَغَيْرَهَا جَازًا ، وَلَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُؤَقَّتٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَقَدْ يَنْشَطُ الْعَبْدُ فَيَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ تَخْفِيفُهَا .

وَقَالَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَقْصُودِ التَّرَاوِيحِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ - فِيهِ كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ » : ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا :

وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، فَلَا يُسْرِعُ سُرْعَةً تَمْنَعُ الْمَأْمُومَ مِنَ الْأَثْيَانِ بِرُكْنِ كَالطَّمَانِينَةِ ، أَوْ وَاجِبِ كَتْسَبِيحِ رُكُوعٍ وَتَسْبِيحِ سُجُودٍ ، أَوْ

قَوْلٍ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » وَمَنْ الْمُؤَسِّفُ أَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، أَثْقَلَ الْأَيْمَةَ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي التَّرَاوِيحَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَأَطْمِئْنَانٍ ، وَلِذَا يَفْرُونَ مِنْهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ يُسْرِعُ بِهَا وَلَا يُتِمُّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ بِهَا ، وَالطُّمَأْنِينَةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَسِيِّءِ فِي صَلَاتِهِ لَمَّا أَخْلَى بِالطُّمَأْنِينَةِ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » وَكَانَ السُّلْفُ يَعْتمِدُونَ عَلَى الْعُصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ .

وَعَنْ الْأَعْرَجِ قَالَ : مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ فِي رَمَضَانَ وَقَالَ : وَكَانَ الْقَارِيُّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، وَإِذَا قَامَ بِهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَأَى النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْقِيَامِ فَتَسْتَعْجِلُ الْخَدَمُ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ فَوْتِ السُّحُورِ ، وَفِي أُخْرَى : « مَخَافَةَ الْفَجْرِ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : أَمَرَ عُمَرُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَتَمِيمًا الدَّارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم - أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ فِي رَمَضَانَ بِأَحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً ، فَكَانَ الْقَارِيُّ يَقْرَأُ بِالْمِثْنِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعُصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، فَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَّا فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ الْقَلَمِ فِي عِشَاءِ الْأَجْرَةِ مِنَ اللَّيْلِ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ لِأَنَّهَا أَوْلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ . وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَنْقُصَ عَنْ خَتْمَةِ فِي التَّرَاوِيحِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ . وَيَتَحَرَّى أَنْ يَخْتِمَ آخِرَ التَّرَاوِيحِ قَبْلَ رُكُوعِهِ وَيَدْعُو .

شِعْرًا: وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ جَرَائِدَ يَقْرَاهَا وَمِذْيَاعَ يَسْمَعُ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ قِرَاءَةُ قُرْآنٍ فَيَتْلُو وَيَسْمَعُ
وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ دُعَاءُ جَامِعٍ شَامِلٍ . وَقَالَ : رُوِيَ أَنَّ عِنْدَ
كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ :

وقال العلماء يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ إِذَا خَتَمَهُ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَهُ فَإِنَّهُ
رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ أَهْلَهُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ وَعِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا
أَشْفَى عَلَى خَتْمِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ بَقِيَ أَرْبَعُ سُورٍ أَوْ خَمْسٌ فَإِذَا أَصْبَحَ جَمَعَ أَهْلَهُ
فَخَتَمَهُ وَدَعَا وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ عَلِمَ بِالخَتْمِ أَنْ يَحْضُرَهُ .

ورُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ عَلَيْهِ رَقِيبًا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ قَالَ لِحُلَسَائِهِ قُومُوا
بِنَا حَتَّى نَحْضُرَ الْخَاتِمَةَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ : كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ
وَيَقُولُونَ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ .

وعَنْ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ : كَانَ مُجَاهِدٌ وَعِنْدَهُ ابْنُ أَبِي لُبَابَةَ وَأَنَاسٌ
يَعْرِضُونَ الْقُرْآنَ فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتِمُوهُ أُرْسِلُوا إِلَيْنَا وَقَالُوا : أَنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْتِمَ
فَأَحْبَبْنَا أَنْ تَشْهَدُونَا فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِذَا خَتِمَ الْقُرْآنَ نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ أَوْ
حَضَرَتِ الرَّحْمَةُ عِنْدَ خَتْمِهِ .

وقال وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ لِي عَطَاءٌ : بَلَّغْنِي أَنَّ حُمَيْدَ الْأَعْرَجِ يُرِيدُ أَنْ
يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فَانظُرْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ فَأَخْبِرْنِي حَتَّى أَحْضُرَ الْخَتْمَةَ .
وقال فِي الْمَغْنَى .

«فَصَلِّ» : فِي خَتْمِ الْقُرْآنِ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
فَقُلْتُ أَخْتِمُ الْقُرْآنَ أَجْعَلُهُ فِي الْوِثْرِ أَوْ فِي التَّرَاوِيحِ ، قَالَ أَجْعَلُهُ فِي التَّرَاوِيحِ حَتَّى
يَكُونَ لَنَا دُعَائِينَ . قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ ، قَالَ : إِذَا فَرَّغْتَ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ فَارْفَعْ
يَدَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ وَادْعُ بِنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ وَأَطِلِ الْقِيَامَ . قُلْتُ : بِمَا أَدْعُو ،

قَالَ : بِمَا شِئْت . قَالَ فَفَعَلْتُ بِمَا أَمَرَنِي وَهُوَ خَلْفِي يَدْعُو قَائِماً وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ .
 قَالَ حَنْبَلُ سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ فِي حَتَمِ الْقُرْآنِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ قِرَاءَةِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ
 بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فَارْفَعُ يَدَيْكَ فِي الدُّعَاءِ قَبْلَ الرُّكُوعِ قُلْتُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ
 فِي هَذَا . قَالَ رَأَيْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَفْعَلُونَهُ وَكَانَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَفْعَلُهُ مَعَهُمْ بِمَكَّةَ ،
 قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَكَذَلِكَ أَدْرَكْنَا النَّاسَ بِالْبَصْرَةِ وَبِمَكَّةَ وَيُرْوَى أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ فِي هَذَا شَيْئاً وَذُكِرَ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ وَقَالَ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ مِثْلَ مَا قَالَ
 فِي الْمُغْنِيِّ وَقَالَ فِي الْأَذْكَارِ وَيُسْتَحَبُّ حُضُورُ مَجْلِسِ الْحَتَمِ لِمَنْ يقرأ وَلِمَنْ
 لَا يُحْسِنُ أَنْ يقرأ فَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ الْحَيْضَ
 بِالْخُرُوجِ يَوْمَ الْعِيدِ فَلْيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ . وَوَرَدَ لَا يَجْتَمِعُ مَلَائِةٌ
 فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ (ط ب ك ق) .

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
 وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
 وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
 وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْوُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
 وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
 وَقَدْ يُنْكَرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصْحَحُ
 رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِعُ
 وَقَدْ يُنْكَرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضاً يَمِينُهُ وَكَلَّمْنَا بِيَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَفْتَحُ
 وَقُلْ يَنْزِلُ الْجِبَارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلُّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحُ
 إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
 يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرُ يَلْقَى غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحًا خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُتَمْنَحُ
 رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبْحُوا

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا شَكَّ فِيهِمْ
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
 وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصُّحَابَةِ كُلِّهِمْ
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
 وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيَقِنُ فَإِنَّهُ
 وَلَا تُتَكْرَنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًا بِمَا بِهِ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ
 وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَأَنْ عَصُوا
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
 وَدَعِ عَنْكَ آرَاءَ الرُّجَالِ وَقَوْلُهُمْ
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهُوا بِدِينِهِمْ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدُّهْرَ يَا صَاحِبِ هِدْيِهِ
 اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَعَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْإِخْيَارِ وَأَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمُقْرَبِينَ
 وَالْأَبْرَارِ وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

موعظة

عباد الله : تَصَرَّمتِ الأعوامُ عاماً بعدَ عامٍ ، وأنتم في غَنَلتكمُ ساهون نيام . أما
تُشَاهِدونَ مَوَاقِعَ المنايا ، وحلولَ الآفاتِ والرُّزَايَا . وَكَيْفَ فَازَ وَأَفْلَحَ المتقون ، وَكَيْفَ
خَابَ وَخَسِرَ المبتلون المفرطون فيآليتِ شِعْرِي على أي شيءٍ تُطْوِي صَحَائِفُ
الأعمالِ أَعْلَى أَعْمَالِ صَالِحَةٍ وَتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُمَحَى بها الآثَامُ ، أم على ضِيْدِهَا
فَلْيَتَّبِ الجاني إلى رَبِّهِ ، فالعملُ بالخِتام . فاتقوا الله عبادَ الله واستدركوا عُمْراً
ضِيعتُمْ أَوْلَهُ ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ عُمْرِ الْمُؤْمِنِ لا قيمة له . فرجَمَ اللهُ عبداً اغتَنَمَ أَيَّامَ
القُوَّةِ والشبابِ ، وأسرعَ بالتوبةِ والإنابةِ قَبْلَ طَيِّ الكِتَابِ ، وَأَخَذَ نَصِيْباً مِنْ
الباقِيَاتِ الصالحاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّى سَاعَةً واحدةً مِنْ سَاعَاتِ الحِياةِ . أَيْنَ مَنْ
كان قَبْلَكُمْ في الأوقاتِ الماضيةِ ، أما وَأَفْتَهُمُ المنايا وَقَضَّتْ عَلَيْهِمُ القاضِيَةَ ، أَيْنَ
أَبَاؤُنَا وَأَيْنَ أمهاتنا أَيْنَ أَقاربنا ، وَأَيْنَ جيراننا ، أَيْنَ مَعَارِفُنَا وَأَيْنَ أَصْدِقائُنَا . رَحَلُوا
إلى القُبورِ وَقَلَّ وَاللهِ بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا . هَذِهِ دُورُهُمْ فيها سِوَاهُمْ ، هَذَا صَدِيقُهُمْ قَدْ
نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَخْبَارُهُمُ السَّالْفَةُ تُرْجَعُ الأَلْبَابَ ، وَأَدْكَارُهُمْ يَصْدَعُ قُلُوبَ
الأحبابِ . وَأَحْوَالُهُمْ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ . فتأملوا أحوالَ الراحِلين ، واتعظوا بِالْأَمَمِ
الماضين ، لعلَّ القَلْبَ القاسيَ يلينُ . وانظروا لِأَنْفُسِكُمْ ما دُمْتُمْ في زَمَنِ
الإمهالِ ، واغْتَنِمُوا في حَيَاتِكُمْ صالِحَ الأعمالِ ، قَبْلَ أَنْ تقولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتِي
على ما فَرَّطْتُ في جَنبِ اللهِ ، فيقالُ هِيَهاتَ فَاتَ زَمَنُ الإمكانِ ، وَحَصَلَ
الإنسانُ على عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أو عِصْيَانٍ . فنسألكَ اللهم يا كريمُ يا منانُ ، أنْ تَحْتَمِ
أعمالنا بالعفو والغفرانِ ، والرحمةِ والجودِ والامتنانِ ، وأنْ تجعلَ وقتنا مُباركاً حميداً ،
وتُرْزُقنَا فيه رِزْقاً واسعاً وَتُوفِّقنَا وَتُسَدِّدُنَا . اللهم اِخْتَمِ بالصالحاتِ أعمالنا ،
وأصلحْ لنا جميعَ أحوالنا .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي مَنَى اسْتَجَدُّهَا وَأَسْبَابُ دُنْيَا بِالغُرُورِ أَوْدُهَا؟

وَنَفْسٌ تَزِيًا لَيْتَهَا فِي جَوَانِحِ
تَعَامَهُ عَمْدًا وَهِيَ جَدُّ بَصِيرَةٍ
إِذَا قُلْتُ يَوْمًا : قَدْ تَنَاهَى جَمَاحُهَا
وَاحْسَبُ مَوْلَاهَا كَمَا يَنْبَغِي لَهَا
وَأَهْوَى سَبِيلًا لَا أَرَى سَالِكًا بِهَا
وَأَنْسَى ذُنُوبًا لِي أَتَتْ فَاتَ حَصْرُهَا
أَقْرُبُهَا رَغْمًا وَلَيْسَ بِنَافِعِي
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ الَّذِي
وَتَسْقِيهِمْ مِنْهَا الْأَجَاجُ مُصْرَدًا
أَرَاهَا عَلَى كُلِّ الْعُيُوبِ حَيِيَّةً
وَحُبُّ بَنِي الدُّنْيَا الْحَيَاةَ مَسِيئَةً
سَقَى اللَّهُ قَلْبًا لَمْ يَبْتَ فِي ضُلُوعِهِ
تَخَفَّفَ مِنْ أَرْوَادِهَا مِلءَ طَوْقِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسَأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ
وَعَفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في مشروع صلاة الوتر ، وحكمها .

ووقت صلاة الوتر .

والقراءة المستحبة فيها .

وعدد ركعاتها .

ودعاء القنوت في الوتر .

١ - مشروعية صلاة الوتر ، وحكمها :

الوتر سنة مؤكدة لمداومته ﷺ عليه في حضره وفي سفره ، ولما ورد عن

عَلِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَيْسَ الْوُتْرُ بِحَتْمٍ كَهَيْئَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَنُهُ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ) وَلَفْظُهُ : أَنَّ الْوُتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ وَلَا كَصَلَاتِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْتَرَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرَ يُحِبُّ الْوُتْرَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ أَنْتَظَرُوهُ مِنَ الْقَابِلَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : « خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمُ الْوُتْرُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتَرَ عَلَى بَعِيرِهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

٢ - وَقْتُ صَلَاةِ الْوُتْرِ :

وَوَقْتُ الْوُتْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَسُنَّتَيْهَا لِمَا رَوَى خَاجَةُ بْنُ حُدَافَةَ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ، قُلْنَا : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْوُتْرُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ » . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ .

وَرَوَى أَبُو بَصْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ زَادَكُمْ صَلَاةً فَصَلُّوْهَا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ ، الْوُتْرُ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « أَوْتَرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِعْلُهُ سَحْرًا ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ : مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السَّحْرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَمَنْ كَانَ لَهُ تَهَجُّدٌ جَعَلَ الْوِتْرَ بَعْدَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَقُومَ ، أُوتِرَ
 قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ
 أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَهُ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ
 مَشْهُودَةٌ » ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَنْ أَحَبُّ مَنْ لَهُ تَهَجُّدٌ مُتَابِعَةٌ الْإِمَامِ فِي وَتْرِهِ قَامَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ
 وَأَتَى بِرُكْعَةٍ بَعْدَ الْوِتْرِ شَفَعَ بِهَا رُكْعَةَ الْوِتْرِ . ثُمَّ إِذَا تَهَجَّدَ أُوتِرَ فَيُنَالُ
 فَضِيلَةَ مُتَابِعَةِ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ
 قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُنَالُ فَضِيلَةَ جَعَلَ وَتْرَهُ آخِرَ صَلَاتِهِ لِحَدِيثِ : « اجْعَلُوا آخِرَ
 صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِيهِ مَعَ شَفْعِهِ إِذَا فَاتَ وَقْتُهُ
 لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ
 عَنِ الْوِتْرِ أَوْ نَسِيَ فَلْيُصَلِّ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلَا يَصِحُّ الْوِتْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لِعَدَمِ دُخُولِ وَقْتِهِ ، وَأَقْلُ الْوِتْرِ
 رُكْعَةٌ ، وَلَا يُكْرَهُ الْإِتْيَانُ بِهَا مُفْرَدَةً وَلَوْ بِلَا عُدْرٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ
 وَنَحْوِهِمَا لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنََّّهُمَا
 سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْوِتْرُ رُكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » .
 رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« الْوِتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتِرَ
بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَاهُ الْخُمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

وَبَيَّنَتْ عَنْ عَشْرَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ أَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ
وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَالِكٍ
وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمْ - رَجِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلِّمُ
مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَيُؤْتِرُ بِوَاحِدَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ
رَكْعَةً وَيُؤْتِرُ بِوَاحِدَةٍ . وَأَدْنَى الْكَمَالِ فِي الْوِتْرِ ثَلَاثُ رَكْعَاتٍ بِسَلَامَتَيْنِ ،
لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوِتْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْصِلْ
بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالثَّانِيَةِ بِالتَّسْلِيمِ » . رَوَاهُ الْأَثَرُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرُّكْعَتَيْنِ
وَالرُّكْعَةَ بِالتَّسْلِيمِ فِي الْوِتْرِ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

وَيَجُوزُ سَرْدُ الثَّلَاثِ بِسَلَامٍ وَاحِدٍ ، فَلَا يَجْلِسُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ،
وَتَجُوزُ كَمَغْرِبٍ . وَمَنْ أَدْرَكَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً مِنَ الثَّلَاثِ فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ
يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ أَجْزَاءً لِأَنَّ أَقْلَ الْوِتْرِ رَكْعَةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ يُسَلِّمُ مِنْ
كُلِّ اثْنَتَيْنِ قَضَى ، لِحَدِيثِ : « مَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا » ، وَلِأَنَّ
الْقَضَاءَ يَحْكِي الْأَدَاءَ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ .
اللَّهُمَّ ثَبَّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيَّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ وَاللِّهْمَنَا
ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَفْصِلُ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ
أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِثَلَاثٍ
لَا يَفْصِلُ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي بِن كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؟ قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِـ «سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَزَادَ : وَلَا
يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ، وَلَا يَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ كُلُّ
سُورَةٍ فِي رَكْعَةٍ ، وَفِي الْآخِرَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعْوَدَتَيْنِ .

وَالسُّنَّةُ لِمَنْ أُوتِرَ بِمَا زَادَ عَلَى رَكْعَةٍ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ لِمَا
رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَفْصِلُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَيُسْنُ فِعْلَ الرَّكْعَةِ عَقِبَ الشُّفْعِ بِلا تَأْخِيرٍ لَهَا
عَنْهُ ، وَإِنْ صَلَّى الْاِحْدَى عَشْرَةَ كُلُّهَا بِسَلَامٍ وَاجِدٍ بِأَنْ سَرَدَ عَشْرًا وَتَشَهَّدَ

التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى بِالرُّكْعَةِ حَازَ ، أَوْ سَرَدَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يَجْلِسْ
إِلَّا فِي الْأَخِيرَةِ جَازَ لَكِنْ الصَّفَةَ الْأُولَى أَوْلَى لِأَنَّهَا فَعَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

٤ - عَدَدُ رَكَعَاتِهَا :

يَجُوزُ الْوُتْرُ بِخَمْسٍ وَيَسْبَعٍ وَيَتَسَعٍ ، فَإِنْ أُوتِرَ بِتَسْعٍ سَرَدَ تَمَامًا
وَجَلَسَ وَتَشَهُدَ التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يُسَلِّمْ ، ثُمَّ إِذَا صَلَّى التَّاسِعَةَ وَتَشَهُدَ
سَلَّمَ ، لَمَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئِي عَنِ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئِي عَنِ وُتْرِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : كُنَّا نَعُدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهْوَرَهُ
فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَبُولُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّيُ تِسْعَ
رَكَعَاتٍ ، لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ ، وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ
يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمْ ، فَيُصَلِّيُ التَّاسِعَةَ ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ ، وَيَحْمَدُهُ
وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا فَيَسْمِعُنَا ، ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ
قَاعِدٌ ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بَنِي . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَنْ أُوتِرَ بِسَبْعٍ أَوْ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهَا لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمَّ
سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بِسَبْعٍ وَبِخَمْسٍ
لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سَلَامًا وَلَا كَلَامًا . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
رَكَعَةً ، يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ . مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل في دعاء القنوت في الوتر :

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْنُتَ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ عَمْرٍو وَعَلِيٍّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنُتَانِ بَعْدَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَثَرُمُ ، وَلَوْ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ جَازَ لِحَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى الْأَثَرُمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ فِي الْوَتْرِ ، وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَالْقَنُوتُ : الدُّعَاءُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ ، وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُ وَنُحْسِنُ نَسْجِدُ وَنُحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ ، إِنْ عَذَابَكَ الْجِدُّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ وَهُنَّ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَاقْبَلْ شَرًّا مَا قَبَضْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، أَنَّهُ لَا تَدِيلُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعْزُزُ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي وَتْرِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا

أَثْبِتَ عَلَى نَفْسِكَ . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِحَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَفِي آخِرِهِ « وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ عُمَرَ : « الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَضَعُهُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ ، هُنَا وَخَارِجَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا . لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ ، لَا يَحُطُّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « فَإِذَا فَرَعْتَ فَاَمْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ . وَيُؤْمَنُ الْمُنْفَرِدُ الضَّمِيرَ ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْوَتْرِ سُنَّ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الثَّلَاثَةِ ، لِمَا رَوَى أَبِي بِنُ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوَتْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » . وَزَادَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » ثَلَاثًا ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّلَاثَةِ .

وَصَلَّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عِشْرِينَ رَكْعَةً
وَقَمَّ بَعْدَهَا وَاشْفَعُ هُدَيْتَ بِرَكْعَةٍ
وَأَفْضَلُ نَفْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْتِهِ
وَإِنْ شِئْتَ اجْهَرُ فِيهِ مَا لَمْ تَحْفَ أَدَى
وَأَقْبَلُ نَفْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْتِهِ
وَإِنْ شِئْتَ اجْهَرُ فِيهِ مَا لَمْ تَحْفَ أَدَى
وَأَقْبَلُ نَفْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْتِهِ
وَإِنْ شِئْتَ اجْهَرُ فِيهِ مَا لَمْ تَحْفَ أَدَى

فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَادْكُرِ اللَّهَ جَاهِدًا وَتُبْ وَاسْتَقِلْ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدِ
فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نُؤُومٍ إِلَى الضُّحَى أَمَا يَسْتَجِي مَوْلًا رَقِيْبًا بَمَرْصِدِ
يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ وَمُسْتَعْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ وَيُؤَيَّدِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدَنَا إِلَى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيكَ
وَأَجْرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ انظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُحْلَصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَيَبْحَثُ فِي : ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ
الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالْحَثُّ عَلَى الْقِيَامِ عُمُومًا .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ ، وَالْحَثُّ عَلَى الْقِيَامِ
عُمُومًا .

٣ - مَا وَرَدَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْفَضْلِ وَذَكَرَ عَلَامَتَهَا .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ
رَمَضَانَ :

يُسْتَحَبُّ الْأَجْتِهَادُ وَالْحِرْصُ عَلَى مُدَاوِمَةِ الْقِيَامِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
مِنْ رَمَضَانَ وَإِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ وَاعْتِزَالُ النِّسَاءِ وَأَمْرُ الْأَهْلِ بِالِاسْتِكْتَارِ مِنَ
الطَّاعَةِ فِيهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيَّقُظُ أَهْلَهُ ، وَشَدَّ
الْمِئْزَرَ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ » .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ » .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : « قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُجِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا ، وَيَتَطَيَّبُوا فِي اللَّيَالِيِ الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبَسَ حُلَّةً وَازَارًا وَرِدَاءً ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَّاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسْهُمَا إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ .

وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : كَانَ ثَابِتٌ وَحَمِيدٌ يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا

وَيَتَطَيَّبَانِ وَيُطَيَّبَانِ الْمَسْجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالذُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا
 لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَيُسْتَحَبُّ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ التَّنْظُفُ
 وَالتَّطْيِبُ وَالتَّزْيِينُ بِالْفُغْسَلِ وَالتَّطْيِبِ وَالتَّلْبَاسِ الْحَسَنِ كَمَا شَرَعَ ذَلِكَ فِي
 الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ أَخْذُ الزَّيْنَةِ مِنَ الشُّبَابِ فِي سَائِرِ
 الصَّلَوَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
 مَسْجِدٍ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ » .

وَرُوِيَ عَنْهُ مَرْفُوعًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَكْمُلُ
 التَّزْيِينُ الظَّاهِرُ إِلَّا بِتَزْيِينِ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَطْهِيرِهِ
 مِنْ أَدْنَسِ الذُّنُوبِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ ،
 وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .

شِعْرًا : إِذَا صَدَّرْتَ مِنْكَ الذُّنُوبَ فَدَاوَهَا
 وَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا
 فَرَحَمْتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةً
 آخِر : عَلَيْكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلذَّيِّ
 بَرَفَعِ يَدَ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ
 قُنُوطِكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أَعْظَمُ
 وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكْرُمٌ
 لَهُ نِعَمٌ لَا تَحْصِي وَفَضَائِلُ

فَمَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيُزَيِّنْ ظَاهِرَهُ بِالتَّلْبَاسِ ، وَبَاطِنَهُ بِلبَاسِ
 التَّقْوَى ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي
 سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّ عَشْرَكُمْ هَذَا هُوَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ ، وَفِيهِ الْخَيْرَاتُ
 وَالْأَجُورُ الْكَثِيرَةُ تَكْمُلُ فِيهِ الْفَضَائِلُ ، وَتَتَمُّ فِيهِ الْمَفَاجِرُ ، وَيَطْلُعُ عَلَى
 عِبَادِهِ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الْغَافِرُ وَيُنِيلُهُمُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ الْوَافِرُ ، فِيهِ تَرَكُّو
 الْأَعْمَالُ ، وَتُنَالُ الْأَمَالُ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ،
 أَنَّهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ قال : هي قيام العبد أول الليل .

وروى الامام أحمد عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عجب ربنا من رجلين : رجل ناز من وطائه ولحافيه من بين جنبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي » الحديث .

وقال الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وغيرهم : « إن المراد بالتجافى القيام لصلاة النوافل بالليل » ، وفي آية سورة الداريات . أخبر جل وعلا أنهم كانوا ينامون القليل من الليل ، ويتهجدون معظمه قال تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ .

قال ابن عباس ما تأتي عليهم ليلة يناموا حتى يصبحوا إلا يصلون فيها شيئاً ، إما من أولها أو من أوسطها . وقال الحسن : كابدوا قيام الليل فلا يناموا من الليل إلا قليلاً .

شِعْرًا : خُضُوعٌ وَخَوْفٌ وَاحْتِشَامٌ وَذِلَّةٌ
فَهَلْ لِي مِنَ الْاِحْزَانِ حَظٌ مُؤَفَّرٌ
لَعَلِّي أَنْ أُحْظِيَ بِقُرْبٍ وَلَذَّةٍ
وَهَذَا لِمَنْ يَرْجُو النِّجَاةَ قَلِيلٌ
وَهَلْ لِي إِلَى طُولِ الْبُكَاءِ سَبِيلٌ
وَيَحْصُلُ لِي بَعْدَ الْفِرَاقِ وَصُولٌ

آخِر : يَا عَاشِقَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
عَلَيْكَ بِاللَّيْلِ فِي الْأَذْكَارِ تَعْمُرُهُ
لَعْمَسَةٌ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ نَحَاطِفَةٌ
هَلْ أَخْلَدَ النَّاسَ مَا حَازُوا وَمَا عَمَرُوا
وَدَعَّ مَلْدَاتِهِ الْأُخْرَى لِمَنْ كَفَرُوا
تَنْسِيكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطَرٌ

آخِر : وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ
يُلَازِمُ ذِكْرَ اللَّهِ يَهْوَى التَّعَبُّدَا
لَهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ طَوْلٌ تَهَجِّدُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فصل

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّه دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَمَغْفِرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ . »

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ : عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايُنُونَا بَوْتًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قَوْمٌ لَا تُبْلَغُ أَعْمَالُهُمْ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَعَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلِرُسُلِ اللَّهِ مُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بن أسلم قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي : يَا أَبَا أَسَامَةَ صِفْ لَنَا أَجْدَهَا فِينَا ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا فَقَالَ : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَنَحْنُ وَاللَّهِ قَلِيلًا مَا نَقُومُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ ، وَاتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ فِيْمَنْ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ . »

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْحَبْرِ
اللَّهُمَّ تَوَرَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَالْهَمِّمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

أخواني : إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ
لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّماً بَعْدَ
أَنْ يَرْقُدَ الْإِنْسَانُ ، وَأَنْمَا يَكُونُ خَفِيفاً بِالْإِعْتِيَادِ ، وَتَوَطُّبِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا
عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأَنْسِ بِاللَّهِ وَتَلْدُ لَهُ الْمَنَاجَاةَ وَالْخُلُوءَ ، وَعِنْدَ
ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَسْتَيْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ
عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمُ الْإِذْ
مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ
أَقْوَاماً فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخَرِينَ فَهُمْ عَنْ مَا
يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَالِهِمْ غَافِلُونَ .

شِعْراً :

ذُنُوبِكَ يَا مَفْرُورٌ تُحْصِي وَتُحَسِّبُ
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيظٍ وَتُكْتَبُ
وَقَلْبِكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَعَقْلَةٍ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبُ
تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ جِلَّةٍ
وَتَسْعَى حَيْثُماً فِي الْمَعَاصِي وَتُذْنِبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ الْمُفَاجِئِكَ فِي عَدٍ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَعْطِبُ

أَمَا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَجِيْشَ وَلَحْدَهُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهُوَ لَهُ
وَمِيزَانٌ قَسِطٌ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي مَرَاجِكِ لَاهِيَا
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَّةِ تَنْشَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ
فَلَا رَاحِمٍ يُنْجِي وَلَا نَمَّ مَهْرَبُ
وَعَمَضَتِ الْعَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَبُسْطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعاً فِي جَهَاذِكَ أَحْضَرُوا
خُنُوطاً وَأَكْفَاناً وَلِلْمَاءِ قَرُبُوا
وَعَايِلُكَ الْمَحْزُونُ تَبْكِي عُيُونُهُ
بِذَمِّ غَزِيرٍ وَإِكْفٍ يَتَصَبَّبُ
وَكُلُّ حَبِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقُ
يُحَرِّكُ كَفَيْهِ عَلَيْكَ وَتَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيْهَا
وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَأَلْقَوْكَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَأَذْرَجُوا
عَلَيْكَ مَنَابِي طَيْهِنَّ وَعَصَّبُوا
وَفِي حُفْرَةِ الْقَوَاكِبِ خَيْرَانَ مُفْرَداً
تَضُمَّكَ بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكُلٌ وَمَشْرَبٌ !؟

وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَسْكَنٌ
 بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبٌ
 وَهَوْلٌ وَدَيْدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَتَلَى وَيَذْهَبُ
 يَا نَفْسُ خَافِي اللّٰهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ
 فَهَادِمٌ لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
 وَقَوْلِي إِلَهِي أَوْلِييْ مِنْكَ رَحْمَةً
 وَعَفْوًا فَإِنَّ اللّٰهَ لِلذَّنْبِ يُذْهَبُ
 وَلَا تُحْرِقْنِي جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
 فَجِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
 فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
 عَلَيْكَ إِتْكَالِي أَنْتَ لِلخَلْقِ مَهْرَبُ
 وَصَلِي إِلَهِي كُلَّمَا ذُرَّ شَارِقُ
 عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوَكْبُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ
 شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخِطِكَ وَالنَّارِ،
 اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُنُ، اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ
 وَزَيْنَا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمَلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَا تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيلَ سِتْرِكَ وَآمِنُنْ عَلَيْنَا
 بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَا مِنْ
 عِقَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَضَائِلُهَا وَعَلَامَاتُهَا

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - أو قال - : نَحْرُوهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ . رواه أحمد بإسناد صحيح .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَجِلُّ يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ فَأَمْرُنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُوفِّقُنِي فِيهَا لِلَّيْلِ الْقَدْرِ ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ » رواه أحمد .

وعن زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بِنَ كَعْبٍ يَقُولُ : وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَقَالَ أَبِي : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ يَحْلِفُ مَا يَسْتَنِي ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا لَا شُعَاعَ لَهَا . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا وَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ انْسَيْتُهَا أَوْ نَسَيْتُهَا ، فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ ، إِنِّي رَأَيْتُ أَبِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَرْجِعْ » فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ

سَقْفُ الْمَسْجِدِ - وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ - وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ
فِي جَبْهَتِهِ .

وعن عبد الله بن أنيس : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا وَإِذَا بِي أَسْجُدُ صَبَّحَتْهَا فِي مَاءٍ
وطينٍ » . قال : فَمَطَرْنَا فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانصَرَفَ ، وَأَنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ
وَأَنفِهِ . رواه أحمد ومسلم وزاد .

وعن أبي بكره : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« التَّمِسُّوْهَا فِي تِسْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ سَبْعِ بَقِيْنَ ، أَوْ خَمْسِ بَقِيْنَ ، أَوْ ثَلَاثِ
بَقِيْنَ أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ » . قال : وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ
صَلَاتَهُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ فَاذَا دَخَلَ الْعِشْرُ اجْتَهَدَ . رواه أحمد ، والترمذي
وصححه .

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد في حديث له : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنَتْ
لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِهَا فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا
الشَّيْطَانُ فَنَسِيْتُهَا ، فَالتَّمِسُّوْهَا فِي الْعِشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، التَّمِسُّوْهَا
فِي التَّاسِعَةِ وَالْخَامِسَةِ وَالسَّابِعَةِ » . قال : قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ : إِنَّكُمْ أَعْلَمُ
بِالْعَدَدِ مِنَّا ، فَقَالَ : أَجَلْ ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا
التَّاسِعَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ ؟ قَالَ : إِذَا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا
اِثْنَانِ وَعِشْرُونَ فَهِيَ التَّاسِعَةُ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا
السَّابِعَةُ ، فَإِذَا مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالتِّي تَلِيهَا الْخَامِسَةُ . رواه
أحمد ، ومسلم .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « التَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى » . رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ سَبْعٌ يَمْضِينَ أَوْ تِسْعٌ يَبْقَيْنَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ » .

وَلِمُسْلِمٍ قَالَ : أَرَى رَجُلًا أَنْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَحَرُّوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » رواه مسلم والبخاري .

وعن عبادة بن الصَّامِتِ - رضي الله عنه - قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرَفَعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالتَّمِسُّوْهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ » رواه البخاري .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي بَادِيَةً أَكُونُ فِيهَا وَأَنَا أَصَلِّي فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَمُرْنِي بِلِيلَةٍ أَنْزَلَهَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ : « أَنْزَلُ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

قِيلَ لِأَبْنَيْهِ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ ؟ قَالَ : كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَجَدَ دَابَّتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَلَجِقَ بِبَادِيَتِهِ .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : وَفِي الْجُمْلَةِ أَبْتَهَمَ اللَّهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا بِالْعِبَادَةِ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ طَمَعًا فِي إِذْرَاكَيْهَا ، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَأَخْفَى الصَّلَاةَ الْوَسْطَى فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ لِيَرْغَبُوا فِي جَمِيعِهَا وَسَخَطُهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَنْتَهُوا عَنْ جَمِيعِهَا ، وَأَخْفَى قِيَامَ السَّاعَةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ حَذْرًا مِنْ قِيَامِهَا .

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا وَعَلِمْتَ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَيْهَا ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤَقِّفٍ مُرِيدٍ لِلْكَمَالِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ أَنْ يَبْذُلَ وَسْعَهُ وَيَسْتَفْرِغَ جُهْدَهُ فِي إِحْيَاءِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ وَقِيَامِهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْجَلِيلَةَ الَّتِي اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ ، وَآتَاهُمْ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَحْضُرُهُ الْعَدَدُ .

فِي عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّ هَذَا عَشْرُ . شَهْرٍ . مُبَارَكِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْإِثَامِ ، وَفِيهِ يَتَوَفَّرُ جَزِيلُ الشُّكْرِ وَالْإِنْعَامِ ، فَاعْتَذِرُوا فِيهِ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَأَقْبَلُوا بِقُلُوبِكُمْ إِلَيْهِ وَقَفُّوا بِالْخُضُوعِ لَدَيْهِ ، وَانْكَسِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ رَجِيمٌ كَرِيمٌ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّكُمْ الْآنَ فِي رَمَضَانَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ لِمَنْ رَامَ
 الثَّوَابَ الْجَزِيلَ ، فَإِنْ فِي لَيْلِيهِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ
 بِاخْتِصَارِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ جَلٌّ وَعَلَا وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى
 ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةِ
 فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ رُكْعَةٍ ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ
 فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا أَكْثَرَ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَرُئِيَ
 بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَلَا
 تَعْمَلُونَ وَاللَّهِ لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ ، أَوْ رُكْعَةٌ أَوْ رُكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةٍ أَحَدِنَا
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ
 لَا يَكُونُ أَزْدَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ اسْتَعْتَبَ .

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ قُمْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا
 - وَأَنْهَضْ كَمَا نَهَضَتْ مِنْ قَبْلِكَ السُّعَدَا
 هَذِي لَيْلِي الرِّضَا وَافَتْ وَأُتَتْ عَلَى
 فِعْلِ الْقَبِيحِ مُصِرًّا مَا جَلَوَتْ صَدَا
 قُمْ فَاعْتَبِرْ لَيْلَةَ تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
 وَمِثْلَهَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِهَا أَبَدًا
 طُوبَى لِمَنْ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ أَدْرَكَهَا
 وَتَالَ مِنْهَا الَّذِي يَبْغِيهِ مُجْتَهِدًا

فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ قَالَ خَالِقُنَا
 مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ هَيْئًا مَنْ لَهَا شَهِدَا
 وَيَنْزِلُ الرُّوحُ فِيهَا وَالْمَلَائِكُ مِنْ
 عِنْدِ الْمُهَيَّمِينَ لَا نُحْصِي لَهُمْ عَدَدًا
 يَا فَوْزَ عَبْدٍ حُظِي فِيهَا فَوْقَهُ
 رَبِّي قَبُولًا فَعَاشَ عَيْشَةَ السُّعَدَا
 وَفَازَ بِالْأَمْنِ وَالْغُفْرَانِ مُغْتَبَطًا
 وَنَالَ مَا يَرْتَجِي مِنْ رَبِّهِ أَبَدًا
 فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ إِنْ وَافَيْتَهَا سَحْرًا
 جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَكُنُ مِنْ جُمْلَةِ السُّعَدَا
 وَأَبِكْ وَنَحْ وَتَضَرَّعْ فِي الدُّجَا أَسْفًا
 عَلَى كِبَائِرٍ لَا تُحْصِي لَهَا عَدَدًا
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
 شَمْسٌ وَمَا سَارَ سَارٍ فِي الْفَلَا وَحَدَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْضُنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ وَارزُقْنَا
 الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
 عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ
 أَفْضَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ
 وَبَالِهَا وَأَرْأَفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنَزُولِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ
 هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا
 بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا،

وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

خَطَبَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ أَيُّهَا اللَّهُمَّ الْمَعْرُورِ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ
أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَاباً وَلَا يَهَابُ صِحَاباً وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلاً
وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلاً وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيراً وَلَا يُوقِرُ فِيكَ كَبِيْرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ
إِلَى قَبْرِ مُظْلَمَةٍ أَرْجَاؤُهُ كَفِعْلِهِ بِالْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمِاضِيَةِ .

أَيُّنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ،
وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ ، وَبِالكَثِيرِ لَمْ يُمْتَعْ .

أَيُّنَ مَنْ شَيَّدَ الْقُصُورَ ، وَنَسَى الْقُبُورَ ، أَيُّنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ ،
أَضْحَوْا رُفَاتاً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ
سَالِكُونَ .

يُحَوَّلُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْ قُصُورٍ مُزْخَرَفَةٍ إِلَى بَيْتِ الثَّرَابِ
فِيَسْلَمَ فِيهِ مَهْجُوراً فَرِيداً أَحَاطَ بِهِ شُحُوبُ الْإِغْتِرَابِ
وَهَوُلُ الْحَشْرِ أَفْطَعُ كُلَّ أَمْرٍ إِذَا دُعِيَ ابْنُ آدَمَ لِلْحِسَابِ
وَالْفَى كُلَّ صَالِحَةٍ أَتَاهَا وَسَيِّئَةٍ جَنَاهَا فِي الْكِتَابِ
لَقَدْ آنَ التَّرْوُدُ إِنْ عَقَلْنَا وَأُخِذَ الْحِظُّ مِنْ بَاقِي الشَّبَابِ

آخر :

قَدْ نَادَتْ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا لَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ وَائِقٍ بِالْعُمْرِ أَفْنِيَتْهُ وَجَامِعٍ بَدَّدَتْ مَا يَجْمَعُ
آخر : وَالْعُمْرُ أَنْفَسُ مَا الْإِنْسَانُ مُنْفِقُهُ فَاجْعَلْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَصْرُوفاً

قال ابن الجوزي رحمه الله :

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه .

ويُقدَّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل . ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور .

(وقد كان جماعة من السلف يُبادرون اللحظات) فنقل عن عامر ابن عبد قيس : أن رجلاً قال له : « كَلِّمْنِي » فقال له : « أَمْسِكِ الشَّمْسَ » .

ودخلوا على بعض السلف عند موته ، وهو يُصلي ، فقيل له ، فقال : « الآن تطوى صحيفتي » . فاذا علم الإنسان أنه وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل ، عمِل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته . فإن كان له شيء في الدنيا ، وقف وقفاً ، وغرس غرساً ، وأجرى نهراً ، وسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده ، فيكون له أجر ، أو أن يصنف كتاباً في العلم .

فإن تصيف العالم ولده المخلد وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه فينقل من فعله ما يقتدي به الغير فذلك الذي لم يمت . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

تَذَكَّرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تُكُنْ
كَأَنَّكَ مُخْلِ لِلْمَلَاعِبِ مُمْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلُّوْلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ مُخْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمَسْجِيُّ بِشَوْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السُّيَاقِ مُخْشِرُ

وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُعَزَّى قَرِيْبُهُ
 وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضٍ مِنَ الرِّيطِ مُدْرَجٌ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الشَّرَى
 إِذَا مَا هَدَوْكَاهُ انْتَنَوْا لَمْ يُعْرَجُوا
 وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تَرَابِهِ
 عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلَبِنٌ مُشْرَجٌ
 وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَدَاً مِنْهُ وَحْشَةً
 مَجَالِسُ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِجُ
 وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
 وَأَنْ سَرَّكَ الْبَيْتُ الْعَيْتِيُّ الْمُدْبِجُ
 أَلَا رَبُّ ذِي طَمْرِ غَدَاً فِي كَرَامَةٍ
 وَمَلِكِ بَيْتِجَانِ السَّهْوَانِ مُتَوِّجُ
 لَعْمَرِكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
 وَإِنْ زَخْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا

اللهم طيِّبنا للقاءك ، وأهّلنا لولائك وادخلنا مع المرحومين من
 أوليائك ، وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وتلاوة كتابك ،
 واجعلنا من جزبك المفلحين ، وأيدنا بجنديك المنصورين ، وارزقنا مُرافقةَ
 الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ
 الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، أَنْقِطِعِ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ ، وَخَابَتِ
 الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْاعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُمِطَرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا

مِن سَحَابِ بَرَكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقْنَا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ
إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفة وأكثروا فيها من الدعاء فإن
الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهو مخ العباداة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصادفا إخبائاً
وخشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان
على طهارة .

وجدد توبة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده
وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنى مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا عليم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمن ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق ارزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو
ذلك .

وتَحَرَّى أَوْقَاتَ الْإِجَابَةِ وَأَتَى بِأَسْبَابِهَا وَهِيَ الْاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ تَعَالَى
بِالانقياد لأوامره والانتهاء عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ ادعوني استجب
لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .
وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف
السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .
وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ .
ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث
الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .
وعند الآذان .

وبين الآذان والاقامة .

وعند نزول الغيث .

وعند فطر الصائم .

وعشية عرفة .

وفي حالة السجود .

وفي ليلة القدر .

وفي أدبار الصلوات .

وفي أدبار النوافل .

وعند ختم القرآن .

وعند البكاء والخشية من الله .

وفي جَوْفِ الليل .

وعِنْدَ دعاءِ المُسلمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ العَيْبِ .

وَبَعْدَ زَوَالِ الشمسِ عَن كَبِدِ السَّمَاءِ .

قال بعضهم :

قالوا شروطُ الدعاءِ المُستجابِ لنا عشرٌ بها بشرِ الداعي بأفلاجِ
طَهارةٍ وصلاةٍ معهُما نَدَمٌ وَقَتٌ حُشوعٌ وحُسْنُ الظنِّ يا صاحِ
وَجَلُّ قُوْتٍ ولا يُدعى بِمَعْصِيَةٍ واسمٌ يُناسِبُ مَقْرُونٌ بِالْحاكِ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصلٌ» : في الأدلةِ لِمَا تَقَدَّمَ عَن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما أن رسولَ
الله ﷺ قال في ثلثِ الليلِ . الأَخِيرِ : «إنها ساعةٌ مشهُودَةٌ والدعاءُ فيها
مُستجابٌ» أخرجه الحاكمُ والترمذي .

(فصل)

الأدلة لما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
في ثلثِ الليلِ الأَخِيرِ «إنها ساعةٌ مشهُودَةٌ والدعاءُ فيها مُستجابٌ» أخرجه
الحاكمُ والترمذي .

وعن ابنِ عمر قال نادى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الليلِ أجوبُ دعوةٌ .
قال : جَوْفُ الليلِ الأَخِيرِ أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ يومَ الجمعةِ .
فقال : « فيه ساعةٌ لا يُوافقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصلي يَسألُ اللهَ شيئاً
إلا أعطاهُ » أخرجه الشيخان .

وعن عثمان بن أبي العاصِ الثَّقَفِيِّ أن النبي ﷺ قال : « تُفْتَحُ أبوابُ
السماءِ نِصفَ الليلِ فينادي مُنادٍ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُستجابُ له ، هَلْ مِنْ سائلٍ
فَيُعطى ، هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفرَجَ عنه فلا يَبقى مُسلمٌ فَيَدْعُو بدعوةٍ إلا
استجابَ لَهُ إلا زانيةٌ تسعى بفرجها أو عَشَّاراً » أخرجه الطبراني بسند
صحيح .

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « ثلاثُ ساعاتٍ لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ ما دَعَا فِيهِنَّ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ ما لم يَسْأَلْ قَطِيعَةً رَحِمٍ أو مَاتًا .

وعن أبي الدرداء أن رسولَ الله ﷺ كان يقول : « دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلِكٌ مُوَكَّلٌ كُلِّمَا دَعَى لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ » رواه مسلم .

حِينَ يُؤَذَّنُ لِلصَّلَاةِ حَتَّى يَسْكُتَ وَحِينَ يَلْتَقِي الصَّفَّانِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَحِينَ يَنْزِلُ الْمَطْرُ حَتَّى يَسْكُنَ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَةِ .

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ كان إذا مالت الشمس عن كبد السماء قَدَرَ شِرَاكِ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ .

قال « مَنْ صَلَّاهُنَّ فَقَدْ أَحْيَا لَيْلَتَهُ هَذِهِ سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَةِ .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ « إِذَا فَاءَتِ الْأَفْيَاءُ وَهَبَّتِ الْأَرْوَاحُ فَارْفَعُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ الْأَوْابِينَ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَةِ .

وعن عطاء قال « ثَلَاثُ خِلَالَ تُفْتَحُ عِنْدَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتَحَرَّوْا الدُّعَاءَ عِنْدَهُنَّ .

عِنْدَ الْأَذَانِ ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ ، وَعِنْدَ التَّقَاءِ الرَّحْفَيْنِ » أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ثلاثٌ حَقٌّ على الله أن لا يردُّ لهم دعوة الصائم حتى يُفطِر ، والمظلوم حتى يَتَّصِر ، والمسافر حتى يَرْجِع » أخرجه البزار .

وعن عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب أن النبي ﷺ قال « من أفضل الدعاء الدعاء يوم عرفة » أخرجه سعيد بن منصور في سننه .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » أخرجه مسلم .

وعن سهل بن سعد مرفوعاً قال « سَاعَتَانِ تَفْتَحُ لَهُمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَقَلَّ دَاعٍ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ .

حين يحضر النداء والصف في سبيل الله » أخرجه البخاري في الأدب .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان لا تُردَّان الدعاء عند النداء ، وحين البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » أي ينشب بعضهم ببعض في الحرب أخرجه الحاكم في المستدرک .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « الدعاء مُسْتَجَابٌ مَا بَيْنَ النَّدَاءِ وَالْإِقَامَةِ » أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « إذا نادى المنادي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدَّعَاءُ فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَرَّ الْمُنَادِي فَيُجِيبْهُ » .

ثم يقول اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَةُ الصَّادِقَةُ الْمُسْتَجَابَةُ الْمُسْتَجَابُ لَهَا دَعْوَةُ الْحَقِّ وَكَلِمَةُ التَّقْوَى أَحْيَانًا وَأَمْتِنَا عَلَيْهَا وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ .

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »
أخرجه النسائي .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا
وَسَاجِدًا .

فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبُّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاحْتَهُدُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ
فَقَمِينٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » أخرجه مسلم .

وعن عبادة بن الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا وَحَضَرَ رَمَضَانَ .
« أَتَاكُمْ شَهْرُ بَرَكَةٍ فِيهِ تَنْزَلُ الرَّحْمَةُ وَتُحَطُّ الْخَطَايَا وَتُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ » .

وأخرج في الأوسطِ عن عمرَ بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ
« ذَاكِرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ » أخرجه الطبراني .

ورُوي أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَكَثَرُوا الدُّعَاءَ .
ورُوي مَنْ صَلَّى فَرِيضَةً فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ .
وَمَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ .

وعن رَبِيعَةَ بْنِ وَقَاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « ثَلَاثُ مَوَاطِنَ لَا تُرَدُّ
فِيهَا دَعْوَةُ عَبْدٍ ، رَجُلٌ يَكُونُ فِي بَرِيَّةٍ حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا اللَّهُ .

ورَجُلٌ يَكُونُ مَعَهُ فِئَةٌ فَيَفِرُّ عَنْهُ أَصْحَابُهُ فَيُثَبِّتُ .
ورَجُلٌ يَقُومُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » أخرجه أبو نعيم في أخبار الصحابة .

وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إِذَا فُتِحَ عَلَى الْعَبْدِ الدُّعَاءُ فَلْيَدْعُ
رَبَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ » أخرجه الترمذي .

وعن خالد الحذاء قال « كَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : إِذَا وَجَدْتُمْ
قَشَعْرِيَّةً وَدَمْعَةً فَادْعُوا عِنْدَ ذَلِكَ » أخرجه أحمد في الزهد .

وروى اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة .

وروى الدعاء بين الأذان والاقامة مستجاب .

وروى عند أذان المؤذن يستجاب الدعاء .

فإذا كان الإقامة لا ترد دعوته .

وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دُبرَ صلاة مفروضة » أخرجه بن عساكر .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال « مع كل ختمة دعوة مستجابة » .

وأخرجه من وجه آخر بلفظ آخر « عند ختم القرآن دعوة مستجابة

وشجرة في الجنة » أخرجه البيهقي في شعب الايمان .

فعلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالاجْتِهَادِ بالدعاء ، وَعَلَيْكُمْ بِجَوَامِعِ الدُّعَاءِ التي تَجْمَعُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وفي الصحيحين : « كان أكثرُ دُعَاءِ النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم آتِنَا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم إذا سافرَ : « أنه كان يتعوذُ من وَعَثَاءِ السَّفَرِ وكآبةِ المَنْظَرِ ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ ، ودَعْوَةِ المَظْلُومِ ، وَسَوْءِ المَنْظَرِ في الأهلِ والمالِ » رواه مسلم .

وَمِنْ مَا وَرَدَ عن أبي بكرٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ « اللهم رَحِمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طرفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إلهَ إلا أنتَ . رواه أبو داود وعن أبي سعيد الخُدْرِي قال : قال رَجُلٌ لَزِمْتَنِي هُمُومٌ وَدُيُونٌ يا رسولَ الله ، قال : أفلا أَعْلِمُكَ كَلِمَةً إذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قال : قُلْتُ : بَلَى ، قال : « قُلْ إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ، وَأَعُوذُ

بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ « قال :
فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دِينِي ، رواه أبو داود .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى
وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالغِنَى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي
وَارزُقْنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةٍ
نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ
لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » .

وقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : « كَانَ أَكْثَرَ دُعَايِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا
قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ
وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ » .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ
الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا
أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » والله
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ
وَالذَّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلَمَ وَأُظْلَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ : مِنَ الْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَسُوءِ الْعُمُرِ ، وَفِتْنَةِ
الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاكِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ
الأَخْلَاقِ » رواه أبو داود .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَشْسُ الضَّجِيعَ وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَشْسِبُ الْبِطَانَةَ » رواه أبو داود ، والنسائي وابن ماجه .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَالْجُنُونِ وَمِنْ
سَيِّئِ الأَسْقَامِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ
وَالأَعْمَالِ والأَهْوَاءِ والأَدْوَاءِ » رواه الترمذي .

وَعَنْ شُتَيْبِ بْنِ شَكْلٍ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ،
عَلَّمَنِي تَعْوِذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ : « قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي
وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ عَيْنِي » رواه أبو داود ،
والترمذي ، والنسائي .

وَعَنْ أَبِي الْيُسْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو :
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي وَمِنَ الْفَرَقِ
 وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ،
 وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ لِدَيْغَا »
 رواه أبو داود والنسائي .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي
 وَجَهْلِي وَاسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي
 وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
 أَخَّرْتُ وَمَا اسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ
 الْمُؤَخَّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّدِيقُ قَالَ لَهُ : « قُلْ
 اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي
 مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « ائْطُوا بِإِذَا الْجَلالِ وَالْاِكْرَامِ » أَيِ الزُّمُومِ هَذِهِ وَالْحُوا بِهَا وَدَاوُمُوا
 عَلَيْهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ
 الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ
 خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِي كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ
 وَبَاعِذْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ الْخَطْمِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم أنه كان يقول في دُعائه اللهم ارزقني حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ
عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ اللَّهُمَّ مَا
رَزَوْتَنِي عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .
شعرا :

إِلَهُ الْوَرَى حَتَّمْ عَلَى النَّاسِ حَمْدَهُ لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْهِمْ بِلا مَنْ
آخِر :

فلو كان يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدَّ لِعِزَّةِ نَفْسِي أَوْ عُلوِّ مَكَانِ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ أَشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
مِنْ دُعَائِهِ دَاوُدُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلُ
الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبُّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبُّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي
وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَنْ أُمِّ مَعْبِدٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الْبِفَاقِ وَعَمَلِي مِنَ
الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصُّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالرُّضَى
بِالْقَدْرِ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

جاء عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال من قال حين يُصْبِحُ
ثلاثَ مرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ
مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى
يُمْسِي وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ
الْمَنْزِلَةِ حَسَنَةً وَغَرَبَهُ التِّرْمِذِيُّ .

اللهم اعذنا بمعافاتك من عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمُ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَلِيقُ
بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ عَرَفُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ
أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفٌ إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ يَخْشَاهُ فَتَعَقَّلَهُ هَذِهِ الْخَشْيَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ
عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَوْ
أَوْ أَقْوَالٍ كَالغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْقَذْفِ وَالْفِسْقِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْمِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ بَلْ
يَكْفُفُ بَصْرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ حَقَّ الْإِيمَانِ
بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَهْمَا تَخْفَى وَتَسْتَرُ الْعَبْدُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ .

وَالْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكِبْرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ
الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمَمْقُوتَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ ، كَمَا يَعْلَمُ
الْعَلَانِيَةَ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ الْعَارِفُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ
فَحْشَاءٍ وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِ الْعَارِفِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا
وَالشَّدَائِدِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَوْ
مَرَضٍ شَدِيدٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ وَتَسَخُّطَهُ يُفَوِّتُ عَلَيْهِ أَجْرَهُ وَلَا يَرُدُّ
مَا فَاتَ كَمَا قِيلَ :

لَا تَلْقَ وَفَتْكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرُرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ

وَلَا يَنَاسُ الْعَارِفُ مِنْ زَوَالِ شِدَّةِ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإِنَّ الْفَرَجَ بِيَدِ اللَّهِ الَّذِي
قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَنَاسُ مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ
مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ وَإِنْ بَدَأَ
مُحَالًا فِي نَظَرِ الْجُهْلَاءِ وَلَا يَقْنَطُ الْعَارِفُ وَلَا يَقْنَطُ مُؤْمِنًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ وَالرَّمَالِ وَلَا يُؤْمِنُ الْعَارِفُ
مُسْتَقِيمًا مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ الْعَمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ لِأَنَّهُ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
وَأَنَّهُ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ جَلٌّ وَعَلَا فَلَا تَعْمَلْ عَنْ
ذَلِكَ وَإِنْ أَهْمَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ . قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْغَمُومُ ثَلَاثَةٌ غَمُّ الطَّاعَةِ أَنْ لَا
تُقْبَلَ وَغَمُّ الْمَعْصِيَةِ أَنْ لَا تَعْفَرَ وَغَمُّ الْمَعْرِفَةِ أَنْ تُسَلَبَ .

عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى سَنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِ
وَمَا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً وَفَوْزاً يَوْمَ يُؤَخَذُ بِالنَّوَاصِي
فَلَيْسَ تَنَالُ عَفْوَ اللَّهِ إِلَّا بِتَطْهِيرِ النَّفُوسِ مِنَ الْمَعَاصِي
وَبِرِّ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ رَفِيقٍ وَنُصْحِ لِلْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
وَإِنْ تَعَدِلْ فَمَا لَكَ مِنْ مَنَاصِي وَأَنْ تَشُدُّ يَدَا بِالْخَيْرِ تُفْلِحَ
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَعْتَةً آخِرُ: إِغْتَنِمَ فِي الْفِرَاقِ فَضْلَ رُكُوعِ
ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الْعَزِيْزَةُ فَلْتَةً كَمْ صَحِيحٌ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمِ

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا الْاسْتِقَامَةَ طَوْعَ أَمْرِكَ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا
بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ الْهَمْنَا الْقِيَامُ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ
رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَا وَحَقِّقْ

رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ وَأَمَلْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ ، أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

١ - زكاة الفِطْرِ وما وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ فِي شَرْحِهَا :

زكاة الفِطْرِ واجبةٌ بالفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ ، لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضَ زكاةَ الفِطْرِ في رَمَضَانَ على الناسِ صاعاً من تَمْرٍ ، أو صاعاً من أَقِطٍ ، أو صاعاً من شَعِيرٍ على كلِّ حُرٍّ وَعَبْدٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » متفق عليه .

وعنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بِزكاةِ الفِطْرِ أن تُؤدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ : كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أو صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أو صَاعاً مِنْ أَقِطٍ ، أو صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ . متفق عليه .

قال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، وَعُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَجَمَهُمَا اللَّهُ - في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ هُوَ زكاةُ الْفِطْرِ .

وأُضِيفَتْ هَذِهِ الزَّكَاةُ إِلَى الْفِطْرِ لِأَنَّهَا تَجِبُ بِالْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَهَذِهِ يُرَادُ بِهَا الصَّدَقَةُ عَنِ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ وَمَصْرُفُهَا كزكاةِ الْمَالِ لِعُمُومِ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ . . . ﴾ الآية .

وَلَا يَمْنَعُ وَجُوبَهَا دَيْنٌ إِلَّا مَعَ طَلَبٍ ، وَهِيَ واجبةٌ على كُلِّ حُرٍّ وَعَبْدٍ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضَّلَ لَهُ عَنِ قُوَّتِهِ ، وَمَنْ تَلَزَّمَهُ مَوْتُهُ يَوْمَ

العیدِ وَلَيْلَتِهِ صَاعٌ لَأَنَّ النِّفْقَةَ أَهْمٌ فَيَجِبُ الْبَدَاءَةُ بِهَا ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية : (. . . .) وابدأ بمن تعول) رواه الترمذي .

وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ ذَلِكَ الصَّاعِ فَاضِلًا عَمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ تَلَزَمَهُ مَوْزِنَتُهُ مِنْ مَسْكِنٍ وَخَادِمٍ وَذَابِيَةٍ وَثِيَابٍ بِذَلَّةٍ وَنَحْوِهِ ، وَكُتِبَ يَحْتَاجُهَا لِغَيْرِهَا لِأَنَّ هَذِهِ حَوَائِجُ أَصْلِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كَالنِّفْقَةِ ، وَتَلَزَمَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مَنْ يَمُونُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كزوجةٍ وعبدٍ وولدٍ ، لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عَنْهُمَا - « أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقَةِ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِمَّنْ تَمُونُونَ » رَوَاهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ .

فَإِنَّ لَمْ يَجِدْهُ لِجَمِيعِهِمْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَرَقِيقِهِ ، فَأَمِّهِ ، فَأَبِيهِ . فَوَلَدِهِ ، فَأَقْرَبَ فِي مِيرَاثٍ ، وَيُقْرَعُ مَعَ الْإِسْتِوَاءِ .

أَمَّا دَلِيلُ الْبَدَاءَةِ بِالنَّفْسِ فَلِحَدِيثِ « اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » .

وَأَمَّا الزَّوْجَةُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهَا فِي حَالِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ لِأَنَّهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَعَاوِضَةِ .

وَأَمَّا الرَّقِيقُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهِ مَعَ الْإِعْسَارِ بِخِلَافِ الْأَقْرَابِ لِأَنَّهَا صِلَةٌ تَجِبُ مَعَ الْيَسَارِ دُونَ الْإِعْسَارِ .

وَأَمَّا الْأُمَّ فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ حِينَ قَالَ لَهُ : « مَنْ أَبْرُ؟ قَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ آقَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أَبُوكَ » وَلِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَنِ الْكَسْبِ .

وَأَمَّا الْآبُ فَلَمَّا سَبَقَ وَحَدِيثُ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبْنِكَ » .

وَأَمَّا الْوَالِدُ فَلِقُرْبِهِ وَوُجُوبِ نَفَقَتِهِ فِي الْجُمْلَةِ .

وَأَمَّا الْأَقْرَبُ فِي الْمِيرَاثِ فَلِأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ كَالْمِيرَاثِ .

وَتُسْتَحَبُّ عَنِ الْجَنِينِ لِإِعْمَالِ عُمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « يُعْجِبُهُمْ أَنْ يُعْطُوا زَكَاةَ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ حَتَّى عَنْ الْحَمَلِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ .

وَلَا تَجِبُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : « كُلُّ مَنْ نَحَفَظُ عَنْهُ لَا يُوجِبُهَا عَنِ الْجَنِينِ ، وَتَجِبُ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُ وَلِيُّهُ مِنْ مَالِهِ » .

وَلَا يَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ زَوْجَتِهِ نَاشِئًا وَقَتِ الْوُجُوبِ ، وَلَا تَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةَ مَنْ لَا تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهَا ، كَغَيْرِ الْمُدْخُولِ بِهَا إِذَا لَمْ تُسَلِّمْ إِلَيْهِ ، وَالصَّغِيرَةَ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الْأَسْتِمْتَاعُ بِهَا .

وَمَنْ لَزِمَ غَيْرَهُ فِطْرَتَهُ كَالزَّوْجَةِ ، فَأَخْرَجَ عَنْ نَفْسِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ أَجْزَاءُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلٌ فِي وَقْتِ وَجُوبِ صَدَقَةِ الْفَطْرِ ، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُ :

وَتَجِبُ زَكَاةُ الْفَطْرِ بِغُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الْفَطْرِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ الْفَطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ فَأَضَافَ الصَّدَقَةَ إِلَى الْفَطْرِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً بِهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي الْأَخْتِصَاصَ .

وأوَّلُ فِطْرٍ يَقَعُ مِنْ جَمِيعِ رَمَضَانَ بِمَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ،
فَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، أَوْ تَزَوَّجَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، فَلَا فِطْرَةَ وَأَنْ وُجِدَ
ذَلِكَ قَبْلَ بَأْنِ أَسْلَمَ أَوْ تَزَوَّجَ ، أَوْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، أَوْ مَلَكَ عَبْدًا ، أَوْ أُيَسَّرَ قَبْلَ
الْغُرُوبِ وَجَبَتْ الْفِطْرَةُ لَوْجُودِ السَّبَبِ فَالْأَعْيَارُ بِحَالِ الْوُجُوبِ .

وَأَنْ مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ هُوَ ، أَوْ زَوْجَتِهِ ، أَوْ رَقِيقُهُ ، أَوْ قَرِيبُهُ
وَنَحْوُهُ ، أَوْ أَعْسَرَ ، أَوْ أَبَانَ الزَّوْجَةَ ، أَوْ أَعْتَقَ الْعَبْدَ ، أَوْ بَاعَهُ أَوْ وَهَبَهُ لَمْ
تَجِبِ الْفِطْرَةُ لِمَا تَقَدَّمَ .

وَلَا تَسْقُطُ الْفِطْرَةُ بَعْدَ وُجُوبِهَا بِمَوْتٍ وَلَا غَيْرِهِ ، وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا
يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، لِمَا فِي الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا ، وَفِي آخِرِهِ : « وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ
النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ
فَهِِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ » .
وَتَكَرَّرَ بَعْدَهَا خُرُوجًا مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَغْنَوْهُمْ عَنِ الطَّلَبِ فِي هَذَا الْيَوْمِ » . رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

فَإِذَا أَخْرَجَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ لَمْ يَحْصُلِ الْإِغْنَاءُ لَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ
كُلِّهِ .

وَيَحْرُمُ تَأْخِيرُهَا عَنْ يَوْمِ الْعِيدِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيرٌ لِلْحَقِّ
الْوَاجِبِ عَنْ وَقْتِهِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْسِمُهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّيهَا بَعْدَ
الصَّلَاةِ . فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِتَقْدِيمِهَا عَلَى الصَّلَاةِ لِلِاسْتِحْبَابِ .

وَيَقْضِيهَا مَنْ أَخْرَهَا لِأَنَّهُ حَقٌّ مَالِيٌّ وَجَبَ ، فَلَا يَسْقُطُ بِفَوَاتِ وَقْتِهِ كَالذَّيْنِ ، وَتُجْزَى قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « كَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وهذا إشارة إلى جميعهم فيكون إجماعاً ، ولأن ذلك لا يدخل بالمقصود ، إذ الظاهر بقاؤها أو بعضها ، إلى يوم العيد .

وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ فِطْرَةٌ غَيْرُهُ أَخْرَجَهَا مَعَ فِطْرَتِهِ مَكَانَ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهَا طَهْرَةٌ لَهُ ، وَفِطْرَةٌ مِنْ بَعْضِهِ حَرٌّ وَبَعْضُهُ رَقِيقٌ ، وَفِطْرَةٌ قَنْ مُشْتَرَكٍ وَفِطْرَةٌ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَارِثٍ أَوْ مُلْحَقٌ بِأَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدٍ تَقْسُطُ ، وَمَنْ عَجَزَ مِنْهُمْ لَمْ يَلْزَمْ الْآخَرَ سِوَى قِسْطِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل) ٣ - الواجب في الفطرة :

الواجب على كل شخص صاع بر ، أو مثل مكياله من تمر ، أو زبيب ، أو أقط ، لإحدى أبي سعيد - رضي الله عنه - « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ أَقْطٍ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ويجزي دقيق البر والشعير إذا كان بوزن الحب ، نص عليه ، واحتج بزيادة تفرّد بها ابن عبيّنه : ان أحداً لم يذكره فيه ، قال : بل هو فيه . رواه الدراقطني .

قال المجدد : بل هو أولى بالأجزاء لأنه كفي مؤونته كتمر منزوع نواه ويخرج مع عدم ذلك ما يقوم مقامه من حب يقات كذرة ودخن وباقلاء لأنه أشبه بالمنصوص عليه ، فكان أولى .

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الْجَمَاعَةَ فِطْرَهُمْ لِوَاحِدٍ ، وَأَنْ يُعْطِيَ الْوَاحِدَ فِطْرَتَهُ
لِجَمَاعَةٍ .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ الْقِيَمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ .

وَيَحْرُمُ عَلَى الشَّخْصِ شَرَاءَ زَكَاتِهِ وَصَدَقَتِهِ مِنْ صَارَتْ إِلَيْهِ ،
لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « لَا تَشْتَرِهِ ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ
أَعْطَاكَ بِدَرَاهِمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْتِهِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَسْمًا لِمَادَّةِ اسْتِرْجَاعِ شَيْءٍ مِنْهَا حَيَاءً ، أَوْ طَعْمًا فِي مِثْلِهَا ، أَوْ
خَوْفًا أَنْ لَا يُعْطِيَهُ بَعْدَ ، فَإِنَّ عَادَتَ إِلَيْهِ بَارِثٌ أَوْ وَصِيَّةٌ أَوْ هِبَةٌ أَوْ أَخْذَهَا
مِنْ دِينِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا مُوَاطَأَةٍ طَابَتْ بِلَا كَرَاهَةٍ لِعَدَمِ الْمَانِعِ .
وَلِحَدِيثِ بَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ
امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجَبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وَيُجْزِي إِخْرَاجُ صَاعٍ مَجْمُوعٍ مِنْ تَمْرٍ وَزَبِيبٍ وَبُرٍّ وَشَعِيرٍ وَأَقْطٍ كَمَا
لَوْ كَانَ خَالِصًا مِنْ أَحَدِهَا .

وَلَا يُجْزِي مُخْتَلِطٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا لَا يُجْزِي .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ مَعِيْبٍ كَمُسُوْسٍ ، وَمَبْلُولٍ ، وَقَدِيمٍ تَغْيِرَ
طَعْمُهُ .

وَالْأَفْضَلُ تَمْرٌ ، لِفِعْلِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ نَافِعٌ : وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يُعْطِي التَّمْرَ إِلَّا عَامًا وَاحِدًا أَعْوَزَ التَّمْرُ فَأَعْطَى شَعِيرًا
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ .

وقال له أبو مجلز : ان الله قد أوسع . والبر أفضل ، فقال إن أصحابي سلكوا طريقاً ، فانا أحب أن أسلكه رواه أحمد واحتج به .

وظاهره أن جماعة الصحابة كانوا يخرجون التمر ، ولأنه قوت ، وأقرب تناولاً وأقل كلفة ، ويليه في الأفضلية الزبيب لأن فيه قوتاً وحلاوة وقلة كلفة ، ثم البر ، لأن القياس تقديمه على الكل ، لكن ترك اقتداء بالصحابة في التمر وما شاركه في المعنى وهو الزبيب ، ثم الأنفع في الاقييات ودفع حاجة الفقير ، ثم شعبره ، ثم دقيق شعير ، ثم سويقهما ، ثم أقط والأفضل أن لا ينقص معطى من فطرة عن مدبر أو ينصف صاع من غيره ليغنيه عن السؤال في ذلك اليوم لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« أغنوهم عن السؤال في ذلك اليوم » ويسن التكبير المطلق وهو الذي لم يقيد بأذبار الصلوات والجهر به في ليلتي العيدين إلى فراغ الخطبة لقوله تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكبر حتى يسمع أهل الطريق وصيغة التكبير ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر ، الله أكبر والله الحمد ، وفي كل عشر ذي الحجة .

قال البخاري كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما والتكبير المقيد في الأضحى عقب كل فريضة . صلاها في جماعة من صلاة الفجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق لحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم أقبل علينا فقال الله أكبر ومد التكبير إلى آخر أيام التشريق رواه الدارقطني بمعناه إلا المحرم فيكبر من صلاة ظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أُجِبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ، وَإِذَا اسْتُرِحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ، وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَجْتَ أَنْ تَغْفِرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُولَى الْجِدِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّشْمِيرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّمَامِ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَطَ فِيهِ فَلْيُخْتِمَهُ بِالْحُسْنَى، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ، وَبَادِرُوا رَجْمَكُمْ اللَّهُ أَوْقَاتَ شَهْرِكُمْ الْبَاقِيَةَ، وَاسْتَدْرِكُوا مَا مَضَى مِنْهُ بِالْحَسْرَةِ وَالتَّنَدُّمِ، وَاخْتِمُوهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالرُّجُوعِ إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ.

عِبَادَ اللَّهِ، كَمْ أَنَا فِي صَلَاتِي صَلَّوْا فِي هَذَا الشَّهْرِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَأَوْقَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ طَلَبًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحِ، وَنَسَخُوا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلِ قَبِيحٍ، وَقَبَلِ التَّمَامِ سَكَنُوا الضَّرِيحَ، وَلَمْ يَنْفَعُهُمُ الْمَالُ وَالْأَمْوَالُ لَمَّا نُقِلُوا، رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا قَدَمًا قَدَمًا وَنُقِضَ مَا بَنَوْهُ هَدْمًا هَدْمًا، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمُنُونُ رَحَاهَا وَأَحَلَّتْ وَجُوهَهُمْ فِي الثَّرَى فَمَحَاهَا.

وَهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيبٍ فَتَيَقِّظْ يَا قَلِيلَ الزَّادِ، وَحَادِي رَحِيلِهِ قَدْ حَادَى
تَاهَبَ لِلتَّلْفِ وَتَهَيَّأَ لِلرَّدَى، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصِّيَامِ وَوَدَّعَكَ، وَسَارَتْ فِيهِ
قَوَافِلُ الصَّالِحِينَ، وَجَهْلُكَ مَنَعَكَ وَالتَّوْبِيخُ مُتَوَفِّرٌ، فَمَا أَرْجَعَكَ وَلَا أَرْعَجَكَ
وَأَنْتَ تُؤْمَلُ مَنَازِلَ الْعَامِلِينَ بِأَفْعَالِ الْعَافِلِينَ فَمَا أَطْعَمَكَ .

يَا مَنْ أَصْبَحَ سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يَأْتِي غَدًا حَزِينًا
مُتَنَدِّمًا، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضُحُهُ الْحِسَابُ وَالْعَرْضُ، وَكَمْ مِنْ
عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْأَرْضُ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ
مِنَا فَتَهْنِئِهِ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَطْرُودِ
فَتَعَزِّيهِ بِسَوْءِ عَمَلِهِ، فَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَيْثُ لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ وَاحْسَانِهِ وَعَفْوِهِ وَامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ، وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَغَفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيهِ
فِي عِصْيَانِهِ، لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَكَ وَخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ، وَطَالَتْ
نَدَامَتُكَ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشْبِهُهَا خُسَارَةٌ، لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا
بِالتَّقَى أَوْقَاتَهُمْ، وَتَدَرَّعُوا دُرُوعَ الْمُرَاقَبَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصَّدَقِ
وَالِاخْتِلَاصِ فِي ذِكْرِهِمْ، صَبَرُوا بِالْيَقِينِ عَلَى ظَمِّ الْهَوَاجِرِ، وَبَسَطُوا
أَقْدَامَهُمْ عَلَى بَسَاطِ الدِّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فِيهِ الْقُلُوبُ لَسَدَى الْحَنَاجِرِ .

أَقْبِلُوا عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمٍ، وَمَا سَلَكُوا إِلَّا الطَّرِيقَ السَّالِمَ
تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ الْقَدَائِمَ، فَجَدَّدُوا التَّوْبَةَ بِصَدَقِ الْعَزَائِمِ، وَعَدُّوا التَّقْصِيرَ
مِنَ الْعِظَائِمِ، وَبَدَّلُوا الْمُهْجَ الْكِرَائِمَ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدُ وَقَائِمُ، وَلَا
يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، أَيْنَ أَنْتَ وَهُمْ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كَالنَّائِمِ؟
كَلَّا، وَلَا الْمُفْطِرَ كَالصَّائِمِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّلِّ

والانكسار ودوام اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه واحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده . فالعارف : سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يمكنه أن يسير إلا بهما فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله عنه سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فجمع في قوله صلى الله عليه وسلم أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمتن بها .

بل يدخل على الله من باب الافتقار الصرْف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملت الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة فاقة تامة وضرورة إلى ربه تبارك وتعالى وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك

وَحَسِيرَ خَسَارَةٍ لَا تُجْبَرُ إِلَّا أَنْ يُعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَدَارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ
انتهى .

شعرا :

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجِلٍ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّارِ مَجْنُونٌ
قَدْ كَانَ قَدَمَ أَعْمَالٍ مُقَارِفَةً أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينٌ

آخر: دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذُّارِ

وَأذْكَرُ لِمَنْ بَانَ مِنْ خِلٍّ وَمِنْ جَارٍ

وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَجِيئاً وَابِكِ مِنْ أَسْفٍ

عَلَى فِرَاقِ لَيْالٍ ذَاتِ أَنْوَارِ

عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصُّومِ مَا جُعِلَتْ

إِلَّا لِتَمَجِّصِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ

يَا لَأَيْمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفاً

وَاسْمَعِ غَرِيبَ أَحَادِيثِي وَأَخْبَارِي

مَا كَانَ أَحْسَنَّا وَالشُّمْلُ مُجْتَمِعٌ

مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِتُ الْقَارِي

وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ

فِيهَا الْمَصَائِيحُ تَزْهُو بِمِثْلِ أَزْهَارِي

فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ

حَقّاً عَلَى كُلِّ شَهْرٍ ذَاتِ أَسْرَارِ

تَنْزُلُ الرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ قَاطِبَةً

بِإِذْنِ رَبِّ غَفُورٍ خَالِقِ بَارِي

شَهْرٍ بِهِ يُغْتَقُ اللَّهُ الْعُصَاةَ وَقَدْ

أَشْفُوا عَلَى جُرْفٍ مِنْ خُطَّةِ النَّارِ

نَرْجُوا إِلَهَ مُجِبِّ الْعَفْوِ يُعْتِقَنَا
 وَيَحْفَظُ الْكُلَّ مِنْ شَرِّ وَأَكْذَارِ
 وَيَشْمَلُ الْعَفْوُ وَالرُّضْوَانُ أَجْمَعَنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَمُّ لَا تَهْتِكُ لِأَسْتَارِ
 فَأَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشُّهُرِ وَاعْتَبِرُوا
 مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ
 كَلِمَتِكَ هِيَ الْعُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاخْذِلْ الْكُفْرَةَ وَأَعْوَانَهُمْ وَالْمُلْحِدِينَ
 وَالْمُبْتَدِعِينَ وَأَصْلِحْ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِكَ مَنْ فِي
 هَلَاقِهِ صَلَاحُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَوَلِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ يَا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ وَلَمْ شَعْنُهُمْ وَاجْمَعْ شَمْلَهُمْ وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْصُرْهُمْ عَلَى مَنْ مِنْ
 خَالَفَهُمْ وَاحْفَظْ بِلَادَنَا مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَإِشْفِ مَفْرُضَانَا
 وَعَافِ مُبْتَلَانَا وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ
 وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُنَّ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا
 وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرَنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا
 وَلَا يَرْحَمُنَا وَلَا تُؤْخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلَا تَسْلُبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا
 حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَيُنَحْتُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٢ - مَا جَاءَ فِي فَصْلِ حَمْلِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي فَصْلِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ .
- ٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

- ٥ - ما ورد في بيان عِظَمِ بَعْضِ السُّورِ .
 ٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصُّوتِ فِي التَّلَاوَةِ .
 ٧ - يَنْبَغِي الخُشُوعُ والخَشْيَةُ والبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللّهِ تَعَالَى .
 ٨ - ما وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ القُرْآنِ والترهيب من نسيانه .

١ - ما وَرَدَ مِنَ الحَثِّ عَلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ :

يُسْتَحَبُّ حِفْظُ القُرْآنِ عَن ظَهْرِ قَلْبٍ ، والإكثارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ القُرْبَاتِ وَأَجَلُ الطَّاعَاتِ وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَسِيمٌ مِنَ المَوْلَى الكَرِيمِ ، وَلَا سِيَّما فِي شَهْرِ رَمَضَانَ قالَ اللّهُ تَعَالَى آمِراً رَسولَهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ العَزِيزِ وإبلاغِهِ إلى الناسِ : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ .

واخبرَ تَعَالَى عَن عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ إقامِ الصَّلَاةِ والانفاقِ بِمَا رَزَقَهُمُ اللّهُ تَعَالَى فِي الأوقاتِ المَشْرُوعَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً سِراً وَعَلانِيَةً ، فقالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَعَن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . رواه البخاري ، ومسلم .

٢ - ما جاء في فَضْلِ حَمْلِ القُرْآنِ :

وَعَن عائِشَةَ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا - قالَتْ : قالَ رَسولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ ما هِرْبُ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَّةِ ،

والذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَاً تَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أَوْكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٍ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرْبِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده . أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن حضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرا فجالت الفرس ، فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف . وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق أن تصيبه ، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير قال فاشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال : « وتدرون ما ذلك قلت لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى » .

فالعاقِلُ من يُكثِرُ تلاوته واستذكاره للاهتداء بهديه والاسترشاد بمواعظه والاعتبار بقصصه والالتقاط من درره وحكمه والاستبصاء بنوره كيف لا وهو أساس الفصاحة وينبوع البلاغة والبراعة فتجد الخطيب المصنِّع والشاعر البليغ يقتبسَان من آياته ويستمدَان من عذوبة الفاظه ومعانيه ما يُزيّنَان به كلامهما ويحسنان به مقامهما .
شعرا :

سأ أصرف وقتي في قراءة ما أتى عن الله مع ما جاءنا من رسوله
فإن الهدى والفوز والخير كله بما جاء عن رب العباد ورسله
وهو أساس الشريعة الإسلامية ومنه تستمد الأحكام الشرعية
والمسائل الفقهية والحق أنه عمادنا في أمر ديننا ودنيانا .

الْقُرْآنُ أُصْلُ أُصُولِ الدِّينِ قَاطِبَةً فَكُنْ هُدَيْتَ بِهِ مُسْتَمْسِكًا وَتَقَا
قال يحيى بن أكثم : كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر فدخل
في جملة الناس رجلٌ يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال
فتكلم فأحسن الكلام والعبارة .

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلى ؟ قال : نعم . قال :
أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعدته فقال : ديني ودين آبائي وإنصرف .
قال : فلما كان بعد سنة جاء مُسْلِماً فتكلم على الفقه فأحسن الكلام
فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألسنت صاحبتنا بالأمس ؟ قال :
بلى .

قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك
فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة
فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني .
« المعنى ما بارت تصرقت وطافت ما حقق فيها ولا انتبه لتحريفها » .

وعمدت إلى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت
وأدخلتها البيعة فاشتريت مني .

وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت
وأدخلتها الوراقين فتصفحوها .

فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن
هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي .

قال يحيى بن أكثم فحجبت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة
فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله قال قلت في أي
موضع ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والانجيل ﴿ بما استحفظوا من
كتاب الله ﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظه الله جل وعلا علينا فلم يضع .

شعرا :
 عَلَيْكَ بِقَوْلِ اللَّهِ حِفْظًا فَإِنَّهُ هُوَ الذُّخْرُ فِي يَوْمِ تَشْيِبِ الذُّوَائِبِ
 وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَيْضاً فَإِنَّهُ بِهِ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ تُؤْتَى الْمَطَالِبُ
 وَفَقْنَا اللَّهَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ
 أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَمْثَالِهِ وَمُعْجِزِهِ وَالتَّبَصُّرِ فِي
 نُورِ حِكْمِهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « إذا قرأ ابن آدم السُّجْدَةَ فَسَجَدَ ، اعتزَل الشَّيْطَانُ
 يَبْكِي ، وَيَقُولُ : يَا وَيْلَهُ ! » .

وفي رواية : « يا وَيْلِي ! أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ،
 وَأَمَرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ » رواه مسلم وأبو داود .

وعن النُّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ
 كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ » وَضُرِبَ لَهُمَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ « كَانَهُمَا
 غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَانَهُمَا فُرْقَانٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ
 يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَهُ بِهِ
 حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ
 حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال قلت يا رسول الله ، أوصني ، قال : « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ » ، قلت : يا رسول الله زدني ، قال : « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » رواه ابن حبان .

شِعْرًا: مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجَنَّةِ
وَالْيَقْمَ فِي ظِلْمَةِ الْ—
وَالْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوْرُ الْ—
فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي
لَيْلٍ إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَإِنَّ
لَهُ فِي دَارِ الْأَمَانِ

آخر: إقْطَعْ زَمَانِكَ بِالْقُرْآنِ تَفْهَمُهُ
وَاتْرِكْ مَجَالِسَ قَوْمٍ لَيْسَ عِنْدَهُمْ
آخر: إِذَا شِئْتَ أَنْ تُحْظَى بِجَنَّةِ رَبَّنَا
فَاعْمَلْ بِمَا قَالَ الْإِلَهُ وَقَوْلٍ مَنْ
وما أتى عن رسول الله من كلام
سوى المأثم من فعلٍ ومن كلام
وتفوز بالفضل العظيم الدائم
نحتم الإله به النبوة فاعلم

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنَّتَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ ، لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ ، وَلَا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهَلَ وَفِي جَوْفِهِ كَلَامُ اللَّهِ » رواه الحاكم .

وروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظَهَرَهُ ، فَاحْلُ حَلَالُهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ » رواه ابن ماجه والترمذي .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ

تُصَلِّي مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأنْ تَعُدُّو فَتَتَعَلَّم بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ » رواه ابن ماجه .

اللهم اهدنا إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَقِّفْنَا لِلْفِقْهِ فِي دِينِكَ الْقَوِيمِ ،
واجعلنا مِنَ الْعَامِلِينَ بِهِ قَوْلًا ، وَفِعْلًا الدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ ،
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ وَتَفْهِمِهِ

يُسْتَحَبُّ التَّعَوُّذُ لِمَنْ أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَنْ يَقُولَ « أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

وكان جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَقُولُونَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَان قَطَعَ الْقِرَاءَةَ قَطَعَ تَرْكُهُ عَلَى أَنْ لَا يَعُوذَ قَرِيبًا إِلَيْهَا
أَعَادَ التَّعَوُّذَ الْأَوَّلَ وَإِنْ تَرَكَهُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ فَيَتَوَجَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا ثُمَّ يَقْرَأُ لِأَنَّ
وَقْتُهَا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ لِلأَسْتِحْبَابِ فَلَا يَسْقُطُ تَرْكُهَا إِذَا وَلَّانَ الْمَعْنَى يَقْتَضِي
ذَلِكَ .

فَإِذَا شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ فَلْيَكُنْ سَأْتُهُ التَّدْبِيرَ وَالْيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ
بَعْضِ الْهَمَجِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَعُيُونُهُ تَجُولُ فِيمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ
يَتَلَاعَبُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَهْتَمُّ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي مَعْرِضِ الْإِنْكَارِ ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ،
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ الْمُحِبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَتَفْهِمُهُ عِنْدَهُ أَلَدُّ
الْأَشْيَاءِ وَأَنْفَعُهَا لِقَلْبِهِ .

ولا يَمَلُ من تِلَاوَتِهِ ولا يَقْنَعُ بِتِلَاوَتِهِ دُونَ أَنْ يَطْلُبَ فَهَمَّ مَعَانِي مَا أَرَادَ
اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَبَجُّلِهِ وَتَقْدِيسِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَإِرْشَادِهِ وَأَدَابِهِ
وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ .

وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَنَالُ مَنَافِعَ آخِرَتِهِ وَلَا الْفَوْزَ بِهَا وَالنَّجَاةَ مِنْ هُلْكَتِهَا إِلَّا
بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الدَّالِّ عَلَى كُلِّ نَجَاةٍ وَالْمُنْجِيِّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ .

قال الله جل وعلا « فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » الآية
أَنْزَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِبَادِهِ لِيُعْرِفَهُمْ بِهِ نَفْسَهُ وَيَذَكِّرَهُمْ بِهِ أَيَادِيَهُ وَيُنَبِّهَهُمْ
بِهِ مِنْ رَقَدَاتِ الْغَافِلِينَ .

وَيُحْيِي قُلُوبَهُمْ وَيُنَوِّرُ أَبْصَارَهُمْ وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ وَيُزِيلُ جَهْلَهَا وَيَنْفِي
شُكُوكَهَا وَذَنْسَهَا وَزَيْفَهَا وَيُوضِحُ سَبِيلَ الْهُدَى وَيَكْشِفُ بِهِ الْعَمَى
وَالشُّبُهَاتِ .

وَيُزِيلُ نَوَازِعَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَ الصُّدُورِ وَيُغْنِي بِهِ مَنْ فِيهِمُ فَهْمُهُ وَيُنْعَمُ بِهِ
مَنْ كَرَّرَ تِلَاوَتَهُ وَيَرْضَى بِهِ عَمَّنْ اتَّبَعَهُ .

هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أُوقِفَهُ عَلَى
الرَّغَائِبِ وَسَلَّمَهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَهَالِكِ وَخَفَّفَ عَنْهُ أَهْوَالَ يَوْمِ الْعَرْضِ
وَالنُّشُورِ . وَأُورِدَهُ رِيَاضَ جَنَاتِ النِّعَمِ .

هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ لِرَسُولِهِ ﷺ ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ عَطِبَ قَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن
لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ .

وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدَى مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ فَهَمَهُ نَطَقَ بِالْحَكْمِ ، وَجَرَى
عَلَى لِسَانِهِ بِحَسَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا .

وَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا قَالَ فَقَدْ اسْتَغْنَى بِهِ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَعَزَّ بِهِ مِنْ كُلِّ دُلٍّ .

لَا تَتَغَيَّرُ حَلَاوَتُهُ ، وَلَا تُخْلَقُ جِدَّتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عَلَى كَثْرَةِ
الترداد والتكرار لتلاوته .

لأنه كلام الحي القيوم ، وكل كلام غير القرآن والأحاديث
الصحيحة التي جاءت عن النبي ﷺ فإنها تملُّ من كثرة تردادها .

أما القرآن وما صح عن النبي ﷺ فإن المؤمن كلَّ ما كرره ازداد رغبةً
ونشاطاً ومحبةً للكلامِ وَلَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ عِنْدَنَا فِي فِطْرِنَا فَإِنَّا نَسْمَعُ
الْكَلَامَ مِنْ نُحْبٍ مِنَ الْخَلْقِ . وَمَنْ نَعِظُ قَدْرَهُ فَتَرْتَاخُ لِذَلِكَ قُلُوبُنَا .
فكيف بكلام ربنا رب العالمين الذي خلقنا ورزقنا وأعطانا وآوانا
وعافانا وهدانا .

شعرا: جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَأَهَا فَتَوَّرَ أَوْ كَلَّالَ أَوْ سَامَأَ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمُوا وَاسْتَمِعْ لِي وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَاذَا الشَّهَامَةِ

وقد تكلم به حقيقة ، وأنزله على محمد ﷺ مع الأمين من ملائكته .
فالواجب علينا الاصغاء والتفهم لما يتلى من كلام ربنا جلَّ وعلا وتقدس .

وأنت تعلم أنه إذا كان للذي يحدثك عندك قدر أضغيت إلى حديثه
باستماع ما يقول وتفهم معاني ما يصف .

ولو كان يحكيه لك عن حاكمي لفعلت ذلك حبا منك لقائله وتعظيما
للمتكلم به .

ولو أطلعَهُ اللهُ على قَلْبِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ مُتَشَاغِلٌ عَنْهُ لَا تُلْقِي لَهُ بِأَلَاكَ
وَلَا تَفْهَمُ عَنْهُ قَوْلَهُ .

لَا بُغْضَكَ وَعِلْمَ إِنَّكَ مُسْتَهِينٌ بِهِ سَاءَ عَنْ حَدِيثِهِ وَلَا تَهْتَمُّ بِهِ وَلَا تَعْبَأُ
بِفَهْمِ قَوْلِهِ لِقَلَّةِ قَدْرِهِ وَقَدْرِ حَدِيثِهِ عِنْدَكَ .

ولو كان لَهُ عِنْدَكَ قَدْرٌ لَأَصْغَيْتَ لِحَدِيثِهِ وَلَمْ تَلَهُ عَنْ تَفْهَمِهِ وَإِنَّمَا هَوَتْ
عَنْ حَدِيثٍ مَنِ حَدَّثَكَ مِنَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ غَابَ عَنْهُمْ عِلْمُ ضَمِيرِكَ .

ولو كان بَادِيًا وَظَاهِرًا لَهُمْ مَا فِيهِ لَأَحْضَرْتَ عَقْلَكَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى كَلَامِهِمْ
وَحَدِيثِهِمْ ، وَلَمْ تَرْضَ لَهُمْ بِالِاسْتِمَاعِ دُونَ الْفَهْمِ لَهُ ، وَلَا بِالْفَهْمِ لَهُ دُونَ
مُحِبِّهِمْ عَلَى قَدْرِ حَدِيثِهِمْ .

لِتُعَلِّمَهُمْ أَنَّكَ قَدْ فَهَمْتَ عَنْهُمْ وَلَمْ تَرْضَ لَهُمْ بِالْجَوَابِ دُونَ أَنْ
تُؤَافِقَهُمْ فَتُعْظَمَ مَا عَظُمُوا وَتَسْتَحْسِنَ مَا اسْتَحْسَنُوا وَتَسْتَقْبِحَ مَا اسْتَقْبَحُوا .

هَذَا وَأَكْثَرَ حَدِيثِهِمْ لَعَوٌ وَهُوَ وَليْسَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَقٌّ لَهُمْ
يُؤَكِّدُوهُ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِمْ وَلَا يَرْضَوْنَ عَنْكَ بِفَهْمِهِ وَلَا تُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَسْخَطُوا
عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تُكُنْ تَفْهَمُهُ وَتَقُومُ بِهِ .

فكيف بالرب العظيم الكريم الذي سهل لك مناجاته ، ولم يتكلم
به لعو ولا قاله هؤا ولعبا ولا عبثا ، ولا خاطب به سهوا ولا تفكها تعالى الله
عز وجل عن ذلك علوا كبيرا .

وإنما تكلم به مخاطبه قَصْداً وإِرَادَةً وَتوكِيداً لِلْحُجَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى خَلْقِهِ
إِعْذَاراً إِلَيْهِمْ وَإِنذَاراً .

فَعَرَّفْنَا بِهِ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَأَمَرْنَا بِمَا يَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُقَرِّبُنَا مِنْهُ وَيُوجِبُ
لَنَا جَوَارَةَ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ .

وَيُوجِبُ لَنَا بِهِ إِنَّ رَكِبْنَا مَا يُسَخِّطُهُ عَذَابَهُ الْأَلِيمِ فِي خُلُودِ الْأَبَدِ الَّذِي
لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا زَوَالَ وَلَا رَاحَةَ .

وَنَدَبْنَا فِيهِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَنَازِلِ الشَّرِيفَةِ وَقَدْ قَالَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ إِنَّ مَا أَنْزَلَهُ مِنْ كَلَامِهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَمَا أَحَقُّ مَنْ غَفَلَ عَنْ فَهْمِ كِتَابِهِ أَنْ يَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَيَأْسَفَ عَلَى مَا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ وَمَرَضَ قَلْبِهِ وَهُوَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا سُقْمًا وَمَرَضًا
وَذَلِكَ لِقَلَّةِ مُبَالَاتِهِ .

تَرَكَ طَلَبَ شِفَائِهِ بِمَا قَالَ اللَّهُ وَتَدَبَّرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ خَالِقُهُ وَمَوْلَاهُ وَقَدْ رَأَى
مَوْلَاهُ وَهُوَ يَعْتَنِي بِفَهْمِ كِتَابِ مَخْلُوقٍ وَحَدِيثِهِ .

وَلَيْسَ فِي كِتَابِ هَذَا الْمَخْلُوقِ وَحَدِيثِهِ إِثْبَاتُ خُلُودِ الْأَبَدِ فِي النَّعِيمِ وَلَا
النَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ .

بَلْ رَبُّمَا أَنْ فِيهِ مَا الْاِسْتِغَالُ بِهِ ضَرَّرَ عَلَيْهِ ، وَمَسَخَطَةُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
أَوْ لَعَلَّ فِيهِ مَا الْاِسْتِغْنَاءُ بغيرِهِ أَوْلَى أَوْ حَاجَةٌ لَا قَدْرَ لَهَا أَوْ خَيْرٌ تَأْفَهُ .

أَوْ حَاجَةٌ بِكُلْفَةٍ لَا يَأْمَلُ لَهَا مُكَافَأَةً وَلَا يُحْتَسِبُ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا إِلَّا خَوْفُ
عَذَابِهِ وَلَوْ مَه .

فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُنَا عِنْدَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ عَلِمَ مِنَّا أَنْنَا قَلِيلٌ
تَعْظِيمًا لَهُ .

وَنَحْنُ لَا نَعْبَأُ بِفَهْمِ كَلَامِهِ وَتَدَبَّرِ قَوْلِهِ فِيمَا خَاطَبَ بِهِ كَمَا نَعْبَأُ بِفَهْمِ
كُتُبِ عِبِيدِهِ وَحَدِيثِهِمُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لَنَا وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا .

فَتَبَارَكَ مَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَعَدَا نَقَدَمُ عَلَى اللَّهِ
عز وجل فَتَلَقَاهُ وِيسَائِلُنَا عَنْ كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا مُخَاطِبًا لَنَا بِهِ وَكَيْفَ فَهِمْنَا
عنه وَكَيْفَ عَمِلْنَا بِهِ وَهَلْ أَجَلَلْنَا وَرَهَبْنَا وَهَلْ قُمْنَا بِحَقِّهِ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ
وَجَانِبْنَا مَا نَهَانَا عَنْهُ .

أَلَمْ تَسْمَعْ مَسَائِلَهُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَمِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ بِهِ
الْحُجَّةَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ رُسُلِهِ وَأَنَّهُ قَطَعَ بِذَلِكَ عُذْرَهُمْ
وَأَدْحَضَ بِهِ حُجَّتَهُمْ .

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا يَوْمَ الْعَرْضِ ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمٍ هَذَا ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا
﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ
فِي شَفْعَائِهِمْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ انتهى باختصار وتصرف يسير .

شعرا :

يَارَبِّ إِنْ عَظُمَنَ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسَبِيلَةَ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِلَيَّ مُسْلِمُ

اللَّهُمَّ رَغَبْنَا فِيْمَا بِيَقَى ، وَرَهَدْنَا فِيْمَا يَفْتَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي
لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ
الَّذِي لَا يُرَامُ وَمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا
شَرَّ مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتُمُ بِهِ وَأَنْ تُعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ،

اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْعَطَا وَالْعِزِّ وَالْكَبْرِيَا يَا مَنْ تَعْنُوا لَهُ الْوُجُوهُ وَتَحْشَعُ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنِ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

وَيُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْتَلَ قِرَاءَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

وَبُتِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا تَنَعَتْ قِرَاءَةَ مُفَسَّرَةٍ حَرْفًا حَرْفًا . رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأْ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » . رواه أحمد ، والترمذي وأبو داود والنسائي .

وعن قتادة قال : سُئِلَ أَنَسٌ ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : كَانَتْ مَدًّا مَدًّا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ يَمُدُّ بِـ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَيَمُدُّ بِـ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ ﴿ وَيَمُدُّ بِـ ﴾ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ . رواه البخاري .

وعن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل ، قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرْجِعُ فِي قِرَاءَتِهِ ، رواه البخاري ومسلم .

وقد رَوَى أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً بآيَةٍ

يُرَدِّدُهَا : ﴿ إِنَّ تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ وَقَامَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ بِآيَةِ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ إِنِّي لَأَقِيمُ فِي الْآيَةِ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ نَهَاراً غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَنْ خَتَمَهُ لَيْلاً غُفِرَ لَهُ تِلْكَ اللَّيْلُ وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ : مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمَسِّي أَوْ أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيْسُهُ مِنَّا كَمَا أَيْسَتْهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ » : قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَشْرَةُ أَشْيَاءَ ضَائِعَةٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا : عِلْمٌ لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَعَمَلٌ لَا إِخْلَاصَ فِيهِ وَلَا اقْتِدَاءَ فِيهِ بَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يُؤَفَّقُ لَهُمَا إِذَا لَمْ يُخْلِصِ الْعَمَلَ ، وَمَالٌ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فَلَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ جَامِعُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَقَلْبٌ فَارِغٌ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ ، وَبَدَنٌ مُعْطَلٌّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَمَحَبَّةٌ لَا تَقْقِدُ بِرِضَا الْمُحِبُّوبِ وَامْتِنَالِ أَوْامِرِهِ .

وَوَقْتُ مُعْطَلٌّ مِنْ اسْتِدْرَاكِ فَارِطٍ وَاعْتِنَامِ بَرِّ وَقُرْبَةِ ، وَفِكْرٌ يَجُولُ فِيهَا لَا يَنْفَعُ وَخِدْمَةٌ مَنْ لَا يُقَرِّبُكَ خِدْمَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَعُودُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ دُنْيَاكَ وَخَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ مِمَّنْ نَاصِيَتُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَهُوَ أُسِيرٌ فِي قَبْضَتِهِ وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً .

وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَةُ الْقَلْبِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ فَإِضَاعَةُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ مِنْ إِشَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ

الْأَمَلِ فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَطُولِ الْأَمَلِ وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهُدَىٰ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ اللَّهِ .

إلى أن قالَ ولِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ أَمْرٌ أَمْرُهُ بِهِ وَقَضَاءٌ يَقْضِيهِ عَلَيْهِ وَنِعْمٌ يُنْعَمُ بِهَا عَلَيْهِ فَلَا يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَالْقَضَاءُ نَوْعَانِ إِمَّا مَصَائِبٌ وَإِمَّا مَعَائِبٌ وَلَهُ عَلَيْهِ عُبودِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ عَرَفَ عُبودِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا وَوَفَّاهَا حَقَّهَا فَهَذَا أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ مَنْ جَهِلَ عُبودِيَّتَهُ فَعَطَّلَهَا عِلْمًا وَعَمَلًا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبِّتِ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ ، وَاللَّهُمَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

٥ - ما وَرَدَ فِي عِظَمِ فَضْلِ بَعْضِ السُّورِ :

وعن أبي الدَّرْدَاءِ - رضي اللهُ عنه قال - قال رسولُ اللهِ ﷺ :
« أَيْعَجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » قال ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ « رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عُمر - رضي اللهُ عنه - أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لم

يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ « رواه الترمذي وأبو داود والدرامي .
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ » قَالُوا وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « أَمَّا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفًا مِنَ التَّكَاثُرِ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ . . . » الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ « لَا تَنْشُرُوهُ نَشْرَ الرَّمْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشَّعْرُ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » رَوَاهُ الْبَغْوِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لِأَنَّ أَقْرَأَ سُورَةَ أُرْتِلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ » وَقَدْ نَهَى عَنِ الْأَفْرَاطِ فِي الْأَسْرَاعِ وَنُسِمِي « الْمُهْذَرَمَةَ » ، فَثَبَّتَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : أَقْرَأُ الْمَفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَهَذَا الشَّعْرِ ، إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ نَفَعَ « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أُرِدْتَ الْأَنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَالْقَى سَمْعَكَ وَاحْضِرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ خَطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنْ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضِيٍّ وَمَحَلِّ قَابِلٍ وَشَرْطَ لِحْصُولِ الأثرِ انْتِفَاءَ المانعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ : تَضَمَّنَتِ الأيَةُ بَيَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ عَلَى المَرَادِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرَ
وَالدَّعَاءَ وَالصَّلَاةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الرَّجُلِ فَالْقِرَاءَةُ بِتَدَبُّرٍ
أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِلا تَدَبُّرٍ وَالصَّلَاةُ بِخُشُوعٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ أَفْضَلُ مِنَ
الصَّلَاةِ بِدُونِ ذَلِكَ .

٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ :

يُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ ، لِأَنَّ تَحْسِينَ
الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ مُعِينٌ عَلَى حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ وَبَاعِثٌ عَلَى حُسْنِ
الاسْتِجَاعِ وَالِاصْغَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : « مَا أَدْنَى اللَّهُ لَشَيْءٍ كَمَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ
وَيَجْهَرُ بِهِ » متفق عليه .

شِعْرًا : وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ جَرَّادٌ يَقْرَاهَا وَتِلْفَازٌ يَنْظُرُ
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ كَانَ هَمُّهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَلِلْقَلْبِ يُحْظَرُ
آخِرُ : إِصْرَفْ هُمُومَكَ لِلْقُرْآنِ تَفْهَمَهُ وَاعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنَالَ الْأَجْرَ وَالشَّرْفَا

قال جمهور العلماء : مَعْنَى (لَمْ يَتَغَنَّ) ، أَي لَمْ يُحَسِّنْ صَوْتَهُ . وَعَنْ
الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ
بِأَصْوَاتِكُمْ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَالدِّرَامِيُّ .

وعنه أيضا قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ « حَسَّنُوا الْقُرْآنَ
بِأَصْوَاتِكُمْ فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » رَوَاهُ الدِّرَامِيُّ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى : « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ

الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُوتِيَتْ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » ، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ بِالْمِزْمَارِ هُنَا الصَّوْتُ الْحَسَنُ .

اللَّهُمَّ قَابِلِ سَيِّئَاتِنَا بِإِحْسَانِكَ ، وَاسْتِرْ خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ وَأَذْهِبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرِ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ ، اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَسَلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

٧ - يَنْبَغِي الْخُشُوعُ وَالْحَشْيَةُ وَالْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :

وَيُسْتَحَبُّ الْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ صِفَةُ الْعَارِفِينَ وَشِعَارُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْخَاشِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ سورة الْإِسْرَاءِ .

شِعْرًا : وَكُلُّ تِلَاوَةٍ فَتْمَلُّ إِلَّا كَلَامَ اللَّهِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْمُكْرَمِينَ وَخَوَاصَّ الْمُرْسَلِينَ ، وَذَكَرَ فَضَائِلَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ (خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَثَارٌ لِلسَّلَفِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقرأوا القرآن وابتكوا ، فإن لم تبتكوا فتبتكوا » وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علي » قلت : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال : « فإني أحب أن أسمع من غيري » فقرأت من سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال : « حسبك الآن » ، فالتفت إليه فاذا عيناه تذرُفان . متفق عليه .

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، أخرجهُ الخمسة إلا ابن ماجه وصححه ابن جبان .

ولما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له الصلاة ، فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ، قالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء ، قال « مروه فليصل » رواه مسلم .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُحَافِظٍ
وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً
آخِر: يُحْيِي اللَّيَالِي إِذَا الْمَعْرُورُ أَغْفَلَهَا
آخِر: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِي
آخِر: وَبَادِرِ اللَّيْلِ بَدْرَسِ الْعُلُومِ
عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَبِاللَّيْلِ قَوَامًا بِسَجْدٍ وَرَكْعَةٍ
كَأَنَّ شُهْبَ الدِّيَاجِي أَعْيُنُ نُجُلٍ
فَأَهْوُونَ فَائِتِ طَيْبِ الرِّقَادِ
فَائِمَا اللَّيْلُ نَهَارِ الْأَرِيْبِ

وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى بِالْجَمَاعَةِ الصُّبْحَ ، فَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ بَكَى حَتَّى سَمِعُوا بُكَاءَهُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ .

وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالنَّاسِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَاللَّيْلُ إِذَا يَعُشِي فَلَمَّا بَلَغَ فَأَنْدَرْتُكُمْ نَاراً تَلْظِي حَنْقَتَهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا بَلَغَهَا حَنْقَتَهُ الْعَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَقَرَأَ غَيْرَهَا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَالُ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى التَّيْمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لَخَلِيقٍ أَنْ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالَ : ﴿ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ ﴾ وَقَالَ ﷺ : « لَا يَلْجُ النَّارِ مَنْ بَكَى مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ ﷺ : « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرِسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ » أَوْ يَقُولَ : « أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ » أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهِ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » أَوْ « تَبَارَكَ وَتَعَالَى » أَوْ « جَلَّتْ عِظْمَةُ رَبِّنَا » ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ ، فَقَلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى ، فَقَلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً إِذَا مَرَّ فِيهَا بِتَسْبِيحِ سَبْعٍ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُورَةِ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعُودٍ تَعُودُ ثُمَّ رَكَعَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا تَعْظِيمَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ فَمَنْ اسْتَحَفَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَحَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ . عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْعَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجِدُ الْكُتُبَ

الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ
مُلَقَاتٍ مَعَ الْقَمَائِمِ فِي الْحُفْرِ الْقَدِيرَةِ تُدَاسُ بِالنَّعَالِ وَتُلَوَّثُ بِالْأَقْدَارِ تُلَوَّثُ
تَلْوِيثًا تَسْتَعِيثُ مِنْهُ الْعَوَظُفُ الْإِيمَانِيَّةُ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لَا تُصَانُ
وَتُرْفَعُ أَوْ تُقْبَرُ فِي مَحَلِّ طَاهِرٍ .

قُولُوا لِمَنْ يُلْقِيهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ مِنَ الْقَائِيهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ
حَالَةُ وَاللَّهِ تُوَلِّمُ النُّفُوسَ وَتُشْمِتُ بِنَا الْأَعْدَاءِ قُولُوا لَهُمْ كَيْفَ تَسْمَحُ
نُفُوسُكُمْ تَلْقُونَهَا هَذَا الْأَلْقَاءُ الْحَقِيرَ وَكَذَلِكَ كُتُبُ فِقْهِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
آيَاتٌ وَلَا أَحَادِيثٌ يَنْبَغِي احْتِرَامُهَا وَرَفْعُهَا .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي جُمِعَ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ بِهَا
مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَ
الْآيَةِ خُصُوصًا إِذَا أَطْبِقَ الْكِتَابُ وَهَذَا وَاللَّهُ اسْتَهَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ
بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْكِتَابِ الدِّينِيِّ لَا يَجُوزُ السَّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ
الْمُزْرِيَّةِ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي
الْجَرَائِدِ بَلْ يَشَارُ إِلَى مَحَلَّاتِهَا وَأَرْقَامِهَا لِأَنَّ الْجَرَائِدَ صَارَتْ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْ
قُمَّامَةِ الْمَحَلَّاتِ وَفِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ إِنْ دَامَتْ مَعَ
مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي مَلَأَتِ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ يُخْشَى أَنْ
تُحِيطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّنَنَا مِنْ عُقُوبَتِهَا وَأَنْ يُوقِضَ وَلَا تَنَا وَيُنَبِّهَهُمْ لِإِزَالَتِهَا
وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَرَى مَخْلَصًا لِلنَّاسِ الَّذِي
قَدْ ابْتُلِيَ بِشِرَاءِ الْجَرِيدَةِ حَمَالَةَ الْكَذِبِ قِتَالَةَ الْوَقْتِ إِلَّا أَنَّهُ يُحْرِقُهَا مِنْ
حِينَ يَخْلُصُ مِنْ قِرَاءَتِهَا لِيَسْلَمَ مِنْ بَاقِي شُرُورِهَا وَأَوْزَارِهَا .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيهَا وَالْمَالُ
الَّذِي أَنْفَقَهُ فِيهَا وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَنْ
الْإِسْتِهَانَةَ وَالْإِمْتِهَانَ وَخَرَجَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمَحَلِّ الَّتِي وَضَعَهَا فِيهِ إِذَا كَانَ
فِيهَا صُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا :

أَلَا إِرْعَوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ
عِنْدَ الْمَذَائِيعِ وَالتَّلْفَازِ وَالطَّرِبِ
مُضِيْعًا فِيهَا عُمْرًا مَا لَهُ عِوَضٌ
إِذَا تَصَرَّمَ وَقْتُ مِنْهُ لَمْ يَتُوبِ
أَيَحْسِبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرَّمَهُ
هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحُقْبِ
أَمْ يَحْسِبُ الْعُمَرَ مَا وَلَّتْ أَوَائِلُهُ
يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمْرِ بِالدَّهَبِ
فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُغْتَنِمًا
مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ
وَإِحْرَاضِ وَبَادِرِ إِذَا مَا أُمَكَّنْتَ فُرْصُ
فِي كَسْبِ مَا تُحَمَّدُنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغْبِ
مَنْ نَفَعَ ذِي فَاقِهِ أَوْ غَوَّثَ ذِي لَهْفِ
أَوْ فَعَلَ بِرٌّ وَإِصْلَاحِ لِيَذِي شَغْبِ
فَالْعُمَرَ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتَ مُغْتَنِمٌ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فَاجْهَدْ بِهِ تُصِيبِ

فاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إِلَى فِئَمِ
 مُخَادِعِ مُدْعٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 يَرَى السَّعَادَةَ فِي كَسْبِ الْحُطَامِ وَلَوْ
 حَوَاهُ مَعَ نَصَبٍ مِنْ سُوءِ مُكْتَسَبِ
 فَالرَّأْيُ مَا قُلْتَهُ فاعْمَلْ بِهِ عَجَلًا
 وَلَا تُصِخْ نَحْوَ فِئَمِ غَيْرِ ذِي حَدَبِ
 فَغَفْلَةُ الْمَرْءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
 عَنْ وَاضِحٍ بَيِّنٍ مِنْ أُعْجَبِ الْعَجَبِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، وَاِرْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ
 وَاَجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ
 اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ
 مُتَّفَعِينَ، وَإِلَى لَدِيدِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ، وَإِلْوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ
 مَخْلِصِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ
 عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يُحْمَلْهُ.

وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ .
 وَمَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
 وَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلْوَاتِهِ ﴾ ، قِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ
 الْعَمَلِ ﴿ .
 وَمَنْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ

البرّة والذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وهو يَتَتَعَتَّعُ فيه وهو عليه شاقُّ له أَجْرَانِ « رواه البخاري .

وقال بشرُ بنُ الحارثِ الزاهدُ المعروف سمِعْتُ عيسى بنَ يونسَ يَقُولُ إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْمَلِكِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

فَيُنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ الْمَوْفِقِ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ كَلَامَ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ رَبِيعاً لِقَلْبِهِ ، يَغْمُرُ بِهِ مَا خَرَبَ مِنْ قَلْبِهِ ، يَحْرِصُ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَتَفْهَمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ .

فَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ ، وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ شَرِيفَةٍ ، يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنِ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ .

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ ، وَمَشْرَبِهِ ، وَمَلْبَسِهِ ، وَمَسْكِنِهِ ، وَمُعَامَلَتِهِ ، وَبَيْعِهِ ، وَشِرَائِهِ .

وَأَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ ، فَيَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ مُهْتِمًا بِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ ، حَافِظًا لِللِّسَانِ ، مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ .

إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى الْكَلَامَ صَوَابًا يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ قَالَ ﷺ « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتِهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ

لَهُ الْجَنَّةَ » .

وقال ﷺ « مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلِقَهُ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » أخرجهُ الدِّيلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الْقَبْقَبُ الْبَطْنُ ، وَالذَّبَذَبُ الْفَرْجُ ، وَاللَّقَلِقُ اللَّسَانُ . وَأَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الضَّحِكِ مِمَّا يَضْحَكُ مِنْهُ النَّاسُ لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ ، فَإِنْ سُرَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ .

وَيَتَجَنَّبُ كَثْرَةَ الْمِزَاحِ « لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ لِلْعَدَاوَةِ مِفْتَاحٌ » فَإِنَّ مَزْحَ قَالَ « حَقًّا ،

بِاسِطِ الْوَجْهِ طَيِّبِ الْكَلَامِ لَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ » .

وما حَسَنُ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ أَحْلَاقًا تَدُمُ وَتَمْدَحُ
آخر: « وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِئُ نُورَ بَهْجَتِهِ هَذَا بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَلًا »
وَأَنْ يَحْذَرَ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلَاهُ .

وَلَا يَغْتَابُ أَحَدًا ، وَلَا يَحْقِرُ أَحَدًا ، وَلَا يَسُبُّ أَحَدًا ، وَلَا يَشْمُتُ
بِمُصِيبَةٍ ، وَلَا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَحْسِدُ أَحَدًا ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ إِلَّا بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ .

وَيَجْعَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ فِيهَا دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ ،
وَأَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحَوَارِجِهِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

إِنْ مَشَى بِعِلْمٍ وَإِنْ قَعَدَ بِعِلْمٍ حَافِظًا لِللسَانَةِ وَيَدُهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ ، وَلَا
يَجْهَلُ فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلِمَ .

وَلَا يَظْلِمُ وَإِنْ ظَلِمَ سَفَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ وَلَا
يَبْغِي وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرِيحَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ
الَّذِي لَا يَأْلُو جُهْدًا فِي السَّعْيِ فِي هَلَاكِهِ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِينَا
مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ ، وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ
الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْأَقْبَالِ عَلَيْكَ
وَالِإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ
الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ
وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: وقال رَحِمَهُ اللهُ وَأَنْ يَكُونَ «أَيَّ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهُ» مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِهِ إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبْلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يَطْلُبُ الرَّفْعَةَ مِنَ اللهِ لَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ .

مَا قَتَ لِلْكِبْرِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، لَا يَتَأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ بِهِ الْحَوَائِجَ .

وَلَا يَسْعَى إِلَى أُنْبَاءِ الْمُلُوكِ ، وَلَا يُجَالِسُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ .
إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلَا فِقْهِ وَلَا بَصِيرَةٍ كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهِ وَعِلْمٍ .

إِنْ لَبَسَ النَّاسُ اللَّيْنَ الْفَاخِرَ لَبَسَ هُوَ مِنَ الْحِلَالِ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ ،
إِنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ .

يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ ، يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ .

يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ ، وَجُمَاعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ ، وَيَضْطَحِبُ الْإِخْوَانَ بِعِلْمٍ ، وَيَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ، وَجُاورُ جَارِهِ بِعِلْمٍ .
يُلْزِمُ نَفْسَهُ بَرًّا وَالِدِيهِ فَيُخَفِّضُ لَهَا جَنَاحَهُ ، وَيُخَفِّضُ لَصَوْتِهَا صَوْتَهُ ، وَيَبْدِلُ لَهَا مَالَهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا بَعِينَ الرَّحْمَةِ وَالْوَقَارِ ، يَدْعُو لَهَا بِالرَّحْمَةِ وَالْبَقَاءِ وَيَشْكُرُ لَهَا عِنْدَ الْكِبَرِ ، وَلَا يَضْجُرُ مِنْهَا ، وَلَا يَحْقِرُهَا .

إِنْ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَمْ يُطْعَمْهَا لِقَوْلِهِ ﷺ « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

وَإِنْ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ أَعَانَهَا وَيَرْفُقُ بِهَا فِي مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهَا حَيْثُ لَمْ يُعْنَهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ .

وَيَكُونُ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْأَدَبِ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَ مَا لَا يَحْسُنُ بِهَا فِعْلُهُ .

وَيَصِلُ رَحْمَهُ ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ ، وَمَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فِيهِ أَطَاعَ اللَّهَ فِيهِ ، يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ ، وَمَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ .

حَسَنُ الْمَجَالِسَةِ لِمَنْ جَالَسَ ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ ، وَلَا يُعْنَفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلَا يُجْجَلُهُ .

رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، مَجَالِسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا .

مُؤَدَّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مُؤَدِّبَانِ لَهُ .

يَحْزَنُ بِعِلْمٍ وَيَبْكِي بِعِلْمٍ ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ ، وَيَحْجُ بِعِلْمٍ ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ .

وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ ، وَيَنْبَسِطُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمٍ ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ .

قَدْ أَدَبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُوَدِّيَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِجَهْلٍ .

قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ .

هَمَّتْهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا الزَمَهُ اللَّهُ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى .

لَيْسَ هَمَّتْهُ مَتَى أَخْتِمُ السُّورَةَ ، هَمَّتْهُ مَتَى أَسْتَغْنِي بِاللَّهِ عَنْ غَيْرِهِ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ .

مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّادِقِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَائِفِينَ ، مَتَى أَكُونُ مِنَ
الرَّاجِينَ ، مَتَى أَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، مَتَى أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ .
مَتَى أَتُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ ، مَتَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةَ ، مَتَى أَشْكُرُ اللَّهَ
عَلَيْهَا ، مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي .

مَتَى أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، مَتَى أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي ، مَتَى أَصْلِحُ مَا
فَسَدَ مِنْ أَمْرِي ، مَتَى أَحَاسِبُ نَفْسِي .

مَتَى أَتَرَوُدُّ لِيَوْمٍ مَعَادِي ، مَتَى أَكُونُ عَنِ اللَّهِ رَاضِيًا ، مَتَى أَكُونُ بِلِقَائِهِ
وَاثِقًا ، مَتَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَعِضًا ، مَتَى أَنْصَحُ لِلَّهِ .

مَتَى أَخْلِصُ لَهُ عَمَلِي ، مَتَى أَقْصِرُ أَمَلِي ، مَتَى أَتَاهَبُ لِيَوْمِ مَوْتِي وَقَدْ
غُيِبَ عَنِّي أَجَلِي .

مَتَى أَعْمُرُ قَبْرِي ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ ، مَتَى أَفَكِّرُ فِي خَلْقِي
مَعَ رَبِّي .

مَتَى أَحْذَرُ مِمَّا حَذَرَنِي مِنْهُ رَبِّي مِنْ نَارٍ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ لَا يَمُوتُ
أَهْلُهَا فَيَسْتَرْجِحُوا وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ ، وَلَا تُرْحَمُ عَثْرَتُهُمْ .

طَعَامُهُمُ الزُّقُومُ وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ
الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ كَغْلِي الْحَمِيمِ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَلِمًا نَضَجَتْ
جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ الْآيَةَ .

نَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَعَضُّوا عَلَى الْأَيْدِي أَسْفًا عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي
طَاعَةِ اللَّهِ وَرُكُوبِهِمْ لِمَعَاصِي اللَّهِ .

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » ، وَقَالَ قَائِلٌ « رَبِّ أَرْجِعُونِي
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » .

وَقَالَ قَائِلٌ « يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » .

وَقَالَ قَائِلٌ « يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا » .

وقال قائل « يا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا » .

شعرا :

أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادِهِمْ صَعَدَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِضَيْقِهِمْ فِي مَكَانِهِمْ وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا إِلَيْهِمْ خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ
فِيهَا إلهي بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ
أَدْعُوكَ أَنْ تُحْمِي الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ
وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ فَكَيْفَ يَصْبِرُ ذُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنا وَسَهِّلْ
لِيُلُوغَ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنا يَا مُنْقِذَ الْعَرَقِيِّ وَيَا مُنْجِي
الْهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
عِيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فصل»: وقال رحمه الله تعالى فأما من قرأ القرآن للدنيا، فإن من أخلاقه أن يكون حافظاً لحروف القرآن مضيئاً لحُدوده، متعظماً في نفسه متكبِّراً على غيره .

قد اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بَضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ ،
يُعْظِمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا ، وَيُحَقِّرُ الْفُقَرَاءَ .
إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَ وَعَنَفَهُ لِأَنَّهُ
لَا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا .

يَسْتَحْدُمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ
أَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمَلُوكِ وَيُصَلِّيَ بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ .
وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلَاةَ بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِقِلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ ،
وَإِنَّمَا طَلَبُهُ الدُّنْيَا حَيْثُ كَانَتْ رِضًا عِنْدَهَا .

يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا
مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ .

فَقَرَأَهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا كَثِيرَ الْكَلَامِ يَعْيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ ، مُتَكَبِّرًا فِي جَلْسَتِهِ ، مُتَعَاظِمًا
فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالْخَوْضِ
فِيهَا لَا يَعْنِيهِ .

يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثٍ مَنِ جَالَسَهُ .
هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَى مِنْهُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ
أَنْ يَسْتَمَعَ لَهُ .

يُورِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ حَافِظًا فَهُوَ إِلَى كَلَامِ النَّاسِ أَشْهَى مِنْهُ إِلَى كَلَامِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

لَا يَجْتَشِعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ ، وَلَا يَبْكِي وَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ
فِيهَا يُتْلَى عَلَيْهِ وَقَدْ نَدَبَ إِلَى ذَلِكَ .

رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى إِنْ قَصَرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ
قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ لَا يَقْصُرُ فِي حُقُوقِهِمْ وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ .

يَسْتَقْضِي مِنَ النَّاسِ حَقَّ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ مَا لِلَّهِ عَلَيْهَا .
يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ لِلَّهِ .

لَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ مِنْ حَلَالٍ قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي
قَلْبِهِ إِنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْهَا لَا يَجِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزَنٌ عَلَى فَوْتِهِ .

لَا يَتَأَدَّبُ بِآدَابِ الْقُرْآنِ وَلَا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لِأَنَّ غَافِلٌ عَمَّا
يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ .

هَمَّتْهُ حَفْظُ الْحُرُوفِ إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَنْقُصُ جَاهُهُ عِنْدَ
الْمَخْلُوقِينَ فَتَنْقُصُ رُبَّتُهُ عِنْدَهُمْ .

فَقَرَأَهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فِي الْقُرْآنِ أَوْ نَهَى عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ بِهِ .

أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَا يَأْخُذُ
نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِهَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ إِذَا سَمِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ
النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْتَهَى عَنْهُ إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الْعَاقِلُ إِذَا تَلَى الْقُرْآنَ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَرَى بِهَا مَا
حَسَنَ مِنْ فِعْلِهِ وَمَا قَبِيحَ مِنْهُ .

فَمَا حَذَرَهُ مَوْلَاهُ حَذَرَهُ وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ وَمَا رَغَبَهُ فِيهِ مَوْلَاهُ
رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ .

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ فَقَدْ تَلَاهُ حَقًّا تِلَاوَتِهِ
وَرِعَاهُ حَقًّا رِعَايَتِهِ وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا وَأَنْبَسًا وَحِرْزًا .

وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ وَنَفَعَ أَهْلَهُ وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ
كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انْتَهَى كَلَامُهُ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

فَطُوبَى لِمَنْ أَرْضَى الْإِلَهَ مُسَارِعًا إِلَى سُبُلِ تَهْدِيهِ لِلرُّحَلَةِ الْأُخْرَى
وَقَامَ وَصَلَّى فِي الدِّيَاجِي وَدَمَعُهُ عَلَى خَدِّهِ تَجْرِي بِمُقْلَتِهِ الْعَبْرَا
وَأَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ قِيَامَهُ وَرَاقِبَهُ سِرًّا وَرَاقِبَهُ جَهْرًا
وَأُخِيَا لِيَالِي عُمْرِهِ بِقِيَامِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي اللَّيْلِ وَامْتَثَلَ الْأَمْرَا

فذاك بِحَمْدِ اللَّهِ فِي طَيْبِ عَيْشَةٍ يَفُوزُ بِهَا صَوْمًا وَيُحْظَى بِهَا فِطْرًا
اللَّهُمَّ قَابِلِ سَيِّئَاتِنَا بِإِحْسَانِكَ ، وَاسْتُرْ خَطِيئَتِنَا بِعُفْرَانِكَ وَأَذْهَبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا
بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرِ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ : ٨ - مَا وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ نِسْيَانِهِ ،
وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ :

يُسْنُ خَتْمَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « وَقُرَأَ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى
ذَلِكَ » متفق عليه .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - كَانَ أَبِي يَخْتِمُ
الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ ، يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا لَا يَكَادُ يَتْرَكُهُ نَظْرًا
لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - :
« وَقُرَأَ فِي كُلِّ سَبْعِ » ، وَأَنْ قَرَأَ فِي ثَلَاثٍ فَحَسَنٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي قُوَّةً ، قَالَ :
« أَقْرَأَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَلَا بَأْسَ فِيمَا دُونَهَا أَحْيَانًا ، وَفِي
الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ كَرَمَضَانَ ، خُصُوصًا اللَّيَالِيِ الَّتِي تُطَلَّبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَيَنْبَغِي لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَعَهَّدَهُ بِالْحِفْظِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى تَلَاوَتِهِ ،
وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ هِجْرَانِهِ وَتَرْكِ التَّعَهُّدِ لَهُ ، فَيَتَعَرَّضُ بِذَلِكَ لِنِسْيَانِهِ
وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَجْرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ :

أَحَدُهُمَا : هَجْرُ سَمَاعِيَةَ ، وَالْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْإِضْغَاءِ إِلَيْهِ .
وَالثَّانِي : هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَإِنْ قَرَأَهُ
وَأَمَّنَ بِهِ .

شِعْرًا : لَا شَيْءَ مِثْلَ كَلَامِ اللَّهِ يُحْفَظُهُ حِفْظًا قَوِيًّا وَتَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَهِدًا
وَالثَّلَاثُ : هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ
وَاعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ وَأَنَّ أَدَلَّتُهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحْصَلُ الْعِلْمَ .

وَالرَّابِعُ : هَجْرُ الْاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ
وَأَدْوَانِهَا ، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَيَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ .
وَالخَامِسُ : هَجْرُ تَدْبِيرِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلًا قَائِمًا بِيَدِهِ
فَهَرٌّ أَوْ صَخْرَةٌ فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ : فَيَتَدَهَّدُهُ ، فَأَذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ
كَمَا كَانَ فَيَضَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : رَجُلٌ أَنَاهُ اللَّهُ
الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ ، فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامِ .

وَفِي حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ مَرْفُوعًا : « يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
رَجُلًا فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ حَصْنًا ، فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ ، حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَبَسَّ حَامِلٌ تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ،
وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يَقَالَ

شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبّه على منخره في النار»
الحديث .

شِعْرًا: ثلاثة أسفار هنيئاً لمن لها يلازمها حفظاً ودرساً ويفهم
كتاب إله الخلق جلّ جلاله كذاك البخاري ثم يتلوه مسلم

وعن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « ما
من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » رواه أبو داود .

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال:
« تعاهدوا هذا القرآن - فوالذي نفسي بيده - لهو أشدّ تفلتاً من الإبل من
عقلها » رواه البخاري ومسلم، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول
الله ﷺ قال: « إنّما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها
أمسكها وإن أطلقها ذهبّت » متفق عليه .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما
فيه أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَن أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي
أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
نُنْسِي ﴿ أ هـ .

وروى أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: « عرضت عليّ أجور
أمّتي حتى القداة يخرجهما الرجل من المسجد وعرضت عليّ ذنوب أمّتي فلم أر
ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها الرجل ثم نسيها » وبالأسف
استبدلوا الحبيث بالطيب أكبوا على الجرائد والمجلات والكتب الخليعات بدل
تلاوة كتاب الله فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبتنا ونعم الوكيل .

شِعْرًا: قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ شَخْصًا أَمِينًا
وَاتَّهَتْ حَالِي إِلَى أَنْ صِرْتُ فِي الْبَيْتِ حَزِينًا
أَمَدَحُ الْوَحْدَةَ حِينَئِذَا وَأَذُمُّ الْجَمْعَ حِينَئِذَا
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ خَلْقًا قَرِينًا

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ، قُلْتُ: فَمَا الْمُخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ
الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مِنْ تَرْكِهِ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ
أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ،
وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ
وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ مَنْ قَالَ بِهِ صِدْقٌ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرٌ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلٌ
وَمَنْ دَعَى إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصْلٌ»: إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ بَيَّنَّ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْعِبَادَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَأَحْكَامِ الدَّارَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ تَعَالَى يُنَيِّئُ الْأُمُورَ
الْكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْقَلْبُ لِمُرُورِهَا عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ وَإِعَادَتِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ
بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَدَلَّةٍ مُتَنَزِّعَةٍ لِتَسْتَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ.

قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ فَفِيهِ بَيَانُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ رَحْمَةً لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ فِيهِ وَحَكَمَهُ فِي
الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْوَيْلَ لِمَنْ رَجَعَ إِلَى الْقَوَانِينِ وَتَرَكَهُ فَكُلُّ حُكْمٍ سِوَى حُكْمِ
اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ وَكُلُّ حَاكِمٍ بِغَيْرِ حُكْمِهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوتٌ

كَافِرٍ بِاللَّهِ وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ، الْمُحَكِّمِينَ لِلْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ وَالْأَنْظُمَةِ الْحَالِيَّةِ .

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَذَا عَامٌّ شَامِلٌ فَمَا مِنْ قَضِيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا حُكْمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فَهَذِهِ الْآيَةُ الْجَلِيلَةُ الْقَدْرِ عَظِيمَةُ الْمَوْقِعِ كَبِيرَةُ الْفَائِدَةِ حَسَنَةُ الْمُغْزَى اخْتَارَهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَحْتِمَ بِهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ وَوَحْيَهُ الْمُعْجَزَ وَأَحْكَامَ شَرِيْعَتِهِ السَّمْحَةَ وَدِينَهُ الْحَنِيفَ .

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا عَمَّا بَقِيَ مِنَ السُّورِ وَالآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ بِهَا الدِّينَ بِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ وَأَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَدَايَتِهِمْ لِأَحْكَامِهِ وَتَوْفِيقِهِمْ لِمَعْرِفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَانْجَاؤِهِ سُبْحَانَهُ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ .

فَكَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ لِهُذِهِ الْأُمَّةِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بَيَانًا لِشَرَفِ هَذَا الدِّينِ وَاعْتِنَاءً بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَحَسْبُنَا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وَهَذَا مَا دَعَا كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَكَانَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَقُولَ لِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَأَتَّخِذْنَاها عِيًّا وَأَقْمِنَّا لها مُحْتَفَلًا فِي كُلِّ عَامٍ نُجَدِّدُ ذِكْرَها وَنَتَدَارَسُ فَضَائِلَها الْكثِيرَةَ وَذِكْرَ يَاتِها الْعَطْرَةَ .

فَيَتَذَرُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا: أَيُّ آيَةٍ هِيَ، قَالَ كَعْبٌ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فَيَجِيبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ تُوْدَةٍ وَسَكِينَةٍ قَائِلًا: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَكِلَاهُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ لَنَا عَيْدًا. أَهـ.

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى وُجُوبِ الرَّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عِنْدَ التَّحَاكُمِ مَا يَلِي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ

أَوْلِيَاءَ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا

بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ» وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «مَا بُعِثَ مِن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ

يُدَلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرٍّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ» وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ:

لَقَدْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ

عَلَمًا.

وَلَا شَكَّ أَنْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاعْتَضَصَ عَنْهُمَا

بِالْقَوَائِنِ الْوَضْعِيَّةِ أَنَّهُ كَافِرٌ كُفْرًا نَاقِلًا عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَا مَنِ اسْتَهْزَأَ

بِالْقُرْآنِ أَوْ طَلَبَ تَنَاقُضَهُ أَوْ دَعَا أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ أَوْ مَخْتَلِقٌ أَوْ أَثْبَتَ شَيْئًا نَفَاهُ

الْقُرْآنُ أَوْ نَفَاهُ مَا أُثْبِتَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ كَفَرَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ كَانَ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾ ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ ، وَقَالَ عَلِيُّ : مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ .

وَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَوْ أَحْسَنُ ؛ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَسَعُ النَّاسَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعُصُورِ إِلَّا الْخُرُوجُ عَنِ الشَّرِيعَةِ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ كَافِيَةً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ فَقَطُّ وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فَالشَّرِيعَةُ لَا تُسَايِرُ الزَّمَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَنْظِيمِ قَوَانِينٍ بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمَانَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَعْتِقَادَ إِذَا صَدَرَ مِنْ إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَنَقَّصَهُمَا ، وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَخُرُوجِهِ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ ، أَوْ فِي عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَطُّ أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ أَوْ أَنَّ هَذِهِ الشَّرَائِعَ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ اسْتَهَانَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ تَنَقَّصَهُ أَوْ هَزَلِ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ أَوْ بِمَنْ جَاءَ بِهِ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْأَسْتَهَائَةِ بِحَمَلَتِهِ لِأَجْلِ حَمَلِهِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا كُفْرٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ أَرْحَمَ ذُلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغَبَتَنَا فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمُتَّقِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَقَالَ فِي تَحْذِيرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَنِ الْحُكْمِ بغيرِ مَا أُنزِلَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ سِياقِهِ
لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ﴾ الْآيَتِينَ : ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي الرَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ
الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَكَفَتْ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ الَّذِي أُوتِيَ رُشْدَهُ
وَأَهْمَهُ صَلَاحُ قَلْبِهِ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِهَا فَكَيْفَ وَالْقُرْآنِ كُلُّهُ يَدْعُو إِلَى تَحْكِيمِ مَا
أُنزِلَ اللَّهُ وَعَدَمِ تَحْكِيمِ مَا عَدَاهُ إِمَّا تَصْرِيحًا وَإِمَّا تَلْوِيحًا وَلَهُ جَاهِدٌ وَيُجَاهِدُ مَنْ
عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ لَدُنْ بُعِثَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ
تُقُومُ السَّاعَةُ .

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ وَلَا خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ
اللَّهِ وَأَنَّهُ قَالَ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْمُؤْتَمِعِ بِالسَّمْعِ
أَنْ يَتِمَّ أَلَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ شَرْقًا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ
الْبَشَرِيَّةِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ وَاحِدٌ
يُنَكِّرُ عَلَى هَوْلَاءِ الْكُلِّ إِمَّا بِلِسَانِهِ أَنْ أَمَكْنَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْتِكُوا بِهِ وَأَمَّا بِقَلْبِهِ وَظَنَّ
الْفِتْكَ بِهِ كَمَا قَدْ كَانَ أَيَّامَ الْأَسْتِبْدَادِ .

وَالْعَرَضُ بَيَانُ أَنَّ طَائِفَةً عَلَى الْحَقِّ لَا تَرَالُ تُقَاتِلُ وَتُجَاهِدُ عَلَى تَحْكِيمِ مَا
أُنزِلَ اللَّهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدَنِ وَالسَّنَانِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مُمَكِّنٍ لِنُوعِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّ
بِهِ يَتِمُّ نِظَامُ الْعَدْلِ وَالْمُلْكِ وَالِدِينِ وَالدُّنْيَا وَبِهِ يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ
وَتُكْمَلُ لَهُمُ الرَّاحَةُ وَالْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ التَّامَةُ وَالسِّيَاسَةُ الْعَامَةُ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ وَالرَّعَايَا
الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَاللِّسِنَةِ وَالْأَمْزِجَةِ .

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَلْيَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ الْمُتَأَخِّرَةِ
الَّتِي عَطَلَتْ فِيهَا حُدُودُ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامُهَا وَحَالِهِ فِي الْقُرُونِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي مَا
كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ أَحْفَظُ مِنْهَا عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَرْغَى لَهَا يَجِدُ الْفَرْقَ كَمَا
بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ:

تَزَلُّوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أُبْعَدَ مَنْزِلِ
أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ وِفَاةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ فَتَحَوُا مَا فَتَحُوا
مِنْ أَقَالِيمِ الْبُلْدَانِ وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي مُدَّةٍ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ مَعَ
قَلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدْدِهِمْ وَضِيقِ ذَاتِ يَدِهِمْ وَنَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِنَا وَوَفْرَةِ
عَدَدِنَا وَهَائِلِ ثُرُونِنَا وَطَائِلِ قَوَّتِنَا لَا نَزْدَادُ إِلَّا ضَعْفًا وَتَقَهُّرًا إِلَى الْوَرَى وَذُلًّا
وَخَقَارَةً فِي عِيُونِ الْأَعْدَاءِ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾
فَرْتَّبَ نَصْرَهُمْ عَلَى نَصْرِهِ بِإِقَامَةِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَ
بِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا. وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
لِئِنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعُصَاةِ فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا تَنَازَعًا فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ
الْإِعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ.

فَالْأُمُورُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَا يُحَكَّمُ فِيهَا إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ لِأَحَدٍ

أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِقَوْلِ عَالِمٍ وَلَا أَمِيرٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا مَلِكٍ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ لَا يَحْكُمُونَ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ وَإِذَا حَكَمُوا فِي الْمُعَيَّنَاتِ فَعَلَيْهِمْ إِنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ بِرَأْيِهِ .. إِنَّتَهَى .

لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ بِمِ تَحْكُمُ ، قَالَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ اجْتَهَدُ رَأْيِي . قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُرْوَةَ كَتَبَتْ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنِ الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنَّ رَأْسَ الْقَضَاءِ اتِّبَاعُ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ الْقَضَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بِحُكْمِ أُمَّةِ الْهُدَى ثُمَّ اسْتِشَارَةَ ذَوِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ وَذِكْرَ عَن سَفِيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ كَانَ ابْنُ شُبْرَمَةَ يَقُولُ :

مَا فِي الْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ عِنْدَ اللَّيِّبِ وَلَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ
هَوْنٌ عَلَيَّ إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّةٍ أَوْ بِالْكِتَابِ بِرَغْمِ أُنْفِ الرَّاغِمِ
وَقَضَيْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَثْرًا بِهِ بِنِظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ
وَعَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ : قَالَ مَالِكُ الْحُكْمُ حُكْمَانُ حُكْمٌ جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ
وَحُكْمٌ أَحْكَمْتَهُ السُّنَّةُ قَالَ وَمُجْتَهَدٌ رَأْيُهُ فَلَعَلَّهُ يُوفَّقُ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الْآيَةَ :
فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَجَلٍ مُقْسَمٍ بِهِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لَهُمْ
إِيمَانٌ وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى يُحْكَمُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِ النَّزَاعِ
فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ فَإِنَّ لَفْظَةَ (مَا) مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ تَقْتَضِي تَفْيَ الْإِيمَانِ أَوْ
يُوجَدُ تَحْكِيمُهُ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ انْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ بِحُكْمِهِ حَيْثُ لَا

يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً وَهُوَ الضَّيِّقُ وَالْحَصْرُ مِنْ حُكْمِهِ بَلْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ
بِالْإِشْرَاحِ وَيَقَابِلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ لَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ عَلَى إِغْمَاضٍ وَيَشْرَبُونَ عَلَى قَدَيِّ
فَإِنَّ هَذَا مُنَافٍ لِلِإِيمَانِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَخْذُهُ بِقَبُولِ وَرِضَا وَإِشْرَاحِ
صُدُورِهِ .

وَمَتَى أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِهِ وَيُطَالِعَهُ فِي قَلْبِهِ عِنْدَ وُرُودِ
حُكْمِهِ عَلَى خِلَافِ هَوَاهُ وَغَرَضِهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ كَمْ مِنْ حَزَازَةٍ فِي نَفُوسِ كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ وَبُودِهِمْ أَنْ لَوْ لَمْ يَرِدْزَوْكُمْ مِنْ حَرَارَةٍ فِي
أَكْبَادِهِمْ مِنْهَا وَكَمْ مِنْ شَجِيٍّ فِي حُلُوقِهِمْ مِنْهَا وَمِنْ مُورِدَهَا سَتَبُدُّو لَهُمْ تِلْكَ
السَّرَائِرَ بِالذِّي يَسُوءُ وَيَخْزِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ .

ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرْ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ فَذَكَرَ الْفِعْلَ مُؤَكِّدًا بِمَصْدَرِهِ الْقَائِمِ مَقَامَ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ الْخُضُوعُ
لَهُ وَالْانْقِيَادُ لِمَا حَكَمَ بِهِ طَوْعاً وَرِضاً وَتَسْلِيمًا لَا قَهراً وَمُصَابِرَةً كَمَا يُسَلِّمُ
الْمَقْهُورُ لِمَنْ قَهَرَهُ كُرْهاً بَلْ تَسْلِيمَ عَبْدٍ مُطِيعٍ لِمَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ
شَيْءٍ إِلَيْهِ يَعْلَمُ أَنَّ سَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ فِي تَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ وَيَعْلَمُ بَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ
وَأَبْرَ بِهِ مِنْهَا وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهَا وَأَنْصَحَ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمَ بِمَصَالِحِهِ مِنْهَا وَأَقْدَرَ عَلَى
تَخْلِيفِهَا .

وَأَمَّا هَذَا الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ بِوَجْهِ عَدِيدَةٍ مِنَ التَّأْكِيدِ أَوْهَا تَصْدِيرُهَا
بِالْقِسْمِ يَتَضَمَّنُ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا يَظْمِنُونَ ، وَثَانِيهَا : تَأْكِيدُهُ بِنَفْسِ
الْقِسْمِ ، وَثَالِثُهَا : تَأْكِيدُهُ بِالْمُقْسَمِ بِهِ وَهُوَ إِقْسَامُهُ بِنَفْسِهِ لَا بِشَيْءٍ مِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ ، وَرَابِعاً : تَأْكِيدُهُ بِانْتِفَاءِ الْحَرَجِ وَهُوَ وُجُودُ التَّسْلِيمِ ، وَخَامِسُهَا :
تَأْكِيدُ الْفِعْلِ بِالْمَصْدَرِ وَمَا هَذَا إِلَّا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَأَنَّهُ مِمَّا
يُعْتَنَى بِهِ وَيُقَرَّرُ فِي نَفُوسِ الْعِبَادِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

«فَصْلٌ»

وقال رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا أَعْرَضَ النَّاسُ عَن تَحْكِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ وَالْمُحَاكَمَةِ إِلَيْهِمَا وَاعْتَقَدُوا عَدَمَ الْاِكْتِفَاءِ بِهِمَا وَعَدَلُوا إِلَى الْآرَاءِ وَالْقِيَاسِ وَالاسْتِحْسَانِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ عَرَضَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَسَادٌ فِي فِطْرِهِمْ وَظُلْمَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَدْرٌ فِي أَفْهَامِهِمْ وَمَحْيٌ فِي عُقُولِهِمْ فَعَمَّتْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَبَى فِيهَا الصَّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ فَلَمْ يَرَوْهَا مُنْكَرًا.

فَجَاءَتْهُمْ دَوْلَةٌ أُخْرَى أَقَامَتْ فِيهَا الْبِدْعَ مَقَامَ السُّنَنِ وَالْهَوَى مَقَامَ الرُّشْدِ وَالضَّلَالَ مَقَامَ الْهِدَايَةِ وَالْمُنْكَرَ مَقَامَ الْمَعْرُوفِ وَالْجَهْلَ مَقَامَ الْعِلْمِ وَالرِّيَاءَ مَقَامَ النَّصِيحَةِ وَالظُّلْمَ مَقَامَ الْعَدْلِ فَصَارَتْ الدَّوْلَةُ وَالْعَلْبَةُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَأَهْلُهَا هُمْ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ.

فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَرَايَاتِهَا قَدْ نُصِبَتْ وَجُيُوشَهَا قَدْ رَكِبَتْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا وَقَلْبُ الْجِبَالِ خَيْرٌ مِنَ السُّهُولِ وَمُخَالَطَةُ الْوَحْشِ أَسْلَمٌ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ.

أَفْشَعَتْ الْأَرْضُ وَأُظْلِمَتِ السَّمَاءُ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ ظُلْمِ الْفَجْرَةِ وَذَهَبَتْ الْبَرَكَاتُ وَقَلَّتِ الْخَيْرَاتُ وَهَزَلَتِ الْوَحْشُ وَتَكَدَّرَتِ الْحَيَاةُ مِنْ فَسْقِ الظُّلْمَةِ وَبَكَى ضَوْءُ النَّهَارِ وَظُلَّةَ اللَّيْلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَبِيثَةِ وَالْأَفْعَالِ الْفِظْيِعَةِ وَشَكَا الْكِرَامُ الْكِتَابِيُّونَ وَالْمُعَقَّبَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَغَلَبَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْقَبَائِحِ.

وَهَذَا وَاللَّهُ مُنْدِرٌ بِسَبِيلِ عَذَابٍ قَدْ انْعَقَدَ عَمَامُهُ وَمُؤِذِنٌ بَلِيْلٌ قَدْ اذْلَهَمَ ظُلَامُهُ فَاعْزِلُوا عَن طَرِيقِ هَذَا السَّبِيلِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مَا دَامَتِ التَّوْبَةُ مُمَكِّنَةً وَبَابُهَا مَفْتُوحًا وَكَانِكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقَ وَبِالرُّهْنِ وَقَدْ غَلِقَ وَبِالْجَنَاحِ وَقَدْ عَلِقَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخَشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرَصِهَا
فَبَأَيْ وَجْهِ أَلْتَقَى رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طَوَّلَ زَمَانٍ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزَلًا حَقِيقِيًّا بَلَا كِتْمَانٍ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل في ذكر طرق مما حدث في بعض السنين من الأزية والأمراض »

أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ فَكَانَتِ الرِّيحُ تَسْقِي ثُرَابًا كَالرَّمَادِ
فَسُمِّيَ عَامَ الرَّمَادِ وَجَعَلَتِ الْوُحُوشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ فَآلَى عُمُرٌ أَلَا يَذُوقُ سَمْنًا
وَلَا لَبْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْبِي النَّاسُ وَاسْتَسْقَى بِالْعَبَاسِ فَسُقُوا .

وَفِيهَا كَانَ طَاعُونَ عَمَوَاسٍ مَاتَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَمُعَاذُ وَأَنْسُ وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ
وَسِتِينَ وَقَعَ طَاعُونَ بِالْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ أُمُّ أَمِيرِهِمْ فَمَا وَجَدُوا مَنْ يَحْمِلُهَا .

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ كَانَ طَاعُونَ الْجَارِفُ هَلَكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَبْعُونَ
أَلْفًا وَمَاتَ فِيهِ لِأَنْسِي ثَمَانُونَ وَلَدَا وَكَانَ يَمُوتُ أَهْلُ الدَّارِ فَيَطِينُ الْبَابُ عَلَيْهِمْ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَةِ مَاتَ أَوَّلُ يَوْمٍ فِي الطَّاعُونَ سَبْعُونَ أَلْفًا وَفِي
الثَّانِي تَيْفٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَفِي الثَّلَاثِ خَمَدُ النَّاسِ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ ذُبِحَ الْأَطْفَالُ وَأُكِلَتِ الْجَيْفُ وَبِيعَ
الْعَقَارُ بِرُغْفَانٍ وَاشْتَرِيَ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ كُرٌّ بِعِشْرِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أصاب أهل البصرة حرٌّ فكانوا يتساقطون
موتى في الطرقات .

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة عمَّ القحُفُ فأكلت الميتة وبلغ المكوك
من بزر البقلة سبعَ دنانيرٍ والسفرجلةُ والرمانُ ديناراً والخيارُ واللينوفرُ ديناراً
ووردَ الخبرُ من مصر بأن ثلاثةً من اللُّصوص نَقَبُوا داراً فوجدوا عند الصباح
موتى أحدهم على بابِ النقبِ والثاني على رأسِ الدَّرَجَةِ والثالثُ على الشياب
المُكَوَّرَةِ .

وفي السنة التي تليها وقعَ وباءٌ فكان تحفُرُ زبيبةٌ لعشرينٍ وثلاثينٍ فيلقون
فيها وتابَ الناسُ كلُّهم وأراقوا الخُمورَ ولزِموا المساجدَ .

وفي سنة ستٍ وخمسينٍ وأربعمائة وقعَ الوَبَاءُ وبلَغَ الرطلُ من التمرِ الهندي
أربعةَ دنانيرٍ وفي سنة اثنتين وستينٍ وأربعمائة اشتدَّ الجُوعُ والوَبَاءُ بمصرٍ حتى
أكلَ الناسُ بعضهم بعضاً وبيعَ اللُّوزُ والسُكَّرُ بِوزنِ الدَّرَاهِمِ والبيضةُ بِعَشْرَةِ
قَرَارِيطٍ وخَرَجَ وزيرُ صَاحِبِ مِصرٍ إليه فنزلَ عن بَعْلَتِهِ فَأَحَدَهَا ثَلَاثَةَ فَأَكَلُوهَا
فصَلُّوا فَأَصْبَحَ الناسُ لا يَرَوْنَ إِلا عِظَامَهُمْ تَحْتَ حَشَبِهِمْ وقد أَكَلُوا وفي سنة
أربعٍ وستينٍ وأربعمائة وقعَ الموتُ في الدوابِّ حتى إنَّ رَاعِيًا قامَ إلى الغنمِ وقتَ
الصباحِ لِيَسُوقَهَا فوجدَها كُلُّها موتى . ذكر ذلك ابنُ الجوزي رحمه الله .

وفي سنة أربعٍ وثلاثينٍ وثلاثمائة وقعَ غَلَاءٌ شديدٌ ببغداد حتى أَكَلُوا الميتةَ
والسنانيرَ والكلابَ وكان من الناسِ مَنْ يَسْرِقُ الأولادَ فيَشَوِيهِمْ ويأْكُلُهُمْ .
وكثُرَ الوَبَاءُ في الناسِ حتى كان لا يَدْفَنُ أَحَدٌ أَحَدًا بَلْ يُتْرَكُونَ على
الطرقِ فَيَأْكُلُ كثيراً منهم الكلابُ .

ويبيِّعُ الدُّورَ بالخُبْزِ وائْتَجَعَ الناسُ إلى البَصْرَةِ فكان منهم من ماتَ في
الطريقِ .

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي جَمَادِ الْأُولَى غَلَّتِ
الْأَسْعَارُ بَبْغَدَادٍ جَدًّا وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ حَتَّى تَهْدَمُ الْبِنَاءَ وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
تَحْتَ الْهَدْمِ وَتَعَطَّلَتْ أَكْثَرُ الْمَسَاجِدِ مِنْ قَلَّةِ النَّاسِ .

وَنَقَضَتْ قِيَمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى يَبِيعُ مِنْهُ بِالدَّرْهَمِ مَا يُسَاوِي الدِّينَارَ وَخَلَّتِ الدُّورُ
وَكَانَ الدَّلَالُونَ يُعْطُونَ مَنْ يَسْكُنُهَا أَجْرَةً لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا لِيُخْرَبُوهَا .
وَكَثُرَتِ الْكَبَسَاتُ مِنَ اللَّصُوصِ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَتَحَارَسُونَ
وَكَثُرَتِ الْفِتْنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أَهـ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ جَبْرَتْ فَمَاتَ
بِسَبَبِهَا مِائَتَا أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَصَارَ مَكَانَهَا مَاءً أَسْوَدَ عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ فِي مِثْلِهَا .
وَزُلْزَلَ أَهْلُ حَلَبَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمَانِينَ مَرَّةً فَوَضَعَ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ
مُكُوسًا كَثِيرَةً عَنِ النَّاسِ وَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لَهُ .

قَالَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ هَلَكَ
بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ .

وَتَهَدَّمَتْ أَكْثَرُ حَلَبَ وَحَمَاةَ وَشِيرَزَ وَجِمَصَ وَكَفَّرَ طَابَ وَحِصْنَ الْأَكْرَادِ
وَالْمَعْرَةَ وَقَامِيَةَ وَاللَّادِقِيَّةَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَطَرَابُلُسَ .

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ : وَأَمَّا قَامِيَةَ فَسَاحَتْ قَلْعَتُهَا وَتَلَّ حِرَانَ إِنْقَسَمَ
قَسَمِينَ فَأَبْدَى نَوَاطِيسَ وَبُيُوتَ كَثِيرَةً فِي وَسْطِهِ .

وَتَهَدَّمَتْ أَسْوَارُ أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ حَتَّى أَنْ مَكْتَبًا مِنْ مَدِينَةِ حَمَاةَ إِنْهَدَمَ
عَلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الصِّغَارِ فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ زَلْزَلَةٌ فَرَّغَانَةَ فَمَاتَ فِيهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا .
وَفِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا رَجَفَتِ الْأَهْوَاؤُ وَتَصَدَّعَتِ الْجِبَالُ وَهَرَبَ أَهْلُ الْبَلَدِ
إِلَى الْبَحْرِ وَالسُّفُنِ وَدَامَتْ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض فقتل به ٣٧٠ إنساناً. وسمع في ذلك صوت يقول: ارحم عبادك، اعف عن عبادك. ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبر وبين الخطوتين خمسة أذرع أو ستة. فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً.

وفي سنة ٢٣٣ رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير. وأنكفات قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل واحد. وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفاً.

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً. وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز، ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع، ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي وتعطلت الأسواق، وزلزلت هراة فوقع الدور.

وذكروا أشياء كثيرة غريبة عجيبة يطول ذكرها اقتصرنا منها على هذا الطرف اليسير الذي ربما يكون سبباً للاعتبار والتيقظ والرجوع إلى الله.

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يوقظ قلوبنا ويستتر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع قريب على كل شيء قدير.

وَوَجَّهْتُ وَجْهِيَ نَحْوَهُ وَمَآرِبِي	شِعْرًا: صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي
مَلِيكَ يُرْجَى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِبِ	إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
وَعَمَّ الْوَرَى طُرّاً بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ	إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ	مُقِيلْفِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِثِرًا
وَيَدْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَابِ	فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَيَبِي الْمَكَاسِبِ	وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا

إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلاكَ دُونِي قُصُورَهُمْ
فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيَّبِينَ طَارِقاً
فَلَمْ أَلْفِ حُجَّاباً وَلَمْ أُحْسَ مِنْعَةً
كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
سَأَلَهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
فَحَسْبِي رَبِّي الْهَرَاهِرِ مَلْجَأً
وَنَهْنَةً عَنْ غَشْيَانِهِمْ زَخْرُ حَاجِبٍ
مُدِلاً أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبٍ
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
نَهَاراً وَلَيْلاً فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ
تَسِحُّ دِفَاقاً بِاللَّهْيِ وَالرَّغَائِبِ
وَجِرْزاً إِذَا خِيفَتْ سِهَامُ النَّوَائِبِ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا،
اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي
رَجَاءِ رِفْدِكَ، وَخَالِصِ وُدِّكَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا، فَكَمَالَ جُودِكَ تَجَاوَزْ
عَنَّا، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ
وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ
الْمُتَّقُونَ. اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ
وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا، اغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في رده على مُحَكِّمِي القوانين: انَّ مِنْ
الكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمُسْتَبِينَ تَنْزِيلُ الْقَانُونِ اللَّعِينِ مَنْزِلَةً مَا نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى
قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فِي الْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ
الْعَالَمِينَ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ الْمُنْتَازِعِينَ مَنَاقِضَةً وَمُعَانِدَةً لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وَقَدْ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ عَنْ مَنْ لَمْ يُحَكِّمِ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ تَفِيئاً مُؤَكِّدًا بِتَكَرُّرِ أَدَاةِ النَّفْيِ وَبِالْقَسَمِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

قَالَ وَتَأَمَّلْ مَا فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الْآيَةَ ، كَيْفَ ذَكَرَ التَّكْرِرَ وَهِيَ قَوْلُهُ شَيْءٍ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ الْمَفِيدُ الْعُمُومُ فِيمَا يُتَصَوَّرُ التَّنَازُعُ فِيهِ جِنْساً وَقَدَرًا .

ثُمَّ تَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطاً فِي حُصُولِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ذَلِكَ خَيْرٌ فَشَيْءٌ يُطْلَقُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَيْرٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَرٌّ أَبَداً بَلْ هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ عَاجِلاً وَآجِلاً .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أَيَّ عَاقِبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيُفِيدُ أَنَّ الرَّدَّ إِلَى غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ التَّنَازُعِ شَرٌّ مَحْضٌ وَأَسْوَأُ عَاقِبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَكْسَ مَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .

وَلِهَذَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا : ﴿ أَلَا أَنْتُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وَعَكْسُ مَا يَقُولُهُ الْقَانُونِيُّونَ مِنْ حُكْمِهِمْ عَلَى الْقَانُونِ بِحَاجَةِ الْعَالَمِ بَلْ ضُرُورَتِهِمْ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ وَهَذَا سُوءٌ ظَنُّ صِرْفٍ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَمَحْضٌ اسْتِنْقَاصٍ لِبَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ بِعَدَمِ الْكِفَايَةِ لِلنَّاسِ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ هَذَا لَازِمٌ لَهُمْ .

قَالَ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ عَنْ مَنْ أَرَادَ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

فإنَّ قَوْلَهُ « يَزْعُمُونَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَدَّعَوْهُ مِنَ الْإِيمَانِ » فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ
التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَصْلًا بَلْ
أَحَدُهُمَا يُنَافِي الْآخَرَ وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فَكُلُّ
مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدْ حَكَمَ بِالطَّاغُوتِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ إِلَى
خِلَافِهِ فَقَدْ طَعَى وَجَاوَزَ حَدَّهُ حُكْمًا أَوْ تَحْكِيمًا فَصَارَ بِذَلِكَ طَاغُوتًا لِيَتَجَاوَزَهُ
حَدَّهُ .

قَالَ وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ تَعْرِفُ مِنْهُنَّ
مُعَانَدَةَ الْقَانُونِيِّينَ وَإِرَادَتَهُمْ خِلَافَ مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ فَالْمُرَادُ
مِنْهُمْ شَرْعًا وَالَّذِي تُعْبَدُوا بِهِ هُوَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ لَا تَحْكِيمُهُ ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

ثُمَّ تَأَمَّلْ قَوْلَهُ ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ كَيْفَ دَلَّ عَلَى
أَنَّ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَهَوْلَاءِ الْقَانُونِيِّينَ يَرَوْنَهُ مِنَ الْهُدَى كَمَا دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ
إِرَادَةِ الشَّيْطَانِ عَكْسُ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْقَانُونِيُّونَ فَتَكُونُ عَلَى رَعْمِهِمْ مُرَادَاتُ
الشَّيْطَانِ هِيَ صَلَاحُ الْإِنْسَانِ وَمُرَادُ الرَّحْمَنِ وَمَا بَعَثَ بِهِ سَيِّدَ وَوَلَدَ عَدْنَانَ
مَعْرُوضًا مِنْ هَذَا الْوَصْفِ وَمُنْحَى عَنْ هَذَا الشَّأْنِ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ وَمُقَرَّرًا إِبْتِغَاءَهُمْ أَحْكَامَ
الْجَاهِلِيَّةِ وَمَوْضِحًا أَنَّهُ لَا حُكْمَ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَكَيْفَ دَلَّتْ أَنَّ قِسْمَةَ الْحُكْمِ ثُنَائِيَّةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ

بَعْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَوْضُوحِ أَنَّ الْقَانُونِيِّينَ فِي زُمْرَةِ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ شَاؤُوا أَمْ أَبَوْا بَلْ هُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ وَأَكْذَبُ مِنْهُمْ مَقَالًا ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ
الْجَاهِلِيَّةِ لَا تَنَافَسَ لَدَيْهِمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ .

وَأَمَّا الْقَانُونِيُّونَ فَمُتَنَاقِضُونَ حَيْثُ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ
ﷺ وَيُنَاقِضُونَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي أَمْثَالِ
هَؤُلَاءِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ .

ثُمَّ انظُرْ كَيْفَ رَدَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْقَانُونِيِّينَ مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُسْنِ
زُبَالَةِ أَذْهَانِهِمْ وَنُحَاتَةِ أَفْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : يُنْكَرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْ
حُكْمِ اللَّهِ الْمَحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِي عَنِ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلٌ إِلَى مَا
سِوَاهُ فِي الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرُّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ
شَرِيعَةِ اللَّهِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ مِمَّا
يَضَعُونَهُ بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التُّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلِكِيَّةِ الَّتِي
يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَلَا يُحْكَمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ قَالَ تَعَالَى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ﴾ وَعَنْ
حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَيَّ وَمَنْ أَعْدَلُ
مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللَّهِ شَرْعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَآيَقَنَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ،

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ .

فَانظُرْ كَيْفَ سَجَّلَ تَعَالَى عَلَى الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَمِنَ الْمُتَمَتِّعِ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرًا وَلَا يَكُونُ كَافِرًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ مُطْلَقًا إِمَّا كُفْرَ عَمَلٍ وَإِمَّا كُفْرَ اعْتِقَادٍ .

وَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرٌ إِمَّا كُفْرَ اعْتِقَادٍ نَاقِلٍ عَنِ الْمِلَّةِ وَإِمَّا كُفْرَ عَمَلٍ لَا يَنْفُلُ عَنِ الْمِلَّةِ .

قَالَ وَهَذِهِ الْمَحَاكِمُ الْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ مُهَيَّأَةٌ مَفْتُوحَةٌ الْأَبْوَابِ وَالنَّاسُ إِلَيْهَا أُسْرَابٌ إِثْرُ أُسْرَابٍ يَحْكُمُ حُكَّامُهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يُخَالِفُ حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَحْكَامِ ذَلِكَ الْقَانُونِ وَتُلْزِمُهُمْ بِهِ وَتُحْتَمُّهُ عَلَيْهِمْ فَأَيُّ كُفْرٍ فَوْقَ هَذَا الْكُفْرِ وَأَيُّ مُنَاقِضَةٍ لِلشَّهَادَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ هَذِهِ الْمُنَاقِضَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ عَنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُبَيِّنَّا عَلَى قَوْلِهِ الثَّابِتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ . اهـ .

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْحِثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا قَالَهُ الصَّنْعَانِيُّ :

وَلَيْسَ إِغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى
وَلَمْ يَنْقُ لِلرَّاجِي سَلَامَةً دِينِهِ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ الْعُلُومِ وَكُلَّمَا
فَإِنْ رُمْتَ تَارِيخًا رَأَيْتَ عَجَائِبًا
وَلَا قِيَّتَ هَائِلًا قَتِيلَ شَقِيقِهِ
وَتَنْظُرُ نَوْحًا وَهُوَ فِي الْفُلْكِ قَدْ طَعَى
وَأَنْ شِئْتَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ
وَجَنَابِ عَدْنٍ حُورَهَا وَنَعِيمًا
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِغْتِرَابِ إِيَابُ
سِوَى عَزْلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ
حَوَاهُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ
تَرَى آدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تُرَابُ
يُؤَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابُ
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ عُبَابُ
وَمَا قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا
وَنَارًا بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابُ

فَتَلِكْ لِأَرْبَابِ التُّقَاءِ وَهَذِهِ
وَأَنْ تُرِدِ الْوَعْظَ الَّذِي أَنْ عَقَلْتَهُ
تَجِدُهُ وَمَا تَهَوَّاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
وَأَنْ رُمَتْ إِبْرَازَ الْأَدْلِيَّةِ فِي الَّذِي
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ
وَمَا مَطْلَبُ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ
وَفِيهِ الدَّوَاءُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَتَنُقِ بِهِ
يُرِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَغَيْرُهُ
يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ جِدَّةً
وَأَيَّائُهُ فِي كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةً
وَفِيهِ هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةً

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ فِيهِ مِنَ
الآيَاتِ مُنْتَفِعِينَ، وَإِلَى لَدِيدِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ، وَإِلْوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ
وَالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» فِي فَضَائِلِ ذِكْرِ اللَّهِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَا سَيِّمًا فِي رَمَضَانَ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وَقَالَ:
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي
نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخَفِيَّةً﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾،
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ

خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه .

شِعْرًا: اذْكُرْ إِلَهَ الْعَالَمِينَ جَهْرًا فَإِنْ خَشِيتَ سَمْعَةً فَسِرًّا
وَاخْتَرْ مِنَ الْأَذْكَارِ مَا قَدْ أَثَرَا عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَاشْتَهَرَا
وَادْعُ لَدَى الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ بِمَا دَعَى الْمُخْتَارُ مِنْ دُعَاءِ
فَكُلُّ مَأْثُورٍ مِنَ الْأَذْكَارِ أَوْ مِنْ دُعَاءِ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ
فَاخْرِصْ عَلَيْهِ وَالزَّمَّ الْمُتَابِعَةَ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَزَايَا النَّافِعَةَ
وَسِرْ عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ وَسِيرِهِ وَلَا تُتَابِعْ مَنْ رَضِيَ بِغَيْرِهِ

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سُبْحَانَ
الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه
الشمس» رواه مسلم .

وَعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ
كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ،
وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ
مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»، وَقَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» متفق عليه .

شِعْرًا: مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يُلْهِمُ تَسْبِيحًا لِخَلَاقِ الْوَرَى
وَقَدْ تَحَلَّى بِالسَّخَاءِ وَالتَّقَى لِيَقْتَدِيَ مَنْ قَصْدُهُ سُبُلُ الْهُدَى

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخْبِرُنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » رواه مسلم .

وَعَنْ عُمَرُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةَ حَجَّةٍ ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ قَالَ غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ ، وَمَنْ هَلَّلَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ مِائَةً بِالْعَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ لِي مَا قَالَ » رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب .

وفي الصحيحين عن عليٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ أُمَّتِ النَّبِيِّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى ، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَ رَقِيقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَذَهَبَتْ تَقُومُ فَقَالَ عَلِيُّ مَكَانِكُمْمَا فَجَاءَ وَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى بَطْنِي فَقَالَ أَلَا أَدُلُّكُمْمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضْجَعَكُمَا فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ .

وَجَاءَ عَنِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ » حَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَرِّبُهُ .

شِعْرًا: الذِّكْرُ بِالْمَأْيُورِ نِعْمَ الْقُرْبَةَ وَرُتْبَةُ الذَّاكِرِ أَعْلَى رُتْبَةَ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الرِّغَائِبِ كَمَا عَلِمْتَ بَعْدَ فِعْلِ الْوَاجِبِ

وأفضل الذِّكْر كَلَامُ اللَّهِ كَمَا أَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
 وَبَعْدُ هَذَا الذِّكْرُ بِالْمَأْثُورِ عَنْ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ
 كَالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ كَمَا أَتَى فِي الْحَبْرِ الْمَشْهُورِ
 أَمَا لَدَى الْإِطْلَاقِ فَالتَّهْلِيلُ أَفْضَلُ مَا قَدْ قُلْتَ أَوْ تَقُولُ
 كَذَاكَ الْاسْتِغْفَارُ ثُمَّ الْحَوْقَلَةُ كَمَا رَوَتْهُ السُّنَّةُ الْمُفْضَلَةُ
 فَادْكُرْ إِلَهَ الْعَالَمِينَ دَائِمًا وَدُمَّ عَلَى أَذْكَارِهِ مُلَازِمًا
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

«فَصْلٌ»

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ فِي
 طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ) فَقَالَ: «سَيِّرُوا هَذَا جُمْدَانُ،
 سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا
 وَالذَّاكِرَاتُ» رواه مسلم.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي
 لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: يقول الله أنا عند ظنِّ عبدي بي،
 وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في
 ملأٍ ذكرته في ملأٍ خَيْرٍ منهم» متفق عليه.

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تَجِدُ نَفْعَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ مُوقَّرًا

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
 «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ» متفق عليه.

شِعْرًا: لَوْ قِيلَ لِي مَا تَمَنَّى قُلْتُ مُبْتَدِرًا دَوَامَ ذِكْرٍ لِحَلَّاقِ السَّمَوَاتِ
وَأَنْ الْأَزِمَ فِي الدُّنْيَا لِبَطَاعَتِهِ وَأَنْ أَوْفَقَ لِإِثْقَانِ الْعِبَادَاتِ
آخِرًا: وَعَدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً عَلَيْكَ إِذَا مَا جُزْتَ عُمَرُ مُحَمَّدٍ
وَأَكْثَرَ مِنَ التَّهْلِيلِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى الْعُمْرُ يَنْفَدُ

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحررت بي شفاته» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن بسرٍ - رضي الله عنه - أن رجلاً قال يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب» رواه الطبراني في (الأوسط) والبيهقي، والأصبهاني.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله».

وعن عبد الله بن بسرٍ قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أي الناس خير؟ فقال: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، قال: يارسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تفارق الدنيا ولسانك رطباً من ذكر الله».

شِعْرًا: إِذَا أَلْهِمَ الْإِنْسَانَ ذِكْرًا لِرَبِّهِ وَكَانَ بِأَرْكَانِ الْعِبَادَاتِ آتِيًا
فَذَاكَ الْفَتَى لَا مَنْ يَكُونُ مُضِيْعًا لِأَمْرِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَالِيًا
آخِر: فَوَائِدُ فِي ذِكْرِ الْإِلَهِ كَثِيرَةٌ وَإِنْ كَانَ مَنْ يَعْْبَأُ بِهِنَّ قَلِيلٌ
فَكُنْ يَا أَخَا اللَّبِّ الْكَرِيمِ مُحَافِظًا عَلَيْهَا تَفَرُّ بِالْأَجْرِ وَهُوَ جَزِيلٌ
آخِر: لَا يَبْلُغُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرَمُوا حَتَّى يُطْعَمُوا لِحَلَاقِ السَّمَوَاتِ
وَيَسْتَقِيمُوا عَلَى مَا يَرْضِيهِ لَهُمْ وَيُكْثِرُوا ذِكْرَهُ فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»: قال ابن القيم رحمه الله قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما بل منهي عنها نهياً تحريماً أو كراهة.

لما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرظيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وإني نهيئت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً، أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فأجتهدوا في الدعاء ففمن أن يستجاب لكم» رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود.

وكذا التسبيح والتحميد في محلها أفضل من القراءة وكذا التشهد وكذلك رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدين أفضل من القراءة وكذلك الذكر عقب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة.

وَكَذَلِكَ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالْقَوْلُ كَمَا يَقُولُ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَإِنْ كَانَ فَضْلُ
الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ كَفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ لَكِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ مَتَى فَاتَ
مَقَالُهُ فِيهِ وَعَدَلٌ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَّتِ الْحِكْمَةُ وَفُقِدَتِ الْمَصْلَحَةُ مِنْهُ .

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ دَوْمًا فَإِنَّهُ بِهِ يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ فَالزَّمَهُ تَسْعِدُ
آخِرُ: جَمْعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَأَهَا مِلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَةٌ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِي وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ

وَهَكَذَا الْأَذْكَارُ الْمُقَيَّدَةُ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ الْمُطْلَقَةِ
وَالْقِرَاءَةُ الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُقَيَّدَةِ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ، وَالْقِرَاءَةُ
الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُطْلَقَةِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ لِلْعَبْدِ مَا يَجْعَلُ الذِّكْرَ
أَوْ الدُّعَاءَ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ مِثَالُهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ فَيُحَدِّثُ لَهُ تَوْبَةً مِنْ
اسْتِغْفَارٍ أَوْ يَعْزُضُ لَهُ مَا يَخَافُ أَذَاهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَعْدِلُ إِلَى
الْأَذْكَارِ وَالِدُّعَوَاتِ الَّتِي تُحَصِّنُهُ وَتُحَوِّطُهُ .

وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَدْ يَعْزُضُ لِلْعَبْدِ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ إِذَا اشْتَعَلَ عَنْ سُؤْلِهَا بِقِرَاءَةٍ
وَذِكْرٍ لَمْ يَحْضُرْ قَلْبُهُ فِيهَا وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى سُؤْلِهَا وَالدُّعَاءِ إِلَيْهَا اجْتَمَعَ قَلْبُهُ كُلُّهُ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْدَثَ لَهُ تَضَرُّعًا وَخُشُوعًا وَابْتِهَالًا فَهَذَا قَدْ يَكُونُ اشْتِعَالُهُ بِالدُّعَاءِ
وَالْحَالَةَ هَذِهِ أَنْفَعُ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ أَفْضَلَ وَأَعْظَمَ أَجْرًا .

شِعْرًا: وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ يَعْيشُ حَمِيدًا وَهُوَ فِي الْحَشْرِ مُكْرَمٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ لِلَّهِ
مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
تَنَادَوْا هَلِمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ» .

قَالَ فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ
مَا يَقُولُ عِبَادِي، قَالَ يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبُرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ

وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْا، قَالَ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي.

قَالَ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونَ، قَالُوا: يُسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا، فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا.

قَالَ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ، قَالَ يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَهَلْ رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

قَالَ فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ، وَلِذَلِكَ حَثَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَشَبَّهَهُ بِرَوْضَةِ الْجَنَّةِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ». وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِنْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ، قُلْتُ: تَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ فَاِنطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ وَتُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ
وَالْجَنَّةِ كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ
عِنْدِي فِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ
سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِذَا حَصَلَ الْأُنْسُ بِذِكْرِ اللَّهِ انْقَطَعَ هُنَّ ذِكْرٍ مَا سِوَى اللَّهِ
وَمَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يُفَارِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَلَا يَبْقَى مَعَهُ فِي الْقَبْرِ أَهْلٌ
وَلَا مَالٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا وِلَايَةٌ وَلَا يَبْقَى إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وَلَاهُ.

فَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْسَ بِهِ تَمَتَّعَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِانْقِطَاعِ الْعَوَائِقِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ إِذْ
ضُرُورَاتُ الْحَاجَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَصُدُّ عَنِ الذِّكْرِ وَاللَّهُ وَعَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
وَلَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ عَائِقٌ فَكَأَنَّهُ جُلِيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ فَعَظُمَتْ غِيبَتُهُ
وَتَحَلَّصَ مِنَ السَّجَنِ الَّذِي كَانَ مَمْنُوعًا بِهِ عَمَّا أُنْسَهُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي «أَحِبِّ مَا
أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أَرَادَ بِهِ كُلَّ مَا يَتَّعَلَقُ بِالدُّنْيَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْنَى بِالْمَوْتِ فِي
حَقِّهِ فَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. أَهـ.

اللَّهُمَّ الْهَمُّنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وَأَيُّظُنَّا مِنْ رَقْدَةِ الْعَافِلِينَ إِنَّكَ
أَكْرَمُ مَنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا
لِلْحَسَنَاتِ، وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، واجْعَلْنَا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« نصيحة »

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيمَانَ ، مُعْرَضاً عَنِ الْأَرْبَاحِ وَمُتَعَرِّضٌ
لِلْحُسْرَانِ ، لَقَدْ سُرَّ بِفَعْلِكَ الشَّامِثُ .

يَا مَنْ يَفْرُحُ بِالْعِيدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ ، وَيُوقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ لِبَاسِهِ وَيَعْتَرِ
بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ وَجُلَاسِهِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلَاسِهِ .

يَا غَافِلاً قَدْ طُلِبَ ، وَيَا مُخَاصِماً قَدْ غُلِبَ ، وَيَا وَاثِقاً قَدْ سُلِبَ ، إِيَّاكَ
وَالدُّنْيَا فَمَا الدُّنْيَا بَدَائِمَةٌ ، لَقَدْ أَبَانَتْ لِلنَّوَاطِرِ عُيُوبَهَا ، وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ
عُيُوبَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَى الْمَسَامِهِ ذُنُوبَهَا ، وَمَا مَرَّتْ حَتَّى أَمَرَتْ مَشْرُوبَهَا .

فَلذَاتُهَا مِثْلُ لِمَعَانِ الْبَرَقِ وَمُصَيَّبَتُهَا وَاسِعَةُ الْحَرْقِ ، سَوَتْ عَوَاقِبُهَا بَيْنَ
سُلْطَانِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، فَمَا نَجَا مِنْهَا ذُو عَدَدٍ ، وَلَا سَلِمَ فِيهَا صَاحِبُ عُدَدٍ ،
مَزَّقَتْ الْكُلَّ بِكَفِّ الْبُدْدِ ثُمَّ وَلَّتْ فَمَا الْوَتُّ عَلَى أَحَدٍ .

قال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ
وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ » .

اسْمَعْ يَا مَنْ أَجَابَ عَجُوزاً هَتَمًا عَمِيًّا صَمًّا جَرَبًا سَوْدَاءَ شَوْهَاءَ مُقَعَّدَةً
عَلَى مَزْبَلَةٍ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهَا عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا
فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا .

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ مَسْرَةٍ فَتَحَوِّ فِي مَكْرًا لَهَا وَخِدَاعًا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسْرُ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعًا
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمُنِيَةِ شَرْبَةً وَحَمَّتُهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رِضَاعًا
فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّتُهُ دِفَاعًا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْتَطَاعَا

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا

لِلْحَسَنَاتِ ، وَوَفَّقَنَا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فصل في فوائدِ ذِكْرِ اللهِ تعالى »

قال ابن القيم - رحمه الله - : وفي ذِكْرِ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ فائِدَةٍ يُرْضِي
الرَّحْمَنَ وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيُزِيلُ الهَمَّ وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيَكْسِبُ المَهَابَةَ
وَالْحَلَاوَةَ وَيُورِثُ مَحَبَّةَ اللهِ التي هِيَ رُوحُ الإِسْلامِ .

وَيُورِثُ المَعْرِفَةَ وَالانَابَةَ والقُرْبَ وَحَيَاةَ القَلْبِ وَذِكْرُ اللهِ لِلْعَبْدِ هُوَ قُوَّةُ
القَلْبِ وَرُوحُهُ وَيَجْلِي صَدَاهُ وَيَحُطُّ الحُطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَيُحْدِثُ الأُنْسَ
وَيُزِيلُ الوَحْشَةَ .

وَيُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ وَيُنْجِي مِنَ عَذَابِ اللهِ وَيُوجِبُ تَنْزُلَ السَّكِينَةِ وَغَشِيَانِ
الرَّحْمَةِ وَحُفُوفِ المَلَائِكَةِ بِالذِّكْرِ وَيَشغُلُ عَنِ الكَلَامِ الضَّارِّ وَيُسْعِدُ الذَّاكِرَ
وَيُسْعِدُ بِهِ جَلِيسَهُ مِنَ الحَسْرَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ مَعَ البُكَاءِ سَبَبٌ لِإِظْلالِ اللهِ
العَبْدَ يَوْمَ الحَشْرِ الأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ .

وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِعِطَاءِ اللهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَأَنَّهُ أَيْسَرُ
العِبَادَاتِ وَهُوَ مِنْ أَجْلِهَا ، وَأَفْضَلُهَا ؛ وَأَنَّهُ غِرَاسُ الجَنَّةِ ، وَأَنَّ العِطَاءَ وَالفضلَ
الذي رُبَّ عَلَيْهِ لَمْ يُرْتَّبْ عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَنَّ دَوَامَ الذِّكْرِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يُوجِبُ الأَمَانَ مِنَ نِسْيَانِهِ الذي هُوَ سَبَبٌ شَقَاءِ العَبْدِ فِي مَعاشِهِ وَمَعَادِهِ .

شِعْرًا : لا شَيْءَ مِثْلَ كَلَامِ اللهِ تَحْفَظُهُ حِفْظًا رَصِينًا وَتَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَهِدًا
شِعْرًا : لَوْ يَعْلَمُ العَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الحَيَاةِ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلِ
آخِرَ : مَا أَنْعَمَ العَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الفَتَى يُلْهَمُ تَسْبِيحًا لِخَلِيقِ الوَرَى

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُسِيرُ الْعَبْدَ وَهُوَ فِي فِرَاشِهِ وَفِي سَوْقِهِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ نُورٌ الذِّكْرِ
فِي الدُّنْيَا وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ حَلَّةً وَفَاقَةً لَا يَسُدُّهَا
شَيْءٌ الْبَتَّةَ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهُمُومِهِ وَغَرَمِهِ
وَالذِّكْرُ يُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسْرَاتِ عَلَى
مَوْتِ حُظُوظِهِ وَمَطَالِبِهِ وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُنْبِئُ الْقَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ وَيُوقِظُهُ ، وَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ
الْأَرْبَاحُ وَالْمَتَاجِرُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ الْمَعَارِفَ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا
السَّالِكُونَ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ ثَمَارِهَا إِلَّا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ .

وَأَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ،
وَأَنَّ الذِّكْرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَنَفَقَةَ الْأَمْوَالِ وَالْحَمْلَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ ، وَأَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ مَنْ
لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ قَسْوَةً لَا يُدَيِّبُهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ الْقَلْبِ
وَدَوَاؤُهُ وَالْعَقْلَةَ مَرَضُهُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مَوْلَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ
نِعْمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيِّمِ يَذْكُرُ
آخِر: فَجَالِسِ رَجَالَ الْعِلْمِ وَاحْفَظْ حَدِيثَهُمْ وَلَا تَكُ لِلْجُهَّالِ يَوْمًا مُوَاحِيَا
وَلَا زِمَ فِتْنَى فِي كُلِّ وَقْتٍ مُلَازِمٌ لِذِكْرِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَالِيَا
لَعَلَّكَ أَنْ تَعْتَادَ لِلذِّكْرِ مِثْلَهُ فَتَحْرِزْ غُفْرَانًا وَأَعْلَى الْأَمَانِيَا

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ وَأَنَّ مَنْ شَاءَ
أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوْطِنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ،

وَأَنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ .

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَنَّ مُدْمِنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ إِقَامَةً لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ وَيُسِيرُ الْعَسِيرَ وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ ، وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَافَتَهُ كُلَّهَا ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ ، وَأَنَّ فِي الْأَشْتَعَالِ بِالذِّكْرِ اشْتِعَالًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَاللَّغْوِ ، وَأَنَّ عُمَّالَ الْآخِرَةِ كُلَّهُمْ فِي مِضْمَارِ السَّبَاقِ وَالذَّاكِرُونَ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ وَلَكِنَّ الْفِتْرَةَ وَالْعُبَارَ يَمْنَعَانِ مِنْ رُؤْيَةِ سَبَقِهِمْ .

فَإِذَا إِنجَلَى الْعُبَارُ وَانْكَشَفَ ، رَأَاهُم النَّاسُ ، وَقَدْ حَازُوا قَصَبَ السَّبَقِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ . فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ فَإِذَا أَخْبَرَ بِهَا الْعَبْدُ صِدْقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ اللَّهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الْكَاذِبِينَ وَرَجِي لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِينَ .

شِعْرًا: وَدَاوِمٌ وَلَا زِمٌ قَرَعَ بَابٌ مُؤَمَّلًا
وَصَابِرٌ فَمَا نَالَ الْعُلَا غَيْرَ صَابِرٍ
مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى الْحُسْنِيِّينَ مُنَاكِ أَوْ
وَدَاوِ لِسُقْمِ الْقَلْبِ وَاعْمُرْ خَرَابَهُ
آخِرٌ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ
وَلَمْ يُبَالُوا بِأُورَاقٍ وَلَا ذَهَبٍ
فَمَا خَيَّبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمَّلٍ
وَقُلْ وَاعِظًا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلُّمِ
مَنَايَا كِرَامٍ فَاصْبِرِي وَتَحَمَّلِي
بِذِكْرِ الَّذِي نَعَمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمِيلُ
لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدَّنَائِيرِ
وَلَوْ تَحَصَّلَ آلَافُ الْقَنَاطِيرِ

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ يَا قَاضِي

الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ أَيْضاً مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ فَإِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ عَمِلَ مِنَ الْأَعْمَالِ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالْقِفَارَ تَتْبَاهَى وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا، وَأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَإِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ قَلِيلُوا الذِّكْرَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمُتَنَافِقِينَ : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَأَنَّ لِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَذَّةٌ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا اللَّذَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلذَّاكِرِ، وَأَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا وَنُورًا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالنَّبِيَّتِ وَالْحَضْرِ وَالسَّفَرِ وَالْبِقَاعِ تَكْثِيرًا لِشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْبُقْعَةَ وَالذَّارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً حَتَّى أَنَّهُ لِيَفْعَلَ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يَظُنْ فِعْلَهُ بِدُونِهِ، قَالَ وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي سُنَنِهِ وَكَلَامِهِ وَأَقْدَامِهِ وَكِتَابَتِهِ أَمْرًا عَجِيبًا، فَكَانَ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ مِنَ التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرُ .

مَا دُمْتَ تَقْدِرُ فَأَكْثِرْ ذِكْرَ خَالِقِنَا وَأَدِّ وَاجِبَهُ نَحْوَ الْعِبَادَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ إِنْ فَرَطْتَ فِي زَمَنِ مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ

لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَ مَضَاجِعُهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، لَمَّا سَأَلْتُهُ الْخَادِمَ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّنْ خَادِمٌ.

فَقِيلَ إِنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ قُوَّةً فِي عَمَلِهِ مُغْنِيَةً عَنِ الْخَادِمِ، قَالَ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَذْكُرُ أَثْرًا فِي هَذَا الْبَابِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِرُوا بِحَمْلِ الْعَرْشِ، قَالُوا يَا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ، فَقَالَ: قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَلَمَّا قَالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثْرَ بَعَيْنَهُ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَشِيحُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَرْزَ وَجَلَّ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ قَالُوا: رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا؟ قَالَ: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي. قَالُوا: رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَى عَلَى حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ، قَالَ: لِذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَالَ: قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَحَمَلُوهُ.

قَالَ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ، وَتَحْمَلِ الْمَشَاقِّ وَالذُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يُخَافُ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَلَهَا أَيْضًا تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْفَقْرِ، قَالَ: وَمِنَى الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ: الذِّكْرُ وَالشُّكْرُ.

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْظَى بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ بِدُنْيَاكَ وَالْأُخْرَى لِنَيْلِ السَّعَادَةِ
عَلَيْكَ يَذْكُرُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُغْفَلَ وَلَوْ قَدَرَ لَحِظَةٌ
آخِرٌ: إِلَهُ الْوَرَى حَتَّمْ عَلَى النَّاسِ حَمْدَهُ لِمَا جَادَ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِمْ بِلا مَن

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ مُجَرَّدَ ذِكْرِ اللِّسَانِ بَلْ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ وَاللِّسَانِيُّ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ وَتُعُوتِ جَلَالِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْمَدْحِ وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ فِذِكْرِهِ الْحَقِيقِيِّ يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعْمِهِ وَأَلَايِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ.

وأما الشكر فهو القيام بطاعته، فذكره مستلزم لمعرفته وشكره متضمن لطاعته وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس.

«فائدة»: قال الشيخ تقي الدين: من أثلي ببلاء قلب أزعجه فأعظم دواء له قوة الإلتجاء إلى الله ودوام التضرع والدعاء فإن يتعلم الأدعية الماثورة ويتوختى الدعاء في مظان الإجابة مثل آخر الليل وأوقات الآذان والإقامة وفي السجود وإدبار الصلوات، ويضم إلى ذلك الاستغفار.

وليتخذ زداً من الأذكار طرفي النهار وعند النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا بد أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه ويحرص على عمود الدين، وليكن هجيراً لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال ولا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل وليعلم أن التصبر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً، ولم ينل أحد شيئاً من عميم الخير إلا بالصبر والله الموفق.

شِعْرًا: لا تقصد الناس إذا أدبرت كيف يرجى الرزق من عند من آخر: يا أيها الطالب من مثله لا تطلبن الرزق من طالب وارغب إلى الله الذي لم يزل شِعْرًا: بذكرك يامولى الورى نتنعم شهدنا يقيناً أن علمك واسع إلهي تحمّلنا ذنباً عظيماً

دُنياك واقصد من جواد كريم يطلب الرزق من الرب الرحيم رزقاً له جرت عن الحكمة مثلك محتاج إلى الرحمة في يده النعمة والنعمة وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا فأنت ترى ما في القلوب وتعلم أسانا وقصرنا وجودك أعظم

وَحَقِّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ
سَكَنَتْنَا عَنِ الشُّكْوَى حَيَاءٌ وَهَيْبَةٌ
إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافِقُوا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنِّي وَتَكْرُمًا
لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسُ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُفٍ
لَكَ الْحَمْدُ عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدُمُ
وَحَاجَاتُنَا بِالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُولِي الْجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنْابُوا وَأَسَلَمُوا
فَأَنْتَ الَّذِي قَوْمَتَهُمْ فَتَقَوْمُوا
فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقَوْمُ
فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَتَوْمُ
وَسَامِحٌ وَسَلَّمْنَا فَأَنْتَ الْمُسَلَّمُ

اللَّهُمَّ اللَّهُمَّنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ ،
اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ
سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ،
وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعُفُوكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ وَلَمَّا عَلِمَ الْمُؤَفَّقُونَ مَا خَلِقُوا لَهُ وَمَا
إِنْجَادُهُمْ لَهُ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا عَلِمَ الْجَنَّةَ قَدْ رَفَعَ لَهُمْ شَمْرُوا إِلَيْهِ وَإِذَا
صِرَاطُهَا الْمُسْتَقِيمَ قَدْ وَضَحَ لَهُمْ فَأَسْتَقَامُوا عَلَيْهِ وَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْعَبْنِ بَيْعُ مَا لَا
عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

وَفِي أَيْدٍ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْفَدُ بِصُبَابِهِ عَيْشٍ إِثْمًا هُوَ أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ أَوْ كَطَيْفٍ
زَارَ فِي الْمَنَامِ مَشُوبٍ بِالنَّعْصِ مَمْزُوجٍ بِالْعُصَصِ إِنْ أَضْحَكَ قَلِيلًا أَبْكَى كَثِيرًا
وَإِنْ سَرَّ يَوْمًا أَحْزَنَ شَهْرًا أَلَامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَاتِهِ وَأَحْزَانُهُ أَضْعَافُ مَسْرَاتِهِ أَوْلُهُ
مَخَافُوفٌ وَآخِرُهُ مِتْلَافٌ .

فَيَا عَجَباً مِنْ سَفِيهِ فِي صُورَةِ حَكِيمٍ وَمَعْتُوهٍ فِي مِسْلَاحٍ عَاقِلٍ آثَرَ الْحَضِّ
الْفَانِي الْحَسِينِ عَلَى الْحَضِّ الْبَاقِي النَّفِيسِ بَاعَ جَنَّةَ عَرْضِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ
بِسِجْنِ ضَيْقِ بَيْنِ أَرْبَابِ الْعَاهَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَاتِ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِأَعْطَانِ ضَيْقَةٍ آخَرُهَا الْخَرَابُ وَالْبَوَارُ .

وَأَبْكَاراً غُرْباً أَثْرَاباً كَأَنْهَنَ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ بِقَدْرَاتِ دَنَسَاتِ سَيِّئَاتِ
الْأَخْلَاقِ مُسَافِحَاتٍ أَوْ مُتَخِذَاتِ أَخْدَانٍ وَحُوراً مَقْصُورَاتاً فِي الْخِيَامِ بِحَبِيبَاتِ
مُسَيِّبَاتِ بَيْنِ الْأَنَامِ وَأَنْهَاراً مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ بِشَرَابِ نَجَسٍ مُذْهَبٍ لِلْعَقْلِ
مُفْسِدٍ لِلدُّنْيَا وَالذِّينِ ، وَلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِالتَّمَتُّعِ بِرُؤْيَا التَّوَجُّهِ
الْقَبِيحِ الدَّمِيمِ .

وَسَمَاعَ الْخِطَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَمَاعِ الْمَعَارِيفِ وَالْغِنَاءِ وَاللَّحَانِ وَالْجُلُوسِ
عَلَى مَنَابِرِ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ وَالزَّبَرْجَدِ وَيَوْمَ الْمَزِيدِ بِالْجُلُوسِ فِي
مَجَالِسِ الْفُسُوقِ مَعَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

وَأِنَّمَا يَظْهَرُ الْعَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَتَبَيَّنُ سَفَهُ بَائِعِهِ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ وَالذَّمَامَةِ إِذَا حُشِرَ الْمُتَّقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَأَ وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَرَدَأَ وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ لِيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ
مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ .

فَلَوْ تَوَهَّمِ الْمُتَحَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفِيقَةِ وَمَا عَدَدَ لَهُمْ مِنَ الْاِكْرَامِ وَأَدْحَرَ لَهُمْ
مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَمَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقَعْ عَلَى مِثْلِهَا بَصَرٌ وَلَا
سَمِعَتْهُ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ عَلِمَ أَيُّ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِي
حَيَاتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ .

وَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكاً كَبِيراً لَا تَعْتَرِيهِ الْآفَاتُ وَلَا يَلْحَقُهُ الزَّوَالُ
وَفَازُوا بِالتَّعْيِيمِ الْمَقِيمِ فِي جِوَارِ الرَّبِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، فَهَمُّ فِي رُوضَاتِ الْجَنَّاتِ

يَتَقَلَّبُونَ وَعَلَى أَسْرَتِهَا تَحْتَ الْحِجَالِ يَجْلِسُونَ وَعَلَى الْفُرَشِ الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ
اسْتَبْرَقٍ يَتَكَيَّفُونَ وَبِالْحُورِ الْعَيْنِ يَتَمَتَّعُونَ .

وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَّفُونَ وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ
وَلَحْمَ يَرِ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا ﴿ مَا تَشْتَهُيهِ
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنَ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ تَا اللَّهُ لَقَدْ نُودِيَ عَلَيْهَا فِي سُوقِ
الْكَسَادِ فَمَا قَلَّبَ وَلَا اسْتَمَامَ إِلَّا أَفْرَادًا مِنَ الْعِبَادِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ :

بِاللَّهِ مَا عُدُّرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا قِ فُلْبَسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
تَا اللَّهُ لَوْ شَاقَتْكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ حِمِّ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الْإِثْمَانِ
وَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي وِصَالِ نَوَاعِمِ وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِسُ وَاللَّهُ لَوْ تُجَلَّى عَلَى صَحْرِ مِنْ الصُّوَانِ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِقَوْتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ تَقَى مِنَ الْكُثْبَانِ
لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَازَ حَدِّ دِ الصَّحْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسِّ لَمَّا اسْتَبَدَّتْ بِالْأُدْوَانِ
أَوْ صَادَقَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةً قَدْ بِ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهَذَا الشَّانِ
حُورٌ تُزْفُ إِلَى ضَرِيرٍ مُفْعَدٍ يَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
شَمْسٌ لِعَيْنِي تَزْفُ إِلَيْهِ مَا ذَا حِيلَةَ الْعَيْنِ فِي الْعَشِيَّانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كَفُوهَا إِلَّا أَوْلُوا التَّقْوَى مَعَ الْإِيْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوْقُكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سَفْلَةَ الْحَيَوَانِ

يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيَّنَ الْمَشْتَرِي
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبُرُ الْـ
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهُـا
مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
وَتَنَالَهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُوا إِلَى

فَلَقَدْ عُرِضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُوْ إِمْكَانِ
خُطَابُ عَنْكَ وَهُمْ ذُوْوَ إِيْمَانِ
حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
لِيَصُدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوَانِي
رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَخْلِصْ عَمَلَنَا مِنَ
الرِّيَاءِ وَمَكْسَبَنَا مِنَ الرِّبَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» فِي فَضَائِلِ الْاسْتِغْفَارِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَتَأَكَّدُ فِي الزَّمَانِ الْفَاضِلِ،
وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ وَقَالَ تَعَالَى، مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ: ﴿... فَقُلْتُ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَيَبِّينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾،

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا وَيَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

وَعَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتَبَّ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ» مِائَةً مَرَّةً.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَوْبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ: اسْتَغْفَارٌ كَثِيرٌ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنِّي لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتَغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ».

شِعْرًا: يَا ذَا الْمَعَارِجِ أَنْتَ اللَّهُ أَسْأَلُهُ
أَدْعُوكَ أَدْعُوكَ يَا قَيُّومُ فِي ظِلْمٍ
تُعْطِي لِمَنْ شِئْتَ مَنْ يَسْأَلُكَ مِنْ سَعَةٍ
تَغْفِرُ ذُنُوبِي وَتَحْتَمُ لِي بِخَاتِمَةٍ
وَأَنْتَ يَا رَبِّ مَدْعُوسٌ وَمَسْئُولٌ
وَكُلُّ دَعْوٍ بِحُلُومِ النَّوْمِ مَشْغُولٌ
وَالْخَيْرُ مِنْكَ لِمَنْ نَادَاكَ مَبْدُولٌ
تُرْضِيكَ عَنِّي وَظَنِّي فِيكَ مَأْمُولٌ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

وَعَنْ الْأَعْرَابِ الْمُزْنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وَقَالَ حُدَيْفَةُ: كُنْتُ ذَرِبَ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ حَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ أُنْتَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَأَنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لِأَتَيْتَكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصَلِّ»: وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ إبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ لَا أَبْرُحُ أَغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

وَعَنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ

تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْتُرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ لِلْقُلُوبِ صَدَأٌ كَصَدَأِ النُّحَاسِ ، وَجَلَاؤُهَا الِاسْتِغْفَارُ » .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرَةٍ ، فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ » فَاسْتَغْفَرْنَا ، فَقَالَ : « أْتَمُّوْهَا سَبْعِينَ مَرَّةً » فَأْتَمَمْنَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِمِائَةَ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : « فَاسْتَكَثَرُوا فِيهِ مَنْ حَصَلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ » .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوها مَحْوًا ، وَلَا تُبْقِي ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقَ الرَّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَا حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي أُعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا

خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ .

وَأَمَّا كَلِمَةُ الاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ الْمَغْفِرَةِ . فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ دُعَاءُ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشَّرُوطُ وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللهُ إِلَّا لِمَنْ أَبِي ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَا أَبِي ؟ قَالَ : يَا أَبِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهُ » .

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّذْ لِسَانَكَ الاسْتِغْفَارَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهِ سَائِلًا ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ : أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

وَالاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُحْتَمُّ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ وَالْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ وَيُحْتَمُّ بِهِ الْمَجَالِسُ ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّابِعِ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ لَعْوًا كَانَ كَفَّارَةً لَهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْتَمَّ صِيَامُ رَمَضَانَ بِالاسْتِغْفَارِ يُرْفَعُ مَا تَحْرَقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللَّعْوِ وَالرَّفَثِ « وَيَجْتَهُدُ فِي الْكَثَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالتَّقَلُّلِ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ مَا دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ » .

وَمِنْ عِظَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ تُدَلُّ مَنْ أَعَزَّهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا هِيَ كَالسُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَفِيهِ حَتْفُهُ فَكُنْ فِيهَا كَالْمُدَاوِي جِرَاحُهُ يَحْتَمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا وَيَصْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ مَخَافَةَ طُولِ الدَّاءِ ، فَأَحْذَرْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْحَدَّاعَةَ الْعَدَّارَةَ الْحَتَّالَةَ الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بِخِدَعِهَا وَقَتَلَتْ بِغُرُورِهَا وَتَحَلَّتْ بِأَمَالِهَا وَسَوَّفَتْ بِحُطَّابِهَا .

فأصبحت كالعروسِ المجليةِ العيونُ إليها ناظرةٌ والقلوبُ عليها والهةٌ
وهي لأزواجها كلهم قاليةٌ، فلا الباقي بالماضي معتبرٌ ولا الآجرُ بالأوّل
مزدجرٌ، فعاشقٌ لها قد ظفرَ منها بحاجتهِ فاغترَّ وطغى ونسيَ المعادَ فشغلَ
فيها لُبهُ حتى زلتَ به قدمه فعضمتَ ندامتهُ وكثرتَ حسرتهُ واجتمعتَ عليه
سَكَراتُ الموتِ وتألّمهُ وحسراتُ الفوتِ بغصتهِ وراغبٌ فيها لم يُدركَ منها ما
طلبَ ولم يُرجِ نفسه من التعبِ فخرَجَ بغيرِ زادٍ وقدمَ على غيرِ مهادٍ .

فاخذرها يا أمير المؤمنين وكن أسراً ما تكون فيها أخطرَ لها فإن صاحبَ
الدنيا كلما أطمأن فيها إلى سرورٍ أشخصته إلى مكروهٍ وضارٍ وقد وصلَ
الرخاءُ منها بالبلاءِ وجعلَ البقاءَ إلى فناءٍ فسروورها مشوبٌ بالأحزانِ، أمانيتها
كاذبةٌ وآمالها باطلةٌ وصفوها كدرٌ وعيشها نكدٌ وبنُ آدمَ فيها على خطرٍ، إهـ .

شِعراً: فيأ أيها الناسي ليوم رجليه أراك عن الموتِ المفروقِ لاهيا
ألا تعتبرُ بالراحلين إلى البلى وتركهمُ الدنيا جميعاً كما هيأ
ولم يخرجوا إلا بقطنٍ وخرقةٍ وما عمروا من منزلٍ ظلّ خالياً
وأنت غداً أو بعده في جوارهم وحيداً فريداً في المقابرِ ثاوياً

اللهم يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة
ونبّهنا لاغتيام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذئوبنا ولا
تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب
التي تعلمها منا، وامنن علينا يا مولانا بتوبة تمحو بها عنا كل ذنب، اللهم
انظمننا في سلك الفائزين برضوانك واجعلنا من المتقين الذين أعددت لهم
فسيح جناتك، وأدخلنا برحمتك في دار أمانك، وعافنا يا مولانا في الدنيا
والآخرة من جميع البلايا، وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك وامتّعنا
بالنظر إلى وجهك الكريم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم

وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» فِي أَحْكَامِ الْأَعْتِكَافِ فِي الْمَسْجِدِ

الإِعْتِكَافُ لُغَةً: لُزُومُ الشَّيْءِ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ بَرًّا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ، وَفِي الشَّرْعِ: لُزُومُ مُسْلِمٍ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ، عَاقِلٍ وَلَوْ مُمَيَّزًا، مَسْجِدًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ .

وَهُوَ سَنَةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي رَمَضَانَ آكِدُهُ، وَآكِدُهُ عَشْرُهُ الْأَخِيرُ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ» .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ عَامًا فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ إِعْتَكَفَ عِشْرِينَ» .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ، فَلِأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصَحُّ مِنْهُ كَالصَّوْمِ، وَأَمَّا مَنْ زَالَ عَقْلُهُ كَالْمَجْنُونِ فَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ فَلَمْ يَصِحَّ مِنْهُ .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ، فَلِقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «إِنِّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ» .

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي مَسْجِدٍ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، لِأَنَّ الإِعْتِكَافَ فِي غَيْرِهِ يُفْضِي إِذَا تَرَكَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ تَكَرَّرَ الْخُرُوجُ إِلَيْهَا كَثِيرًا مَعَ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلِإِعْتِكَافِ .

وَالْأَعْتِكَافُ فِي مَسْجِدِ ثِقَامٍ فِيهِ الْجُمُعَةُ أَفْضَلُ ، لِئَلَّا يَحْتَاجَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهَا ، وَلَأَنَّ ثَوَابَ الْجَمَاعَةِ فِي الْجَامِعِ أَكْثَرُ ، وَلِأَنَّهُ ﷺ اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

وَيَجِبُ الْإِعْتِكَافُ بِالتَّنْذِيرِ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْإِعْتِكَافَ لَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ فَرَضًا إِلَّا أَنْ يُوجِبَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ الْإِعْتِكَافَ تَذْرًا ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ تَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ » .

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَعْتَكِفَ بِصَوْمٍ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِنْ اعْتَكَفَ بِغَيْرِ صَوْمٍ جَازٌ ، لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي تَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ اعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : « فَأَوْفِ بِتَذْرِكَ » .

وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطًا فِيهِ لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُ اللَّيْلِ ، وَكَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ .

وَلَا يَصِحُّ اعْتِكَافُ الْأُبْنِيَّةِ ، لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ ، وَلِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

وَمَنْ تَذَرَ الْإِعْتِكَافَ أَوْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ ، وَهِيَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، وَمَسْجِدُ الْمَدِينَةِ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا مَزِيَّةَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ .

وَإِنْ تَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِيهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : كُنْتُ تَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : « أَوْفِ بِتَذْرِكَ » .

وَلِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْقِطَ فَرَضَهُ بِمَا دُونَهُ .

وَإِنْ نَدَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، لِأَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَإِنْ نَدَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَيِّ الْمَسْجِدَيْنِ أَحَبَّ لَأَنَّهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ».

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَدْخُلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَرْجُلُهُ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا».

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَعودَ مَرِيضًا، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً، وَلَا يَمَسُّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ إِنْسَانٍ إِلَّا مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا إِعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ، وَلَا إِعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ».

فَإِنْ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ بَطُلَ إِعْتِكَافُهُ، لِأَنَّ الإِعْتِكَافَ: اللَّبْثُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا خَرَجَ فَقَدْ فَعَلَ مَا يُنَافِيهِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كَمَا لَوْ أَكَلَ فِي الصَّوْمِ ذَاكِرًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَبْطُلُ إِعْتِكَافُهُ، وَكَذَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ نَاسِيًا لَمْ يَبْطُلْ إِعْتِكَافُهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ عَنِّي الْخَطَأُ وَالنَّسِيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ».

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعْتَكِفِ التَّشَاغُلُ بِفِعْلِ الْقُرْبِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ، وَالصَّلَاةَ وَذِكْرَ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَسُنَّ لَهُ اجْتِنَابُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ جَدَلٍ وَمِرَاءٍ وَكَثْرَةَ كَلَامٍ لِمَا وَرَدَ عَنِ أَبِي

هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

«فائدة»: قيل للقمان ما بلغ ما ترى يُريدون الفضل، قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعني.

شِعْرًا: عَلَى فَيْكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ شَأْنُهُ بِقِفْلٍ وَثِيْقٍ مَا اسْتَطَعْتَ فاقْفِلِ
اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا قَيُّوْمُ نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَنْ تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ
وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُعَلِّيَ بِفَضْلِكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالِدِّينِ وَأَنْ تَشْمَلَ بِعِنَايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ
كُلَّ نَصْرَ الدِّينِ وَأَنْ تَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا
إِلَى مَا تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانْنَا وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ
تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل» في بناء المساجد وآدابها

وَيُنَحَّثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ .
- ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ عَنِ الْأَقْدَارِ وَتَنْظِيفِهَا .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ آكِلِ الْبَصْلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَإِبْعَادِ
الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ .
- ٤ - يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ وَنُشْدَانِ الضَّالَّةِ
فِيهَا .
- ٥ - حُرْمَةُ الْمِبَالَعَةِ فِي زُحْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ .
- ٦ - كَرَاهَةُ الْتِرَامُ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ .

١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ :

بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَحَالِّ وَنَحْوِهَا حَسَبِ الْحَاجَةِ فَرَضُ كِفَايَةٍ وَيُسْتَحَبُّ إِتِّخَاذُ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَتَنْظِيفُهَا وَتَطْيِيبُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ .. ﴾ الآية، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنِيَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ.

شِعْرًا: وَلَمْ أَرَى لِلْحَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِي لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ اللَّهُ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ».

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ، مِنْ مَالٍ حَلَالٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ».

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ».

وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا».

اللَّهُمَّ أَتَمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِحْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ: ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ وَتَنْظِيفِهَا:

وَيُسَنُّ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسَخٍ، وَقَدَرٍ، وَقَذَاةٍ، وَمُخَاطِ، وَبُصَاقٍ، وَتَقْلِيمِ أَظْفَارٍ، وَقَصِّ شَارِبٍ، وَحَلْقِ رَأْسٍ، وَتَنْفِ إِبْطِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أَعْمَالِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ».

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا ذَفْنُهَا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ: «فَهَلَّا أَذَنْتُمُونِي؟ فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا».

وَعَنْ سَمْرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي دِيَارِنَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفُهَا.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمًا، إِذْ رَأَى نُحَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّطَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا، - قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ - : فَدَعَا بِرِغْفَرَانٍ فَلَطَّخَهُ بِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَلَ وَجْهِهِ

أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى ، فَلَا يُبْصِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَفَلَّ تَجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَفَلُّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » ، وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَغَ : « لَا يُصَلِّي لَكُمْ هَذَا ، فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

٣ - مَا وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَابْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ عَنْهَا :

يُسْنُّ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ رَائِحَةِ كَرِيمَةٍ مِنْ بَصَلٍ وَثُومٍ وَكُرَاتٍ وَنَحْوِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَا وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا » .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ ، فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَاتَ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا تَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

وَعَنْ عُمرِ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : ثُمَّ اتَّكَمَ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ ، الْبَصَلُ وَالثُّومُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمْتَهُمَا طَبْخًا .

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَخْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقطع رجاءنا عمّن سواك . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: يُسَنُّ أَنْ يُصَانَ الْمَسْجِدَ عَنْ صَغِيرٍ لَا يُمَيِّزُ لِعَبْرٍ مَصْلِحَةٍ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ مَجْنُونٍ حَالَ جُنُونِهِ، وَعَنْ لَعَطٍ، وَخُصُومَةٍ وَكَثْرَةِ حَدِيثِ لَأَعِ، وَرَفْعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهٍ، وَعَنْ رَفْعِ الصَّبِيَّانِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ، وَيُمنَعُ فِيهِ اخْتِلَاطُ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَإِذَاءُ الْمُصَلِّينَ وَغَيْرِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَيُمنَعُ السُّكْرَانُ مِنْ دُخُولِهِ، وَعَنْ واثلة بن الأسقع: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَسَلِّ سِوْفَكُمْ، وَاتَّخِذُوا عَلَيَّ أَبْوَابَهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَرُوهَا فِي الْجُمُعِ» .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ» .

رَأَى أَبُو مُسْلِمٍ الْحَوْلَانِي جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ، فَمَالَ إِلَيْهِمْ لِيَجْلِسَ مَعَهُمْ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَوَجَدَهُمْ فِي ذِكْرِ الدُّنْيَا فَقَالَ أَنْتُمْ فِي سُوقِ الدُّنْيَا، وَحَسِبْتُ أَنْكُمْ فِي سُوقِ الْآخِرَةِ وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَا يُسْتَقَادُ فِيهَا» .

وَعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُرْسَلًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي

على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تُجالسهم
فليس لله فيهم حاجة» .

وعن السائب بن يزيد قال: «كُنْتُ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَّبَنِي رَجُلٌ
فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِدَيْنٍ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا،
فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا - أَوْ مَنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا
مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرَفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» .

وعن مالك قال: بنى عمر - رضي الله عنه - رحبة في ناحية تسمى
«البطحاء»، وقال من كان يريد أن يلغط أو يتشد شعرا، أو يرفع صوته
فليخرج إلى هذه الرحبة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اتَّخَذَ
الْفِيءُ دُولًا وَالْأَمَانَةُ مُعْتَمًا وَالزَّكَاةُ مَعْرَمًا، وَتُعَلَّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ
امْرَأَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَذْنَى صَدِيقَهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ
وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ،
وَظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَارِزُ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا،
فَارْتَقَبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ وَرَزَلَزَةَ وَخَسْفًا وَمَسْخًا، وَقَدَفًا وَآيَاتٍ تَتَابَعُ
كَنِظَامٍ قُطِعَ سُلُوكُهُ فَتَتَابَعُ» .

شِعْرًا: قَدِمَ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرْجُوءَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسُنِ
بَادِرٌ بِهَا عَلَقَ النَّفُوسِ فَإِنَّهَا ذُخْرٌ وَغَنَمٌ لِلْمَنِيبِ الْمُحْسِنِ

٤ - يَنْبَغِي تَجْنِيبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ وَنَشْدَانُ
الِضَّلَالَةِ فِيهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فَصَلِّ»: وَيَحْرَمُ فِي الْمَسْجِدِ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ
لِحَدِيثِ عَمْرُو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

البيع والابتیاع وعن تَنَاشُدِ الأَشْعَارِ فِي المَسَاجِدِ» رواه أحمد وأبو داود،
والسائي، والترمذي وحسنه .

وَيُسْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى فِي المَسْجِدِ: لَا أُرْبِحُ اللهُ تِجَارَتَكَ،
لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا
رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتِاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أُرْبِحُ اللهُ تِجَارَتَكَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ
يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ» رواه الترمذي والدرامي .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّفَقُّنُ لَهُ، والتَّحذِيرُ عَنْهُ وابعادهُ عن المَسَاجِدِ الكُتُبِ الَّتِي
فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ، كَالهَجَاءِ لِلسَّنَةِ الأُولَى الإِبْتِدَائِيَّةِ، وَكالمَطَالَعَةِ لِسَائِرِ
السَّنَوَاتِ، وَكَالعِلْمِ، فَإِنَّ بَعْضَ التَّلَامِيذِ يَأْتُونَ بِهَا إِلَى المَسَاجِدِ لِيُطَالِعُوا فِيهَا،
وَإِذَا تَحَلَّقَتْ وَضَعَهَا فِي المَسْجِدِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -
قَالَ: وَعَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَرَاثٌ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ
ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جَبْرِيلُ، فَشَكَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ
وَلَا سُورَةٌ» رواه البُخَارِيُّ .

وَيُسْنُ صَوْنُ المَسْجِدِ عَنْ انْشَادِ شِعْرِ قَبِيحٍ، وَإِنْشَادِ ضَالَّةٍ وَنُشْدَانِهَا،
وَيُسْنُ لِسَامِعِ نُشْدَنِ الضَّالَّةِ أَنْ يَقُولَ: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ فِي
المَسْجِدِ ضَالَّةً فَلْيَقُلْ: لَا أَدَاهَا اللهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» رواه أحمد
ومسلم وابن ماجه .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ
الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَجَدتْ، إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»
رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .

٥ - حُرْمَةُ المُبَالِغَةِ فِي زُحْرَفَةِ المَسَاجِدِ:

وَتَحْرُمُ زَحْرَفَتَهَا بِنَقْشٍ وَصَبْنِجٍ وَكِتَابَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِى الْمُصَلِّي عَنْ صَلَاتِهِ غَالِبًا، وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ الْوَقْفِ حَرَّمَ فِعْلُهُ، وَوَجِبَ ضَمَانُ مَالِ الْمُؤَقَّفِ الَّذِي صُرِفَ فِيهِ لَا لِمَصْلَحَةٍ فِيهِ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَمَرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ » قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « لَتَزْخُرِ فُتْنُهَا كَمَا زَحْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالتَّصَارِيُّ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتْبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِي .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ : أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ . وَيَتَّبِعِي أَنْ لَا يَسْتَعْمِلَ النَّاسُ حُصْرَ الْمَسْجِدِ وَقَنَادِيلَهُ وَسَجَاجِيدَهُ وَبُسْطَةَ وَسَائِرَ مَا وَقَفَ لِمَصَالِحِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ، كَالْأَعْرَاسِ وَيَجِبُ صَرْفُ الْوَقْفِ لِلْجِهَةِ الَّتِي عَيَّنَهَا الْوَاقِفُ .

٦ - كَرَاهَةُ التَّزَامِ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ :

وَيَكْرَهُ لِغَيْرِ الْإِمَامِ مُدَاوِمَةَ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي إِلَّا فِيهِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ : « نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنْ يُوْطِنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوْطِنُ الْبَغِيرُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتَّنْسَائِيُّ وَالدَّرَامِيُّ . فَإِنْ دَاوَمَ عَلَى الصَّلَاةِ بِمَوْضِعٍ فَلَيْسَ هُوَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ فَإِذَا قَامَ مِنْهُ فَلْيُغَيِّرْهُ اجْلُوسُ فِيهِ، لِحَدِيثِ « مَنْ سَبَقَ إِلَى مَبَاحٍ فَهُوَ لَهُ »، قَالَ فِي الْاِخْتِيَارَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَإِذَا فَرَشَ مُصَلِّيٌ وَلَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ وَلْيُغَيِّرْهُ رَفَعَهُ فِي أَظْهَرِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ قُلْتُ وَمِثْلُهُ وَضَعُ خِرْقَةٍ أَوْ عَصَا أَوْ تَعْلُ أَوْ تَقْدِيمِ حَادِمٍ أَوْ وَلَدٍ ثُمَّ إِذَا حَضَرَ قَامَ عَنْهُ وَجَلَسَ فِيهِ فَهَذَا لَا يَجُوزُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ فِي إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ وَلَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُجَادَةٍ قَطُّ وَلَا كَانَتْ السُّجَادَةُ تُفْرَشُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الْأَرْضِ وَرُبَّمَا سَجَدَ عَلَى الطِّينِ وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْحَصِيرِ فَيُصَلِّي عَلَى مَا اتَّفَقَ بَسْطُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ صَلَّى عَلَى الْأَرْضِ.

قَالَ النَّازِمُ لِاخْتِيَارَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَوَضِعَ الْمُصَلِّي فِي الْمَسَاجِدِ بَدْعَةً وَكَيْسَ مِنَ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِ
وَتَقْدِيمُهُ فِي الصِّفِّ حَجْرٌ لِرَوْضِيَّةٍ وَغَضَبٌ لَهَا عَنْ دَاخِلِ مُتَعَبِّدِ
وَيُشْبِهُهُ وَضِعَ الْعَصَاءِ وَحُكْمُهَا كَحُكْمِ الْمُصَلَّى فِي ابْتِدَاعِ التَّعْبُدِ
بَلَى مُسْتَحَبٌّ أَنْ يُمَاطَا وَيُرْفَعَا عَنْ الدَّاخِلِينَ الرَّاكِعِينَ بِمَسْجِدِ
لَيْنٌ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِنَصِّ مُقَرَّرٍ وَلَا فَعَلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهَدْيِ وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ فَبَعْدِ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يُسَنَّ أَوْ يَكْرَهُ صِيَامُهَا

وَيُنَحُّ فِي:

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ.
 - ٢ - بَيَانُ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يَحْرُمُ صِيَامُهَا، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْغَيْرِ.
 - ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ:
- يُسَنَّ صِيَامُ أَيَّامِ الْبَيْضِ، وَهِيَ الثَّلَاثُ عَشَرَ وَالرَّابِعُ عَشَرَ وَالْخَامِسُ عَشَرَ، لِمَا

وَرَدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا ، فَصُمْ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .
وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكَعَاتِ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتَرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ » متفق عليه .
وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثِ ، لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ : بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلَاةِ الضُّحَى وَبِأَنْ لَا أَنْامَ حَتَّى أُوتَرَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، وَسِتٌّ مِنْ سُؤَالِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ : « ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ صَوْمٍ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْاِنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ سُؤَالِ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَاسْتَحَبَّ صِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ سُؤَالِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُوسٍ وَالشَّعْبِيِّ ، وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ - رَجِمَهُمُ اللَّهُ - وَأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ : عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُهَا مُتَّابِعَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ ثَانِي الْفِطْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ : « مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَّابِعَةً فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ » أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: «إِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ» وَإِنَّمَا كَانَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَاتِّبَاعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ يَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أُمَّتَالِهَا.

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صِيَامَ رَمَضَانَ بَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ، وَصِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ، فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ، يَعْنِي صِيَامَ رَمَضَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ» أَخْرَجَهُ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتَّسَائِي، وَهَذَا لَفْظُهُ. وَخَرَّجَهُ: ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، صَحَّحَهُ أَبُو حَاتِمِ الرَّازِي.

وَيُسَنُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ حَاجِّ بِهَا، وَشَهْرُ الْمُحَرَّمِ وَآكِدُهُ الْعَاشِرُ، ثُمَّ التَّاسِعِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَارَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ مَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ» وَقَالَ: «لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «وَيَطْبِقُ أَحَدٌ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «ذَلِكَ صَوْمُ دَاوُدَ» قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي طَوَّقْتُ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﷺ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «لِئِنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ، لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ » رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

وَيُسَنُّ صِيَامُ تِسْعِ ذِي الْحِجَّةِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » رواه البخاري .

شِعْرًا: تَكَلَّمْ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي الدِّينِ إِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادٌ
وَدَاوِمٌ عَلَى ذِكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِقَلْبٍ قَدْ غَشَاهُ فَسَادٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ فِيهَا مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ، وَإِنَّ صِيَامَ يَوْمٍ فِيهَا لِيَعْدِلَ صِيَامَ سَنَةٍ، وَلَيْلَةٍ فِيهَا بَلِيَّةُ الْقَدْرِ » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث غريب .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنُعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ أَفْضِرْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأُفْ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتُرْوِلْهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: فِي بَيَانِ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يُحْرَمُ صِيَامُهَا

وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبُهَةِ بِالْغَيْرِ

وَيُكْرَهُ أَفْرَادُ رَجَبٍ بِالصَّوْمِ، وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ، أَمَّا رَجَبٌ: فَلَمَّا رَوَى
أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ خَرِشَةَ بِنِ الْحُرِّ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ يَضْرِبُ أَكْفَ
الْمُتَرَجِّبِينَ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي الظَّعَامِ، وَيَقُولُ كُلُّوْا! فَإِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كَانَتْ تُعْظِمُهُ
الْجَاهِلِيَّةُ.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى النَّاسَ وَمَا
يُعِدُّونَهُ لِرَجَبٍ كَرِهَهُ وَقَالَ: «صُومُوا مِنْهُ وَأَفْطِرُوا».

وَأَمَّا الْجُمُعَةُ، فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
قَالَ: «لَا تُحْضُوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَحْضُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ
بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا السَّبْتُ لَمَّا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ عَنْ أُخْتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ
لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءِ عِنَبَةٍ، أَوْ عودَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضِعْهُ» رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا
النَّسَائِيَّ.

وَيُكْرَهُ تَقْدِيمُ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقْدِمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا
يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُومْهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَيُكْرَهُ صَوْمُ الدَّهْرِ، لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظٍ: «لَا صَامَ وَلَا
أَفْطَرَ».

وَيُكْرَهُ صَوْمُ النَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ وَكُلُّ عِيدٍ لِلْكَفَّارِ، أَوْ يَوْمٍ يُفْرَدُونَهُ
بِالتَّعْظِيمِ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُوَافَقَةِ الْكُفْرِ فِي تَعْظِيمِهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ تَأَسَّى بِيَلَادِ الْأَعَاجِمِ نَيْرُوزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى
يَمُوتَ حُشَرَ مَعَهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ وَغَيْرُهُ : مَا لَمْ يُوَافِقْ عَادَةً أَوْ يَصُومَهُ عَنْ تَذَرٍ وَنَحْوِهِ، قَالَ :
وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ صَوْمِهِمْ كَيَوْمِ (عِيدِ الْمَائِدَةِ) وَيَوْمِ
الْأَحَدِ الَّذِي يُسَمَّوْنَهُ (عِيدَ الْفُصْحِ) وَ (عِيدَ التَّوْرِ) وَ (العِيدِ الْكَبِيرِ) وَنَحْوِ
ذَلِكَ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُشَابِهَهُمْ فِي أَصْلِهِ وَلَا فِي وَصْفِهِ .

وَقَالَ : لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِأَعْيَادِهِمْ، لَا
مِنْ طَعَامٍ، وَلَا مِنْ لِبَاسٍ، وَلَا اغْتِسَالٍ، وَلَا إِيقَادِ نِيرَانٍ، وَلَا تَبْطِيلِ عَادَةٍ مِنْ
مَعِيشَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا تُمْكُنُ الصَّبِيانَ وَنَحْوَهُمْ مِنَ اللَّعِبِ الَّتِي فِي
الْأَعْيَادِ، وَلَا إِظْهَارِ زِينَةٍ .

وَبِالْجُمْلَةِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخْصُوا أَعْيَادَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِهِمْ بَلْ يَكُونُ يَوْمٌ
عِنْدَهُمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ، لَا يَخْصُهُ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ
خَصَائِصِهِمْ .

وَتَخْصِيصُهُ بِمَا تَقَدَّمَ لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ قَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ
الْعُلَمَاءِ إِلَى كُفْرِ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأُمُورَ : لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ لِأَنَّهُمْ
أَعْدَاءُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِيمَا يَضُرُّ الْمُسْلِمِينَ .

شِعْرًا: تَوَقَّ مُعَادَاتِ الْإِلَهِ فَإِنَّهَا
أُخْرَى: إِذَا وَتَرْتَ أَمْرًا فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ
مُكَدَّرَةً لِلصَّفْوِ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ
مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عَنَابًا
إِنَّا الْعَدُوُّ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالَمَةً
إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا غِرَّةً وَثَبَا
وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي بَلَدِ الْكُفْرِ
أُخْرَى: وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شِقَّةِ النَّوَى

وَقَدْ اشْتَرَطَ عُمَرُ وَالصَّحَابَةُ وَسَائِرُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُظْهِرُوا أَعْيَادَهُمْ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ إِذَا أَظْهَرَهَا الْمُسْلِمُونَ؟ حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا تَتَعَلَّمُوا رِطَانَةَ الْأَعَاجِمِ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَشْرِكِينَ فِي كِنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ، فَإِنَّ الشُّحْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ مِنْ شَعَائِرِهِمْ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الْفَارِسِيَّةَ إِلَّا حَبَّ وَلَا حَبَّ إِلَّا نَقَضَتْ مَرُوءَتُهُ.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ قَالَ: أَعْيَادُ الْكُفَّارِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي شُهُودِهَا مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ، فَكَيْفَ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِهَا؟!

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وَفِي لَفْظٍ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا» وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّشْبِيهِ - وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعَادَاتِ - فَكَيْفَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِيمَا هُوَ أُبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ؟

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ اعْتِيَادُ اللَّعَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالذِّينِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا بِحَسَبِ تِلْكَ اللَّعَةِ وَقَالَ فِي اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عَنِ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ بِالْعُجْمَةِ فَإِنَّهُ يُورَثُ النِّفَاقَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى حَدِيثٍ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أَيْ بِالْإِنْدِمَاجِ وَتَلَاشَتْ شَخْصِيَّتَهُ فِيهِمْ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ تَعْظِيمِ وَإِكْبَارِ لَهُمْ، فَهُوَ لِذَلِكَ يُلْغِي شَخْصِيَّتَهُ وَيَتَلَاشَى فِي شَخْصِيَّةِ الْآخَرِينَ، فَمَنْ تَشَبَّهَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِالْغَاءِ شَخْصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ السُّفِيَّةِ، وَانْدَمَجَ فِي مَعْنَوِيَّةِ الرِّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا وَأَدْبًا، فَهُوَ بِلَا شَكٍّ مِنْهُمْ.

وَمَنْ تَشَبَّحَ بِالْإِفْرَاجِ فِي لِبَاسِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَنُظْمِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَهُوَ
بِلِاسَتِكَ أَفْرَاجِيٍّ غَيْرِ مُسْلِمٍ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَلِهَذَا التَّشْبِيهُ
وَنَتَائِجِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ تَرَى الْمُعْظَمِينَ لِلنَّصَارَى، وَالْوَثْنِيِّينَ الْحَرِيصِينَ عَلَى
التَّشْبِيهِ بِهِمْ وَالْإِنْدِمَاجِ فِيهِمْ يُعَاوِثُونَهُمْ عَلَى الضَّرْرِ بِدِينِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأُمَّمِهِمْ عَنْ
قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ. أَهـ.

وَيُكْرَهُ وَصَالَ إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:
فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «وَأَيْكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبَيْتُ أَنْ يُطْعِمُنِي رَبِّي
وَيَسْقِيَنِي» فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ وَاصَلَّ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا
الْهَيْلَالَ فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَيْلَالُ لَزِدْتُمْ» كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلَا يَجُوزُ صَوْمُ الْعِيدَيْنِ عَنْ فَرْضٍ أَوْ تَطَوُّعٍ، وَإِنْ قَصَدَ صِيَامَهَا كَانَ
عَاصِيًا، وَلَا يُجْزَأُ عَنِ الْفَرْضِ.

وَلَا يَجُوزُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا عَنْ دَمٍ مُتَّعَةٍ وَقِرَانٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ
يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى أَزْهَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: «هَذَانِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا: يَوْمُ
فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْيَوْمُ الْآخِرُ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا رُوِيَ عَنْ نُبَيْشَةَ الْهَدَلِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»
رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ التَّشْرِيقِ » رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحِزْبِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَوَائِدُ » : مُجَالَسَةُ الْعَارِفِ الزَاهِدِ تَدْعُو مِنْ سِتِّ إِلَى سِتِّ :

مِنَ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ .

وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ .

وَمِنَ الْغُفْلَةِ إِلَى الذِّكْرِ .

وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

وَمِنَ الْكِبَرِ إِلَى التَّوَضُّعِ .

وَمِنَ سُوءِ الطَّبَوِيَّةِ إِلَى النَّصِيحَةِ .

الْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ السَّحْرِ الْاِسْتِغَالُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةُ وَالِاسْتِغْفَارُ .

وَفِي وَقْتِ الْأَذَانِ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالِدَعَاءُ لِأَنَّهُ وَقْتُ إِجَابَةٍ .

وَفِي وَقْتِ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ الْاِسْتِعْدَادُ لَهَا وَالْجِدُّ وَالْاِجْتِهَادُ وَالْحِرْصُ عَلَى

طَرْدِ الْأَفْكَارِ الصَّادَةِ عَنْ تَأْمَلِ مَعَانِي الْآيَاتِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ .

وَالنَّصِيحُ فِي يَقَاعِهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى تَأْدِيَّتِهَا فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا

وَالخُرُوجُ إِلَى الْجَامِعِ وَأَنْ بَعْدَ كَانَ أَفْضَلَ لِكثْرَةِ الْخُطَا .

وَالْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ ضَرُورَةِ الْمَحْتَاجِ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ بِالْمَالِ أَوْ الْجَاهِ أَوْ الْبَدَنِ ،

الِاسْتِغَالُ بِمُسَاعَدَتِهِ وَإِغَاثَتِهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْحِرْصُ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَتَفْهَمِهِ حَتَّى كَأَنَّ اللَّهَ

تعالى يخاطبه به ، وَيَعَزِّمُ عَلَى تَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .
وَالْأَفْضَلُ فِي عَشْرِ ذُو الْحِجَّةِ الاجْتِهَادُ وَالْحِرْصُ عَلَى الْإِكْتَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ .
وَالْأَفْضَلُ فِي الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ الْجِهَادِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ قَوْلِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَالْأَفْضَلُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ لَزُومِ الْمَسَاجِدِ وَالْخُلُوعِ وَالِاعْتِكَافِ
وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

وَالِإِكْتَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْحِرْصِ عَلَى إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ فِي هَذَا
الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَإِفْطَارِ الصَّوَامِ .

وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ مَرَضِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ أَوْ مَوْتِهِ عِيَادَتُهُ وَحُضُورُ جَنَازَتِهِ
وَتَشْيِيعُهُ وَتَقْدِيمُ ذَلِكَ عَلَى خُلُوتِكَ وَجَمْعِيَّتِكَ .

وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ نُزُلِ النَّوَازِلِ وَأَذَاةِ النَّاسِ لَكَ أَدَاءً وَاجِبِ الصَّبْرِ مَعَ
خَلْطَتِكَ بِهِمْ دُونَ الْهَرَبِ مِنْهُمْ .

فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لَا
يَخَالِطُهُمْ وَلَا يُؤْذُونَهُ .

وَالْأَفْضَلُ خَلْطَتُهُمْ فِي الْخَيْرِ فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ اعْتِزَالِهِمْ فِيهِ وَاعْتِزَالِهِمْ فِي الشَّرِّ
أَفْضَلُ فَإِنَّ عِلْمَ أَنَّهُ إِذَا خَالِطَهُمْ أَزَالَهُ أَوْ قَلَّ لَهُ فَخَلْطَتُهُمْ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ مِنْ
اعْتِزَالِهِمْ .

شِعْرًا :

وَقُلْتُ لِلدَّمْعِ: أَسْعِدْنِي، فَاسْعَدْنِي	إِنِّي أُرِقْتُ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ أَرْقِنِي
وَمَنْ يَمُوتُ، فَمَا أَوْلَاهُ بِالْحَزَنِ	يَأْمَنُ يَمُوتُ، فَلَمْ يَحْزَنْ لِمَيِّتَتِهِ
وَإِنَّمَا أَنْتَ وَالْعِلَالَةُ فِي قَرْنٍ	تَبْغِي النِّجَاةَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مُحْتَرَسًا
بَيْنَ النَّهَارِ، وَبَيْنَ اللَّيْلِ، مُرْتَهَنٍ	يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ
حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ	لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اخْتِلَافُهُمَا

طِيبُ الْحَيَاةِ لِمَنْ خَفَّتْ مَوَوتُهُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَضَى، إِلَّا تَوْهُمُهُ
وَأَمَّا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا بِسَاعَتِهِ
مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لِلْمُلْقِي بَعْبَرَتِهِ
أَلَسْتَ، يَا ذَا، تَرَى الدُّنْيَا مُوَلِيَّةً
لَأَعْجَبَنَّ، وَأَنْتِي يَنْقَضِي عَجْبِي
وِظَاعِنِ، مِنْ بِيَاضِ الرِّيطِ كَسَوْتُهُ
غَادَرْتُهُ، بَعْدَ تَشْيِيعِهِ، مُنْجِدِلًا
لَا يَسْتَطِيعُ اتِّقَاصًا فِي مَحَلَّتِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا، مَا أَرَى سَكْنًا
مَا بَالُ قَوْمٍ، وَقَدْ صَحَّحَتْ عُقُولُهُمْ
لَتَجْذِبَنِي يَدُ الدُّنْيَا، بِقُوَّتِهَا
وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ
لِلَّهِ دُنْيَا أَنْاسٍ ذَائِبِينَ لَهَا
كَسَائِمَاتٍ رَوَاعٍ تَبْتَغِي سِمْنًا

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا مَسَلِكِ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَالْحَقَّقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَارِ، وَأَتَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ
أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ
بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَقْضِنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ
عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» : فِي الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحُصْنٌ حَصِينٌ لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

شِعْرًا : حِصَالٌ إِذَا لَمْ يَخَوْهَا الْمَرْءَ لَمْ يَتَلَّ
يَكُونُ لَهُ تَقْوَى وَزُهْدٌ وَعِفَّةٌ
آخِرٌ : لَيْسَ يَنْقَى عَلَى الْجَدِيدَيْنِ إِلَّا
آخِرٌ : وَمَا فِي النَّاسِ أَحْسَنُ مِنْ مُطِيعٍ
آخِرٌ : لَنِعْمَ فَتَى التَّقْوَى فَتَى طَاهِرِ الحُطَا
فَتَى مَلِكِ الأَهْوَاءِ أَنْ يَعْتَبِدْنَهُ
مَنَالًا مِنَ الأُخْرَى يَكُونُ لَهُ ذُخْرًا
وَإِكْتَارُ أَعْمَالٍ يَنَالُ بِهَا أَجْرًا
عَمَلٌ صَالِحٌ وَذِكْرٌ جَمِيلٌ
لِحَالِقِهِ إِذَا عُدَّ الرَّجَالُ
حَمِيصٌ مِنَ الدُّنْيَا تَقِي الْمَسَالِكِ
وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ لَهُنَّ بِمَالِكِ

وَكَمَ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَيْرَاتٍ عَظِيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمُقْتَضِيَّةِ لِلْحِفْظِ وَالْعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةِ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ تَقْوَى الخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَنِ الْمُتَّقِي المُصْلِحِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَإِصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْفَرْقَانُ عِنْدَ الإِشْتِيَاهِ وَوُقُوعِ الاشْكَالِ وَالْكَفَّارَةِ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ عِظْمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتِ ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ .

شِعْرًا: وَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُتَّقٍ وَأَقْبَحُ وَجْهِ فِيهِمْ وَجْهُ كَافِرٍ
آخِر: وَمِنْ أَضْيَعِ الْأَشْيَاءِ مُهْجَةُ ذِي التَّقَى يَجُوزُ عَلَى جَوَائِهَا حُكْمُ جَائِرٍ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْكِرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ، إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الْأَوْامِرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا يُقْدِمُونَ عَلَى مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيَحْرَمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالْإِهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرَ عِنْدَهُمْ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَعْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُتَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونُ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُونَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْدِفُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ مَعْرُوفٍ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

اخواني، لَوْ تَحَلَّى كُلُّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لِحَسُنَ عَمَلُهُ، وَخَلَصَتْ نَيْتُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّذَى، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّاجِينَ .

شِعْرًا: لَحَى اللَّهُ قَلْبًا بَاتَ خِلْوًا مِنَ التَّقَى
وَإِنِّي أَحِبُّ كُلَّ مَنْ كَانَ ذَا تَقَى
شِعْرًا: يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُؤْتَى مِنْهُ
يَقُولُ الْمَرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي
آخِر: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ بِضَاعَةٍ
وَلَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَعَيْشِهَا
آخِر: لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ
وَأَنْفَعُ مَنْ صَافَيْتَ مَنْ كَانَ مُخْلِصًا
آخِر: وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الْحَقِيرَةَ كَالْتَقَى
وَعَيْنًا عَلَى ذَنْبٍ مَضَى لَيْسَ تَذْرِفُ
وَيَزْدَادُ فِي عَيْنِي جَلَالًا وَيَشْرَفُ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا
تَجِدُ تَفْعَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ الْمُطْوَلِ
وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ
إِذْ أَتَتْ مِنْهَا بِالتَّقَى لَمْ تَزُودِ
وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الذَّخَائِرِ
لِمَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ خَفَايَا الظَّمَائِرِ
وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الرَّفِيعَةَ كَالْكَفْرِ

«فَصَلِّ»: وَصَفُ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ لِلْأَمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ وَمَشِيئُهُمُ
التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ
الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى
الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ
رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ
مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَإِجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ
عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ وَتِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ
رَبُّهُمْ .

شِعْرًا: لَعَمْرِي مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنْ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الدُّخَائِرِ
آخِرُ: وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الْحَقِيرَةَ كَالْتَقَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ كَالْكُفْرِ

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ
فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ
وَيَسْتَتِيرُونَ بِهِ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا
وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَحْوِيفٌ أَصْعَقُوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ
قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَيْبَرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيْقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَائِثُونَ عَلَى
أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءِ أُبْرَارِ اتَّقِيَاءِ .

قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى وَمَا

بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ حُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ؟ لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فِيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ وَقَصْدًا فِي غِنَى وَحُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلْبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدَى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ.

شِعْرًا: وَإِذَا بَحِثْتَ عَنِ التَّقَى وَجَدْتَهُ
وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ وَأَطَاعَهُ
وَعَلَى التَّقَى إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى
آخِر: تَجَمَّلَ بِالتَّقَى إِنْ رُمْتَ عِزًّا
وَأَكْثَرَ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
آخِر: تَزَوَّدَ وَمَا زَادَ اللَّيْبُ سِوَى التَّقْوَى
فَمَنْ لَمْ يُعَمَّرْ بِالتَّقَى جَدًّا لَهُ
آخِر: وَمَا لَيْسَ الْإِنْسَانُ أَبْهَى مِنَ التَّقَى
آخِر: يَقُولُونَ لِي هَلْ لِلْمَكَارِمِ وَالْعَلَى
فَقُلْتُ لَهُمْ وَالصَّدَقُ خُلُقُ الْفِتْنَةِ
رَجُلًا يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ
فِيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِي
تَاجَانِ تَاجِ سَكِينَةٍ وَجَمَالِ
نَسَبًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
فَتَقْوَى اللَّهِ أَشْرَفُ مَا افْتَنَيْتَا
لِتَسْعَدَ فِي الْمَعَادِ إِذَا أُتَيْتَا
عَسَاكَ عَلَى الْهَوْلِ الْعَظِيمِ بِهَا تَقْوَى
فَمَنْزِلُهُ فِي خُلْدِهِ مَنْزِلٌ أَوْهَى
وَإِنْ هُوَ غَالِي فِي حِسَانِ الْمَلَابِسِ
قِوَامٌ فِيهِ لَوْ عَلِمْتَ دَوَامَهَا
عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ قِوَامَهَا

«فَصْلٌ»

التَّقَى يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ يَبِيْتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَقْلَةِ،

وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ،
لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْزِجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ،
وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُورًا
أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزًا دِينَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غَيْظُهُ، الْحَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ،
وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ
الْغَافِلِينَ يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فُحْشَتُهُ،
لَيْثًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبَلًا خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ
وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ وَفِي الرَّخَاءِ شُكُورٍ.

لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ
يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ، وَلَا يُتَابِرُ بِالْأَلْقَابِ،
وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْتُمُّ بِالْمُصَابِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ
مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ
صَبْرًا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِنُ لَهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي
رَاحَةٍ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَجْرَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.

شِعْرًا: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ عِنْدَ الْهَوَى وَيُحَازِرُ النِّسْيَانَ
إِنَّ الَّذِي يَبْغِي الْهَوَى وَيُرِيدُهُ كَمَا خِي شَيْطَانُهُ شَيْطَانًا
حَجَبَ التَّقَى بَابَ الْهَوَى فَأَخِ التَّقَى عَفُ الْخَلِيقَةِ زَائِدٌ إِيْمَانًا
آخِرُ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَسْنَى الْفَضَائِلِ تُعَدُّ مِنَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ الْأَمْثِلِ
فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِالتَّقَى يَرْتَقَى إِلَى سَنَامِ الْمَعَالِي فِي مَقَامِ الْأَفْضِلِ

آخر: العِلْمُ وَالتَّقْوَى وَطَاعَةَ رَبَّنَا تَكْسُ الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالًا
 وَهِيَ الظَّرِيقُ لِمَنْ أَرَادَ سَلَامَةً وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ جِدَالًا
 بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ وَنَزَاهَةً، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٍ وَرَحْمَةً، لَيْسَ
 تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قَالَ فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُهُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ
 بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِأَلْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَيْحَكَ، إِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ
 وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ. أَهـ.

شِعْرًا:

فَإِنَّ التَّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ	عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَتْرَكُونَهَا
وَأَبْهَى لِبَاسًا فِي الْوُجُودِ وَأَجْمَلُ	لِبَاسِ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا
بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَعْْمَلُ	فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا
وَسَارِعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمَهَّلُ	فَيَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ بَادِرًا إِلَى التَّقَى
بِدَارِ الْجَزَاءِ دَارٍ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ	وَأَكْثَرُ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمِيدِ غَيْبِهَا
عَدَا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ	وَقَدَّمَ لِمَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا سَتَرَحَلُ	وَأَحْسِنُ وَلَا تُهْمَلُ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
كَوَامِلٍ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفِصِلُ	وَأَدُّ فُرُوضِ الدِّينِ وَاتَّقِنُ أَدَاءَهَا
فَأَنْتَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ	وَسَارِعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمَلْتَهَا
وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ	وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ عَامِلُ
لِرِزْقِ الْبَرَآيَا ظَامِنٌ مُتَكَفِّلُ	وَلَا تُلْهِكِ الدُّنْيَا قَرْبُكَ ظَامِنٌ
عَمَارًا وَإِبْشَارًا إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ	وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَأَخْرَاكَ زِدْ لَهَا
لِأَخْرَافِ الدُّنْيَا أَضْلٌ وَأَجْهَلُ	فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِغُ
بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ	وَلَدَائِهَا وَالجَاهُ وَالْعِزُّ وَالغِنَى

فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِطَالَ عُمُرُهُ
وَيَنْزِلُ دَاراً لَا أُنَيْسَ لَهُ بِهَا
وَيَبْقَى رَهِيناً بِالتَّرَابِ بِمَا جَنَى
يُهَالُ بِأَهْوَالٍ يَشِيبُ بِبَعْضِهَا
وَفِي البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفٍ
وَحَشْرُ يَشِيبُ الطِّفْلُ مِنْهُ لِهَوْلِهِ
وَنَارٌ تَلْظِي فِي لظَاهَا سَلَسِلُ
شَرَابُ ذَوِي الإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ وَآخِرُ مِثْلُهُ
يَزِيدُ هَوَاناً مِنْ هَوَاهَا وَلَا يَزِلُ
وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَاماً مُعَذِّباً
عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَدْحَضٌ وَمَزَلَّةٌ
وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ تَعَلَّقُ بِالْوَرَى
فَلَا مُذِيبٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
فَهَذَا جَزَاءُ المِجْرَمِينَ عَلَى الرَّدى
أَعْوَدُ بِرَبِّي مِنْ لَظَى وَعَذَابِهَا
وَمَنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمَهْرِيرٍ مُعَذِّبٍ
وَجَنَاتٌ عَدْنٌ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ
وَمَا كُؤِمٌ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ
يُطَافُ عَلَيْهِمُ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ

فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِماً سَوْفَ يُنْقَلُ
لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلُ
إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسَلُ
وَلَا هَوْلٌ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ
وَمِيزَانٌ قَسِطٌ طَائِشٍ أَوْ مُثَقَّلُ
وَمِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ تَرْلَزُ
يُعَلُّ بِهَا الْفَجَارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ
وَزُقُومُهَا مَطْعُومُهُمْ حِينَ يُوَكَّلُ
مِنَ الْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ وَيَشْعَلُ
إِلَى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَاماً وَيَنْزِلُ
يَصِيحُ ثُبوراً وَيَحَهُ يَتَوَلَّوُلُ
عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُحْرَدَلُ
وَإِنْ يَعْتَدِرُ يَوْماً فَلَا الْعُدْرُ يُقْبَلُ
وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْصَلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوِي بِهَا يَتَجَلْجَلُ
وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَاماً تَبَّلُ
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحُلُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
وَمِنْ سَلْسَبِيلٍ شُرْبُهُمْ يَتَسَلْسَلُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعاً بَآخَرَ بَدَّلُوا

فَوَاكِهَهَا تَذُنُوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَعْسَلُ
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
يُقَالُ لَهُمْ طَبِئْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَاءُ
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا التَّقَى
وَإِنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ
يَأْلِكُ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنُ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحَدَّهَا
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسُ مَاذَا عَبَدْتُمُوا
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضٌ مُخَفَّفٌ
وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ الْمَوْتُ يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ
كُوْسُ الْمَنَائِيَا سَوْفَ يَشْرَبُهَا الْوَرَى
حَنَائِكَ بِادِرْهَا بِخَيْرٍ فَإِنَّمَا
إِذَا كُنْتَ قَدْ أُبْقِنْتَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ
أَيُصْلِحُ إِيمَانَ الْمَعَادِ لِمُنْصِيفٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى
أَتَرْضَى بَأَنْ تَأْتِيَ الْقِيَامَةَ مُفْلِسًا
إِلَهِي لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي عَمَّمَ الْوَرَى
وَعَيْرِكَ لَوْ يَمْلِكُ خَزَائِنِكَ الَّتِي
وَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِّي لَوَائِقُ

وَسُكَّانُهَا مَهْمَا تَمَنَّوهُ يَحْصُلُ
تَنَاولُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
وَعَحْمَرٌ وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ مُعَسَّلٌ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
يُحِبُّ إِلَى جَنَاتٍ عَذْبٍ تَوْصَلُوا
فَحَقُّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ بِالذَّمْعِ تُهْمَلُ
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَلَا يَسْأَمُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّمُ
وَيَوْمَ طَوِيلٌ أَلْفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَضِيحٌ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُعْضِلُ
كَثِيرًا مَهِيلاً أَهْيَلًا يَتَهَلَّهَلُ
وَلَا غَيْرَهَا مِنْ أَيِّ فَيَبْطُلُ
وَمَاذَا أُجِبْتُمْ مَنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَادًا حِسَابٌ مُثْقَلُ
وَهَيْهَاتَ لَا تَدْرِي مَتَى الْمَوْتُ يَنْزِلُ
عَلَى الرَّغْمِ شُبَّانٌ وَشَيْبٌ وَأَكْهَلُ
عَلَى الْآلَةِ الْحَدْبَا سَرِيعًا سَتُحْمَلُ
وَبِالْبَعْثِ عَمَّا بَعْدَهُ تَغْفُلُ
وَيَنْسَى مَقَامَ الْحَشْرِ مَنْ كَانَ يَعْقِلُ
ابْنُ لِي ابْنُ يَوْمِ الْجَزَا كَيْفَ تَفْعَلُ
عَلَى ظَهْرِكَ الْأَوْزَارُ بِالْحَشْرِ تَجْمَلُ
وَجُودٌ عَلَى كُلِّ الْحَلْقِيَةِ مُسْبَلُ
تَزِيدُ مَعَ الْإِنْفَاقِ لَا بُدَّ يَنْحَلُ
وَمَا لِي بِيَابٍ غَيْرِ بَابِكَ مَدْخَلُ

وَهَمِّي وَحَاجَاتِي بِجُودِكَ أَنْزِلْ
 وَأَسْأَلُكَ التَّشْيِيتَ أُخْرَى وَأَوَّلُ
 رَضِيَتْ بِهِ دِينًا وَإِيَّاهُ تَقَبَّلْ
 وَمَنْ بِخَيْرَاتِ بِهَا أُنْعَجَّ لُ
 مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى وَلَا الْحَمْدُ يَكْمُلُ
 وَأَرْجَحُ مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَثْقَلُ
 وَأُنْهِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأُبْتَدِي
 تَعْمُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَتَشْمَلُ
 عَلَى الْمُصْنُفِي أَرْكَى الْبَرِيَّةِ تَنْزِلُ
 فاقْصُدْ فَلَا مَطْلَبَ يَبْقَى وَلَا نَاسُ
 فَمَا عَلَى ذِي ثَقَى مِنْ دَهْرِهِ بَاسُ
 بَطْنِ الثَّرَى يَتَسَاوَى الرَّجُلُ وَالرَّاسُ
 فَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ هُوَ قَانِعُ
 فَقَدْ يُهْلِكُ الْمَعْرُورَ فِيهَا الْمَطَامِعُ
 فَمَا يَسْتَوِي حُرٌّ صَبُورٌ وَجَازِعُ
 إِذَا حَشْرَجَتْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ الْأَضَالِعُ
 فَاْمُنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أُمُرُوا
 وَلَا زَمُوا الْجِدَّ وَالْإِذْلَاجَ فِي الْبُكْرِ
 قَصَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ سَعْيَ مُؤْتَمِرٍ
 وَاسْتَعْرِقُوا وَقْتَهُمْ فِي الصُّومِ وَالسَّهْرِ
 عَنْ بَابِهِ وَاسْتَلَانُوا كُلَّ ذِي وَعْرِ
 فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ بَيْنَ الرُّوضِ وَالزَّهْرِ
 سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَالْفَوْزُ بِالنَّظَرِ

وَإِنِّي لَكَ اللَّهُمَّ بِالِدِينِ مُخْلِصًا
 أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
 إِلَهِي فَتَبَّتْنِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي
 وَهَبَ لِي مِنَ الْفِلَرْدَوْسِ قَصْرًا مُشِيدًا
 وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَاوِمِهِ
 يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
 وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أُبْتَدِي
 صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأَرْكَى تَحِيَّةً
 وَأَرْكَى صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
 آخِر: مَطَالِبُ النَّاسِ فِي دُنْيَاكَ أَجْنَاسُ
 وَارْضَى الْقَنَاعَةَ مَالًا وَالثَّقَى حَسْبًا
 وَإِنْ عَلَتْكَ رُؤُوسٌ وَازْدَرَتْكَ فَنِي
 آخِر: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاقْتَنَعْ بِرِزْقِهِ
 وَلَا تُلْهِكِ الدُّنْيَا وَلَا طَمَعٌ لَهَا
 وَصَبْرًا عَلَى تَوْبَاتِ مَا تَابَ وَاعْتَرَفَ
 أُعَاذُ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى
 آخِر: لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوا اللَّهَ خَالِقَهُمْ
 وَالْوَجْدُ وَالشُّوقُ وَالْأَفْكَارُ قُوَّتُهُمْ
 وَبَادَرُوا لِرِضَا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا
 وَشَمَّرُوا وَاسْتَعَدُّوا وَفَقَّ مَا طَلَبُوا
 وَجَاهَدُوا وَانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
 جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا
 لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدَنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ ،
وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

قال الله تبارك وتعالى وتقدس : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من
الشیطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ .

قال بعض أهل العلم في هذه الآية فوائد منها أن أصل أمر المتقين السلامة
وإن عرض طيف بعض الأحيان .

ومنها إذا مسهم والمس ملامسة من غير تمكّن كالكفار فإن الشيطان
يتجرّد عليهم ويختلس من قلوب المتقين المؤمنين حين تنام العقول الحارسة
للقلوب .

فإذا استيقظوا انبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة إلى الله تعالى
والافتقار فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه وأخذوا منه ما أفتريسه .

ومنها أنه أشار بالطيف إلى أنه لا يمكنه أن يأتي القلوب الدائمة المستيقظة
إنما يأتي القلوب في حين منامها يرجو غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد
عليه .

ومنها أن الطيف الذي في منامك فإذا استيقظت فلا وجود له .

ومنها أنه قال تذكروا ولم يقل ذكروا إشارة إلى أن الغفلة لا يطردّها الذكر
من غفلة القلب إنما يطردّها التذكر والاعتبار لأن الذكر ميدانه اللسان
والتذكر ميدانه القلب .

ومنها أنه قال تذكروا فحذف مُتَعَلِّقَةً ولم يَقُلْ تذكروا الجنة والنار والعقوبة لأن التذكر الماضي لِطَيْفِ الْهَوَى مِنْ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ عَلَى حَسَابِ مَرَاتِبِ الْمُتَّقِينَ .
وَمَرْتَبَةِ التَّقْوَى يَدْخُلُ فِيهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ وَالْأَوْلِيَاءَ
وَالصَّالِحُونَ وَالْمُسْلِمُونَ فَتَقْوَى كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ .

لِذَلِكَ يُذَكَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ فَلَوْ ذَكَرَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ
التَّذْكَرِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ ذَلِكَ الْقِسْمِ .

شِعْرًا: أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا التَّقْوَى لَهُ أُسُسٌ وَطَاعَةُ اللَّهِ فِي سِرِّ وَإِعْلَانِ
وَالْعَدْلُ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْوَا لَا فَرْقَ بَيْنَ شَرِيفٍ مِنْهُمْ أَوْ أَنِي
ومنها قوله سُبْحَانَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ كَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَعْلَى ذَلِكَ مِنَّا مِنْهُ
سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَيْقَظُوا ذَهَبَتْ سَحَابَةُ الْعَقْلَةِ فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ
الْبَصِيرَةِ .

ومنها التَّوَسُّعُ عَلَى الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَا يَمَسُّهُمْ طَيْفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ خَرَجَ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَ الْعِصْمَةِ فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوسِّعَ دَائِرَةَ رَحْمَتِهِ .
انتهى .

ثم أعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن التقوى التي
أعدَّ الله الجنة لأهلها قيل إنها امْتِثَالُ الْأَمْرِ واجْتِنَابُ النَّوَاهِي .

وقيل هي اتقاء الشرك فما دُونُهُ مِنْ ذَنْبٍ مِنْ كُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَاتِقَاءُ
تَضْيِيعِ وَاجِبٍ مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ .

وهي وَصِيَّةٌ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ .

وقد روى في الحدين إن المنادي يُنادي يوم القيامة: ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فترفع الخلائق رؤوسهم يقولون نحن عباد الله عز وجل .

ثم يُنادي الثانية: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فينكس الكفار رؤوسهم، ويبقى الموحدون رافعي رؤوسهم .

ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسهم قد أزال عنهم الرب الكريم الخوف والحزن كما وعدهم وهو أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأكرم الأكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة .

شِعْرًا: لَوْ أَنِّي خَيْرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ إِلَّا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ
كُلَّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي إِلَّا التَّقَى وَفَضَائِلَ الْأَيْمَانِ
آخِر: حَقُّ التَّقَى وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مَنْ لِلدِّينِ يَنْتَسِبُ

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا فِي الْقَبِيلِ وَالْقَالِ، وَالْغَيْبَةِ
وَالنَّمِيمَةِ، وَالْمَدَاهِنَةِ، وَالْأَنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا، إِلَى أَنْ اسْتَلْحَقَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ مُضَافًا إِلَى النَّهَارِ، وَكَأَنَّا لَمْ نُحَلِّقْ إِلَّا لِهَيْدِهِ الْأَعْمَالِ، أَفَلَا
نَسْتَقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عَنْ نَهْشِ أَعْرَاضِ الْعَوَافِلِ، وَالطَّعْنِ فِي
الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ، وَنَصْرِفَ جُلَّ الْأَوْقَاتِ، إِلَى الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، الَّتِي
هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا، وَتَذَكُّرٌ مَوْلَانَا الَّذِي فَضَلَهُ عَلَيْنَا مَدْرَارًا،
فَإِنَّ الذُّكْرَ عَاقِبَتُهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكِرَامَةِ وَالْقَرَارِ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الَّذِي دُونَهُ كُلُّ
ثَوَابٍ، تَاللهِ لَوْ عَرَفْتُمْ قِيَمَةَ هَذِهِ النَّصِيحَةِ لَبَادَرْتُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلَّ الْبِدَارِ،
فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذَكُّرُ اللَّهَ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْأَمْوَالِ،

وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ الْعَدُوَّ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ، أَوْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْإِبْرَارِ، كَيْفَ لَا وَالذِّكْرُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَأَرْفَعَهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الْوَهَّابِ حَسْبُ الذَّاكِرِ: أَنْ تُحَفِّهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَتَعْشَاهُ الرَّحْمَاتُ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الذَّاكِرِ، وَهُوَ وَقْتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ بَارِيُّ الْكَائِنَاتِ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بِالذِّكْرِ فِي حِصْنٍ، يَحْفَظُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ الْفَاتِنَاتِ، وَمَنْزِلَةُ الذَّاكِرِ بَيْنَ الْعَافِلِينَ كَمَنْزِلَةِ الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ، ذَكَرَ اللَّهُ يُنِيرُ الْقَلْبَ، وَيُوقِظُهُ وَيُحْيِيهِ، وَيُرِزِلُ رَأْيَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

شِعْرًا: مَا مَاتَ مَنْ يَتْلُوا الْقُرْآنَ دَوَامَهُ يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ
آخِر: يَا لَيْتَ أَلْفَ لِسَانٍ أُسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قِرَاءَةِ فَرَّانٍ وَتَهْلِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خَاتِمَةٌ، وَصِيَّةٌ، نَصِيحَةٌ

إِعْلَمِ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ الْاِعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَبَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرَ الْمَقْنَعِ لِيَبَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاحَ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتُمُّهُ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لَمْثٍ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ
أَوْ أَزِيدَ أَوْ أَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغَنِيِّ .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللَّوْلُوِّ وَالْمَرْجَانَ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ.

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ، أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا.

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُحْتَصَرَ الْمَقْنَعِ فِي الْفِقْهِ الْأَقْبَيْنِ مِنَ الرِّيَالِ فَالْغَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِحْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ الْمُتَمَازِ الْبَاقِيِ النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي
حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسَاجِدِ.

شِعْرًا: وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعَلِمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ
وَسَبَبًا لِبُرْهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَهُمْ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ.

«فَائِدَةٌ»: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوْلَادَ يَتَفَاوَتْونَ فِي الذِّكَاةِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَيُعْطَى كُلُّ
وَاحِدٍ مَنْزِلَتَهُ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ بِاخْتِيَارَاتِهِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الصِّبْيَانَ يَجْتَمِعُونَ لِللَّعِبِ،
فَيَقُولُ عَالِي الْهِمَّةِ مَنْ يَكُونُ مَعِي وَيَقُولُ قَاصِرِ الْهِمَّةِ مَنْ أَنَا مَعَهُ.

شِعْرًا:

الْعِلْمُ أَعْلَى وَأَحْلَى مَالَهُ اسْتَمَعَتْ أَذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصُوفُ وَرُتْبَتُهُ الْعُلْيَاءُ فَاسْعُوا إِلَيْهِ يَا ذَوِي الْهِمَمِ
لِعِلْمٍ أَشْرَفٍ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ لِلَّهِ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

أَهْلُ الشَّعَادَةِ وَالْجُهَالِ فِي الظُّلَمِ
 أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمْ
 مِيرَاثٌ يُشْبِهُهُ طُوبَى لِمُنْتَسِمٍ
 وَمَا سِوَاهُ إِلَى الْإِفْتَاءِ وَالْعَدَمِ
 قِوَامُهُ وَبِدُونِ الْعِلْمِ لَمْ يَقُمْ
 إِلَى الْهُدَى وَإِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ
 لِمُ الَّذِي فِيهِ مَنْجَاةٌ لِمُعْتَصِمٍ
 أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ مِنْ لَمَمٍ
 مِنَ الْبِحَارِ لَهُ فِي الضُّوْءِ وَالظُّلَمِ
 مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيُّ كَمِي
 لِطَالِبِيهِ رِضِي مِنْهُمْ بِصُنْعِهِمْ
 إِلَى الْجَنَانِ طَرِيقاً بَارِئِ النَّسَمِ
 مُؤَذِيَا نَاشِراً إِيَّاهُ فِي الْأَمَمِ
 بَدَا بِدَعْوَةٍ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 مِنْ أَجَلِهِ دَرَجَاتٍ فَوْقَ غَيْرِهِمْ
 الْأَمْلَاكِ بِالْعِلْمِ مِنْ تَعْلِيمِ رَبِّهِمْ
 لِلْعَالَمِينَ بِغَيْرِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ
 أَعْظَمُ بِذَلِكَ تَقْدِماً لِذِي قَدَمٍ
 وَاضْحَتْ الْآيِ مِنْهُ فِي صَدُورِهِمْ
 قَوْلًا وَفِعْلًا وَتَعْلِيمًا لِغَيْرِهِمْ
 وَعَقْلٍ أَمْثَالِهِ فِي أَصْدَقِ الْكَلِمِ
 حَيْثُ اسْتَجَابُوا وَأَهْلُ الْجَهْلِ فِي صَمَمٍ
 كَالْبَدْرِ فَضْلاً عَلَى الدَّرِيِّ فَاعْتَنِمِ
 وَقَدِّمِ النَّصَّ عَلَى الْآرَاءِ فَافْتَنِمِ

الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
 الْعِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ كَمَا
 الْعِلْمُ وَاللَّهُ مِيرَاثُ النَّبُوَّةِ لَا
 لِأَنَّهُ إِزْتُ حَقِي دَائِمٌ أَبَدًا
 الْعِلْمُ مِيزَانُ شَرْعِ اللَّهِ حَيْثُ بِهِ
 وَسُلْطَةُ الْعِلْمِ تَنْقَاذُ الْقُلُوبِ لَهَا
 وَيَذْهَبُ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْعِلْمُ
 الْعِلْمُ يَا صَاحِبِ يَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهِ
 كَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ الْحَيَاتَانُ فِي لُجْجِ
 وَخَارِجِ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُحْتَسِبًا
 وَأَنَّ أَجْنِحَةَ الْأَمْلَاكِ تَبْسُطُهَا
 وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْعِلْمِ يُسَلِّكُهُمْ
 وَالسَّامِعُ الْعِلْمَ وَالْوَاعِي لِيَحْفَظَهُ
 فَيَأْتِضَارَتُهُ إِذْ كَانَ مَتَصِفًا
 كَفَاكَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ رُفِعُوا
 وَكَانَ فَضْلُ أَهْلِ أَيْتَانَا فِي الْقَدِيمِ عَلَى
 كَذَلِكَ يُوسُفُ لَمْ تَظْهَرَ فَضِيلَتُهُ
 وَقَدَّمَ الْمُصْطَفَى بِالْعِلْمِ حَامِلُهُ
 كَفَاهُمُوا أَنْ غَدُوا لِلْوَجِي أَوْعِيَّةُ
 وَأَنْ غَدُوا وَكَلَاءُ فِي الْقِيَامِ بِهِ
 وَخَصَّهُمْ رَبُّنَا قَصْرًا بِحَشِيَّتِهِ
 وَمَعَ شَهَادَتِهِ جَاءَتْ شَهَادَتُهُمْ
 وَالْعَالِمُونَ عَلَى الْعِبَادِ فَضْلِهِمْ
 وَبِالْمُهْمِ الْمُهْمِ ابْدَأْ لِتَدْرِكَهُ

قَدَّمَ وَجُوبًا عَلَومَ الدِّينِ إِنَّ رَهَا
 وَكُلَّ كَسْرِ الفَتَى فَالِدِينُ جَابِرُهُ
 مَا العِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ أَوْ أَثَرُ
 مَا تَمَّ عِلْمُ سَوَى الوَحْيِ المُبِينِ وَمَا
 وَالكَثْمُ لِلْعِلْمِ فَاحْذَرُ إِنَّ كَاتِمَهُ
 وَمِنْ عُقُوبَتِهِ أَنْ فِي المَعَادِ لَهُ
 وَكَاتِمُ العِلْمِ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْمِلُهُ
 وَإِنَّمَا الكَثْمُ مَنَعَ العِلْمِ طَائِبُهُ
 وَأُتْبِعَ العِلْمُ بِالْأَعْمَالِ وَاذْعُ إِلَى
 وَاصْبِرْهُ عَلَى لَاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وَأَذَى
 لَوَاحِدٌ بِكَ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ لَذَا
 وَاسْئَلْكَ سِوَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَلَا
 يَا طَالِبَ العِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا
 وَقَدِّسِ العِلْمَ وَاعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ
 وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْتِشَاءَ لَهُ
 وَالنَّصْحَ فَايْذُلُهُ لِلطَّلَابِ مُحْتَسِبًا
 وَمَرْحَبًا قُلْ لِمَنْ يَأْتِيكَ يَطْلُبُهُ
 وَالنِّيَّةُ اجْعَلْ لِيُوجِنِ اللهُ خَالِصَةً
 وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُولَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ
 وَمَنْ بِهِ يَتَّبِعُنِي الدُّبْيَا فَلَيْسَ لَهُ
 إِيَّاكَ وَاحْذَرُ مِمَارَاتِ السَّفِينَةِ بِهِ
 فَإِنَّ أَبْغَضَ كُلِّ الخُلُقِ أَجْمَعُهُمْ
 وَالعُجْبَ فَاحْذَرُهُ إِنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفٌ
 آخِرُ: ضَيَّعَتْ عُمْرَكَ يَا مَعْرُورُ فِي غَفْلٍ
 وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِمَّا فَاتَ مِنْ زَمَنِ
 بَادِرٍ إِلَى صَالِحِ الأَعْمَالِ مُجْتَهِدًا

يَبِينُ نَهْجُ الهُدَى مِنْ مُوجِبِ النِّقَمِ
 وَالكَسْرُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ غَيْرُ مُلْتَمَسِ
 يَجْلُوا بِسُورِ هُدَاهُ كُلُّ مُنْبِهِمِ
 مِنْهُ اسْتِمِدَّ إِلَّا طُوبَى لِمُعْتَنِمِ
 فِي لَعْنَةِ اللهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ
 مِنَ الجَحِيمِ لِحَامًا لَيْسَ كَاللُّجْمِ
 مَاذَا بِكَيْمَانٍ بَلْ صَوْنٌ فَلَا تُلْمِ
 مِنْ مُسْتَحِقِّ لَهُ فَافْهَمِ وَلَا تَهْمِ
 سَبِيلِ رَبِّكَ بِالتَّيْيَانِ وَالعِجْكِ
 فِيهِ وَفِي الرُّسُلِ ذَكَرَى فَاقْتَدِهِ بِهِمْ
 خَيْرٌ عَدَا لَكَ مِنْ حُمْرٍ مِنَ التَّعَمِ
 تَعَدَّلْ وَقُلْ: رَبِّي الرَّحْمَنُ وَاسْتَقِمِ
 فَقَدْ ظَلَمْتَ وَرَبُّ اللُّوجِ وَالْقَلَمِ
 فِي القَوَالِ وَالفِعْلِ وَالْآدَابِ فَالتَّزِمِ
 لَوْ يَعْلَمُ المرءُ قَدْرَ العِلْمِ لَمْ يَنْمِ
 فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ وَالْإِسْتَاذَ فَاحْتَرِمِ
 وَفِيهِمْ احْفَظْ وَصَايَا المُصْطَفَى بِهِمْ
 إِنَّ البِنَاءَ بِدُونِ الأَصْلِ لَمْ يَقُمْ
 أَحْسِرْ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ
 يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حَظِّ وَلَا قِسْمِ
 كَذَا مُبَاهَاتِ أَهْلِ العِلْمِ لَا تَرَمِ
 إِلَى الإِلَهِ أَلَدَّ النَّاسِ فِي الخِصَمِ
 أَعْمَالِ صَاحِبِهِ فِي سَبِيلِهِ العَرَمِ
 قُمْ لِلتَّلَاقِي فَانْتِ اليَوْمِ فِي مَهَلِ
 وَانْدُبْ بِتَوْبَةٍ عَلَى أَيَّامِكَ الأَوَّلِ
 فَالتَّجُعُ فِي العِجْدِ وَالجِرْمَانُ فِي الكَسَلِ

كُنْ لَا مَحَالَةَ فِي الدُّنْيَا كَمُعْتَرِبٍ
دَارَ الْخُلُودِ مَقَاماً دَارَ آخِرَةِ
وَكُلُّ مِنْ حَلٍّ فِي الدُّنْيَا فَمُرْتَجِلٌ
هَلَّا اعْتَبَرْتُ فَكَمْ حَلُّوا وَكَمْ رَحَلُوا
إِذَا تَجَّهُهُمْ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
يَقُومُ عَنْكَ الْأَطِبَّاءُ وَالصِّدِّيقُ إِذَا
فَيَدْرِجُونَكَ فِي الْأَكْفَانِ مُنْتَزِعاً
وَيُودِعُونَكَ تَحْتَ الْأَرْضِ مُنْفَرِداً
وَقَائِلٌ مِنْهُمْ قَدْ كَانَ خَيْرَ أَبِي
فَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَذُرُونَ مَا فَقَدُوا
وَبَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مُحَاصِمَةٍ
وَيَأْخُذُونَ قَرِيْباً فِي مَعَايِشِهِمْ
يَأْتِيهَا الْغُرُّ لَا تَعْرِزُكَ صُحْبَتُهُمْ
فِيْمَ التَّغَافُلِ وَالْأَيَّامِ دَائِرَةٌ
فِيْمَ الْعَوِيْلِ لَدَى دَارِ نَحْلٍ وَعَفَتْ
فِيْمَ التَّصَابِيِ وَأَيَّامِ الصِّيَا عَبَّرَتْ
فَكَيْفَ تَلْعَبُ وَالْحَمْسُونَ قَدْ كَمَلَتْ
دَعْ ذِكْرَ لَيْلَى وَبُنْتِي وَازْدِيَادِهِمَا
تِلْكَ الْعَوَانِيِ وَإِنْ أُخْلِصْنَ خُلَّتْهَا
طُحْبُ الْأَجْبَةِ جِرْمَانٍ وَمَنْدَمَةٌ
يَارَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِماً أَبَداً

« فَضْلٌ »

قال أحد العلماء: لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه، وتحسينه. فإن العبد قد يُصلى وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.

وقيل لآخر: كيف أصبَحْتَ بكى، وقال أصبَحْتُ في غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عن الموت مَعَ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِي، وَأَجَلَ يَسْرِعُ كُلَّ يَوْمٍ فِي عَمْرِي، وَمَوْئِلُ لَسْتُ أُدْرِي عَلَامًا أَهْجَمَ ثَمَّ بِكِي.

وقال آخر: لَا تَعْتَمِ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ يَضُرُّكَ غَدًا (أَي فِي الْآخِرَةِ) وَلَا تَفْرَحْ بِشَيْءٍ لَا يَسُرُّكَ غَدًا، وَأَنْفَعُ الْخَوْفُ مَا حَجَزَكَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَطَالَ الْحُزْنَ مِنْكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالزَّمَكَ الْفِكْرَ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِكَ.

وقال آخر: عَلَيْكَ بِصَحْبَةِ مَنْ تُذَكِّرُكَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ رُؤْيَتُهُ، وَتَقَعُ هَيْبَتُهُ عَلَى بَاطِنِكَ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكَ مَنْطِقَهُ، وَيُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا عَمَلَهُ، وَلَا تَعْصِي اللَّهَ مَا دُمْتَ فِي قُرْبِهِ، يَعْظُكَ بِلِسَانٍ فِعْلُهُ وَلَا يَعْظُكَ بِلِسَانٍ قَوْلُهُ.

قال إسرائيل: حضرتُ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيَّ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ وَقَدْ دَخَلَ الشَّرْطِيَّ بِطَعَامٍ لَهُ، فَقَامَ ذُو النُّونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أَي قَبَضَهَا عَنِ الطَّعَامِ).

فقيل له: إِنْ أَخَاكَ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ عَلَى يَدَيَّ ظَالِمٌ، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا الَّذِي أَتَعَبَ الْعِبَادَ وَأَضَعَفَهُمْ؟

فقال: ذَكَرَ الْمَقَامَ وَقَلَّةَ الزَّادِ، وَخَوْفَ الْحِسَابِ، وَلَمْ لَا تَذُوبُ أَبْدَانُ الْعَمَالِ وَتَذَهَلُ عُقُولُهُمْ، وَالْعَرْضُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَمَامَهُمْ، وَقِرَاءَةُ كِتَابِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

والملائكة وقوفٌ بي يدي الجبار يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ فِي الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، ثُمَّ مَثَلُوا هَذَا فِي نَفْسِهِمْ وَجَعَلُوهُ نُصَبًا أَعْيُنِهِمْ.

وقال: سَقَمُ الْجَسَدِ فِي الْأَوْجَاعِ، وَسَقَمُ الْقُلُوبِ فِي الذُّنُوبِ، فَكَمَا لَا يَجِدُ الْجَسَدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ عِنْدَ سَقَمِهِ، كَذَلِكَ لَا يَجِدُ الْقَلْبُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ الذُّنُوبِ.

وقال: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ، سَلِبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ. مَا خَلَعَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ خَلْعَةَ أَحْسَنَ وَلَا أَشْرَفَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا قَلَدَهُ قِلَادَةَ أَجْمَلٍ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا زِينَةَ بَزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الْحِلْمِ وَكَمَالَ ذَلِكَ التَّقْوَى.

وقال آخر: أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللَّهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ طُولِ
الهِجَعَةِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَنْبِ فَإِذَا تَحَرَّكَ قَالَ لِنَفْسِهِ: لَيْسَ لَكَ قَوْمِي تُخَذِي
حَظُّكَ مِنَ الْآخِرَةِ.

وقال أبو هاشم الزاهد: إن الله عز وجل وَسَمَ الدُّنْيَا بِالْوَحْشَةِ، لِيَكُنْ أُنْسُ
الْمُرِيدِينَ بِهَ دُونِهَا، وَلِيُقْبَلَ الْمُطِيعُونَ لَهُ بِالْأَعْرَاضِ عَنْهَا، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ فِيهَا
مُسْتَوْحِشُونَ، إِلَى الْآخِرَةِ مُشْتَأِقُونَ.

وَنَظَرَ أَبُو هَاشِمٍ إِلَى شَرِيكَ الْقَاضِي يَخْرُجُ مِنْ دَارِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ فَبَكَى،
وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.

وقال أسود بن سالم: ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها. ف قيل
له: هذا خطأ، فقال: دَعُونَا مِنْ كَلَامِكُمْ، رَأَيْتُ الْجَنَّةَ رِضَا نَفْسِي، وَرَكَعَتَيْنِ
أَصْلِيهِمَا رِضَا رَبِّي، وَرِضَاءَ رَبِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا نَفْسِي، تَأْمَلُ يَا أُخِي دَقَّةَ
هَذَا الْفَهْمِ لِلَّهِ دَرَهُ.

وقال وهيب: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حَرُونَ، فإذا
قَادَ الْقَائِدُ وَلَمْ يَسُقِ السَّائِقُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئاً.

وإذا سَاقَ السَّائِقُ وَلَمْ يَقْدِ الْقَائِدُ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ شَيْئاً، وَإِذَا قَادَ الْقَائِدُ وَسَاقَ
السَّائِقُ اتَّبَعَتْهُ النَّفْسُ طَوْعاً وَكَرْهاً وَطَابَ الْعَمَلُ.

قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها: يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ أَنْصِرَامِهَا،
وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيْالِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا، فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ قَدْ تَشَقَّقْتِ، وَبِالْأُمُورِ
وَقَدْ تَحَقَّقْتِ، وَبِوَجْهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ اشْرَقْتَ، وَبِرُؤُوسِ الْعِصَاهِ وَقَدْ أَطْرَقْتَ،
قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، يَا نَفْسُ أَمَا الْوَرَعُونَ فَقَدْ

جَدُّوا، وأما الخائفون فقد استعدوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما
الواعظون فقد نصحوا وصاحوا.

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب، أيها العبد الحريص
على تخلص نفسه إن عزمت فبادر وإن همت فثابر واعلم أنه لا يُدرك العز
والمفآخر من كان في الصف الآخر.

اللَّهُمَّ نُوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - الصراط المستقيم، تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ فِي
أَدْنَاهُ وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌ وَتَمَّ رَجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ
أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِ إِنْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ إِنْتَهَى بِهِ إِلَى
الْجَنَّةِ. ثم قرأ: ﴿وَأَنْ هَذَا طِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ خرجه ابن جرير وغيره.

فالطريق الموصول إلى الله واحد، وهو صراطه المستقيم، وبقية السبل كلها
سبل الشيطان، من سلكها قَطَعَتْ بِهِ عَنْ اللَّهِ، وَأَوْصَلَتْهُ دَارَ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ
وَعِقَابِهِ، فربما سلك الإنسان في أول أمره على الصراط المستقيم ثم يَنَحْرِفُ عَنْهُ
آخِرَ عُمُرِهِ فَيَسْلُكُ بَعْضَ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ فَيَقْطَعُ عَنِ اللَّهِ فَيَهْلِكُ.

«إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ إِلَّا
ذِرَاعٌ أَوْ بَاعٌ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» وربما سلك بالرجل أولاً
بعض سبل الشيطان ثم تُدْرِكُهُ السَّعَادَةُ فَيَسْلُكُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ
فَيَصِلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

والشأن كُلُّ الشأنِ في الاستقامة على الصراطِ المستقيمِ من أولِ السيرِ إلى الله ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ، ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ . ما أكثرَ مَنْ يَرِجِعُ أثناءَ الطريقِ وَيَنْقَطِعُ ، فإن القلوبَ بينَ إصبعين من أصابعِ الرحمنِ ﴿ يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ .

شِعْرًا: خَلِيلِي قُطَاعُ الطَّرِيقِ إِلَى الحِمَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الوَاصِلُونَ قَلِيلٌ
وفي الحديث الصحيح الإلهي (القدسي) يقول الله عز وجل: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» .

وفي المسند زيادة «والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل» وفيه أيضاً: يقول الله: «إِبْنِ آدَمَ قُمْ إِلَيَّ وَامْشِ إِلَيَّ أَهْرُولٌ إِلَيْكَ» .

«فَصْلٌ»

وقال رحمه الله: الوصولُ إلى الله نَوَعَانُ: أَحَدُهُمَا في الدنيا، والثاني في الآخِرَةِ. فأما الوصولُ الدنيوي فالمرادُ به: أن القلوبَ تصلِ إلى مَعْرِفَتِهِ، فإذا عَرَفْتَهُ أَحَبْتَهُ، وَأَنْسَتَ بِهِ، فَوَجَدْتَهُ مِنْهَا قَرِيبًا، وَلِدُعَائِهَا مُجِيبًا، كَمَا في بعضِ الآثَارِ: «إِبْنِ آدَمَ أَطْلَبْنِي تَجِدْنِي فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَتَكَ فَاتَكَ كُلَّ شَيْءٍ» .

الصراطُ المستقيمُ في الدنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ: درجةِ الإسلامِ، ودرجةِ الإيمانِ، ودرجةِ الإحسانِ. فمن سَلَكَ دَرَجَةَ الإسلامِ إلى أن يَمُوتَ عليها مَنَعْتُهُ مِنَ الخلودِ في النارِ، ولم يَكُنْ له بُدٌّ مِنْ دُخُولِ الجنةِ، وإن أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ما أَصَابَهُ .

وَمَنْ سَلَكَ عَلَى دَرَجَةِ الْإِيمَانِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا مَنَعَتْهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ
بِالْكَلْبَةِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يُطْفِئُ لَهَبَ نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى تَقُولَ: يَا مُؤْمِنُ جُزْ فَقَدْ أَطْفَأَ
نُورَكَ لَهَبِي.

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: « لا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا
دَخَلَهَا فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنْ لِلنَّارِ
ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ، ذَا مِيرَاثٍ وَرِثَةٍ الْمَحْبُونَةِ مِنْ حَالِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ».

وَمَنْ سَلَكَ عَلَى دَرَجَةِ إِحْسَانٍ إِلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا وَصَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى
اللَّهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. وفي الحديث الصحيح: « إِذَا دَخَلَ
أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنْ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنَجِّزَ كُفُوهَ ». .
فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ألم يثقل موازيننا؟ فوالله ما أعطاهم
الله شيئاً أحبَّ إليهم، ولا أقرَّ لأعينهم من النظر إليه، وهو الزيادة ثم تلا:
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَشْتَرِكُونَ فِي الرُّوَايَةِ وَلَكِنْ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْقُرْبِ فِي حَالِ
الرُّوَايَةِ. عُمُومُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ وَهُوَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَخَوَاصُّهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا. الْعَارِفُونَ لَا يُسَلِّطُهُمْ عَنْ
مَحْبُوبِهِمْ قَصْرٌ وَلَا يُرَوِّبُهُمْ دَوْنَهُ نَهْرٌ.

شِعْرًا: وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
هَذَا تَوَاتُرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
وَأَقْبَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعْفًا
رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ تَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أُتَتْ فِي يُوسُفَ
تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
وَهِيَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذُو الْإِيمَانِ

وعليه أصحابُ الرسولِ تتابَعُوا هم بعدهم تَبَعِيَّةَ الإِحْسَانِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فَصْلٌ»

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أن أدنى أهل الجنة منزلةً لَيَنْظُرُ في ملكه ألفي سنة يَرى أقصاه كما يرى أدناه، يَنْظُرُ إلى أزواجهِ وَخَدَمِهِ، وأن أفضلهم منزلةً لمن يَنْظُرُ إلى وجهِ الله تبارك وتعالى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ» وخرجه الترمذي، ولفظه: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن يَنْظُرُ إلى أزواجهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ ألف سنة».

وأكرمهم على الله من يَنْظُرُ إلى وَجْهِهِ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَجِوَّةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ.. إلى . ربها ناظرة﴾ ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، حديث جرير بن عبد الله البجلي: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» قال: «فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثم قرأ: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾.

ولما كان هذان الوقتان في الجنة وقتان للرؤية في خواص أهل الجنة، حَصَّ الرسول ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فَمَنْ حَافِظٌ عَلَى آتِنِ الصَّلَاتِينَ فِي الدُّنْيَا فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ وَصَلَاهُمَا عَلَى أَكْمَلِ وَجُوهِمَا وَخُشُوعِهِمَا وَحُضُورِهِمَا وَأَدْبِهِمَا فَإِنَّهُ يُرَجَى لَهُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرَى اللهُ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، لاسيما إن حافظ بعدهما على الذكر وأنواع العبادات حتى تطلع الشمس أو تغرب.

فإن وصل العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الأوقات الثلاثة وهي: الدُّلْجَةُ، وَالْعُدُوَّةُ، وَالرَّوْحَةُ، فيوشك أن يعقبه الصديق في هذا

السير الوصول الأعظم إلى ما يطلبه في مقعد صدق عند ملك مقدر .
مَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ فِي طَلْبِهِ أَدَاهُ الصِّدْقُ إِلَى مَقْعِدِ الصِّدْقِ . ﴿وبشر الذين آمنوا إن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ .

المحِبُّ لَا يَقْطَعُ السُّؤَالَ عَمَّنْ يُحِبُّ وَيَتَحَسَّسُ الْأَخْبَارَ وَيَنْسِمُ الرِّيَّاحَ وَيَسْتَدِلُّ بِآثَارِ السُّلُوكِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَحْبُوبِهِ .

لَقَدْ كَبُرَتْ هِمَّةُ اللَّهِ مُطْلُوبُهَا وَشَرَفَتْ نَفْسُ اللَّهِ مَحْبُوبُهَا ﴿ولا تطرد الذين يدعون بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ .

شِعْرًا: مَا لِلْمَحْبِبِ سِوَى إِرَادَةِ حَبِيبِهِ إِنَّ الْمَحْبِبَّ بِكُلِّ بَرٍّ يُصْرَعُ قِيَمَةً كُلِّ إِمْرِيٍّ مَا يَطْلُبُ ، فَمَنْ كَانَ يَطْلُبُ اللَّهَ فَلَا قِيَمَةَ لَهُ مِنْ طَلَبِ اللَّهِ فَهُوَ أَجَلٌّ مِنْ أَنْ يُقَوِّمَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ قِيَمَةٌ .

قال الشبلي: مَنْ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا أَحْرَقَتْهُ بِنَارِهَا فَصَارَ رَمَادًا تَذْرُؤُهُ الرِّيَّاحُ ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى الآخِرَةِ أَحْرَقَتْهُ بِنُورِهَا فَصَارَ سِيكَةً ذَهَبٍ يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى اللَّهِ أَحْرَقَهُ نُورُ التَّوْحِيدِ فَصَارَ جَوْهَرًا لَا قِيَمَةَ لَهُ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

«فَصْلٌ»

في قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ هذه الآية كانت تَشْتَدُّ عَلَى الخَائِفِينَ مِنَ العَارِفِينَ ، فَإِنهَا تَقْتَضِي أَنْ مِنَ العِبَادِ مَنْ يَتَدَوَّلُونَ عِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُ ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ غَافِلًا عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مُعْرِضًا غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَسِبُ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ أَنَّ لِي مُلْكُ الْأَرْضِ لَأَقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ المَطْلَعِ .

وفي الحديث: « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عُمره ويرزقه الله الإناة ».

وقال بعضُ حكماء السلف: كم موقِفٍ خِزي يومَ القيامةِ لم يخطرُ على بالك قط. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾.

وإشتمل على ما هو أعم من ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجو بها الخير فتصيرُ هباءً منثوراً وتبدلُ سيئات. وقد قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾.

وقال: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾.
وقال الفضيلُ في هذه الآية: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾
قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات. وقريبٌ من هذا أن يعمل الإنسان ذنباً يَحْتَقِرُهُ وَيَسْتَهْوِنُ به فيكون هو سببَ هلاكه. كما قال تعالى: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.

وقال بعضُ الصحابةِ إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعهدُها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، وأصعبُ من هذا من زَيْن له سوءُ عمله فراه حسناً. قال تعالى: ﴿قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

قال ابن عيينة لَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدَ بنَ المنكدر الوفاةُ جَزِعَ فَدَعَا له أبا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فأخاف أن يبدو لي من الله ما أكن أحتسب. فجعلنا يبيكان جمعياً. خرج به ابن أبي حاتم، وزاد ابن أبي الدنيا. فقال له أهله: دعوناك لتخفف عليه فزده فأخبرم بما قاب.

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ أُخْبِرْتُ عن سليمان التيمي أنه قِيلَ له : أنت أنت
ومن مثلك ؟ فقال مه لا تقولوا هذا لا أدري ما يبْدُو لي من الله . سمعتُ الله
يقول : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ .

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية : وَيَلُّ لأهلِ الرياء من هذه
الآية ، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أولٌ من تَسَعَّرَ بهم النار ، العالم
والمتصدق والمجاهد . وكذلك من عَمِلَ أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالم فهو
يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب ، فيقتسمُ الغرماءُ أعماله كلها
ثم يفضلُ لهم فضلٌ فيطرحُ من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار .

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكرُ النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب
أعماله كلها وتبقى بقيةً فيطالب بشكرها فيعذب . ولهذا قال عليه الصلاة
والسلام : « من نوقش الحساب عذب أو هلك » . وقد يكون له سيئات تحبط
بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار .

وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان مرفوعاً : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَجِيئُ
بأَعْمَالٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُوراً » وفيه : « وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِكُمْ
وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللَّسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ
إِذَا نَلُّوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ إِنْتَهَكُوهَا » .

وخرَجَ يَعْقُوبُ بنُ أَبِي شُعْبَةَ وإبنُ أَبِي الدُّنْيَا في حَدِيثِ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي
حُدَيْفَةَ مرفوعاً : « لِيَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَقْوَامٍ مَعَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مِثْلُ جِبَالِ
تِهَامَةَ ، حَتَّى إِذَا جِيءَ بِهِمْ جَعَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ هَبَاءً ثُمَّ أَكْبَهُمْ فِي النَّارِ » .

قال سَالِمٌ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ . فقال أَمَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ
وَيُصَلُّونَ وَيَأْخُذُونَ هُنَيْهَةً مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَعَلَّهُمْ كَانُوا إِذَا عَرَّضَ لَهُمْ شَيْءٌ سِرًّا
حَرَاماً أَخَذُوهُ فَأَذْحَضَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ . وَقَدْ يَحْبِطُ الْعَمَلُ بِإِفَةٍ مِنْ رِيَاءٍ خَفِيٍّ أَوْ
عُجْبٍ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ .

قال ضيغَمُ العابدُ : إن لم تأتِ الآخرةُ بالسرورِ لقد إجتمعت عليه الأمان همُّ الدنيا وشقاء الآخرة . فقيل له : كيف لا تأتية الآخرة بالسرور وهو يتعبُ في دار الدنيا ويدأبُ ؟ قال : كيف بالقبول ، كيف بالسلامة .

ثم قال : كم من رجل يرى أنه قد أصلحَ عَمَلَهُ يُجمَعُ ذلك كله يومَ القيامة ثم يضربُ به وَجْهَهُ ، ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال ابنُ عَوْنٍ : لا تثق بكثرة العملِ ، فإنك لا تدري يُقبَلُ منك أم لا ، ولا تأمنُ ذُنُوبَكَ فإنك لا تدري هل كَفَرْتَ عنكَ أم لا ؟ لأن عَمَلَكَ عنكَ مُغَيَّبٌ كُلُّهُ لا تدري ما الذي صَنَعَ به . وبكى النخعيُّ عند الموتِ وقال : أنتظرُ رَسُولَ رَبِّي ما أدري أَيُّ شَرِّني بالجنة أو النار ؟

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : « أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ

دَعَى وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ » رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) » رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ (يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) فَقَالَ : « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُكْتَبِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِرَوْعِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عِنْدَكَ ، رَاضِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤْمَلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ ، يَا مَنْ يَحِبُّ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ ، وَيَأْمُرُ بِهِمَا أَعْفُ عَنَّا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا ، فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عُقُوبَتِكَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حَتَّى لَا تَرْجُوا غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينَ إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا الْيَقِينَ وَالْعَافِيَةَ ، وَإِخْلَاصَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَالِاسْتِغْنَاءَ عَنِ خَلْقِكَ ، وَاجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا مَا قَارِبَ آجَالِنَا .

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِمَا وَفَّقْتَنَا لَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَزَيِّنَا بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنَا بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنَا بِالْعَافِيَةِ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وَارزُقْنَا طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ رَسُولِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى ، وَالتَّقَى وَالْعَافِيَةَ وَالْغِنَى ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ دَرْكِ

الشقاء، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء.

اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسيره، أهل الحمد والثناء أنت، لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا، ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا.

اللهم يا سامع كل صوت ويا بارئ النفوس بعد الموت، يا من لا تشبهه عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والاکرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم يا حيُّ ويا قيومُ فرغنا لما خلقتنا له، ولا تُشغلنا بما تكفلت لنا به، واجعلنا ممن يؤمن ببقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حقَّ خشيتك.

اللهم اجعل رزقنا رعدًا، ولا تشمت بنا أحدًا.

اللهم رغبنا فيما يبقى، وزهدنا فيما يفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللهم يا عليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا من تمنوا له الوجوه وتخشع له الأصوات، ووفقنا لصلاح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا،
وتلم بها شعنتنا، وترفع بها شاهدنا، وتحفظ بها غائبنا، وتركي بها أعمالنا،
وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين.
اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا ديننا وصحة
أبداننا.

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين، ومُقيل عثرات العائرين، نسألك
أن تُلحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين.

اللهم يا عالم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، ويا غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، نسألك أن تديقنا برد
عفوك، وحلاوة رحمتك، يا أرحم الراحمين، وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين.
اللهم اغتقنا من رِقِّ الذنوب، وخلصنا من أشر النفوس، وأذهب عنا
وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وبعّد بيننا وبين الخطايا وأجرنا
من الشيطان الرجيم.

اللهم طيِّبنا للقائك، وأهلنا لولائك وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك،
وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا
من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، وارزقنا مُرافقة الذين أنعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهم يا فالق الحب والنوى، يا منشيء الأجساد بعد البلى يا مُؤي
المنقطعين إليه، يا كافي المتوكلين عليه، انقطع الرجاء إلا منك، وخابت
الظنون إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك نسألك أن تُمطر محل قلوبنا من
سحاب برك وإحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك
جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللهم إنا نسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وعملاً متقبلاً، ونسألك
بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَغْزَى الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجِبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ .

وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ،
وَحَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ .
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .
اللهم اجعلنا نَحْشَاكَ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ، وَسَعِدْنَا بِتَقْوَاكَ، وَلَا تُشَقِّنَا
بِمَعْصِيَتِكَ .

اللهم إنك تسمعُ كلامنا، وترى مكاننا، وتعلم سيرتنا، وعَلاَنِيَتَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ، الْمُسْتَعِيْثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
الْوَجُلُونَ الْمَشْفُقُونَ الْمُعْتَرِفُونَ بِذُنُوبِنَا، نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ، وَنَبْتَهَلُ إِلَيْكَ
إِبْتِهَالِ الْمَذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَنَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللهم يَا مَنْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابِنَا، وَفَاضَتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا، وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا،
وَرَعِمَتْ لَهُ أُنُوفُنَا لَا تَجْعَلْنَا بِدَعَائِكَ أَشْقِيَاءَ، وَكُنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ
بِعَطَائِكَ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم اجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ، الْعُرِّ الْمُحَجَّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَنَفْسًا تَقِيَّةً، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً،
وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك
وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من
تشاء وتُدل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » .

يا ودودُ يا ذا العرش المجيد يا مُبديءُ يا مُعيدُ يا فعَّالُ لما تُريدُ نسألك بنور
وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك
وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن
تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع
المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

شِعْرًا: تَزَوَّجْتُ الْبَطَالََةَ بِالتَّوَانِي
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ
آخِر: أَقْلُبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنِّي بِهَا وَتَمَسَّكُ
وَأُحْذِرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بَاقِيًا
آخِر: نَصِيْبِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ
آخِر: تَجَرَّدُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا
آخِر: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
وَعَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشْبُ لَهُ

فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَامَةً
وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صَعْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
مَهِينٌ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
فِيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقْلِبُهَا غَدَا
رِدَاءَ أَنْ تُلَوَى فِيْمَا وَحَنُوطُ
خَرَجْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
سِوَى حَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خَرَقِ
وَقَلُّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

ومن أراد طباعته ابتغاء وجه الله لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أُذِن له

وجزى الله خيراً من طبعه وقفاً أو أعان على طبعه أو تسبب لطبعه وتوزيعه على إخوانه من المسلمين فقد ورد عنه صلى الله عليه أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم، وورد عنه صلى الله عليه أنه قال: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، منبله» الحديث رواه أبو دواد، وورد عنه صلى الله عليه أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» الحديث رواه مسلم.

الجزء الأول: تم هذا الجزء بعون الله وتوفيقه ونسأل الله الحي القيوم العلي العظيم ذا الجلال والإكرام الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يعز الإسلام والمسلمين وأن يخذل الكفرة والمشركين وأعدائهم وأن يصلح من في صلاحه صلاح للإسلام والمسلمين ويهلك من في هلاكه عز وصلاح للإسلام والمسلمين وأن يلتم شعث المسلمين ويجمع شملهم ويوحد كلمتهم وأن يحفظ بلادهم ويصلح أولادهم ويشفي مرضاهم ويعافي مبتلاهم ويرحم موتاهم ويأخذ بأيدينا إلى كل خير ويعصمنا وإياهم من كل شر ويحفظنا وإياهم من كل ضرر وأن يعفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

عبد العزيز المحمد السلطان

شِعْرًا: مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَعْرُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تُمْوَرُ
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَضْعَفَتْ حَرًّا عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ تَقْوَرُ

وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأَصُولِهَا
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاقَرَتْ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ أَحْضِرَتْ
فَيُقَالُ سَيَّرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحاً
وَإِذَا الْجَنِينُ بِأُمِّهِ مُتَعَلَّقٌ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ أَيْنَ نَسِيرُ
وَعَجَائِباً قَدْ أَحْضِرَتْ وَأُمُورُ
خَوْفِ الْحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَدْعُورُ
كَيْفَ الْمُقِيمِ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ

وَخِتَاماً فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَرَاغَ وَقْتِهِ بِالتَّقْصِيرِ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَتَّقَى بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ عَنِيمَةً صِحَّتِهِ،
وَيَجْعَلَ الْعَمَلَ فُرْصَةً فَرَاغِهِ. فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِيداً وَلَا مَا فَاتَ
مُسْتَدْرِكاً..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ وَصِيَّةٌ مُفِيدَةٌ جَدَا.

مَنْ عَلِمَ قُرْبَ الرَّحِيلِ اسْتَكْتَرَّ مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ،
وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ ، خُصُوصاً إِذَا كَانَ قَدْ جَاوَزَ خَمْسِينَ سَنَةً ، لِأَنَّهُ قَدْ قَارَبَ سَاحِلَ الْأَجَلِ
بِعُلُوسَتِهِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ اللَّحْظَاتِ ، وَيَنْتَظِرَ الْهَاجِمَ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ ،
فَقَدْ كَانَ فِي قَوْسِ الْأَجَلِ مَنْزِعَ زَمَانِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَرَخَى الْوَتْرُ بِالْمَشِيبِ عَنْ
سِيَةِ الْقَوْسِ ، فَانْحَدَرَ إِلَى الْقَلْبِ ، وَضَعُفَتِ الْقُوى أَنْ يُوتَرَ ، وَمَا بَقِيَ إِلَّا
الِاسْتِسْلَامُ لِمُحَارِبِ التَّلَفِ ، فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ إِلَى التَّنْظُفِ ، وَلِيَكُونَ الْقُدُومُ عَلَى
طَهَارَةٍ ، فَوَاسِئاً لِمُهْدِدِ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ كَيْفَ يَغْفُلُ وَيُهْمِلُ وَكَيْفَ
يَطْيِبُ عَيْشُهُ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا
عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣	أحاديث في الحث على الأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان حياً وميتاً
٩	خطبة الكتاب
١١	الإركان الستة وكيفية الإيمان بها
١١	الإيمان بالله ، الإيمان بالملائكة ، الإيمان بالكتب
١٦	الإيمان برسول الله وموضوع الرسالة
١٧	مايجوز على الرسل وما يجب لهم
١٩	الأدلة على صدقهم
٢٠	من أعلام نبوة النبي ﷺ
٢٣	الإيمان بالبعث
٢٤	الإيمان بالقدر
٢٥	تعريف التوبة وبيان شروطها وحكمها
٢٧	النصح في التوبة وما يتضمنه والحث عليها
٢٨	والإجماع على وجوبها والأدلة على ذلك
٣٢	ما ذكره ابن القيم من آثار المعاصي وذكر أضرارها
٣٧	أمثلة لأضرار الذنوب والمعاصي في الأمم الماضية
٤١	قصيدة زهدية ، الصغيرة من الذنوب تعظم بأسباب
٤٢	نصيحة والد لولده
٤٣	قصيدة زهدية
٤٥	وقت قبول التوبة ، وأمثلة للتسوف بها
٤٧	قصيدة زهدية والحث على حفظ الوقت
٤٨	خوف السلف من الذنوب
٥١	أسباب فساد الناس
٥٢	علامات العالم الحقيقي العامل بعلمه
٥٣	من لطائف البلىا وفوائدها
٦١	صاحب البصيرة إذا صدرت من
٦٢	علامات التوبة المقبولة وموجباتها وحققها
٦٩	فوائد ونصائح ومواعظ
٧٢	فائدة عظيمة النفع
٧٣	موعظة من نصيحة والد لولده

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٧٦ حث على مبادرة الأوقات وذكر طبقات المغتربين
٨٧ فصل في العلم وفضله ويليهِ موعظة
١٠٥ فصل في العلم والحث على تعلمه والأدلة على ذلك
١١٥ من كلام ابن القيم وغيره في العلم وفضله وشرفه وعموم الحاجة إليه
١٣٦ كلام ابن رجب حول العلم والعلماء وبعده قصيدة زهدية
١٤١ فوائد نافعة حول الافتاء والاستفتاء
١٥٢ قصيدة زهدية وعظيمة
١٥٤ مما قاله العلماء والادباء في العلم
١٥٥ قصيدة لابن مشرف في مدح العلم ويليها موعظة
١٧٤ فصل الاخلاص والنية في العلم والأدلة على ذلك
١٨١ الآفات التي تعرض للعامل في عمله
١٨٢ التحذير مما يخل بالعمل كالرياء وطلب المال والجاه
١٨٥ ذكر بعض فوائد الاخلاص وبعده ذلك موعظة
١٨٧ قصيدة حث على التمسك بالكتاب والسنة
١٨٨ فصل في محاسبة النفس والطريق إليها وبماذا تحصل
١٩١ حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات
١٩١ محاسبة النفس نوعان
 النفس منبع كل شر وأساس كل نقص ولا بد من سوء الظن بها
١٩٣ ومشاطرتها على حفظ الجوارح
١٩٥ موعظة بليغة في الحث على التفتيش على النفس
١٩٥ موعظة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 موعظة بليغة لبعض العلماء على قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا
١٩٧ كالذين نسوا الله ﴾ الآية
٢٠٤ كتاب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا
٢٠٥ نصيحة للشيخ الواسطي
٢٠٨ كتاب الصلاة وتعريفها
٢١١ تقسيم القلوب الى ثلاثة لابن القيم ويليها كتاب الصلاة
٢٢٢ فصل في مكانة الصلاة وأهميتها والأدلة على ذلك
٢٢٤ فصل في الأدلة على كفر تارك الصلاة

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٢٢٦ موعظة
٢٢٩ الناس في الصلاة على مراتب خمس موضحة لابن القيم رحمه الله
٢٣١ الالتفات في الصلاة منهي عنه وهو قسمان
٢٣٢ غضب الشيطان عند قيام العبد إلى الصلاة
٢٣٣ وبيان من تكفر الصلاة سيئاته وهو من جعلت قره عينه ونعيم قلبه
٢٣٥ لكل مطلوب مفتاح وذكر بعض المفاتيح
٢٣٧ خسارة من فاتته الصلاة مع الجماعة وبيان الصلاة الكاملة
٢٣٨ والناقصة ويليها قصيدة زهدية وعظية
 موعظة بليغة عبارة عن خطبة وكل موعظة تصلح خطبة مما ذكر
٢٤٠ إذ كملت الشروط والأركان
٢٤٢ ذكر بعض فوائد الصلاة وذكر طرف من بعض فوائد صلاة النوافل
٢٤٣ والأدلة على وجوب صلاة الجماعة
٢٤٥ فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة
٢٤٦ أدلة على فضل الصلاة في جماعة والحث على تسوية الصفوف
٢٤٧ وبيان ما يعتبر في ذلك وهو الرقبة والاكعب
٢٤٨ وبيان ما يقال بعدما يكبر للصلاة
٢٤٩ مقدار القراءة في الركعتين الأوليين في الظهر والأخرتين
٢٤٩ والأوليين في العصر والآخرين في العصر ومقدار قيامه فيهما
٢٤٩ وما يقرأ في الصلاة المغرب
٢٥٠ مقدار التسبيح في الركوع والسجود وما يقال بعد الرفع من الركوع
٢٥٢ أسوة الناس سرق الذي يسرق من صلاته
٢٥٣ مقدار القراءة في صلاة الصبح
٢٥٤ الحث على الخشوع في الصلاة والتحذير من السرعة فيها
٢٥٥ وبيان معنى أقامتها وأن المصلين كثيرون والمقيمون لها قليلون
٢٥٦ الذكر بعد الصلاة والاستغفار والدعاء وسياق بعض الوارد من السور
٢٥٧ والآيات والكلمات والأحاديث
٢٦٠ الحث على المحافظة على الرواتب والنوافل وذكر فوائدها
٢٦٢ من فوائد الصلاة وما ذكر ابن القيم
٢٦٤ قصيدة زهدية وتظليه تحتوي على توبيخ النفس

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦٨ الزكاة أحد أركان الإسلام
٢٦٩ بيان ما تجب فيه ، نصاب الزكاة ، وصفة زكاة الفضة
٢٧١ أو الذهب من الأوراق وما يتعلق بذلك وزكاة الصبي والمجنون
٢٧٢ زكاة الحبوب والثمار وما يشترط في ذلك وانها لا تكرر
٢٧٣ متى تجب في الحبوب والثمار ومتى تستقر
٢٧٤ وما الذي ينبغي للإمام نحوها ويلى ذلك موعظة وجيزة
٢٧٥ شروط الخارص وما يجب أن يتركه لرب المال
٢٧٦ حث على البحث عن المستحق بدقة وبيان مصاريف الزكاة
٢٧٩ موعظة بليغة في الحث على الاستعداد للموت لايدفع بالزكاة مذمة ولايقي بها ماله ولايستخدم بها
٢٨١ بيان ما يأخذه كل صنف من أصناف الزكاة موعظة بليغة في الحث على التأهب للموت
٢٨٣ فصل ما ورد من الوعيد الشديد في ترك الصلاة
٢٩١ ذكر بعض آداب الزكاة وما يلاحظ في ذلك
٢٩٥ موعظة بليغة في الحث على إخراجها
٢٩٦ فصل فيمن تحل له الصدقة والتحذير لمن لا تحل له
٢٩٧ أحاديث في التحذير من المسألة لمن لم تسقه ضرورة إليها
٣٠٠ موعظة في الحث على القناعة يليها قصيدة في الحث عليها أيضاً
٣٠٤ أحاديث وآثار في الحث على الورع والزهد في الدنيا
٣٠٩ قصيدة في مدح رب العزة تبارك وتعالى والتحذير عن الدنيا
٣١١ فصل في صدقة التطوع وما ورد من الآثار الشرعية في فضلها
٣١٢ أحاديث في الحث على الصدقة وبيان آثارها
٣١٤ حديث سعيد بن المسيب في حماية الله للإنسان بسبب ماوقفه له
٣١٥ من صالح الأعمال وكلام شيخ الإسلام على هذا الحديث
٣١٦ الحث على الصدقة مادام الإنسان صحيح وبيان المسكين حقه
٣١٩ أفضل الصدقة جهد المقل والأدلة على أن الأعمال الصالحة
٣٢٠ تضاعف من الأمكنة الفاضلة
٣٢١ الأولى في الزكاة والصدقة الأقرباء الفقراء وطلاب العلم والجيران الفقراء
٣٢٣ موعظة بليغة في التهيؤ للارتحال إلى المقابر ويليها قصيدة زهدية

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣٢٤	في الحث على التزود لدار القرار
٣٢٥	الفوائد المترتبة على أداء الزكاة وبذل صدقة التطوع
٣٣٢	موعظة بليغة في التحذير عن المعاصي
٣٣٤	فصل في البشارة في دخول شهر رمضان
٣٤٠	موعظة بليغة عن كلام رسول الله ﷺ أكثرها
٣٤٣	حكم صوم شهر رمضان ومن يجب عليه
٣٤٤	ماثبت به شهر رمضان وما يترتب على ثبوت رؤية الهلال
٣٤٥	لا بد للصوم من النية وحكم صوم التطوع
٣٤٩	من يسن له الفطر ومن يباح له الفطر ومن عرض له جنون أو اغماء
٣٥٣	موعظة في الحث على عدم الغفلة عن ذكر الله والتزود للأخرة
٣٥٤	قصيدة زهدية
٣٥٦	ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها وحكم ما إذا أكل أو شرب
٣٥٧	ناسياً أو فاء استقاء
٣٥٩	موعظة بليغة في مسائل متعددة
٣٦١	قصيدة زهدية وعظية
٣٦٢	بعض فوائد الصيام
٣٦٧	ذكر أشياء تخفى على بعض الناس في الصيام
٣٦٨	ذكر أشياء تحرم ويتأكد تحريمها في حق الصائم
٣٧٢	التحذير من الكذب وتأكده في حق الصائم
٣٧٢	أنواع الكذب وقول الزور ومضار شهادة الزور
٣٧٤	في التحذير من الغيبة
٣٨٠	الدواوين ثلاثة أثقلها ديوان ظلم العباد
٣٨٢	قصيدة في التحذير من الغيبة ويليها الحث على اجتناب ما لا يحل
٣٨٥	من النظر كالنظر إلى الاجتناب
٣٨٩	تحريم الخلوة بالمرأة بدون محرم والتحذير من اتخاذ صبي
٣٩٠	يخلو بهن أو اتخاذ خادمة تخلو بالرجال
٣٩٢	موعظة في الحث على صون النساء عن الخروج إلا لحاجة ماسة أو ضرورة ..
٣٩٥	فصل فيما يستحب للصائم أن يقوله أو يفعله وبأن من يسن عليه الفطر
٣٩٨	ما يقول الصائم إذا أفطر والحث على الفطر على حلال

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٩	الدعاء عند الفطر وأداب الدعاء
٤٠١	حكم قضاء رمضان ويليهِ موعظة
٤٠٦	صلاة التراويح وبيان كيفية صلاة التراويح
٤٠٧	التراويح سنّها رسول الله ﷺ
٤٠٨	الذي عليه جمهور المسلمين عشرون ركعة بدون الوتر
٤١٣	قصيدة زهدية أصولية ويليها موعظة
٤١٦	مشروعية صلاة الوتر وبيان وقته وبيان عدد الوتر أقله وأكثره
٤٢٢	دعاء القنوت ويليهِ قصيدة لابن عبد القوي
٤٢٤	كتاب الفضائل
٤٢٥	ما ينبغي أن يفعل في ليالي عشر رمضان الأخيرة
٤٢٩	موعظة بليغة يليها قصيدة زهدية وعظيمة
٤٣٢	فضائل ليلة القدر وعلاماتها والأحاديث الواردة في ذلك
٤٣٥	الحث على قيام ليلة القدر والاجتهاد فيها بالعبادة
٤٣٧	وبعدهِ قصيدة زهدية يليها موعظة وحث على حفظ الوقت
٤٤١	ذكر بعض الأدعية الواردة وأدلتها
٤٥٤	زكاة الفطر وما ورد فيها من الآثار ومقدارها وبيان من تجب عليه
٤٥٥	وبمن يبدأ من وجبت عليه فطر متعددة وحكمها عن الجنين
٤٥٦	وقت وجوب صدقة الفطر ووقت استحباب إخراجها
٤٥٧	وحكم تأخيرها وماذا يعمل من فوت وقتها
٤٥٨	من وجبت عليه فطر متعددة محل إخراجها
٤٥٩	مقدار الواجب وحكم إخراج الدقيق والقيمة وشرائها
٤٦٠	والمعيب والمختلط بغيره
٤٦١	فصل يحتوي على موعظة لتدارك بعض الفائت
٤٦٤	إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب الذل والانكسار
٤٦٥	قصيدة لتوديع شهر رمضان
٤٦٦	فصل في تلاوة القرآن الكريم وذكر ما ورد في فضل حمل القرآن
٤٦٦	في الحث على قراءة القرآن الكريم وحفظه وأن فيه فضل عظيم
٤٧٨	مما ورد في فضل القرآن وتفهمه واستحباب ترتيله
٤٧٩	قال ابن القيم عشرة أشياء ضائعة وبعدها ذكر ما ورد في فضل

فهرس الكتاب الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٤٨١ بعض صور القرآن وآياته
٤٨٢ استحباب تحسين الصوت في التلاوة
٤٨٣ الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كلام الله تعالى
٤٨٥ موعظة بليغة في الحث على توقير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ
٤٩١ والكتب التي تستمد منها وما ينبغي لمن علمه الله القرآن
٤٩٧ الحث على تعاهد القرآن والترهيب من نسيانه
٤٩٨ هجران القرآن أنواع متعددة
٥٠٠ التمسك بالقرآن والحذر من الاعراض عنه
٥٠٢ يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة في الدقيق والجليل
٥٠٤ في الحذر من الحكم بغير ما أنزل الله والرد على القانونيين
٥٠٦ مؤيدة بالأدلة والبراهين
٥٢٣ فصل في فضل ذكر الله وما ورد في ذلك من الأحاديث
٥٢٣ الحث على ذكر الله وذكر فوائده
٥٣٩ قال في حادي الأرواح كلاماً في الحث على العمل الصالح والتشويق
٥٤١ إلى الجنة وما أعد الله فيها وبعده أبيات من النونية
٥٤١ فصل في فضل الاستغفار والأدلة على ذلك
٥٤٣ فصل في الاعتكاف وما يتعلق به
٥٤٨ فصل في الحث على بناء المساجد وصيانتها وما يسان عنه المسجد
٥٤٨ وما يتعلق بذلك
٥٥١ حكم زخرفة المساجد وحكم التزام موضع معين من المسجد
٥٦٣ الأيام التي يسن صيامها والتي يكره صيامها والتي يحرم صيامها
٥٧٠ النهي عن التشبه بالكفار والأدلة على ذلك ويلى ذلك فوائد عظيمة
٥٧٥ الحث على التقوى وبيان فوائدها ويليها وصف المتقى
٥٧٨ كلام نفيس لبعض العلماء على قوله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِذُرْوَسِ الزَّمَانِ

خُطْبٌ وَحِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنٌ

تأليف الفقير إلى عفوربته

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

بِاللَّهِ يَا نَاطِرًا فِيهِ وَمُنْتَفِعًا
وَقُلْ أَنَلَّهُ إِلَهَ الْعَرْشِ مَغْفِرَةً
وَحُصَّ نَفْسَكَ مِنْ خَيْرِ دَعْوَتٍ بِهِ
وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مَا بَدَأَ قَمَرٌ
مِنْهُ سَلِّ اللَّهُ تَوْفِيقًا لِجَامِعِهِ
وَأَقْبَلْ دُعَاؤَهُ وَجَنِّبْ عَنْ مَوَانِعِهِ
وَمَنْ يَقَوْمُ بِمَا يَكْفِي لِطَابِعِهِ
أَوْ كَوَكَّبَ مُسْتَنِيرٌ مِنْ مَطَالِعِهِ
بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ الْجَلِيلُ
آخِر: وَمَا اكْتَسَبَ الْمَعَالِي طَالِبُوهَا